

# شرح لزوم ما لا يلزم

لأبي العلاء المعري

أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي

المتوفى سنة ٤٤٩ هـ

تأليف

ابراهيم الأبياري

الدكتور طه حسين

الجزء الأول

دار المعارف بمصر

## مقدمة

رحم الله أبا العلاء ! لقد كان شديد التواضع ، قليل الاعتداد بنفسه ، شديد الأزدراء لها ، يرى أن الذين دَعَوْه بكُنيتِه هذه قد أخطئوا وأسرفوا على أنفسهم وعلى الناس . وكان الحق عليهم أن يدعوه « أبا النزول » :

دُعِيتُ « أبا العلاء » وذاك مِئْنٌ ولكنَّ الصَّحيحَ « أبو النزولِ »

وكان شديد الزُّهد في نِباهة الذكر وبعْد الصَّوت ، يرى أنه ليس لشيء من ذلك أهلاً ، ويرى أن الرَّغبة فيه لونٌ من العبث وفنٌّ من الغرور ، ينبغي لذى اللب أن يرتفع بنفسه عنه .

وكان ربما أنكر ما أُتيح له من الشهرة ، فحمل الناس على زيارته والاستماع له . فالناسُ إنما يقصدون إلى ذى المال يلتمسون عنده العطاء ، ويسعون إلى ذى العلم يلتمسون عنده المعرفة .

وكان أبو العلاء مقتراً عليه في الرزق ، وكان يرى أن حظّه من العلم قليل لا يُرضيه هو ، فكيف بالسَّاعين إليه من أقطار الأرض القريبة والبعيدة ، يبتغون عنده غنى العقول وذكاء القلوب . وكان يرى بعد ذلك أن علمه ليس من شأنه أن يُرضيَ الناس ، لأنه إن صدّقهم آذاهم ، فقال لهم ما لا يُحبون ؛ وإن أرضاهم آذى نفسه بالكذب عليهم والمُخالفة عما يُؤمن به عقله ويطمئنُ إليه ضميره . فكان مرةً يقول :

خُذِي رَأْيِي وَحَسْبُكَ ذَاكَ مِنِّي عَلَى مَا فِيَّ مِنْ عِوَجٍ وَأُمْتٍ  
وماذَا يَبْتَغِي الْجُلَسَاءُ عِنْدِي أَرَادُوا مَنْطِقِي وَأَرَدْتُ صَمْتِي  
وَيُوجَدُ بَيْنَنَا أَمْدٌ قَصِيٌّ فَأَمُّوا سَمْتَهُمْ وَأُمْتُ سَمْتِي

ومرة أخرى يقول :

يُرُونِي الْقَوْمُ هَذَا أَرْضُهُ يَمَنُ  
قَالُوا سَمِعْنَا حَدِيثًا عَنْكَ قُلْتُ لَهُمْ  
يَبْغُونَ مِنِّي مَثْنًا لَسْتُ أَحْسِنُهُ  
أَعَانَنَا اللَّهُ كُلُّ فِي مَعِيشَتِهِ  
مَاذَا تُرِيدُونَ لَا مَالٌ تَيْسَّرَ لِي  
أَتَسْأَلُونَ جَهْلًا أَنْ يُفِيدَكُمْ  
مَا يُعْجِبُ النَّاسَ إِلَّا قَوْلُ مُحْتَدِعٍ  
قَدْ أَنْفَدُوا فِي ضَيَاعِ كُلِّ مَا عَمَرُوا  
أَنَا الشَّقِيُّ بَاطِلٌ لَا أُطِيقُ لَكُمْ  
مِنْ الْبِلَادِ وَهَذَا دَارُهُ الطَّبَسُ  
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِلَّا مَعْشَرًا لَبَسُوا  
فَإِنْ صَدَقْتُ عَرَّهْمُ أَوْجُهُ عُبُسُ  
يَلْقَى الْعَنَاءُ فَدَرِّي فَوْقَنَا دُبُسُ  
فِيُسْتَأْجَرُ وَلَا عِلْمٌ فَيُقْتَبَسُ  
وَتَحْلُبُونَ سَفِيًّا ضَرْعُهَا يَبَسُ  
كَانَ قَوْمًا إِذَا مَا شُرِّقُوا أُبِسُوا  
فَكَانَ مِثْلَ جِلَالِ الْبُذْنِ مَا لَدِسُوا  
مَعُونَةً وَصُرُوفَ الدَّهْرِ تَحْتَبَسُ

فقد كان الصوتُ يطير عن أبي العلاء بما لا يرى في نفسه أنه الحق ، وكان الناسُ يسمعون عنه الأحاديث فيشتاقون إلى لقائه ثم يَسْعَوْنَ إلى هذا اللقاء ، وكان هو يَضِيقُ بذلك أشدَّ الضيق : يرى أن الذين وصفوه بسعة العلمِ وغزارة المعرفة قد لَبَسُوا أمره على الناس ، وقالوا عليه غير الحق ، ووصفوه بما ليس فيه . وهو على ذلك يعرف الناسَ حقَّ المعرفة ، ويَبْلُو سَرَائِرَهُمْ أحسنَ البلاء ، ويعلم أنهم يُؤْثِرُونَ ما يُرضيهم ، وإن كان كذبًا ، على ما يُؤْذِيهم وإن كان حقًّا وصدقًا . وهو لا يُحْسِنُ الكذب ولا يُحِبُّ إِلَّا الصدق ، وهو يَجْهَرُ بأنه لا مالَ له فيُسْتَجْدَى ، ولا عِلْمٌ عنده فتُبْتَغى عنده المعرفة . وليس من خِصَالِهِ الكذبُ فيَخْدَعُ الناسَ عن حقائق نُفُوسِهِمْ ، وليس من خِصَالِ الناسِ حُبُّ الصَّدَقِ فَيَرْضَوْنَ عما يمكن أن يَسُوقَ إليهم من حديث . وهو يَسْتَعِينُ اللهَ لنفسه على الصَّدَقِ ، وَيَسْتَعِينُهُ للناسِ على ما يَأْلِفُونَ من خِدَاعٍ ، وَيَسْتَعِينُهُ لَهُ وَلَهُمْ على هذه الحياة التي يَلْقَى الناسُ فيها جميعًا ألوانَ المِحْنِ وَضُرُوبَ الْعَنَاءِ . وربما ضاق

أبو العلاء بُغِضَ الناسَ للحقِّ وحُبِّهم للباطل ، فقال في أبياته تلك المشهورة :

إِذَا قُلْتُ الْمَحَالَ رَفَعْتُ صَوْتِي      وَإِنْ قُلْتُ الْيَقِينَ أَطَلْتُ هَمْسِي

ومهما يكن من شيء فقد نبه ذكرُ أبي العلاء وبعْدَ صوته في حياته ، على ضيقٍ منه بذلك وزُهدٍ منه فيه . وقد أخذ الناسُ يسعونُ إليه من أدنى الأرض ومن أقصاها ، يطلبون عنده العِلْمَ وَيَرَوْنُ عنه اللُّغَةَ والأدب ، ويكتبون عنه ما كان يُنشئ من شعر ونثر حين كان يَخْلُو إلى نفسه .

وحمل عنه شعره ونثره إلى أدنى الأرض وأقصاها في حياته ، فرضى عنه مَنْ رَضِيَ وسَخَطَ عليه مَنْ سَخَطَ ، وجادله في بعض آرائه المُجادلون ، وعارضه في بعض آثاره المُعارضون .

وما أشكَّ في أن أبا العلاء قد أطمأن إلى شهرته وبعْدَ صوته ، على ضيقه بهما وبُغضه لهما . وما أكثرَ ما كان أبو العلاء يطمئنُ إلى الضيق ويروض نفسه على ما تكره .

ألم يكن يأخذ نفسه بأحتمال البرد والأغتسال بالماء البارد حين يقسو الشتاء ، ويقول :

أُجَاهِدُ بِالظُّهَارَةِ حِينَ أَشْتُو      وَذَاكَ جِهَادٌ مِثْلِي وَالرِّبَاطُ  
مَضَى كَأَنُونِ مَا اسْتَعْمَلْتُ فِيهِ      حَمِيمَ الْمَاءِ فَاقْدَمَ يَا شُبَّاطُ

وإذا كان يأخذ نفسه راضياً بما لا تُحب ، فما له لا يقبل من الأمر ما ليس له فيه اختيار ! وهو الذي يرى الجبر ويؤمن بأن حظَّ الإنسان من الحرية ضئيل . فليطمئن إذن إلى الشهرة ، وليذعن لما ليس له عنه مُنصرف ، وليُسّر على الناس أمرهم بالقياس إلى ما يُحمل عنه من شعر ونثر . فهو يقول مرة :

أَقْرَأُ كَلَامِي إِذَا ضَمَّ الثَّرَى جَسَدِي      فَإِنَّهُ لَكَ مِمَّنْ قَالَهُ خَلْفُ



ويقول مرة أخرى ناصحاً لنفسه ولقرائه :

لا تُقَيِّدْ عَلَى لَفْظِي فَإِنِّي مِثْلُ غَيْرِي تَكَلَّمِي بِالْمَجَازِ

كان أبو العلاء إذن يَبْعِدُ الصَّوْتُ في حياته ، وظلَّ صَوْتُهُ بَعِيداً بعد وفاته عرفته الأجيالُ على أختلاف الأقطار والعُصور ، وتحدّثت عنه مُشَدِّدَةً عليه أو عابئةً له ، يَحْسُنُ فيه رأى قوم ويسوء فيه رأى آخرين .

وقلّما كان الناسُ في عُصورهم المختلفة يُعَنَوْنَ بتحصيل كل ما حُفِظَ عن أبي العلاء من آثار ، وإنما كان هذا الكتابُ أو ذاك من كُتبه يقع إلى هذا القارئ أو ذاك ، فينظر فيه عَجَلاً أو مُسْتَأْنِياً ، وَيَقْضِي فيه مُتَثَبِّتاً أو غير مُتَثَبِّت ، حتى كان العصرُ الحديث ، أو هذا القرن الذي نعيش فيه ، فأشدّت العناية بأبي العلاء حين كان العِلْمُ بفلسفة المُتَشَائِمِينَ الأوربيين . كأن العرب أحسّوا أنّ هذه الفلسفة ليست جديدةً ولا مُبتكرةً ، وأنّ الغرب لا يَسْتَأْثِرُ بها من دونهم ، وأنهم قد سَبَقُوا إليها وشاركوا فيها مُشاركةً حَسَنَةً .

ولأمرٍ ما عُنِيَ العربُ في هذه الأعوام الأخيرة بشاعرين من شعرائهم القُدماء ، هما أبو الطيّب المتنبّي وتلميذه في الأدب والشعر أبو العلاء ، فلم يكتفوا بتأليف الكُتب عن هذا وذاك ، وإنما رأوا الأوربيين يذكرون عُظَمَاءَهم ، ويحتفلون بالأعياد المثلويّة والألفيّة لهؤلاء العُظَمَاءَ ، فقلّدوهم في هذا أيضاً ، واحتفلوا في أقطارهم المختلفة بالعيد الألفي لأبي الطيّب . ثم دعت سوريا منذ عشر سنين إلى مؤتمر يُعقد في دِمَشْقَ للاحتفال بالعيد الألفي لأبي العلاء ، وأرادت مصرُ أن تُشارك في هذا المؤتمر ، وأن تُسهم في إحياء ذِكْرِ هذا الشاعر الفيلسوف العظيم ، فرأت أنّ الاحتفال بمثل هذا العيد شيء له خَطَرُهُ من غير شك ، ولكنه أجمع لا يكاد ينعقد حتى يَنْفُضَ ، وكلام لا يكاد يُقال حتى تَمُرَّ به رياح الصَّيْفِ أو رياح الشتاء . فأثرت فيما أثرت أن تنشر ما يَجْتَمِعُ لها من آثار أبي العلاء ،

لَتُتِيحَ للقارئین عامّةً ، وللباحثین والعلماء خاصةً ، أنْ يعرفوه حقَّ معرفته ، وأنْ يُعاشِرَه منهم مَنْ أَحَبَّ عِشْرَتَه أطولَ وقتٍ ممكن ، وأنْ يَفْرُغَ لِدَرْسه منهم مَنْ أَحَبَّ الْفَرَاغَ لِدَرْسه ، وقد توفّرت له وسائلُ البحثِ والاستقصاء .

ولم تكدمُ مصرُ تتخذ هذا القرارَ حتى جدّت في إنفاذه ، فنشرت ما أجمع لها من أحاديث القدماء عن أبي العلاء ، ثم نشرت « سقط الزند » وهمتُ بنشر « اللزوميات » . ولكن الظروفَ وقفتُ هذا العملَ الخطيرَ ، وخِفْنَا أن تشغل هذه الظروفُ مصرَ الرسميّة عن الرجوع إلى ما بدأت من إحياء التراثِ العَلّائي ، فحاولنا أن نَمُضِيَ في هذا الإحياء حسبما يُتَيِّحُ لنا جَهْدُنا المتواضع الضئيل ، وأقبلنا على كتاب « اللزوميات » نحقق نصّه ، ونشرح ألفاظَه شرحاً لغويّاً مفصّلاً تفصيلاً ما ، ثم نُترجم هذا النصّ بعد ذلك أو نُحَلِّله إلى النثر العربي المعاصر ، كما كان القدماء يقولون .

وقد فرغنا لذلك ، ونرجو أن نكون قد وفّقنا فيه إلى ما يُرضى أبا العلاء ، وإن كان إرضاءه عسيراً .

ونرجو على كل حال ألا نكون قد ظلمناه فأذيناه ، فهو ينهانا عن ظلم الموتى ، ويُحذّرنا من ذلك في بيته المشهور :

لَا تَظْلِمُوا الْمَوْتَى وَإِنْ طَالَ الْمَدَى      إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَلْتَقُوا

ثم نرجو بعد ذلك أن نكون قد أَمَحْنَا للذين يُريدون أن يَدْرُسُوا أبا العلاء درساً لغويّاً ما يُحِبُّونَ من تعمّق الدرس ، وللذين يكتفون بقراءة فلسفة أبي العلاء ، في غير جهد ولا مشقة ، أن يقرءوا هذه الفلسفة دون أن يجدوا في قراءتها عناء .

وارجو قبل كل شيء و بعد كل شيء أن يتاح لنا المضي في هذا العمل حتى  
لا نُقصّر مضراً في النهوض بما احتملت من أعبائه .

والصديق الزميل « إبراهيم الأبياري » أعظم الفضل في هذا الجهد ، فهو  
الذي احتمل عناء التنقيب والمراجعات على اختلافها ، كما احتمل عناء الشرح  
اللغوي . وأنا على ذلك شريكه في تبعات ما بذل من جهد ، مُستأثر بشكره  
على ما أتى من عناء ، وما احتمل من أعباء .

طه حسين

سيكون للكتاب ، بعد أن يعين الله تعالى على تمامه ،  
جزء مستقل بفهرس ينتظم قصائده ، ويجمع الفاظه ، ويضم  
أغراضه ، ويشمل الأعلام والأماكن والأسماء ، وما تردد  
في الشرح من أبيات .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[ مقدمة أبي العلاء ]

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان الضير ، رَهْنُ الْمُحْبِسِينَ ،  
وإنما قال بقضاء لا يشعر كيف هو :

كان من سَوَافِ الْأَقْضِيَةِ أَنِّي أَنْشَأْتُ أَبْنِيَةَ أَوْرَاقٍ ، تَوَخَيْتُ فِيهَا  
صَدَقَ الْكَلِمَةِ ، وَنَزَّهَتْهَا عَنِ الْكَذْبِ وَالْمَيْطِ<sup>(١)</sup> ، وَلَا أَزْعُمُهَا كَالسَّمِطِ  
الْمُتَّخَذِ وَأَرْجُو أَلَّا تُحْسَبَ مِنَ السَّمِيطِ<sup>(٢)</sup> ؛ فَمِنْهَا مَا هُوَ تَمْجِيدُ اللَّهِ الَّذِي  
شَرَّفَ عَنِ التَّمْجِيدِ ، وَوَضَعَ الْمَنِّ فِي كُلِّ جِيدٍ ؛ وَبَعْضُهَا تَذْكِيرٌ لِلنَّاسِ ،  
وَتَنْبِيْهُ لِلرَّقَدَةِ الْغَافِلِينَ ؛ وَتَحْذِيرٌ مِنَ الدُّنْيَا الْكُبْرَى الَّتِي عَبَثَتْ بِالْأَوَّلِ ،  
وَاسْتُجِيبَتْ فِيهَا دَعْوَةُ جَرُولِ<sup>(٣)</sup> ؛ إِذْ قَالَ لِأُمِّهِ :

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَّاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينَا  
فَهِيَ لَا تَسْمَحُ لَهُمْ بِالْحُقُوقِ ، وَهُمْ يُبَاكِرُونَهَا بِالْعُقُوقِ . وَإِنَّمَا  
وَصَفْتُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعِظَةِ وَأَفَانِينَ ، عَلَى حَسَبِ مَا تَسْمَحُ بِهِ الْغَرِيزَةُ ؛

( ١ ) الميْط : الجور والحنف والبعد عن القصد .

( ٢ ) السميْط ، بفتح فكسر ، أو بضم ففتح ، على صورة التصغير ، وهذه عن كراع :

الآجر القائم بعضه فوق بعض .

( ٣ ) الجرول : الحجر ، وبه لقب الخطيئة ، أبو مليكة بن أوس بن مالك العبسي ، شاعر .

مختصر من الهجائين . توفي حوالي سنة ثلاثين من الهجرة .

فإن جاوزتُ المُشترطَ إلى سواه ، فإنّ الذي جاوزتُ إليه قولُ عَرِيٍّ من المَين<sup>(١)</sup> . وجمعتُ ذلك كله في كتاب لقَبْتُهُ « لزوم ما لا يلزم » . ومعنى هذا اللقب أن القافية تلزم لها لوازمٌ لا يفتقر إليها حَشْوُ البيت ، ولها أسماءٌ تُعرف ، وسأذكر منها شيئاً مخافة أن يقع هذا الكتاب إلى قليل المعرفة بتلك الأسماء .

والذي سمّاه المُتقدّمون من لوازم القافية<sup>(٢)</sup> خمسة أحرف وست حركات :

فالأحرف : الرويِّ والرّذف والتأسيس والوصل والخروج<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) المين : الكذب . والجمع : ميون . والفعل منه : مان يمين ، فهو مائن .

( ٢ ) القافية ، تكون من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما . وقد تكون بعض كلمة ، وشاهده قول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبى على مطيمم يقولون لا تهلك أسمى وتحمل

فالقافية من الحاء في « تحمل » - على رواية - إلى آخر البيت . وقد تكون كلمة ، كقوله :

ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمعى محمل

فالقافية « محمل » . وقد تكون كلمة وبعض أخرى ، كقول الشاعر :

دمن عفت ومحا معالمها هطل أجش وبارح ترب

فالقافية من الحاء في « بارح » إلى آخر البيت . وقد تكون كلمتين ، كقول امرئ القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالقافية من قوله « من » إلى آخر البيت . وقد تكون كلمتين وبعض أخرى ، كقول الشاعر :

\* قد جبر الدين الإله فجبر \*

فالقافية من اللام الثانية في « الإله » . فهذا بعض كلمة ، ثم « الفاء » ثم « جبر » .

( ٣ ) وهكذا هي عند الخليل ، إلا أنه جعل مكان « الروي » القافية . ومكان « الوصل » الصلة .

وكان الخليل يسمي الكلمة التي فيها القافية الضرب والروي . ( انظر كتاب تلفيق القوافي والحركات

للأبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان . ص ٤٨ و ٥٤ طبعة ليدن ١٨٥٩ ) .

فأما الروي<sup>(١)</sup> فأثبت حروف البيت ، وعليه تُبنى المنظومات ، وهو يكون من أى حروف المعجم وَقَعَ ، إِلَّا حُرُوفًا تَضَعُفُ وَلَا تَثْبُتُ ، كَأَلْفِ التَّرْنَمِ وَوَاوِهِ وَيَائِهِ وَهَاءِ الْوَقْفِ وَهَآ آتِ التَّأْنِيثِ ، إِذَا كَانَ مَا قَبْلَهَا مَتَحَرِّكًا ، وَالْأَلْفُ الَّتِي تَلْحَقُ لِلتَّثْنِيَةِ فِي مِثْلِ « ضَرَبَا » وَ « ذَهَبَا » ، وَالْوَاوُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْجَمْعِ إِذَا كَانَ مَضْمُومًا مَا قَبْلَهَا فِي مِثَالِ « ضَرَبُوا » وَ « قَتَلُوا » ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْحُرُوفِ . فَإِنْ اتَّفَقَ غَيْرُ مَا ذَكَرْتُ فَهُوَ شَاذٌّ مَرْفُوضٌ<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) قيل إنه من الروية ، وهى الفكرة ، لأن الشاعر يتفكر فيه ، فهو فعيل بمعنى مفعول . كما قيل إنه من الرواء ، بالكسر والمدة ، وهو الحبل الذى يضم به شئ إلى شئ ، إذ هو يضم أجزاء البيت ويصل بعضها ببعض ، فهو فعيل بمعنى فاعل .

( ٢ ) جميع حروف المعجم يصح أن تكون رويًا إلا سبعة أحرف فى مواضع : الحرف الأول : الألف فى خمسة مواضع ، أولها أن تكون ضمير التثنية نحو : قاما ، واضربا ، فهى وصل لا روى ، والروى ما قبلها . وجوز بعضهم أن تكون ألف التثنية رويًا . قال ابن جنى : وهو شاذ فى الاستعمال . وثانها أن تكون لبيان حركة الكلمة ، كما فى قول الشاعر :

فَقَالَتْ صَدَقْتُ وَلَكِنِّى أَرَدْتُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنَا

· وثالثها : أن تكون للإطلاق ، وتسمى ألف الترنم وألف الإشباع ، كقول جرير :

أَقْلَى اللُّومِ عَاذِلٌ وَالْعَتَابَا وَقَوْلَى إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا

على روايته بالألف لا بالنون :

ورابعها : المبدلة من تنوين المنصوب وقفًا ، وعن فون التوكيد الخفيفة ، نحو : رأيت زيدا .

ونحو : \* وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا \*

وخامسها : أن تكون لاحقة لضمير الغائب ، كقول أمية بن أبى الصلت :

يُوشِكُ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيئِهِ فِي بَعْضِ غَرَاتِهِ يُوَافِقُهَا

فالألف هنا خروج والهاء وصل .

وأما الألف الأصلية وتسمى المقصورة ، كالألف : إِذَا وَمَتَى وَالْعَصَا وَالرِّضَى وَرَمَى ، والألف الزائدة للتأنيث ، نحو : ذكرى ، أو للإلحاق نحو : أرطى ، فإن شئت جعلتها وصلًا ولزمت الحرف الذى قبلها رويًا ، وإن شئت جعلتها رويًا .



## والروى له ثلاث منازل : يكون آخر حرف في الشعر المقيّد ،

وثاني الحروف الياء ، ولها ثلاثة مواضع : أولها أن تكون للإطلاق ، وتسمى ياء الترم والإشباع ،  
وحينئذ لا يكون ما قبلها إلا مكسوراً ، كقول امرئ القيس :

\* كما زلت الصفواء بالمتنزلى \*

وثانيها أن تكون ضمير المتكلم ، أو ياء المخاطبة مكسوراً ما قبلها ، نحو : غلامى واضربنى .  
وثالثها أن تكون لاحقة للضمير وهو مكسور ، نحو : مررت بهى . وهى هنا خروج ، والضمير  
قبلها وصل .

وأما ياء النسب فإن كانت ثقيلة لم تكن إلا روياء ، وتكون بمنزلة حرف واحد ، وإن كانت  
خفيفة تخيرت فيها بين جعلها وصلاً ولزمت ما قبلها ، وبين جعلها روياء .  
وثالث الحروف الواو ، ولا يصح أن تكون روياء في ثلاثة مواضع : أولها أن تكون للإطلاق ، وتسمى  
واو الترم وواو الإشباع . ولا يكون ما قبلها حينئذ إلا مضموماً ، كما في قول جرير :

\* سقيت الغيث أيتها الخيامو \*

فهذه الواو وصل .

وثانيها أن تكون ضمير جمع مضموماً ما قبلها ، كما في نحو : ضربوا ، واضربوا . فهى  
وصل . وقال ابن السراج : قد تجعل واو نحو : « اضربوا » روياء . واستدل على ذلك بقول  
مروان بن الحكم :

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا

وينقص منا كل يوم وليلة ولا بد أن تلقى من الأمر ما لقوا

وثالثها أن تكون لاحقة للضمير ، نحو : ضربتموه ، وكلهمو . فهى وصل لا روى .

ورابع الحروف وخاء سها : التنوين ونون التوكيد الخفيفة ، فهذان لا يكونان رويين بل ولا وصلين .

الحرف السادس : الهاء ، ولها ثلاثة مواضع :

أحدها أن تكون للسكت ، وهى التى تتبين بها الحركة ، نحو : أرمه ، واغزه ، وفيمه ، وله ، كقول الشاعر :

بالفاضلين أولى النهى فى كل أمر فاقتده

فهذه الهاء وصل .

الثانى أن تكون ضميراً متحركاً ما قبلها ، مخففاً كان أو مثقلاً ، سواء تحركت أو سكنت ، كقول

زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

فهذه الهاء وصل .

والثالث أن تكون منقلبة عن تاء التأنيث محرّكاً ما قبلها ، ويقال لها هاء التأنيث ، كقول الشاعر :

ولا ينكسر هذا القياس في رأى المتقدمين<sup>(١)</sup>، ويكون بينه وبين انتقضاء البيت حرفٌ أو حرفان، وذلك في الشعر المطلق.

والذى بين رويّة وبين انتقضاء وزنه حرف واحد فإنما تجيء بعد رويّة الصلّة لا غير؛ وهى تكون أحد أربعة أحرف: الألف والواو والياء والهاء<sup>(٢)</sup>، و[لا] تكون الأحرف الأخرى.

وأما الذى يقع بعد رويّة حرفان فهو ما تحرّكت هاء وصلّه فلزمها الخروج، كقوله:

ثلاثة ليس لها رابع الماء والبستان والخمره

فالها، هنا وصل.

وسابع الحروف هـ الوقف، أى الهمز الذى يبدل في لغة من الألف وقفاً، نحو: رأيت رجلاً. فهى ليست روياء ولا وصلاً.

(١) ومنه قول طرفة:

أصحوت اليوم أم شأقتك هر ومن الحب جنون مستعر

(٢) فما صلته الواو قول زهير:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أية سلخوا

فالروى الكاف والواو صلة.

وما صلته الألف قول زهير أيضاً:

إن الخليط أجد البين فانفراقا وعلق القلب من أسماء ما علقا

فالروى القاف والألف صلة.

وما صلته الياء قول عنتره:

يا دار عبلة يابخواه تكلمى وعى صباحاً دار عبلة واسلمى

فالروى الميم والياء صلة.

وما صلته الهاء قول لبيد:

نحن بنو أم البنين الأربعه الضاربون الهام تحت الخيضعه

فالعين روى والهاء صلة.

فِي لَيْلَةٍ لَا تَرَى بِهَا أَحَدًا يَخْشَى عَلَيْنَا إِلَّا كَوَاكِبُهَا

فالباء هي الروى، والهاء وصل، والألف خروج.

وأما التأسيس فألف بينها وبين حرف الروى حرف يسمى الدخيل

ولا تلزم إعادته<sup>(١)</sup> كما تلزم إعادة الروى. والتأسيس كقول القائل:

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالْأَخْضَرِ أَسْمَى      وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْدَهْرِ سَأْلٌ

فألف «سالم» تأسيس، واللام دخيل، والميم روى.

وألف التأسيس على ضربين: أحدهما أن تكون هي والروى من

نفس الكلمة، كألف «عالم» و«مالك». أو يكون الروى ضميراً

مُتَّصِلًا فيجرى مجرى حرف الكلمة الأصلية، كالكاف في «دارك»

و«غلامك»؛ والآخر أن تكون الألف من كلمة والروى من

كلمة أخرى.

فإذا اختلف الروى والتأسيس وكانا من كلمتين، فإن الثانية التي فيها

الروى لا تخلو من أحد أمرين: إما أن تكون مضمراً منفصلاً مثل:

هما، وهو، وهي؛ وإما أن تكون مبنية من ضمير متصل وحرف.

فالأول كقول زهير:

فَأَيْنَ الَّذِينَ يَمْحُضُونَ جِفَانَهُ      إِذَا وُضِعَتْ أَلْقَوْا عَلَيْهَا الْمَرَاثِيَا

ثم قال:

(١) يعنى أنه لا يكون حرفاً واحداً كالروى.

رَأَيْتَهُمْ لَمْ يَدْفَعُوا<sup>(١)</sup> بِنَفْسِهِمْ مَنِيتَهُ لَمَّا رَأَوْا أَنَّهَا هِيَ  
فَأَلَفَ «أَنْهَا» تَأْسِيسَ ، وَالْهَاءُ مِنْ «هِيَ» دَخِيلٌ ، «وَالْيَاءُ» رَوَى .

وَالثَّانِي كَقَوْلِ زَهِيرٍ أَيْضًا :

بَدَا لِي أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ فَزَادَنِي إِلَى الْحَقِّ تَقْوَى اللَّهِ مَا قَدْ بَدَا لِيَا

وَفِي الْقَصِيدَةِ : «جَائِيَا» وَ «نَاجِيَا» .

وَإِذَا كَانَ التَّأْسِيسُ مُنْفَصِلًا جَازَ أَنْ تُجْعَلَ لِنَوَا . فَلَوْ بَنَيْتَ قَصِيدَةً  
قَوَافِيهَا «مَعْطِيَا» وَ «مُؤَلِيَا» ثُمَّ جَاءَ فِيهَا «بَدَا لِيَا» لَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ  
أَهْلِ الْعِلْمِ جَازًا ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ فِي الِاسْتِعْمَالِ . وَكَذَلِكَ لَوْ بَنَيْتَ أُخْرَى  
قَوَافِيهَا «مَنْعَمَا» وَ «مَكْرَمَا» لَجَازَ أَنْ يَجِيءَ فِيهَا «كَمَا هُمَا» عَلَى أَنَّ  
تُجْعَلَ الْأَلْفُ فِي «كَمَا» لِنَوَا . فَإِذَا كَانَتِ الْأَلْفُ فِي كَلِمَةٍ وَبَعْدَهَا كَلِمَةٌ ،  
لَيْسَتْ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَإِنَّهَا لَا تُجْعَلُ تَأْسِيسًا ، كَمَا قَالَ الْعِجَّاجُ :

فَهِنْ يَعْكَفُنْ بِهِ إِذَا حَجَا عَكَفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الْفَنَزَجَا<sup>(٢)</sup>

فَأَلَفَ «إِذَا» لَيْسَتْ أَلْفُ تَأْسِيسٍ ، لِأَنَّ «حَجَا» لَيْسَتْ كَلِمَةً  
مُضْمَرَةً وَلَا فِيهَا حَرْفٌ إِضْمَارٍ . فَهَذَا رَأْيُ الْمُتَقَدِّمِينَ . وَلَا يَمْتَنِعُ فِي حَكْمِ

(١) فِي الدِّيَوَانِ : «لَمْ يَشْرَكُوا»

(٢) الْفَنَزَجُ : النَّزْوَانُ . قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ : وَقِيلَ : هُوَ اللَّعْبُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : الدِّسْتَبَنْدُ ،  
يَعْنَى بِهِ رَقْصُ الْمَحْجُوسِ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : هُوَ رَقْصُ الْعَجَمِ إِذَا أَخَذَ بَعْضُهُمْ يَدَ بَعْضٍ وَهُمْ يَرْقُصُونَ :  
وَعَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ : أَنَّ الْفَنَزَجَ هُوَ لَعِبُ النَّبِيطِ إِذَا بَطَرُوا .

الغريزة أن تكون الألف تأسيساً وبعدها كلمة ليس فيها إضمار، مثل:  
« شِم » و « طِر »

ومن الآيات الموضوعات للمعاني :

أَقُولُ لَعَبَدَ اللَّهِ لَمَّا سِقَاؤُنَا وَنَحْنُ بِوَادِي عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ  
فهذا ألغز قوله « وهى شِم » « وهى » ، من الوهى ؛ و « شِم » من  
شيم البرق ، عن قوله « وهاشم » إذا كان هاشم اسم رجل . فلو جاءت  
بعد ذلك « الخضارم » و « الأكارم » و « دائم » ونحوها لكان عندى  
غير قبيح ، ويقويه أن شين « شِم » مكسورة .

والغالب على ألفات التأسيس أن يكون ما بعدها مكسوراً ، فقد  
ألف فيها هذا النوع حتى صار كأنه لازم ، وقاما توجد قصيدة مؤسسة  
يكون ما بعد تأسيسها مضموماً أو مفتوحاً ، إلا أن تكون قد بُنيت  
على المضمر ، مثل قولك « رآهما » و « أتاها » كما قال :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي وَأَبْنَى أَسْوَدَ لَيْلَةً لَنَسْرِي إِلَى نَارَيْنِ يَبْدُو سَنَاھُما  
ومن عاداتهم إذا بنوا القصيدة على هذا القرى<sup>(١)</sup> أن يلزموا فيها  
المضمر ، إلا أن يشذ شيء فيجىء على غير الإضمار . أو تكون القصيدة  
المؤسسة التي بعد تأسيسها فتحة مبنية على كاف إضمار ، مثل أن تبنى  
على « أصابك » و « أشابك » ونحو ذلك .

(١) القرى : السنن والنهج . قال ابن الأعرابي : تنح عن سنن الطريق وقرية وقرقه ، بمعنى واحد .

والتأسيس له ثلاث منازل ، فالأولى أن يكون بينه وبين اقتضاء البيت حرفان ، وذلك في الشعر المقيّد كقوله :

نَهْنِهْ دُمُوعُكَ إِنَّ مَنْ يَبْكِي مِنَ الْخُذَّانِ عَاجِزٌ

والثانية أن يكون بين التأسيس وبين اقتضاء البيت ثلاثة أحرف ، وذلك في الشعر المطلق الذي لا يلزمه خروج ، كقوله :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُدِيرُهُمْ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ<sup>(١)</sup>

فألف « سالم » تأسيس ، واللام دخيل ، والميم روى ، والواو التي بعد الميم وصل .

والثالثة أن يكون بين حرف التأسيس وبين اقتضاء البيت أربعة أحرف ، وذلك في الشعر الذي يلزمه الخروج كقوله :

يُوشِكُ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا<sup>(٢)</sup>

وأما الردف فألف ، أو واو أو ياء ساكتتان تكونان قبل الروى ، ولا حاجز بينهما وبينه . فأما الألف فلا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً . وأما الواو والياء فيجوز أن تختلف حركات ما قبلهما ، وهما في ذلك ردفان .

(١) البيت لعبد الله بن عمر في ابنه سالم . ويروى : « وأرينهم » مكان « وأديرهم » . ويقال للجلدة التي بين العين والأنف « سالم » . جعل ابنه لمحبتته إياه بمنزلة هذه الجلدة .  
(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت .

وللردف ثلاث منازل ، إما أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرف واحد ، وذلك في الشعر المقيّد ، كقول طرفة :

وجاملٍ خَوَّعَ من نيبه زَجْرُ المَعْلَى أَصْلًا والمَنِيحُ<sup>(١)</sup>

فالياء في « المنيح » ردف . وكذلك الواو في قول الراجز<sup>(٢)</sup> :

هل تعرف الدار بأعلى ذى القُور      قد درستُ غيرَ ماد مَكْفُور<sup>(٣)</sup>

( ١ ) الجامل : الجمال . وقيل : هى قطع من الإبل معها رعيانها وأربابها ، كالبقر والبقر . قال الخطيب :  
فإن تلك ذا مال كثير فإنهم لهم جامل ما يهدأ الليل سائرهُ

أراد بالسامر: الرعاة لكثرتهم لا ينامون . وقيل : الجامل جماعة من الإبل تقع على الذكور والإناث ، فإذا قلت : الجمال والجمالة ، ففى الذكور خاصة . وروى أبو الهيثم عن أعرابي أن الجامل الحى العظيم ، وأنكر أن يكون الجامل الجمال ، وأنشد :

\* وجامل حوم يروح عكره \*

ثم قال : ولم يصنع الأعرابي شيئاً فى إنكاره أن الجامل : الجمال . وقال الأزهري ، وأما قول طرفة :  
وجامل خوع ( البيت )

فإنه دل على أن الجامل يجمع الجمال والنوق ، لأن النيب إناث ، وأحدتها ناب .  
وخوع : نقص ، لازم ومتعد ، والمراد هنا على الثاني . ويروى : « وخوف » والمعنى واحد ، كما يروى « من نبتة » مكان « من نيبه » أى من نسله . والمعل ، بفتح اللام : القدح السابع فى الميسر ، وهو أفضلها ، إذا فاز حاز سبعة أنصباء من الجزور . والمنيح : القدح المستعار ، وقيل هو الثامن من قداح الميسر . وقال اللحياني : هو الثالث من القداح الغفل التى ليست لها فرض ولا أنصباء ولا عليها غرم ، وإنما تثقل بها القداح كراهية التهمة ، وهى أربعة : المصدر ثم المضاعف ثم المنيح ثم السفيح . ويروى بيت طرفة أيضاً « بالسفيح » مكان « المنيح » . يعنى ما ينحر فى الميسر منها .

( ٢ ) هو منظور بن مرثد الأسدي .

( ٣ ) كذا فى اللسان « قور » . والقور : جمع قارة ، وتجمع أيضاً على قار وقبران . وهى الصخرة السوداء ، وقيل : العظيمة أصغر من الجبل . كما قيل هى الجبيل الصغير الأسود المنفرد شبه الأكمة . وقوله : بأعلى ذى القور ، أى بأعلى المكان الذى بالقور . « ودرست =

فالواو في « قور » و « مكفور » ردف ، وليس بعدهما من بناء البيت إلا حرف واحد . وكذلك يجوز أن يقع ما قبل الياء والواو الفتحة في الشعر المقيّد ، « فالواو » كقول الراجز :

مَالَكْ لَا تَتَبَحْ يَا كَلْبَ الدَّوْمِ<sup>(١)</sup>      بعد هُدوء الحَيِّ أصوات القَوْمِ  
قد كُنْتُ نَبَّاحًا فَمَا لَكَ الْيَوْمَ

والياء كقول الآخر :

يَمْنَعُهَا شَيْخٌ بِحَدَّيْهِ الشَّيْبُ      لَا يَحْذَرُ الرَّيْبُ إِذَا خِيفَ الرَّيْبُ

والألف في المقيّد كقوله :

مَا هَاجَ حَسَّانَ رُسُومُ الْمَقَامِ      وَمَظْنُنُ الْحَيِّ وَمَبْنَى الْخِيَامِ  
وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الرَّدْفِ وَبَيْنَ انْتِضَاءِ الْبَيْتِ حَرْفَانِ ، وَذَلِكَ فِي  
الشَّعْرِ الْمَطْلُوقِ الَّذِي لَا خُرُوجَ لَهُ ، كَقَوْلِهِ :

== . . إلخ » أي قد درست معالم الدار إلا رماداً مكفوراً ، وهو الذي سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفّره .

( ١ ) الدوم : شجر المقل ، وهو من ضمخام الشجر ، الواحدة دومة . وقال أبو حنيفة : الدومة تعبل وتسمو ولها خوص كخوص النخل وتخرج أقتاء كأقتاء النخلة . وقال أبو زياد الأعرجي : إن من العرب من يسمى النبق دوناً . وقال ابن الأعرابي : الدوم : ضمخام الشجر ما كان . ومنه قول الشاعر :

زجرنا الهر تحت ظلال دوم      ونقبن العوارض بالعيون



تَقُوهُ أَيُّهَا الْفَتَيَانُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ غَلَبَ الْجُدُودَا<sup>(١)</sup>

وكقوله في الواو المفتوح ما قبلها :

وَمَشِيْنَنَّ بِالْخُبَيْبِ مَوْزُ كَمَا تَهَادَى الْفَتَيَاتُ الزَّوْرُ<sup>(٢)</sup>

وكقوله في الألف :

أَقْلَى اللَّوْمِ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا<sup>(٣)</sup>

وكقوله في الياء المكسور ما قبلها :

بَصْبَصْنِ بِالْأَذْنَابِ إِذْ حُدِينَا<sup>(٤)</sup>

وكقوله في الياء المفتوح ما قبلها :

(١) تقاه يتقيه ، مثل اتقاه يتقيه . وتقول في الأمر : تق ، وللمرأة تقى . قال عبد الله ابن همام السلولي :

زيادتنا نمان لا تنسينها تق الله فينا والكتاب الذي تتلو

(٢) الخبيب : جمع خبيبة ، وهي من الرمل كهيمة الفالق والطريقة غير أنها أوسع وأشد انتشاراً وليست لها جرفة . وقيل : الخبيب والخبيبة ، واحد : بطن الوادي والحد في الأرض . والمور : الذهاب والمجيء في تردد . والزور : الذي يزورك ، رجل زور ، وقوم زور ، وامرأة زور ، ونساء زور ، يكون للواحد والجميع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ؛ لأنه مصدر . وروى ابن منظور البيت مادة زور :

« ومشين بالخبيب . . . »

(٣) البيت بحرير - وعجزه : « وقولى إن أصبت لقد أصابا »

(٤) البصبصة : تحريك الذنب . قال الأصمى : ومن أمثالهم : في فرار الجبان وخضوعه : بصبصن إذ حدين بالأذنان .

أَيَّا سَحَابٍ طَرَّقِي بِخَيْرٍ<sup>(١)</sup>

وإِذَا أَن يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَتْقِضَاءِ الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ ، وَذَلِكَ فِي الشَّعْرِ الَّذِي لَهُ خُرُوجٌ ، وَلَا بُدَّ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنَ الْهَاءِ الْمُتَحَرِّكَةِ ، كَقَوْلِ كَثِيرٍ :

فَلَمْ تُبَدِّلْ يَاسَافِي الْيَأْسَ رَحْمَةً وَلَمْ تُبَدِّلْ جُوداً فَيَنْفَعِ جُودَهَا  
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرَّدْفُ وَالرَّوْيُ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ  
يَكُونَا مِنْ كَلِمَتَيْنِ ، لَا اخْتِلَافَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذِهِ  
الْأَشْيَاءِ . فَكُونُهُمَا مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، كَقَوْلِ الرَّاجِزِ :

إِنَّ الْقُبُورَ تُنَكِّحُ الْإِيَامِي<sup>(٢)</sup> وَتُشَكِّلُ الْأَصَاغِرَ الْيَتَامَى

وَالْمَرْءُ لَا يَبْقَى لَهُ سُلَامِي<sup>(٣)</sup>

فَالْأَلْفُ الْأُولَى فِي « الْإِيَامِي » وَ « الْيَتَامَى » وَ « السُّلَامِي » رَدْفٌ .  
وَالْمِيمُ رَوْيٌ . وَالْأَلْفُ الثَّانِيَّةُ ، الَّتِي هِيَ فِي الْفِظِ أَلْفٌ ، وَبَعْضُ الْكِتَابِ

(١) سَحَابٌ : مَرْخَمٌ « سَحَابَةٌ » اسْمُ امْرَأَةٍ . وَتَطْرِيقُ الْمَرْأَةِ وَكُلُّ حَامِلٍ : إِذَا خَرَجَ مِنَ الْوَلَدِ نِصْفُهُ ثُمَّ نَشَبَ . فَيَقَالُ : طَرَقَتْ ثُمَّ خَلَصَتْ . وَمِنْهُ فِي الدَّاهِيَةِ :  
\* قَدْ طَرَقَتْ بِبِكْرِهَا أُمُّ طَبَقِ \*

(٢) الْإِنْكَاحُ : التَّزْوِيجُ .

(٣) السُّلَامِي : جَمْعُ سُلَامِيَّةٍ ، وَهِيَ الْأَنْمَلَةُ مِنَ الْأَصَابِعِ ، وَقِيلَ : وَاحِدُهُ وَجْمَعُهُ سَوَاءٌ . وَقِيلَ :

السُّلَامِي : كُلُّ عَظْمٍ مَجُوفٍ .

يصورها ياء، تكون في هذا الشعر وصلا . ويجوز أن تجيء معها بمثل قولك : « إذا ما » و « على ما » فيكون الردف والروى من كلمتين . ولا يمتنع أن يكون معها « سلاما » و « غلاما » فتكون ألف الوصل بدلا من التنوين ، والتنوين ليس من نفس البنية . قال بشر بن أبي خازم :

فَسَعْدًا فَسَائِلُهُمُ وَالرَّبَّابَ      وَسَائِلُ هَوَازِنَ عَنَّا إِذَا مَا

لَقِينَاهُمْ كَيْفَ نُعَلِّمُهُمُ      بَوَاتِرَ يَفْرِينُ يَمِضًا وَهَامَا

وكذلك يجوز في المرفوعات أن تجيء بقافية على قولك « يادو » أى يختل ، وتكون الهمزة مخففة لتكون ردفا ، ثم تقول : « أَلَا دُوا » ، تريد : « دُوا » من الدية . ثم يجوز مع ذلك « يعاد » من العيادة ، على أن تُلحقه واو الترنم .

والوصل يكون واواً أو ياء أو ألفاً أو هاء . فالياء والواو والألف لهن منزلة واحدة يكنّ في آخر البيت ، وطالما حُذفن في الوقف . فالواو كقول الشاعر<sup>(١)</sup> :

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ      وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ<sup>(٢)</sup>

(١) هو الأخنس بن شهاب التغلبي .

(٢) السارب : الذى اتجه للمرعى . وقال الأصمعى في هذا البيت : هذا مثل ، يريد أن الناس أقاموا في موضع واحد لا يحترقون على النقلة إلى غيره . وقاربوا قيد فحلهم ، أى حبسوا فحلهم عن أن يتقدم ، فتتبعه إبلاهم ، خوفاً أن يغار عليها . ونحن أعزاء فقترى الأرض نذهب فيها حيث شئنا ، فنحن قد خلعنا قيد فحلنا ليذهب حيث شاء ، فحيثما نزع إلى غيث تبعناه .

والياء كقوله :

إِذَا قُلْتُ يَا قَدْ حَلَّ دَيْنِي قَضَيْتَنِي      أَمَانِي عِنْدَ الزَّاهِرَاتِ الْعَوَاتِمِ<sup>(١)</sup>  
والألف كقول لييد :

لَعِبْتُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَحُجُورِهِمْ      وَلِيداً وَسَمَوْنِي مُفِيداً وَعَاصِمَا  
والهاء إذا كانت ساكنةً فنزلتها كنزلة هذه الحروف . وذلك  
كقول جرير :

لَنَا كُلُّ مَشْبُوبٍ يُرَوَّى بِكَفِّهِ      غِرَارًا سِنَانٍ دَيْلَمِيٍّ وَعَامِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
فالهاء وصل .

وإذا كان الوصل متحركاً فينبه وبين أنقضاء البيت حرف ساكن ،  
وهو الذي يسمَّى الخروج ، يكون واواً أو ياء أو ألفاً . فالواو  
كقول الشاعر :

يَنْزُو عَلَيْهَا بِحَزَجٍ لَقِحتُ      مِنْهُ وَشَرُّ الْخَلْقِ بِحَزَجِهِ<sup>(٣)</sup>  
والياء كقول أبي النجم :

فَانْقَضَ مِثْلَ النَّجْمِ مِنْ سَمَائِهِ      رَجْمٌ بِهِ الشَّيْطَانُ فِي ظُلُمَائِهِ

( ١ ) الزاهرات العواتم ، هي نجوم الشتاء ، التي تظلم من الغبرة التي في السماء ، وذلك في الجذب .  
أى إنه غير موفى دينه إذ كان الجذب أجله .

( ٢ ) رجل مشبوب : بهيل حسن الوجه ، وقيل هو الذكي الفؤاد الشهم . وغرار السنان :  
حده . وفي الديوان : « جناحا سنان » . وعامل السنان : صدره .

( ٣ ) البحزج : من الناس القصير العظيم البطن .

والألف كقول عدى :

لَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَتِيَانِ فِي غَيْرِ الْـ أَيَّامِ يَذْرُونَ مَا عَوَاقِبُهَا  
ولا يكون الخروج آخر حرف في البيت .

فهذه خمسة أحرف لهن اثنتا عشرة منزلة : للروى ثلاث ،  
وللتأسيس ثلاث ، وللردف ثلاث ، وللوصل اثنتان ، وللخروج  
واحدة . فإذا جاء بيت مؤسس وبيت غير مؤسس فذلك عيب ،  
يزعمون أنه يسمى « السناد » ، وهو قليل . وقد زعموا أن  
العجاج قال :

يَا دَارَ سَلَمَى يَا أَسْلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى بِسَمْسَمٍ أَوْ عَنْ يَمِينِ سَمْسَمٍ<sup>(١)</sup>  
وقال فيها :

نُخْنَفُ هَامَةً هَذَا الْعَالَمِ

ورواها أن رُوْبَةً كَانَ يَعِيبُ هَذَا مِنْ كَلَامِ آيِهِ . وحكى يونس  
أنَّ العجاج كان يهيمز « العالم » ، فإن صحَّ هذا فلا سناد في البيت .  
ويحسن من السناد، الذي يحىء في المطلق المؤسس، أن تكون حركة  
الدخيل فتحة ، لأنه يقرب بذلك من المجرد . والمجرد : الذي لا يلزمه  
إلا الروى والوصل إذا كان مطلقا ، والروى وحده إذا كان مقيدا .

(١) سمس : اسم موضع . ونخنف : امرأة إلياس بن مضر بن نزار واسمها ليلى ، وإليها  
نسب ولد إلياس .

وفى مجيء الفتحة بعد التأسيس ما يُخرج السامعَ عن العادة ، لأنَّ  
أكثر ما أُسس من أشعار العرب إنّما يكون بعد ألفه كسرة ،  
كـ « حامل » و « راسم » .  
وفى قصيدة العجاج :

مُـكْرَمٍ لِلْأَنْبِيَاءِ خَاتِمِ

فإن رُوى بكسر التاء فهو أشنع ، وإن رُوى بفتحها فهو أسهل ،  
وإن مُهمز فقد خرج من علة السناد .

وإذا جاء بيت بردفٍ وبيت لاردفٍ فيه ، فذلك سناد أيضاً ،  
مثل أن يجيء « الصَّرَف » مع « الطَّوْف » و « القِيل » مع « القَوْل » .  
وقد رُوى أَنَّ الحُطَيْئة قال :

إلى الرُّوم والأحبوش حتى تناولا      بأيديهما مالَ المرازبة الغُلفِ<sup>(١)</sup>  
وبالطَّوف نالا خيرَ ما نالَه الفتى      وما المرءُ إلا بالتقلُّب والطَّوفِ<sup>(٢)</sup>

جاء : « الطوف » مع « الغلف » . وإنما يستعملون هذا في الواو  
التي قبلها فتحة ، أو الياء التي قبلها مفتوح أيضاً . فإذا انضمَّ ما قبل  
الواو وانكسر ما قبل الياء كَمَل فيهما اللين . واستقبحوا أن يجيئوا

( ١ ) المرازبة ، معرب ، الواحد مرزبان ، بضم الزاي ، من الفرس ، وهو الفارس الشجاع  
المقدم على القوم دون الملك . وفي الحديث : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم . والغلف :  
جمع أغلف ، وهو الذي لم تقطع غرلته ، أى لم يختن .

( ٢ ) الطوف : المصدر من طاف يطوف ، إذ جال وسعى .

بهما مع الحروف المصمتة ، مثل أن يجيئوا بـ « عود » مع « جُند »  
و « زَند » ، أو بـ « عير » مع « سِتر » و « فِتر » .

فأمّا الأبيات التي تُنسب إلى الكاهنة التي لها حديث مع  
عبد الله بن عبد المطلب ، أعنى قولها :

إِنِّي رَأَيْتُ غَمَامَةً بَرَقَتْ بِيضَاءَ بَيْنَ حَنَاتِمِ الْقَطْرِ<sup>(١)</sup>  
وظننته شَرْفًا لَصَاحِبِهِ مَا كُلُّ قَادِحٍ زَنْدِهِ يُورِي  
فإن الواو قَوِيَتْ لأنَّ بعد الراء ياء أصلية يجوز أن تجعل رويًا ،  
ولا يمتنع أن تكون لغة الكاهنة الهمز ، على لغة من قال « مُوسَى »  
فهمز الواو لمجاورة الضمة ، كما يهزها إذا كانت الضمة فيها موجودة .  
وقد يجوز أن تكون من باب السناد . فإن صحَّ فهو أشنع  
ما يكون .

وإذا اختلف الروى فكان مرةً دالا ، ومرة ذالا أو سينا وشينا ،  
أو نحو ذلك من الحروف المتقاربة ، فهو الذي يُسمى الإكفاء .  
قال الراجز :

قَدَ عَلمِتْ بِيضٌ يُمَسِّنُ مَيْسًا      أَلَّا أَزالُ قَفَّةً وَرَيْشًا  
حتى قتلت بالكريم جَيْشًا

وأما الوصل فإذا اختلف ، فكان مرة واوا ومرة ياء ، فذلك الإقواء .

(١) الحناتم : سحاب سود ، الواحدة حنتمة .

وأما هاء الوصل إذا كانت ساكنة فإنها لا تحتل أن تُغيّر ،  
وإذا كانت متحركة فقلما يلحقها التغيير .

وزعم أبو عمر الجرمي أنه لم يسمعه ، وإن جاء فهو نحو الإقواء .  
وأما الخروج فتغيّره متعلق بتغيّر هاء الوصل ، لأنه لا يوجد إلا  
وهي متحركة ، فإن جاء فهو نحو الإقواء .

وأما الحركات ، فمنها « الرس » وهي فتحة ما قبل التأسيس ، وقد  
ذكرها الخليل وابن مسعدة . وكان الجرمي يقول : لا حاجة إلى ذكر  
الرس ، لأن ما قبل الألف لا يكون إلا مفتوحاً . وهذا قول حسن ،  
إذا كانوا إنما أوقعوا التسمية على ما تلزم إعادته ، فإذا فُقد أخل .  
وهذه حركة لا يجوز عندهم أن تكون غير الفتحة ، ولا حاجة إلى ذكرها  
فيما يلزم .

ومن الحركات « الإشباع » وهو حركة الحرف الذي بين ألف  
التأسيس وحرف الروي في الشعر المطلق ، وذلك الحرف يسمى  
« الدّخيل » . ويقال إن الخليل لم يذكر الإشباع ، وإن سعيد بن مسعدة  
ذكره ، فيجوز أن يكون أسماً وضعه ويجوز أن يكون تلقاه عن  
قبله من أهل العلم .

وقد رُئي في القوافي كتاب للفرّاء ، وكتاب لخلف بن حيّان ،  
فإن لم يخلوا من ذكر الإشباع فهذا يدل على أن سعيد بن مسعدة أخذ  
هذا الأسم عن غيره ، إذ كان هذان الرجلان في القدم نظيره ، ويجب



أن يكون « خلف » مات قبله بمدة طويلة ، فأما موته وموت الفراء فمُتقاربان . وهذه الأسماء الموضوعة لا يَعْقِلُ مثلها سَكَّانُ الْعَمَد . فإن كانت تُلْقِيَت عن العرب فيجب أن يكون مَنْ أَخَذَ عنه ذلك يَعْرِف حروف الْمُعْجَم ، ويقرأ الصحف . وقد كان فيهم رجال يقرءون ويكتبون ، ويعرفون مواقع الحروف .

وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في المصنّف ، باباً للقوافي ، وأسند بعض ألقابها عن الشيوخ . فهذا يدل على أنه كان يعتقد أنها مأخوذة عن العرب كما تُؤخذ عنهم اللغة . فإن كان الأمر على ما ذهب إليه فيحق أن يكون المأخوذ عنه متميّزاً من الطغّام ، لا يجهل منزلة الميم من النون ، ولا الباء من الفاء .

وقد توسع الذين وضعوا كتب القوافي في الإشباع حتّى جعلوه حركة ما قبل الروى في الشعر المطلق ، وإن كان غير مؤسّس ، فقالوا في قول الأخطل :

عفا واسط من آل رضى فنبتل فمُجْتَمِع الحريّن فالصبر أجمل<sup>(١)</sup>

فتحة التاء في « نبتل » ، والميم في « أجمل » إشباع . ولا يحسن أن يكون الأمر كذلك ، لأن هذه الحركة ليست لازمة ، ولا يُنكر

(١) واسط : قرية بالخابور . ورضوى ونبتل : بالشام . والحران : واديان .

تَغْيَرُهَا السَّمْعُ ، وَإِنَّمَا تُنْكَرُ الْغَرِيزَةُ تَغْيَرُ حَرَكَةَ الدَّخِيلِ ، وَإِذَا أَصَابَهَا التَّغْيِيرُ فَهُوَ سِنَادٌ .

وَأَكْثَرُ مَا جَاءَتْ حَرَكَةُ الدَّخِيلِ كَسْرَةً ، فَإِذَا جَاءَتْ الضَّمَّةُ أَوْ الْفَتْحَةُ فَذَلِكَ هُوَ الْمَكْرُوهُ ، وَالضَّمَّةُ مَعَ الْكَسْرِ أَيْسَرُ ؛ لِأَنَّهُمَا أَخْتَانُ ، وَالْفَتْحَةُ مَعَهُمَا أَشْنَعُ . وَيَذُكُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ مَجِيئَهُم بِالضَّمَّةِ مَعَ الْكَسْرِ أَكْثَرُ مِنْ مَجِيئِهِم بِالْفَتْحَةِ مَعَ إِحْدَى الْحَرَكَتَيْنِ . وَقَدْ جَاءَ النَّابِغَةُ بِالضَّمَّةِ مَعَ الْكَسْرِ ، فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ شَعْرِهِ ، فَقَالَ فِي الْعَيْنِيَّةِ :

\* يُرِيدُنْ إِلَّا لَا سِيرُهُنَّ تَدَافِعُ \*

فَضَمَّ الْفَاءَ ، وَحَرَكَةُ الدَّخِيلِ مَكْسُورَةٌ فِي كُلِّ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ ، سِوَى هَذَا الْبَيْتِ . وَقَالَ فِي اللَّامِيَةِ الَّتِي أَوَّلَهَا

« دَعَاكَ الْهَوَى وَاسْتَجْهَلْتِكَ الْمَنَازِلُ

وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ » :

مُجُودًا لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ فَضْلَهُ

وَتُرْكُ وَرَهْطُ الْأَعْمَجِينَ وَكَأْبُلُ

وَقَالَ أَيْضًا فِي أُخْرَى :

لَقَدْ قَلْتُ لِلنُّعْمَانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ يُرِيدُ بَنِي حُنَّ بِشُغْرَةٍ صَادِرِ

تَجَنَّبَ بَنِي حُنَّ فَإِنَّ لِقَاءَهُمْ كَرِيهٌ وَإِنْ لَمْ تُلَقَ إِلَّا بِصَابِرِ

ثم قال فيها :

هُمْ مَنَعُوهَا مِنْ قُضَاءِ كُلِّهَا      وَمِنْ مُضَرِّ الْحَمَاءِ عِنْدَ التَّغَاوُرِ  
وقال الهذلي :

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَى      إِلَى جَدَثٍ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ<sup>(١)</sup>  
وقال فيها :

فَلَمْ يَرَهَا الْفَرَّخَانِ بَعْدَ مَسَائِهَا      وَلَمْ يَهْدَأْ فِي عُشِّهَا مِنْ تَجَاوُبِ  
وهو كثير . والفتحة في مثل هذا النحو أقل .

وقد زعموا أن ورقاء بن زهير قال :

دَعَانِي زُهَيْرٌ تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ

فَجِئْتُ إِلَيْهِ كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ<sup>(٢)</sup>

إِلَى بَطْلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلَاهِمَا

يُحَاوِلُ نَصْلَ السَّيْفِ وَالنَّصْلُ نَادِرُ<sup>(٣)</sup>

فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا

وَيَمْنَعُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمَظَاهِرُ<sup>(٤)</sup>

(١) المنى : القدر . ويوزى : ينصب . تقول : أوزيت الشيء ، إذا أشخصته ونصبته ،  
والرواية في بعض الأصول : « إلى قدر يوزى » .

(٢) الكلكل : الصدر ، وخالد ، هو ابن جعفر الذي قتل زهيراً سيد بني عيس .

(٣) نادر : ساقط .

(٤) عنى بالحديد هنا : الدرع ، فسمى النوع الذي هو الدرع ، باسم الجنس الذي هو  
الحديد . والمظاهر ، من التظاهر . وهو أن يلبس إحدى الدرعين فوق الأخرى .

وقد جاءت أشياء من هذا النحو إلا أنها أقل من النوع الأول .

ومن الحركات : « الحذو » ، وهو حركة ما قبل الرّدْف ، فإذا كان ألفاً ، فالألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ، ويلزم أبا عُمر الجرميّ ألا يجعل [ حركة ما قبل ] الألف حذواً ، كما لم يجعل [ حركة ما قبل ] التأسيس رَسّاً . وإذا كان الردف واوا فأكثراً ما استعمل ما قبله [ مضموماً . وإذا كان ياء فأكثراً ما استعمل ما قبله ] مكسوراً . ويجوز الواو المضموم ما قبلها مع الياء المكسور ما قبلها ، ولا يجنب ذلك أحدٌ منهم . قال عمرو بن كلثوم :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا      وَلَا تُبْقِي ثُجُورَ الْأَنْدَرِينَا<sup>(١)</sup>

ثم قال فيها :

ذِرَاعِي عَيْطَلْ أَدْمَاءُ بِكِرٍ      تَرَبَّعْتَ الْأَجَارِعَ وَالْمُتُونَا<sup>(٢)</sup>

(١) الصحن : القدح لا بالكبير ولا بالصغير . والجمع أصحن وصحان . وقال ابن الأعرابي : أول الأقداح النمر ، وهو الذي لا يروى الواحد ، ثم القعب يروى الرجل . ثم العس يروى الرّفْد ، ثم الصحن ، ثم الثبن . واصبحينا : اسقينا الصبوح ، وهو ما يشرب بالغداة ما دون القائلة . وأندرين : قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم للراكب في طرف البرية ليس بعدها عمارة . قال ياقوت : وهي الآن خراب ليس بها إلا بقية الجدران ، وإياها عنى عمرو بن كلثوم بقوله ، ثم ذكر البيت وقال : وهذا مما لا شك فيه . وقد سألت عنه أهل المعرفة من أهل حلب فكل وافق عليه . وقد تكلف جماعة اللغويين لما لم يعرفوا حقيقة اسم هذه القرية وأبحاثهم الحيرة إلى أن شرحوا هذه اللفظة من هذا البيت بضروب من الشرح .

(٢) ذراعى ، مفعول للفعل « تريك » في بيت سابق . والعيطل : الطويلة . يريد ظبية . وقيل هى الطويلة العنق . والأدماء : البيضاء . والبكر : التى لم تلد : ، وقيل : التى ولدت ولداً واحداً . وتربعت : رعت نبت الربيع . والأجارع : جمع أجرع وجرعاء ، وهو من الرمل ما لم يبلغ أن يكون جبلاً ، والمتون : جمع متن ، وهو ما غلظ من الأرض .

وجاء بالواو في غير موضع من القصيدة ، والياء عليها أغلب . وقال  
الجميع الأسدي :

أَمَا إِذَا حَرَدْتَ حَرْدِي فَمَجْرِيَّةٌ      ضَبَطَاءُ تَمْنَعُ غِيْلًا غَيْرَ مَقْرُوبٍ <sup>(١)</sup>  
وإن يكن حادثٌ يُخْشَى فذو عِلْقٍ      تَظَلُّ تُزْبِرُهُ مِنْ خَشْيَةِ الذَّيْبِ <sup>(٢)</sup>

فضمة راء « مقروب » حذو ، وكذلك كسرة ذال « ذيب » ،  
ومثل هذا كثير موجود لا يهجر ولا يعاب .

وإذا انفتح ما قبل الواو حُسُنَ عندهم أن تجيء مع الياء المفتوح  
ما قبلها ، ولم يَرَوْا ذلك عيباً ، كما قال بعض اللُّصوص :

أَقْلَى عَلَى اللَّوْمِ سَاحِبَةَ الذَّيْلِ      فَلَا بُدَّ أَنْ تُسْتَطْرِدَ الْخَيْلُ بِالْخَيْلِ  
ثم قال فيها :

أَصْدَقُّ وَعَدِي وَالْوَعِيدَ كُلِيهَما      وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُرَى صَادِقُ الْقَوْلِ

ولم يفرِّقوا بين المُقَيَّد والمطلق في مجيء الواو المضموم ما قبلها مع  
الياء المكسور ما قبلها ، والياء التي قبلها فتحة مع الواو التي ما قبلها  
مفتوح . وأنا أفرِّق بين المطلق والمقيد ، وأعدّه في المقيد أشدَّ ؛ لأنَّ

( ١ ) حردت حردى : قصدت قصدى . والمجربة : ذات الجراء ، وهو جمع جرو . والجرداء :  
المتساقطة الشعر . والغيل : الأحمة والشجر الملتف . شبه امرأته إذا واثبتته بالبوّة التي تمنع غيلها وفيه  
جراؤها فلا يقر به أحد ، وهي حين تكون ذات جراء أشرس وأقوى .

( ٢ ) علق : جمع علقه ، بالكسر ، وهو قميص لا كمين له يتخذ للصغير ، وتزبره : تزجره .

الروى لا يكون بعده ما يُعتمد عليه . قال الراجز في الواو المضموم  
ما قبلها مع الياء التي قبلها كسرة :

إِنْ تَشْرِبِ الْيَوْمَ بِحَوْضٍ مَكْسُورٍ      فَرَبَّ حَوْضٍ لَكَ مِلَانِ السُّورِ  
مَدَوَّرٍ تَدْوِيرَ عَشِّ الْعُصْفُورِ      خَيْرُ حِيَاضِ الْإِبِلِ الدَّعَائِيرُ<sup>(١)</sup>  
فهذا عندي أقبح منه إذا استعمل في الشعر المطلق .

وقال الراجز في الفتحة مع الواو والياء ، والقافية مقيدة ، في  
صفة الحرباء :

ملعونَةٌ تسْلَخُ عَنْ لَوْنٍ لَوْنٌ      كَأَنَّهَا مُلْتَفَةٌ فِي بَرْدَيْنِ  
وإذا جاءوا بالضمة والكسرة مع الفتحة فذلك عندهم عيب ، وهو من  
السناد ، ويجب أن يكون في المقيد أشنع . قال عمرو بن معدى كرب :  
تَقُولُ ظَلَمْتَنِي لِمَا رَأَيْتَهُ      شَرِيحًا بَيْنَ مُبْيَضٍ وَجَوْنٍ<sup>(٢)</sup>  
تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يُعَلِّ مِسْكًَ      يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي<sup>(٣)</sup>

(١) الدعائير : ما تهدم من الحياض والجواري والمراكبي ؛ الواحد دعشور . وقيل : الدعشور :  
يحفر حفراً ولا يبني إنما يحفره صاحب الأول يوم و رده .

(٢) الظعينة : المرأة تكون في هودجها . ثم كثر ذلك حتى سماوا زوجة الرجل ظعينة . وقيل :  
أكثر ما يقال ، « الظعينة » للمرأة الراكبة . والهاء في « رأته » لشعره . وشريحاً ، أى قد قسم قسمين .  
والجون : الأسود .

(٣) الثغام : نبت على شكل الحلى ، من مراتع أهل البادية إلا أنه أغلظ منه وأجل عوداً ،  
يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس . وقال الأزهري : هو نبات ذو ساق ، جماعته مثل  
هامة الشيخ . وقال أبو عبيد : هو نبت أبيض الثمر والزهر ، يشبه بياض الشيب به ، ويعلى ، أى  
يطيب مرة بعد مرة ، والفاليات : النساء يبحثن الرأس عن القمل . وفلينى ، أراد « فلينى » بنونين ،  
فحذف إحداهن استئقالا للجمع بينهما . وقال الأخفش : حذفت النون الأخيرة لأن هذه النون وقاية  
للفعل وليست باسم .

فهذا لا يكره ، لأن ما قبل الياء والواو فتحة . وقال أيضاً فيها :

لَصَاصِلَةُ اللَّجَامِ بِرَأْسِ مُهْرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَنْكَحِنِي  
فَكَسْرَةُ الْحَاءِ فِي «تَنْكَحِنِي» سَنَاد .

وَأَمَّا الْأَلْفُ فَلَا يَشْرَكُهَا غَيْرُهَا فِي الْمَطْلُوقِ وَلَا الْمَقِيدِ .

ومن الحركات « التوجيه » ، وهو حركة ما قبل الروي في الشعر  
المقيّد . وكان الخليل يرى الضمة مع الكسرة جائزة ، وينكر معها  
الفتحة . وزعموا أنه كان يجعله من السناد . وكان سعيد بن مسعدة<sup>(١)</sup>  
لا يرى ذلك عيباً ، لكثرة ما استعمله الفصحاء . قال أبو ذؤيب :  
عَرَفْتُ الدِّيَارَ لِأُمِّ الرَّهْيَيْنِ بَيْنَ الظُّبَاءِ فَوَادِي الْعُشْرِ<sup>(٢)</sup>  
أَقَامَتْ بِهِ وَابْتَنَتْ خِيْمَةً عَلَى قَصَبٍ وَفَرَاتٍ النَّهْرِ  
ثم قال فيها :

جَاءَ وَقَدْ فَصَّلَتْهُ الْجَنُوبُ عَذَبَ الْمَذَاقَةَ بُسْرًا خَصِرًا<sup>(٣)</sup>

ومثل هذا كثير .

(١) هو الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الباهلي . ويقال إنه هو الذي  
زاد في العروض بحر الخبب ، وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر . وكانت  
وفاته سنة ٢١٥ من الهجرة .

(٢) قال ابن منظور : « رُهَيْنَ والرَّهَيْنِ : اسمان » ثم أورد بيت أبي ذؤيب هذا . والظباء ،  
بالضم : واد بهامة . وعشر : شعب لهذا يصب من داءة ، وهو جبل يحجز بين نخلتين .

(٣) البسر ، بالضم والفتح : الماء الطرى الحديث العهد بالمطر ساعة ينزل من المزن ، والجمع  
بسار . والخصر : البارد من كل شيء .

ولم يفرقوا بين المقيّد المجرد والمقيّد المؤسس ، وهو عندى فى المؤسس أقبح ، لأنّه يختلف الحرف بالحركات بين حرفين لازمين . وإذا كان المقيّد مجردا لم يكن قبل التوجيه حرف لازم .

ومن المؤسس المقيّد الذى اختلفت فيه الحركة قولُ الخطيئة :

هاجَتِكَ أَظْعَانٌ<sup>(١)</sup> لى يوم ناظرةٍ بواكرٍ<sup>(٢)</sup>

ثم قال فيها :

الواهب المائة الصفا يافوقها وبر مظهر<sup>(٣)</sup>

ومن الحركات « المجرى » وهى حركة حرف الروى ، فإذا اختلفت فهو الإقواء . وأكثر ما يجىء فى المرفوع والمنخفض . ويقال : إنهم اجتروا على ذلك ، لأنهم يقفون على الروى بالسكون . وإنما أجازوا ذلك فى المرفوع والمنخفض ، وكرهوا الفتحة أن تجىء مع الكسرة أو الضمة . فأمّا الخليل وابن مسعدة فلم يذكراه .

وقد جاءت أشياء فى الشعر القديم بعضها منصوب وبعضها مرفوع أو منخفض ، وإنما يحمل ذلك على الوقف ، لأنّه يبعد أن يقول عربى فصيح له علم بالشعر :

(١) ناظرة : جبل من أعلى الشقيق . وقال ابن دريد : موضع أو جبل . وبواكر : مبكرات .

(٢) الصفايا : النوق الكثيرة اللبن ؛ الواحدة صفا . قال سيبويه : ولا يجمع بالألف والتاء . لأن الهاء لم تدخله فى حد الأفراد . والوبر المظاهر : الكثر ، كأنه طبقة فوق طبقة .



ألم تغمض عينك ليلة أرمداً وبِتَّ كما بات السليمُ مسهّداً<sup>(١)</sup>

فيجىء بالألف ثم يحىء بيت مرفوع أو مخفوض ، إذ كانت الألف منافية للواو والياء .

وإذا حُكم بالوقف على القافية فلا فرق بين الحركات الثلاث ، على أنّ تعاقب الحركتين الكسرة والضمة أكثر من معاقبة الفتحة لإحدى هاتين . وإنما يكثر الإقواء إذا كان الوصل غير هاء ، فأما إذا كانت الهاء بعد الروى ، وكانت متحركة أو ساكنة ، فإنهم يلزمون فى الروى حالاً واحدة . وقد جاءت أشياء فى شعر الإسلاميين على اختلاف الروى فى الحركة وبعده الهاء ، كقول عمران الخارجى :

الحمد لله الذى يعفو ويشدد انتقامه

وقال فيها :

فهناك مجزأة بن ثور ر كان أشجع من أسامة<sup>(٢)</sup>

(١) السليم : اللدين ، فعيل من السلم ، وهو لدغ الحية . والجمع سلمى ؛ وقيل : هو من السلامة . وإنما ذلك على التفاؤل له بها ، خلافاً لما ينحذر عليه منه .

(٢) هو مجزأة بن ثور بن زهير بن كعب . ذكر ابن الأثير أن البخارى ذكره فى الصحابة ، قال : ولم يثبت . وقال المبرد فى الكامل : جعل له عمر راسة بكر ، فلما أسن فعل عثمان بن عفان ذلك مع ابنه شقيق بن مجزأة . وقتل رحمه الله على تسر هو والبراء بن مالك ، وكانا من أبطال المسلمين . وأسامة : الأسد . وحدث المبرد أن امرأة عمران بن حطان قالت له : أما حلفت أنك لا تكذب فى شعر ؟ فقال لها : أو كان ذلك ؟ قالت : نعم ، قالت ، ثم ذكرت البيت ، وقالت : أأكون رجل أشجع من أسد ؟ فقال لها : ما رأيت أسداً فتح مدينة قط ، ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة .

وأشياء نحو هذا كثيرة .

وروى أن أبا عمرو بن العلاء كان يُنشد قولَ الأعشى :

هذا النهارُ بدا لها من همِّها ما بالها بالليل زال زوالها<sup>(١)</sup>

فيرفع اللام من « زوالها » والقصيدة معروفة ، واللام فيها كلها

مفتوحة .

ومن الحركات : النفاذ ، وهى حركة الوصل ، كقول لبيد :

عفت الديار محلها فقامها<sup>(٢)</sup>

وقلما يغيرون هاء الوصل ، وإن جاء من تغييرها شيء فهو نحو

الإقواء . ومنازل الحركات اثنتا عشرة منزلة : للرسّ ثلاث : إحداها

أن يكون بينها وبين انقضاء البيت ثلاثة أحرف : التأسيس ، والدخيل ،

والروى ؛ وذلك فى الشعر المقيّد .

والثانية أن يكون بينها وبين انقضاء البيت أربعة أحرف :

التأسيس ، والدخيل ، والروى ، والوصل ؛ وذلك فى الشعر المطلق الذى

لا تتحرك فيه هاء الصلّة .

والثالثة أن يكون بينها وبين انقضاء البيت خمسة أحرف :

التأسيس ، والدخيل ، والروى ، وهاء الوصل ، والخروج .

( ١ ) البيت من قصيدة فى مدح قيس بن معد يكرب مطلعها :

رحلت سمية غدوة أجاها غضبى عليك فا تقول بداها

( ٢ ) عجزه : \* بنى تأبد غولها فرجامها \*

وللحذو ثلاث منازل : إحداها أن يكون بينها وبين أُنْقضاء البيت حرفان : الرَّدْف ، والروى ، وذلك في الشعر المقيّد .

والثانية : أن يكون بينها وبين أُنْقضائه ثلاثة أحرف : الرَّدْف ، والروى ، والوصل ، وذلك في الشعر المطلق الذى ليست فيه هاء وصل متحركة .

والثالثة : أن يكون بينها وبين أُنْقضائه أربعة أحرف : الرَّدْف ، والروى ، وهاء الوصل ، والخروج ، وذلك في الشعر الذى تتحرك هاء وصله .

والإشباع منزلتان : إحداها أن يكون بينها وبين أُنْقضاء البيت حرفان : الروى ، والوصل ، وذلك في الشعر الذى ليس فيه وصل متحرك .

والثانية : أن يكون بينها وبين أُنْقضائه ثلاثة أحرف : الروى ، والوصل ، والخروج .

والحركة عند النحويين بعد الحرف ، فلذلك لم أذكر أن الدخيل فيها يحجز بينها وبين أُنْقضاء البيت .

والتوجيه ، له منزلة واحدة ، وهى أن تكون قبل أُنْقضاء البيت بحرف ، لأنها لا تكون إلا في المقيّد .

والمجرى ، لها منزلتان : إحداها أن تكون قبل أُنْقضاء البيت بحرف ، وذلك في الشعر الذى ليس فيه هاء وصل متحركة .

والثانية : أن يكون بينها وبين اتقضائه حرفان ، وهما هاء الوصل والخروج ، وذلك في الشعر الذي ليس تتحرك هاء صلتة .  
والنفاذ ، لها منزلة واحدة ، لأنها لا يكون بعدها إلا خروج .  
فذلك اثنتا عشرة منزلة . فإذا جاء في الشعر شيء قد اتفق أن يلزم قائله شيئاً غير هذه اللوازم فهو متبرّع بذلك . كقول كثير :  
خليلى هذا ربع عزّة فاعقلا      قلو صيكا ثم أبكيا حيث حلت<sup>(١)</sup>  
فلزم اللام المشددة قبل التاء ، إلى آخر القصيدة . وقال كثير أيضاً :  
أداراً لسامى بالنّباع فحمّة      سألت فاماً استعجبت ثم صمت<sup>(٢)</sup>  
فلزم الميم كما فعل باللام . وقد اختلفوا في بيت من القصيدة الأولى ، فرؤى باللام وبالنون ، وهو قوله :

« وجنّ اللواتى قلن عزّة جنت \* »

ويروى « جلت » .

وقد فعل الأعشى مثلاً ذلك في اللام فقال :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتى      وراكبها يوم اللقاء وقلت<sup>(٣)</sup>

( ١ ) القلوص : الفتية من الإبل ، بمنزلة البخارية الفتاة من النساء . وقيل : هي الثنية . وقيل : هي ابنة المحاض . وقيل هي كل أنثى من الإبل حين تتركب وإن كانت بنت لبون أو حقبة ، إلى أن تصير بكرة أو تبزل . والرواية في الديوان : « ثم انظرا » مكان « ثم أبكيا » . ( ٢ ) النباع : موضع . ويروى « النباع » بالباء . لم يزد على ذلك ياقوت ، وقال : وحة : موضع أيضاً . والرواية في الديوان : « أطلال دار بالنباع » . واستعجبت : سكنت .

( ٢ ) صدره : \* أصاب الردى من كان يهوى لك الردى \* .

ورواه الديوان بيتاً مفرداً ولم ياحقه بالقصيدة الملتزم فيها اللام . ورواه الأغاني بينها .

( ٣ ) راكبها ، يعنى نفسه . وقلت : علت وسمت ، دعاء لبني ذهل .

همُ ضربوا بالحنوِ حِنوٍ قَراقرٍ مُقدِّمة الهامُرُزِ حَتَّى تَوَلَّتْ<sup>(١)</sup>  
وهذا إنما يفعله الشاعر لقوته ، ولو تركه لم يدخل عليه ضعف .  
قال الشنفرى الأزدي<sup>(٢)</sup> :  
\* أرى أمَّ عمرو أزمعتْ فاستقلتْ<sup>(٣)</sup> \*

وجاء في قوافيها : « سرتى » و « اقشعرت » وغير ذلك .  
وأكثر ما اتفق للعرب أن يلزموا حرفاً لا يلزم مع التاء التي  
للتأنيث ، أو الكاف التي للإضرار ، لأنهما ضعيفتان ، وكلاهما من  
حروف الهمس . فأما الهاء خفيفة وشابهت حروف اللين ، وأما التاء  
والكاف فحسوبتان من الحروف الشديدة . وهما قويتان ، إلا أنَّهما  
ضارعتا الهاء ، وكذلك ضارعتا الواو التي تكون علامة الجمع في قولك  
« ضربوا » والألف في « ضربا » . قال عمرو بن معدى يكرب :  
لما رأيت الخيلَ زُوراً كأنها جداولُ زرعٍ أُرسلت فاسبَطَرتِ<sup>(٤)</sup>  
فلزم الراء المشددة قبل التاء ، ولو جاء فيها : « شلت » . و « جمت »  
لم يعب عليه .

(١) الحنو : كل منحرج . وحنو قراقر : قرب مكة حيث كانت الواقعة بين انفرس  
وبكر بن وائل . والهامرُز : من قادة الفرس .  
(٢) الشنفرى : شاعر جاهلى من بنى الحارث بن ربيعة . والشنفرى ، اسمه ، وقيل لقب له .  
ومعناه : عظم الشفة . وهو ابن أخت تأبط شرا . وكان أحد الثلاثة العدائين ، هو وتأبط شرا وعمرو  
ابن براق .  
(٣) الرواية في المفضليات : « ألا أم عمرو أجمت » . وأجمعت وأزمعت ، بمعنى . واستقلت :  
ارتحلت . وعمجز البيت :

\* وما ودعت جيرانها إذ تولت \*

(٤) زور : جمع أزور ، من الزور ، وهو الميل . واسبطرت : استقامت .

والمحدثون أشدُّ تحفظاً في هذه الأشياء من المتقدمين ، وقلماً يلزمون مثل هذه الحروف . وقد عمل الطائيُّ على قرى كلمة الشنفرى وكلمة الأعشى فلم يلزم شيئاً قبل التاء .

ولو بنيت قواف على « ضربت » و « كتبت » ثم جىء فيها ؛ « وزنت » ، لكان ذلك جائزاً بلا اختلاف ، إلا أن القائل إذا قوَّاهَا بلزوم الباء كان أحسن .

ومن تدبَّر ما ذكر ممّن له أيسر غريزة علم أن « وزنت » مع « ضربت » في القوافي أضعف من « خَبَّت » مع « سَمَّت » ، لأن هذه التاء من السِّنخ . وربما لزموا اللام أو غيرها من الحروف في مثل « فعالك » . و « جمالك » مع تذكير الكاف أو التأنيث ، كقول أبي الأسود :

زهير بن مسعود أحقُّ بما أتى      وأنت بما تأتى حقيق بذالك  
وخبرني مَنْ كنت أرسلت أنما      أخذتَ كتابي مُعرضاً بِشمالك  
نظرتَ إلى عُنوانه ونبذته      كنَبَذِكَ نَعلاً أخلقتَ من نَعالك  
فلزم اللام . وقد يحيئون بها على غير لزوم ، كما قال طرفة :  
قفي قبلَ وشكِ البينِ يا بنةَ مالكِ      وعُوجي علينا من صُدورِ جمالكِ  
وقال فيها :

ظَلِمْتُ بذاتِ الطَّلحِ عندَ مُثَقِّبٍ      بكينةٍ سوِّهالِكَا أو كهالكِ<sup>(١)</sup>

(١) ذات الطلح : موضع . ومثقب ، بتشديد القاف وفتحها : أربعة مواضع ذكرها ياقوت . ثم قال : ولا أدري أأحد هذه أراد طرفة أم موضعاً آخر . وكينة : فعلة التي للهيئة ، من الكون .

تَلَفَ عَلَى الرِّيحِ ثَوْبِي قَاعِدًا لَدَى صَدْفِي كَالْحَنِيَّةِ بَارِكِ<sup>(١)</sup>  
وقد يلزمون التشديد في الروى كما قال النابغة:

عرفت منازلًا بُعِثَتِ فَأَعْلَى الْجَزَعِ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ<sup>(٢)</sup>  
فلزم التشديد إلى آخر القصيدة . وكذلك قول الآخر :

إِنَّ بِالسَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلًا دُمُهُ مَا يُطَلَّ<sup>(٣)</sup>

شدّد الروى في كل الأبيات، والأكثر ألا يلزمه ، كما قال الخطيئة:  
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا  
فشدد في أبيات وتركه في غيرها . وأول القصيدة :

ألا طرقتنا بعد ما هجموا هندُ وقد سرنَ خمسًا واتلَّابَ بنا نجدُ<sup>(٤)</sup>  
وقال المقتنع الكندي ، فجَمَعَ بين التشديد وغيره :

وإن الذى بينى وبين بين أبى وبين بنى عمى لمختلفٌ جداً  
إذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا  
وقد كان بعض المتأخرين من أهل العلم يجعل تاء التأنيث وصلاً ،  
وكذلك كاف الإضمار ، لما وجدته من لزوم الشعراء إيتاها في بعض  
الأشعار ، وذلك ينتقض عند العلماء بأحكام القوافي . وأصحاب هذا  
القول يعتقدون في قول الراجز :

( ١ ) الصدفى : ضرب من الإبل . قال ابن سيده : أراه نسب إلى الصدف ، قبيلة من عرب اليمن . وقال ابن برى : الصدف : بطن من كندة . والنسبة إليه صدفى . والحنية : القوس .

( ٢ ) عريتات : واد . والجزع : منعطفه . والمبين : المقيم ، فعله : أبين .

( ٣ ) سلع : جبل بسوق المدينة . وقيل : موضع بقرب المدينة . وطل دمه : أهدر . وهو ألا يثار به ولا تقبل ديتة .

( ٤ ) اتلَّاب : امتد واستوى .

شَلَّتْ يدا فاريةٍ فَرَّتْهَا وَسَخِنَتْ عَيْنُ الَّتِي أَرَّتْهَا<sup>(١)</sup>  
 مَسَكَ شَبُوبٍ ثُمَّ وَفَّرَتْهَا لَوْ خَافَتْ النَّزْعَ لِأَصْغَرَتْهَا  
 أَنَّ الرُّوى التَّاءَ ، وَهِيَ سَاكِنَةٌ ؛ وَالْهَاءُ وَصَلٌ ، وَهِيَ مُتَحَرِّكَةٌ . وَلَوْ  
 جَاءَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي هَذِهِ الْقَوَافِي « خَذَهَا » أَوْ « مِنْهَا » لَكَانَ عَيْبًا ،  
 وَالْغَرِيزَةُ تَشْهَدُ بِمَا زَعَمُوهُ .

وَقِيَاسُ أَقْوَالِ الْمُتَقَدِّمِينَ يُوجِبُ أَنَّ الرُّوىَّ الْهَاءَ ، وَأَنَّ الرَّاجِزَ لَوْ  
 جَاءَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْقَوَافِي « مِنْهَا » وَ « مِنْهَا » وَنَحْوِ ذَلِكَ لَكَانَ  
 مَا فَعَلَهُ غَيْرَ مُعْيَبٍ .

\* \* \*

وَقَدْ بَنَيْتُ هَذَا الْكِتَابَ عَلَى بَنِيَّةِ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ الْمَعْرُوفَةِ مَا بَيْنَ  
 الْعَامَةِ ، لَا الَّتِي رَتَّبَهَا الْعُلَمَاءُ بِمَجَارِي الْحُرُوفِ . وَأَقْدَمُ بَيْنَ يَدَيَّ  
 مَا أَذْكَرُهُ عَلَى جِهَةِ الْإِعْتِذَارِ ، أَنَّ النَّاضِرَ فِي الدَّوَاوِينِ رَبَّمَا قَرَأَ مِنْهَا  
 الشَّيْءَ الْكَثِيرَ لَا يَجِدُ فِيهَا أَيَّاتًا لُزِمَ فِيهَا مَا لَا يَلْزَمُ مِنَ الْحُرُوفِ ،  
 فَإِنَّ وَجْدَهُ فَهُوَ نَادِرٌ . فَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ فَقَلَمَا يَنْتَظِمُونَ بِالرُّوىِّ حُرُوفَ  
 الْمَعْجَمِ ، لِأَنَّ مَا رُوى مِنْ شِعْرِ أَمْرٍ الْقَيْسِ لَا نَعْلَمُ فِيهِ شَيْئًا عَلَى

(١) الفارسية : القاطعة للإصلاح . تقول : فريت الشيء أفرية ، أى قطعته لأصلحه .  
 وفرتها : عملتها . يصف مزادة . والمسك : الجلد . والشبوب : الشاب من الثيران والغنم . ورواية البيت  
 الأخير في اللسان : \* لو كانت الساق أصغرتها \*  
 وفي رواية أخرى : \* لو كانت النازع . . . . . \*  
 يصف لشفق تخرز بها .



الطاء ولا الظاء ، ولا الشين ولا الخاء ، ونحو ذلك من حروف المعجم . وكذلك ديوان النابغة ، ليس فيه روى بُنى على الصاد ولا الضاد ولا الطاء ، ولا كثيرٍ من نظائرهن . وهذا شيءٌ ليس بخفى . والمُحدثون أكثر تحقُّقًا بالنظام ، لأنَّ فيهم قومًا مستبحرين ، يكون ديوانُ أحدهم في العِدَّة كدواوين كثيرة من أشعار العرب .

وهذا أبو عباد ، وله شعر جمٌّ ، ولا أعلم — فيما روى له — شيئًا على الخاء ولا الغين ولا الثاء ، إلَّا أن يكون شاذًّا لم يثبت في أكثر النسخ .

وإذا اتفق لهم أن يجيئوا بالحرف ، وحركته ضمة أو غيرها ، فقلَّمَا يستوعبون مجيئه على كلِّ الحركات . وإن استعملوه في حال الحركة جاز أن يُلغوه من حال الإسكان ، مثال ذلك : أَنَّ أبا الطيّب استعمل الهزمة المضمومة والمكسورة ، ولم يستعمل المفتوحة ولا الساكنة ، واستعمل السين المكسورة دون المفتوحة والمضمومة والساكنة . وكذلك جرى أمر الشعراء المتقدمين والمُحدثين ، يتبعون الخاطَرَ كأنَّه هادى الركبان ، أينما سلك فهم له تابعون .

\* \* \*

وقد تكلفت في هذا التآليف ثلاثُ كُلف :

الأولى أنَّه ينتظم حروف المعجم عن آخرها .

والثانية أن يحىء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك .

والثالثة أنه لُزِمَ مع كل روىٍ فيه شيءٌ لا يلزم ، من ياءٍ أو تاءٍ أو غير ذلك من الحروف .

ولو أنَّ قائلًا نظم قوافيَ على مثل « مشوق » و « وسوق » ولم يأت بالياء لكان قد لزم ما لا يلزم ، لأنَّ العادة في مثل هذا المبنى أن تشارك فيه الواو والياء . وكذلك لو لزم الياء وحدها في مثل « قطين » و « معين » وليس في هذا من هذا النحو إلَّا شيء يسير .

وقد وجدت الذين ألفوا دواوينَ المحدثين على حروف المعجم خالفوا فيما وضعوه مذهبَ الخليل وأصحابه . وما أحمل ذلك منهم إلَّا على قلة حَفَلٍ بتلك الأشياء . فمن ذلك أنَّهم يجعلون ما قافيته « هدية » و « بلية » في باب الهاء . وهذا وهم ، لأنَّ أولى الحروفِ بِأنْ تُنسب إليه القصيدة هو الروى ، وهو في هذا النحو الياء . وكذلك يجعلون ما قافيته « ثناياها » و « عطاياها » في جملة الألف ، وإنما ينبغي أن تكون في باب الهاء ، لأنَّها الروى . ويجعلون ما قافيته مثل « يديه » و « عليه » في باب الياء ، وكذلك ما يبنى على « محيها » و « فيها » . وإنما ينبغي أن يكون النسب في هذا كله إلى الهاء .

ودلَّ كلامُ أبي بكر بن السَّراج<sup>(١)</sup> في الأصول على أنَّ الروى الياء في قول الشاعر<sup>(٢)</sup> :

(١) ابن السراج ، هو أبو بكر محمد بن السرى بن السهل ، أحد أئمة الأدب والعربية . ويقال : ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج . وله من الكتب : الأصول في اللغة ، وشرح كتاب سيبويه ، وغيرهما . وكان عارفاً بالموسيقى . توفي سنة ٣١٦ هـ .  
(٢) هو أبو كاهل البشكري .

لها أشارير من لحمٍ تُثمره من الشَّعَالِي وَوَحْزٌ من أَرَانِيهَا<sup>(١)</sup>  
وهذا يشبه مذاهب المؤلِّفين، ويجوز أن يكون مذهباً لابن السراج،  
أو وهماً منه ، لقلة عنايته بهذا النوع .

وقد روى أبو الحسن العروضيّ الذي كان في صحبة الراضي<sup>(٢)</sup> ، أنَّ  
أبا أسحاق الزجاج<sup>(٣)</sup> سئل عن الرويِّ في قول الشاعر :  
\* ميلوا إلى الدار من لَيْلى نُحْيِيهَا \*

فزعم أنَّه الياء ، فروجع في ذلك فلم ينتقل عنه .  
وإنَّما ذَكَرَ أبو الحسن ذلك يعيُّبه عليه ؛ لأنَّ مذهب الخليل  
والطبقة الذين بعده أنَّ الرويَّ الهاء .

وقد شاهدتُ بعض المتحقِّقين بالأدب ببغداد يجعل الرويَّ الياء في  
قول الشاعر :

يَأْيِهَا الرَّاكِبَانِ السَّائِرَانِ مَعَاً قُولَا لِسِنْبِسٍ فَلْتَقْطِفْ قَوَافِيهَا<sup>(٤)</sup>  
وما أحسب هذا ممن قاله إلَّا وهماً ، لأنَّ الروي الساكن لا يكون  
بعده وصل ، وإنَّما يقع الإشكال في الهاء والواو والياء والألف . فأما  
الهاء فقد مرَّ طَرَفٌ من حكمها ، والأصل فيه أنَّه إذا سكن ما قبلها

(١) أشارير : يجوز أن تكون جمعاً لإشارة القديد ، أو بمعنى الخصيفة أو الشقة التي يشر  
عليها الأقط . وتثمره : تتقدده . والشعالي : الثعالب . وأرانيها ، أي أرانيها . ووَحْزٌ ، أي ممدودة .  
والأصل في الوَحْز الخطيئة بعد الخطيئة والشيء بعد الشيء .

(٢) هو الراضي بالله أحمد بن جعفر بن المعتضد الخليفة العباسي . توفي سنة ٣٢٩ هـ .

(٣) الزجاج ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ، عالم بالنحو واللغة . توفي ببغداد  
سنة ٣١١ هـ .

(٤) سنبس : أبو حي من طيء .

كانت رويًا ، ولا يُنظر من السِّنْخ كانت أم من غيره ، وإذا كان ما قبلها متحركاً وكانت من السِّنْخ ، مثل « الشَّبه » و « المشابه » فإنَّها تكون رويًا ، كما قال رؤبة :

قالت أَيْبَى لى ولم أُسَبِّهَ ما السنُّ إِلَّا غَفْلَةُ المُدَلَّةِ

وربما بُنيت الأبيات على أن تكون موصولة بهاء الإضمار ، ثم جعلت معها الهاء الأصلية وصلًا ، أو بدئاً بالهاء الأصلية ثم دخلت عليها هاء الإضمار ، مثل أن تُبنى القصيدة على « المكاره » و « المداره » جمع مدره ، من قولك : هو مدره القوم . ثم يجاء بعد هذا بـ « ناره » و « جداره » . أو تبنى القصيدة على مثل قولك « غلابه » و « كتابه » ، ثم يجئ فيها « التشابه » . وربما اتفق ذلك في الساكنة والمتحركة ، وليس هو بعيب ، إِلَّا أنى أجعله ضعفاً في البنية .

وإذا تحرك ما قبل الهاء ، وهى للإضمار أو للتأنيث أو للوقف ، مثل قولك « يديه » و « غلاميه » و « ذاكيه » و « ضاريه » فهى وصل لا غير ولا يجوز أن تجعل رويًا .

وأما الواو إذا كانت من السِّنْخ مثل واو « جرو » و « دلو » فلا مرية فى أنَّها تُجعل رويًا للبيت .

وإذا كانت للإضمار فى مثل « فعلوا » و « قتلوا » وكان ما قبلها مضمومًا ، ولم تكن فى مثل « عصوا » و « رموا » فإنَّها تكون وصلًا

لاغير . فإن جاء غير ذلك حُسِبَ من عُيوب الشعر التي تسمى الإكفاء والإجازة ونحو ذلك .

وقد وجدتُ في أشعار قريشٍ شعراً منسوباً إلى مروان بن الحكم قد جعل الواو فيه رويّاً ، في مثل « دُعُوا » و« لَقُوا » فإن صح ذلك فليس بأبعد مما بُنى على الألف ، وذلك قليلٌ نادر . وإنما معظم كلامهم أن تكون الواو في مثل هذا وصلاً ، كما قال زهير :

بأن الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أيةً سلكوا  
ثم جاء في القوافي بـ « الملك » و « الحشك » وأتبعها واو الترنم التي لا تجعل رويّاً بحال .

والآيات المنسوبة إلى مروان بن الحكم هي قوله :

هل نحنُ إلا مثلُ مَنْ كان قبلنا	نوتُ كما ماتوا ونحيا كما حيُوا
وَيَنْقُصُ منا كلَّ يومٍ ليلةٍ	ولا بدَّ أن نلقى من الأمر ما لَقُوا
نُؤْمَلُ أن نبقى وكيف بقاؤنا	فهلاً الألى كانوا مَضُوا قبلنا بَقُوا
فَنُؤا وهمُ يرجونَ مثلَ رجائنا	ونحنُ سنُفنى مرةً مثلَ ما فَنُؤا
لنا ولهم يومُ القيامةِ موعدٌ	سُنُدعى له يومَ الحسابِ إذا دُعُوا
ويُحبَسُ منا من مضى لاجتماعنا	بموطنٍ حقٍّ ثم نُجزى إذا جُزُوا
فمنهم سعيدٌ سَعَدَ ليس بعدها	شقاء ومنهم بالذى قدَّموا شَقُوا
نَمُوعن هُدًى قصدِ السبيلِ عَمى الذى	رآه وَقَرَنُ قد خلا قبلهم عَمُوا

فهذا نادر قليل .

فإذا انفتح ما قبل الواو في مثل «عصوا» و «غزوا» و «قضوا» فالجماعة يجعلونها رويًا ولا يجوزون أن تكون وصلًا . وذلك مفقود في أشعار الفصحاء ، إنما يجيء منه الشيء النادر ، ولعله مصنوع . ولو أن قائلًا بنى شعرًا على مثل «قضوا» لآثرت له أن يلزم الضاد ، لأن ذلك أقوى للنظم ، وإن لم يفعل فليس بأبعد من تصييرهم الألف رويًا ، ألا ترى أنك لو بنيت الفواصل على «دجى» و «حجى» و «رجا» لكان الأقوى أن تجعل الجيم رويًا والألف وصلًا . فإن جعلت الألف رويًا فلا بأس . غير أن ما رويته ألف أضعف مما رويته دال أو حاء أو غيرها من الحروف الصراح ، ولو أن الراعى<sup>(١)</sup> جعل الروى الحاء في قوله : عجت من السارين والريح قرّةً إلى ضوء نار بين فردة فالرحى<sup>(٢)</sup> ثم أتى معها «بالضحى» و «اللى» لكان أقوى للنظم . ولو أتى آت في مثل أبيات مروان بواو مفتوح ما قبلها ، مثل «عصوا» و «رموا» ، لكان قد أخلّ ؛ إذ كانت الواو المفتوح ما قبلها لا تكون إلا رويًا ، والواو المضموم ما قبلها في مثل «فعلوا» لا تكون إلا وصلًا . وليس على الشذوذ تعويل . ولا أعرف لأحد من أهل الفصاحة مثل أبيات مروان . فأما واو «ينغزو» و «يخلو» إذا كانت ساكنة فإنهم يستعملونها وصلًا ، وعلى ذلك سمعت أشعار المتقدمين ، كما قال زهير :

(١) الراعى : هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النخعي . عاصر جريرا والفرزدق .

وتوفى سنة ٩٠ هـ .

(٢) فردة : جبل بالبادية ، وقيل : ماء بالتبوت لبني نعام . والرحا : جبل بين كاظمة

والسيدان عن يمين الطريق من الإمامة إلى البصرة .

صحا القلبُ عن سَلَمَى وقد كاد لا يسلو

وأقفر من سَلَمَى التعانيقُ والثَّقلُ<sup>(١)</sup>

وقد كنتُ من سَلَمَى سِنين ثمانياً

على صِيرٍ أَمْرٍ ما يَمُرُّ وما يَحُلُو<sup>(٢)</sup>

ففيها قواف كثيرة قد أتبعها واو الترنم التي ليست للسِّنخ، كقوله:

بلاذُّ بها نادمتُهم وعرقُهم      فإن أقفرت منهم فإنهم بَسَل

والقياس لا يمنع أن تجعل هذه الواو رويًا، لأنها سنخ وهي قوية،

ويجوز أن تلحقها الحركة في حال النصب، وهي أقوى من الواو التي

للضمير في مثل قولك «لم يألوا» و«لم يفعلوا». وإذا خفت الواو من

«عدو» و«غُدو» في القافية فلا يمتنع أن تجعل رويًا، وكونها وصلًا

أكثر. وما بنى على الواو قليل جدًا؛ لأن العرب إنما كانت تتبع

أشرف الكلم في السمع. وقلما تجد قافية لها قوة إلا وقد عمل عليها

المتقدمون.

وأما الياء، فلا تخلو من أحد شيئين: إما أن تكون متحركة،

وإما ساكنة. فالتحركة روى لا غير. والساكنة تضعفُ كضعف

الواو. فإذا كانت للترنم لم يجوز أن تجعل رويًا، وإذا كانت ساكنةً

(١) التعانيق والثقل: مكانان. ويروى «والشجل» بضم أوله: موضع في شق العالية،

ذكره ياقوت واستشهد بالبيت.

(٢) صير أمره: منتهاه وضرورته. مصدر صار يصير صيرًا وصيرورة. تقول: أنا

من حاجتي على صير أمر وعلى صيرورة، إذا كنت على شرف منها.

وقبلها ساكن فهي روى . وذلك أن تُبنى القافية في التقيد على مثل  
«عصاى» و«هواى». وإذا كان ما قبلها متحركا وهى ساكنة فإن الأحسن  
فيها أن تجيء وصلّا على أى الحالات وجدت من كونها فى سنخ الكلمة،  
أو للضمير، أو مخففة من ياءى النسب . فالتى من السنخ كقول النابغة :  
زعم الهُمــــــــــــــــام ولم أذقه بأنّه      يُشْفَى يَرد لثاتها العِطشُ الصّدَى  
فجاء بها مع « غد » ونحوها فجعلها وصلّا . وياى الإضافة كقول  
الآخر :

ألا أيها الركبُ المُخبُون هل لكم      بأخت بنى نهد بُهيّةٍ من عهد  
أأثقت عصاها واستقرّت بها النوى      بأرض بنى قابوس أم ظنعت بعدى  
والمخففة من ياءى النسب كقول الراجز :

تقول هند والذى يُحيى أبى      لقد سمعتُ صوت حاد عربى  
ليس من النمر ولا من تغلب

وكذلك إذا خففت مثل « عدى » و« شقى » فإنها تجعل وصلّا فى  
الأكثر . وربما جعلت هذه الياءات كلها رويّا وذلك فى أشعار تضعف .  
وليست هذه الياءات بأضعف من الألفات التى بنيت عليها القصائد .  
وهذه الأبيات تنسب إلى غير واحد من العرب :

أشاب الصغير وأفنى الكبير      مرّ الليالى وكرّ العشى  
إذا ليلةٌ هَرَمَت يومها      أتى بعد ذلك يوم فتى  
نرُوح ونغدو لحاجتنا      وحاجة من عاش لا تنقضى



تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي  
وقد رويت هذه الآيات للصَّلتان العبدى ولُقسن بن ساعدة الإيادى  
ولغيرهما ، ويروى للصَّلتان فيها :

بنجـديّة وحروريّة وأزرق يدعو إلى أزرق  
فلتتنا أننا المسلمون على دين صديقنا والنبي  
وقال الراجز :

إذا تغديت وطابت نفسى فليس فى الحى غلامٌ مثلى  
إلا غلامٌ قد تغدى قبلى

فجعل ياء الإضافة رويًا ، إلا أن يُحمل على مخالفة القوافى فى الذى هو  
عيب . وإذا كان ما قبل الياء مفتوحًا وهى ساكنة فإنها تجعل رويًا عند  
المتقدمين ، وذلك قليل جدًا . ولو بنيت قافية على «أخشى» و «أعشى»  
لكان لزوم الشين أقوى لها من أن يجيء معها مثل «أغنى» و «أحنى» .  
فأما الألف ، إذا كانت للترنم أو بدلا من التنوين أو للتثنية أو مع  
هاء التأنيث ، فلا يجوز أن تكون رويًا . وإذا كانت من السنخ أو زائدة  
للتأنيث أو للإلحاق ، ما كانت من ذلك ؛ فإن كونها رويًا جائز ، وعلى  
ذلك جاءت قصائد العرب المتقدمين ، لا يفرقون بين الزائد والأصلى .  
فيجوز أن تُبنى القصيدة على «كرى» و «بكى» و «غضى» و «الشنفرى»  
و «حبوكرى» وهى التى تُسميها الناس اليوم مقصورة . وأقوى من  
ذلك أن تجعل الراء فى «الكرى» رويًا وتجعل الألف وصلا . وكذلك

ألف « مغنى » أو « معزى » يجوز أن يجيء معها ألف « جلندى » و « حبرى » . إلا أن الأحسن أن تجعل الزاى فى « معزى » رويًا ، وتكون القصيدة على الزاى .

فهذه جملة من أحكام الحروف الأربعة اللواتى يجوز أن يكن وصلا ورويًا . ثم حروف المعجم بعد ذلك متساويات فى القوة إلا ما ذكر من التاء والكاف . فأما النون الخفيفة فلا يجوز أن تجعل رويًا ؛ لأن القافية موضع وقف ، وهذه النون تصير فى الوقف ألفًا ، فإن أريد بها الثقيلة ، إلا أنها خُففت للقافية كما تخفف لام « أضل » ودال « أشد » فلا بأس أن تجعل رويًا ، لأنها فى نية المثقلة .

والقوافى تنقسم ثلاثة أقسام : الذُلُّ ، والنْفَرُ ، والحوُشُ . فالذُّلُّ : ما كثر على الألسن ، وهى عليه فى القديم والحديث . والنْفَرُ : ما هو أقل استعمالاً من غيره ، كالجيم والزاى ونحو ذلك . والحوُشُ : اللواتى تهجر فلا تستعمل ، وذلك أن يتفق ألا تخلو القافية على كل الأوزان ، كأننا نقول إنهم استحسنوا التقييد فى الطويل الثانى فاستعمل وكثر ، كما قال امرؤ القيس :

لعمرك ما قلبى إلى أهله بِحَرْوٍ      ولا مُقْصِرٍ يوماً فَيَأْتينى بِقَرْوٍ<sup>(١)</sup>

( ١ ) بحر ، أى بكريم ، لأنه لا يصبر ولا يكف عن هواه . والمعنى أن قلبه ينبو عن أهله ويصبو إلى غير أهله . فليس هو بكريم فى فعله . ومقصر ، أى فازع ومنته . وبقر ، أى بمستقر .

وكما قال طرفة :

لِخَوْلَةٍ بِالْأَجْزَاعِ مِنْ إِضْمٍ طَلَلٌ      وبالسَّفْحِ مِنْ قَوِّ مُقَامٍ وَمُرْتَحِلٍ<sup>(١)</sup>

ولا يُعلمُ شيءٌ من الشعر القديم جاء فيه الطويل الأول مقيداً إلا أن يكون شاذّاً مرفوضاً ، وذلك في التمثيل ، كقوله :

كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّقِّ      ولم أَتَبَطَّنْ كاعباً زانها اَلْخَلْخَلُ

ولم أَسْبَأِ الزَّقَّ الرَوِيَّ ولم أَقْلُ      لَخْلِي كُرِّي كَرَةً بَعْدَ مَا تُخْذَلُ

فمثل هذا لم يأت في الشعر القديم ولا يوجد في دواوين الفحول من أهل الإسلام ، إلا أن يجيء نادراً أو متكلفاً . وقد جاء في أشعار المحدثين شيء من الطويل الأول مبنيّاً على الألف ، وهو الذي يسميه الناس المقصور ، فيقولون مقصورة فلان ، يعنون ما رويّه ألف ، قال الشاعر :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا      فَمَا نَحْنُ بِالْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى

إِذَا مَا أَتَانَا زَائِرٌ مُتَفَقِّدٌ      فَرَحْنَا وَقَلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا

وهذا الشعر لرجل في السجن كان على عهد ملوك بني العباس ، أو

يقال إنه لرجل من ولد صالح بن عبد القدوس . وقد بنى أبو عبادة

قصيدةً على الطويل الأول وجعل قوافيها على «أروي» و«جدوى» ونحو

ذلك ، فلزم الواو إلى آخر القصيدة ولم يجعلها مقصورة ، فهذه إن جعل

رويّها الألف فقد لزم فيها ما لا يلزم ، وإن جعل رويها الواو فالألف

وصل ، وبنّاؤها على الواو أحسن وأقوى في النظم .

( ١ ) إضم : ماء بين مكة واليمامة . وقو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة .

وفي هذا الكتاب أشياء تجرى هذا المجرى، وقد يَنْتَها في مواضعها. وقد يمكن أن يلزم القائلُ حرفين وأكثر. ولو بُنيت قافية على «دارهم» و«مُزدارهم» و«صدارهم» لكان القائل قد لزم فيها أربعة أحرف: الدال، والألف، والراء، والهاء، لأن الروى الميم، والألف ليست للتأسيس، لأن بينها وبين الروى حرفين. ولو بُنيت قافية على «ضرائهم» و«حرائهم» وما أشبه ذلك لكانت قد لُزمت فيها خمسة أحرف: الراء الأولى، والألف، والهمزة التي بعدها وهي في الصورة ياء، والراء الثانية، والهواء. وقد كنت قلت في كلام لي قديم: إني رفضت الشعر رفض السَّقب غَرْسه<sup>(١)</sup>، والرأل<sup>(٢)</sup> تريكته؛ والغرض ما أَسْتُجِيز فيه الكذب، واستُعين على نظامه بالشبهات.

فأما الكائنُ عظةً للسامع، وإيقاظاً للمتوسِّن، وأمرًا بالتحرز من الدنيا الخداعة وأهلها الذين جُبِلوا على الغش والكر، فهو إن شاء الله مما يُلتمس به الثواب.

وأُضيفُ إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك في هذا الأسلوب ضَعْف ما ينطق به من النظام، لأنه يتوخي الصادقة ويطلب من الكلام البرَّة؛ ولذلك ضَعْف كثير من شعر أُمِّية بن أبي الصَّلْت الثَّقَفِي، ومن أخذ في قَرِيَّه من أهل الإسلام.

(١) السقب : ولد الناقة ، وقيل : الذكر ، وهو سقب ساعة تضعه أمه . والغرس : الجلدة التي تخرج على رأس الولد والفصيل ساعة يولد ، فإن تركت قتلتها .

(٢) الرأل : ولد النعام . وخص بعضهم به الحول . والتريكة : بيضة النعام التي يتركها بعد خلوها مما فيها .

ويُروى عن الأصمعيّ كلام معناه : إن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضَعُف .

وقد وجدنا الشعراء توصّلوا إلى تحسين المنطق بالكذب ، وهو من القبائح ، وزيّنوا ما نظموه بالغزل ، وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل ، وأوصاف الحُر .

وتسبّبوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف الفِكر ، وهم أهل مقام وخفضٍ ، في معنى ما يدّعون أنهم يعانون من حث الرّكائب ، وقطع المفاوز ، ومِرَاسِ الشّقاء .

وهذا حينَ أبدأُ بترتيبِ النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلاً ، لكل حرف أربعة فصولٍ ، وهي على حسبِ حالاتِ الرّوى ، من ضمّ وفتحٍ وكسرٍ وسكونٍ ، [ إلا ] الألف وحدها فلها فصل واحد ، لأنها لا تكون إلا ساكنة .

وربما جئت في الفصل بالقطعة الواحدة ، أو القطعتين ، ليكون قضاءً حق للتأليف ، وبالله التوفيق .

## فصل الحمزة

## الحمزة المضمومة

## اللزومية الأولى

قال الضعيف العاجز أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الضرير ،  
رَهْنُ الْمُحْبَسِينَ ، في الحمزة المضمومة مع الباء ، والطويل الثالث <sup>(١)</sup> :

- ١ (أُولُو الْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ      تَشِدُّ وَتَنَائِي عَنْهُمْ الْقُرَبَاءُ)
- ٢ (فَمَا سَبَّحُوا الرَّاحَ الْكُمَيْتَ لِلذَّةِ      وَلَا كَانَ مِنْهُمْ لِلْخِرَادِ سِبَاءُ)
- ٣ (وَحَسْبُ الْفَتَى مِنْ ذِلَّةِ الْعَيْشِ أَنَّهُ      يَرْوَحُ بِأَذْنَى الْقُوْتِ وَهُوَ حِبَاءُ)

الرَّاح : الخمر ، اسم لها . وَسَبَّاءُ الخمر يسبؤها سَبًّا وَمَسْبَاءً .

وَاسْتَبَاءُهَا : شَرَّاهَا . وَقِيلَ : اشْتَرَاهَا لِشَرْبِهَا ، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْخَمْرِ

خَاصَةً . وَالْإِسْمُ : السِّبَاءُ ، عَلَى فِعَالٍ .

وَالْكُمَيْتُ : لَوْنٌ لَيْسَ بِأَشَقَرَ وَلَا أَدَمَ . وَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ لِلْوَنَاءِ .

وَالْخَرِيدَةُ مِنَ النِّسَاءِ : الْحَيَّةُ الطَّوِيلَةُ السَّكُوتِ الْخَافِضَةُ الصَّوْتِ الْخَفِيرَةُ الْمُنْسْتَرَّةُ ،

قَدْ جَاوَزَتْ الْإِعْصَارَ وَلَمْ تُعْذَسْ ؛ وَقِيلَ : هِيَ الْبَكْرُ الَّتِي لَمْ تُمَسَّسْ ، تَشْبِيهَا لَهَا بِاللَّوْلُوَةِ

قَبْلَ نَقَبِهَا ، وَتُجْمَعُ عَلَى خِرَائِدٍ وَخُرْدٍ وَخُرْدٍ ، عَلَى نُدْرَةِ الْآخِرَةِ ، لِأَنَّ فَعِيلَةً

لَا تُجْمَعُ عَلَى فَعَّلٍ ، وَلَمْ يَرِدْ مِنْ بَيْنِ جَمْعِ « الْخَرِيدَةِ » خِرَادٌ ، فِي الْمَعَاجِمِ .

وَالسِّبَاءُ وَالسَّبْيُ بِمَعْنَى ، وَهُوَ الْأَسْرُ . يُقَالُ : سَبَاهُ يَسْبِيهِ ، إِذَا أَسْرَهُ ، فِيهِوَ

سَبِيٌّ ؛ وَكَذَلِكَ الْأُنْثَى بِغَيْرِهَا . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : السَّبْيَةُ : الْمَرْأَةُ تُسَبَّى .

(١) هُوَ ذُو الْعُرُوضِ الْمُقْبُوضَةِ وَالضَّرْبِ الْمَحْدُوفِ .

والجباء ، بالكسر ويضم : ما يحبوه الرجلُ صاحبه ويكرمه به . والاسم :  
الجبوة . وقيل : الجباء : العطاء بلا منٍّ ولا جزاء . وجباه يحبوه : أعطاه ؛  
وما حوله : حماه ومنعه .

يقول : لله أهلُ الفضل والعلم ، ما أجدرهم بالرحمة وأخلفهم بالثناء ، إني لأراهم  
غرباءً محفوفين من أقاربهم ، منبوذين من ذوى معرفتهم ، وإني لأرى الفقر قد  
ضرب عليهم رواقه وألقى عليهم كلَّ كلكه ، فخرمهم لذة الأغنياء بسبائك الخمر وسبي  
النساء ، وبالع في إذلالمهم والغضب من أقدارهم ، حتى إنَّ أحدهم لينال أقلَّ القوت  
وأدنى العيش فيحسبه عطاءً موفوراً ، أو نعمةً مُسبَّغةً عليه .

- ٤ ( إِذَا مَا خَبَتْ نَارُ الشَّيْبَةِ سَاءَ نِي وَلَوْ نَصَّ لِي بَيْنَ النُّجُومِ خِبَاءُ )  
٥ ( أَرَأَيْكَ فِي الْوُدِّ الَّذِي قَدْ بَذَلْتَهُ فَأَضَعْتُ إِنْ أَجْدَى لَدَيْكَ رِبَاءُ )  
٦ ( وَمَا بَعْدَ مَرِّ الْخُمْسِ عَشْرَةَ مِنْ صَبَاً وَلَا بَعْدَ مَرِّ الْأَرْبَعِينَ صَبَاً )

خبت النارُ والحرب والحدة ، تخبو خَبُوءاً وخُبُوءاً : سكنت وطفئت وخمد  
لهبها ، فهي خايبة ، وأخبيتها أنا . والشيبة والشباب : الفتاء والحدأة . والشباب  
أيضاً : جمع شاب ، وكذلك الشبان . والنص : الرفع ؛ ومنه نص العروس ،  
أى إقامتها على المنصة ، وهي سريرها . والجباء : البيت من بيوت العرب يكون  
من وبر أو صوف . وقد يستعمل في المنازل والمساكن . وأصله الهمز ، لأنه يختبأ  
فيه . وأخبيت خِبَاءً ، وخبيته ، وتخبَّيته : عملته ونصبتَه ؛ واستخبيته : نصبتَه  
ودخلت فيه .

ورابي فاعل ، من « ربا » بمعنى ، زاد أو علا . والمصدر منه رِبَاءٌ ومُرَابَاةٌ .  
وأجدى : أغنى ونفع .

والصَّبَا : الصَّغَر ، ومثله الصَّبُو والصُّبُو والصَّبَاء . والفعل لذلك كله صبا يصبو .

وَصَبِيَّ صَبِيٍّ ، بالكسر والقصر : فَعَلَ فِعْلَ الصَّبِيَّانِ ، وَصَبَاءٌ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ :  
لَعِبَ مَعَهُمْ . وَصَبَاءٌ ، الثَّانِيَةُ ، أَصْلُهُ الْقَصْرُ ، مِنْ صَبَا إِلَى الْهَوَى وَالْجَهْلِ وَالْفَتْوَةِ ،  
صَبًّا وَصُبُوًّا وَصَبُوءَةً : مَالٌ وَحَنٌّ .

يقول : وَ أَسْفَاهُ لِنَارِ شَيْبَتِي حِينَ تَحْبُو ، فَلَنْ أَجِدَ عَنْهَا سَلْوَةً وَلَا عِزَاءَ مِثْلَهَا  
تَرْتَفِعُ بِي الْمَنْزِلَةَ ، وَلَوْ نَصَّ لِي خِبَاءٌ بَيْنَ النُّجُومِ . ذَلِكَ أَنَّ الشَّيْبَةَ وَحْدَهَا هِيَ  
الَّتِي تُتِيحُ لِي اقْتِضَاءَ لَذَائِي وَ اكْتِسَابَ حَاجَاتِي ، فَإِذَا انْقَضَتْ فَلَا أَمَلٌ فِي لَذَةٍ  
وَلَا مَطْمَعٍ فِي قِضَاءِ حَاجَةٍ . أَلَيْسَ لِكُلِّ عَمَلٍ قَدَرٌ قُدْرٌ بِهِ ، وَوَقْتُ اتِّيحٍ فِيهِ .  
فَلَيْسَ بَعْدَ الْخَامِسَةِ عَشْرَةِ طُفُولَةٍ وَلَا صَبِيٍّ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ مَرَحٌ وَلَا مُجُونٌ .

٧ (أَجْدَكَ لَا تَرْضَى الْعِبَاءَةَ مَلْبَسًا وَلَوْ بَانَ مَا تُسَدِّدُهُ قِيلَ عِبَاءٌ)

أَجْدَكَ ، بَفَتْحِ الْجِيمِ وَكسرها ، وَمَعْنَاهَا : مَا لَكَ ؟ أَجْدًا مِنْكَ ؟ وَنَصْبُهُمَا عَلَى  
الْمَصْدَرِ وَلَا يُتَكَلَّمُ بِهِ إِلَّا مِضَافًا . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مَعْنَاهُ : أَيْجِدُكَ هَذَا مِنْكَ ؟  
وَنَصْبُهُمَا بِطَرَحِ الْبَاءِ . وَقَالَ اللَّيْثُ : مَنْ قَالَ : أَجْدَكَ ، بِكسْرِ الْجِيمِ فَإِنَّهُ يَسْتَحْلِفُهُ  
بِجِدِّهِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَإِذَا فَتَحَ الْجِيمَ اسْتَحْلَفُهُ بِجَدِّهِ ، وَهُوَ يَخْتَارُ . وَقَالَ ثَعَالِبٌ : مَا أَتَاكَ  
فِي الشَّعْرِ مِنْ قَوْلِكَ أَجْدَكَ ، فَهُوَ بِالْكَسْرِ ؛ فَإِذَا أَتَاكَ بِالْوَاوِ فَهُوَ مَفْتُوحٌ .

والعباءة . لغة في العباية . قال سيبويه : إِنَّمَا هَمَزَتْ ، وَلَمْ يَكُنْ حَرْفُ الْعَلَةِ فِيهَا  
طَرَفًا ، لِأَنَّهُمْ جَاءُوا بِالْوَاحِدِ عَلَى قَوْلِهِمْ فِي الْجَمْعِ : عِبَاءٌ .

وقال ابن جنى : وَقَالُوا : عِبَاءَةٌ . وَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي ، لَمَّا لَحِقَتْ الْمَاءُ آخِرًا وَجَرَى  
الْإِعْرَابُ عَلَيْهَا وَقَوِيَّتِ الْيَاءُ لِبَعْدِهَا عَنِ الطَّرْفِ ، أَلَّا تَهْمَزَ ، وَأَلَّا يَقَالَ إِلَّا عِبَايَةٌ .  
فَيَقْتَصِرُ عَلَى التَّصْحِيحِ دُونَ الْإِعْلَالِ ، وَأَلَّا يَجُوزَ فِيهِ الْأَمْرَانِ ، كَمَا اقْتَصَرَ فِي «نَهَايَةِ»  
و « غِبَاوَةٍ » وَ « شَقَاوَةٍ » وَ « سَعَادَةٍ » عَلَى الصَّحِيحِ دُونَ الْإِعْلَالِ .



وأسدى ، وأولى ، وأعطى ، بمعنى . قال أبو عمرو : أزدى ، إذا اصطنع معروفاً ؛ وأسدى ، إذا أصلح بين اثنين ، وأصدى ، إذا مات . وعباء : أحق .  
 يقول : أجدك لا يُقنعك ما يتاح لك في هذه الدنيا من حظ ! رقه عليك وأقصد في أطعامك ، ووازن بين ما تسدى وما يُسدى إليك . فلو قد فعلت لتبيّنت أنك لا تسدى شيئاً ، وأن الذى يُسدى إليك كثير .

٨ ( وفي هذه الأرض الرّكودِ منابتٌ فَمِنْهَا عَلَنَدَى ساطِعٌ وكِبَاءٌ )

الرّكود : الثّقيلة الثابتة . والعَلَنَدَى : ضربٌ من شجر الرمل وليس بجمّض ، يهيج له ودخان شديد ؛ والواحدة : علنداة ؛ ومنه : دخان العَلَنَدَى دون بيتي ، أى منابت العلندى بيني وبينكم . والساطع : المنتشر من غبار ودخان وريح ونور . والكِبَاء ، ممدود : ضربٌ من العود والدُّخْنَة . وقال أبو حنيفة : هو العود المتبخّر به . قال امرؤ القيس :

وَبَانًا وَأُلُوِيًّا مِنَ الْهِنْدِ ذَاكِيًا      وَرَنْدًا وَلُبْنَى وَالْكِبَاءِ الْمُقْتَرَا

ومثل الكِبَاء : السُّكْبَة . وكبّي ثوبه ، بالتشديد ، أى بخره . وتكبت المرأة على المِجْمَر : أكتبت عليه بثوبها . واكتبي : تبخر بالعود .

يقول : إنما مثل ما يُصيب الناس من حسن الحظ وسُوئِهِ ، مثل الأرض التى يتاح لبعضها أن يُنبت ذكى الثبت ورائعه ، ولا يُتاح لبعضها الآخر إلا أن يُنبت غليظ الثبت وفجّه ، ولا يُعطى منه إلا الردىء المفقوت .

٩ (تَوَاصَلَ حَبْلُ النَّسْلِ مَا بَيْنَ آدَمَ وَيَنِي وَلَمْ يُوصَلَ بِلَامِي بَاءً)

تواصل : اتصل . والتواصل : ضدّ التصارم ، يكون في عفاف الحب ودعائه .  
والنّسل : الولد والذريّة . واللام : الشخص والسهم ، والمراد هنا الأول ، وهي أيضاً :  
جمع لأمة ، وهي الدرع . وأصله الهمز ثم يخفّف . وأما اللام التي بمعنى الشخص  
والسهم فلا أصل لهما في الهمز .

والباء والبائة : النكاح . وقيل : الباء الجمع ؛ والبائة الواحدة . ويجمع على  
الباآت أيضاً . وسُمّي النكاح بباء وباء ؛ لأن الرجل يتبأ من أهله ، أي يستمكن  
منهم ، كما يتبأ من داره . وقيل : الأصل في الباء المنزلة ، ثم قيل لعقد التزويج بباء ،  
لأن من تزوّج امرأة بوأها منزلاً .

وقريب من قول أبي العلا قول أبي الطيب :

هَبَّتَ النَّكَاحَ حَدَّارَ نَسْلِ مِثْلِنَا حَتَّى وَفَرَتْ عَلَى النِّسَاءِ بَنَاتِهَا  
وقوله :

وما الدهرُ أهلٌ أنْ تُؤمِّلَ عنده حياةٌ وأنْ يُشْتاقَ فيه إلى نَسْلِ

يقول : تواصل حبل النسل ما بين آدم وبينى ، وكان ذلك حمماً تجنّبه وغياً  
برمت منه ، فقطعت هذا الحبل ولم أصله ، وأعرضت عن الزواج فلم أعقب في  
هذه الأرض نسلاً .

١٠ (تَشَاءَبَ عَمَرُو إِذْ تَشَاءَبَ خَالِدٌ بَعْدَوَى فَمَا أَعَدَّتْنِي الشُّبَاءُ)

خص «التشاوب» لأن الإنسان إذا رأى من يتشاءب تشاءب بتشاوبه . ويقال  
في المثل : أعدى من الثوباء . قال الشاعر :

أعدى من الثوباء صدقة الشفاء

ولم يُرد بعمر وخالد شخصين بعينيهما ، ولعله قصد إلى ما يحمل أصلاًها

من التعمير والخلود ، التفاتاً منه إلى المعنى الذى هو آخذ فيه . والعدوى ، اسم من : أَعْدَى يَعْدَى ، أى أجاز الذى به إلى غيره ، أو أجاز ما بغيره إليه . وأصله من : عدا يعدو ، إذا جاوز الحد . وتعدى القوم ، أى أصاب هذا مثلُ داء هذا . والعدوى أيضاً : طلبك إلى وال لِيُعْدِيكَ على من ظلمك ، أى أن ينتقم منه . والثوباء ، من الثأوب ، مثل المطوأة من التخطى .

يقول : إن اتصال النسب عدوى شاعت في الناس ، كما يُعْدَى المُنْتَاب جارَه ، أمّا أنا فقد برئت من هذه العدوى ، وعُصمت من آثارها ، فلم أثناب حين ثناءب جليسى .

١١ ( وَزَهَّدَنِي فِي الْخَلْقِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَعِلْمِي بِأَنَّ الْعَالَمِينَ هَبَاءٌ )

زَهَّده في الأمر : رَغِبَه عنه . وفي حديث الزهد : وسُئِلَ عن الزهد في الدنيا فقال : هذا أَلَّا يَغْلِبَ الْحَلَالُ شُكْرَهُ وَلَا الْحَرَامُ صَبْرَهُ . أراد ألا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال ، ولا صبره عن ترك الحرام .

زَهَّدَ في الشيء وعنه : رَغِبَ عنه . والشيء : عدّه زهيداً قليلاً . وأزهد الرجل ، إذا كان لا يُرْغِبُ في ماله لقلته . والعالم : الخلق كله ، اسم بني على فاعل ، كما قالوا : خاتم وطابع ودافق . لا واحد له من لفظه ؛ لأنه جمع أشياء مختلفة ، وإن جعل اسماً لواحد منها صار جمعاً لأشياء متفقة .

والهباء . ما تُطَيَّرُه الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقاً . وتقول : أرى في السماء هَبَاءً ، ولا تقول : يومئذ ذو هباء . والهباء أيضاً : ما يظهر في الكُؤَى من ضوء الشمس ، ومن الناس من لا عُقُولَ لهم . وأهبي الفرس وغيره ، إذا أثار الهباء .

يقول : إياه للناس ! لقد عرفتهم حق المعرفة ، وبلوتهم أحسن البلاء ، فرأيتهم كلهم هباء ، ورأيت أمرهم كله باطلا . أفتراني زهدتُ فيهم إلا لأني بهم عليهم !

١٢ (وَكَيْفَ تَلْفِي الَّذِي فَاتَ بَعْدَمَا تَلْفَعُ نِيرَانَ الْحَرِيقِ أَبَاءً)

التلافي : أفتقاد الشيء وتداركه . وأنشد ابن الأعرابي :

يُخَبِّرُنِي أَنِّي بِهِ ذُو قَرَابَةٍ وَأُنْبَأُ أَنِّي بِهِ مُتْلَافٍ

أى إني لأدرك به ثأرى . والتلفع : الاشتمال . يقال : لَفَعَتِ النَّارُ ، إذا شملته من نواحيه وأصابه لهيبها ؛ والشيبُ رأسه : شمله . وَلَفَعَتِ النَّارُ ، فتلفعها ؛ والأهوالُ الشيبَ رأسه ، فتلفعه ؛ أفاده التضعيف جديد تعديّة وردّته المطاوعة إلى أحد المعمولين . وشاهده قول أبي العلاء « تلفع نيران الحريق أباء » . . أما التلفع بمعنى التغطية فليس له ثلاثى متعد . ورباعية المضعف من ذوى المعمول الواحد ، ومطاوغة لا يصل إلى معموله إلا بالحرف . وشاهده قول جرير :

لَمْ تَتْلَفَعْ بِفَضْلٍ مِئْزَرَهَا دَعْدٌ وَلَمْ تُغْدَ دَعْدٌ بِالْعَلَبِ

وتقول : لَفَعَ رأسه ، أى غطّاه ، ولم يُسمع فيه « لَفَعَ » مخففاً متعدداً ، كما سُمع في معنى الشمول ، وإن كان منه .

والأباء ، بالفتح والمد : القصب . وقيل : هو أجمة الخلفاء والقصب خاصة .  
الواحدة أباءة . قال كعب بن مالك الأنصارى يوم حفر الخندق :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُرْعَبِلُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمُعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرِقِ  
فَلَيَأْتِ مَأْسَدَةً تَسْنُ سَيُوفُهَا بَيْنَ الزَّادِ وَبَيْنَ جَزَعِ الْخَنْدَقِ

قال ابن برّى : وربما ذكر هذا الحرف في المعتلّ من الصحاح ، وأن الهمزة أصلها ياء . قال : وليس ذلك بمذهب سيبويه ، بل يحملها على ظاهرها حتى يقوم

دليل أنها من الواو أو من الياء ، نحو الرداء ، لأنه من الرذية ، والكساء ؛ لأنه من الكسوة .

يقول : ليتنى أستطعت أن أستدرك ماضى وأتلافى ما فات ، إذاً لأنكرت من أمرى بعض ما عرفت ، ولغيرت من مواصلى القديمة للناس نفوراً منهم وانقطاعاً عنهم . ولكن أين السبيلُ إلى ذلك ؛ وقد اشتعل الرأس شيباً كأنه النار تأخذ أطراف القصب .

١٣ ( إذا نَزَلَ الْمِقْدَارُ لَمْ يَكُ لِلْقَطَا نُهُوضٌ وَلَا لِلْمُخْدِرَاتِ إِبَاءٌ )  
 ١٤ ( وقد نُطِحَتْ بِالْجَيْشِ رَضْوَى فَلَمْ تُبَلْ )  
 وَلَزَّ بَرَائَاتِ الْحَمِيسِ قُبَاءُ

المقدار ، هنا : الموت . وقال اللَّيْثُ : المقدار : اسم القدر ، بمعنى المبلغ ، إذا بلغ العبد المقدار مات . وأنشد :

لو كان خَلْقَكَ أو أَمَامَكَ هَائِبًا      بَشَرًا سِوَاكَ لَهَا بَكِ الْمِقْدَارُ  
 يعنى الموت . والقطا : جمع قطة من الطيور ، سُمي بذلك لثقل مشيه ، وقيل لصوته . ومنه بيت النابغة :

تَدْعُو قَطَاً وَبِهِ تُدْعَى إِذَا نُسِبَتْ      يَا صِدْقَهَا حِينَ تَدْعُوهَا فَتَنْتَسِبُ

وفى المثل : إنه لأدَلّ من قطة ؛ لأنها ترد الماء ليلاً من الفلاة البعيدة . وفيه : وإنه لأحقق من قطة ؛ لأنها تقول : قَطَاً قَطَاً . وفيه أيضاً : لو تُرِكَ القطا ليلاً نَامَ . يُضْرَبُ لِمَنْ يَهْيِجُ إِذَا هَيِجَ . والمُخْدِرُ ، على صيغة اسم الفاعل ، من : أَخْدَرَ يُخْدِرُ ، إذا اتَّخَذَ الْأُجْعَةَ خَدْرًا . ويريد بـ « المخدرات » صنوفَ الحيوان الممتنعَات بالأجعات .

وأقام «القطا» و«المخدرات» مثلين للطير والحيوان . وخص «القطا» إذ أنه أهدى ، و «المخدرات» لأنها أقوى . والإباء : الامتناع ، فعله أبى يأتى ، بالفتح فيهما . وخص «القطا» بالهوض ، وهو الطيران ، إذ هو مفزعها مع الحدثان . و «المخدرات» بالإباء ، لأن بالأجوات أخدامها تمتنع فيها .

والنطّح ، للكباش ونحوها ، ويقتاس من ذلك تناطح الأمواج والسيول والرجال فى الحرب . ورضوى ، بفتح أوله وسكون ثانية : جبل على مسيرة يوم من ينبع ، وعلى سبع مراحل من المدينة . وهو الجبل الذى يزعم الكيسانية أن محمد ابن الحنفية به مقيم حتى يرزق . ولم تُبل : لم تكثرِث ، على القصر ، والأصل : لم تبال ؛ وقيل : حذفت الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال كما حذفوا الياء من قولهم : لا أدر . وكذلك يفعلون بالمصدر فيقولون : ما أباله بالة ، والأصل فيه : بالية . وقال ابن بَرى : لم تحذف الألف من قولهم «لم أبل» تخفيفاً وإنما حذفت لالتقاء الساكنين . وقال الخليل : هى من باليت . ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف لثلاث يلتقى ساكنان ، وإنما فعلوا ذلك بالجزم لأنه موضع حذف ، فلما حذفوا الياء ، التى هى من نفس الحرف بعد اللام ، صارت عندهم بمنزلة نون «يكن» حيث أسكنت ؛ فإسكان اللام هنا بمنزلة حذف النون من «يكن» . وإنما فعلوا هذا بهذين حيث كثرت فى كلامهم حذف النون والحركات ، وذلك نحو : مُد ، ولد ، وقد علم . وإنما الأصل : منذ ، ولدن ، وقد علم . وهذا من الشواذ ، وليس مما يقاس عليه ويطرده . والاز : لزوم الشيء بالشيء . والخميس : الجيش ؛ وقيل : الجرار ، أو الخشن . وقال ابن سيده : هو الجيش يخمس ما وجده ، وسُمى بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق . وقُباء بالضم ، وألفه واو ، يمد ويقصر ولا يصرف : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . وقُباء أيضاً : مدينة كبيرة من ناحية فرغانة قرب الشاش .

ضرب رَضوى وقُباء مثلين للجبل والسهل .

يقول : إنما هو القضاء يجب الإذعان له والرضا به . فالقضاء إذا حُمِ  
قص جناح القطا فلا تنهض ، وقلم أظفار السباع فلا تصول . وأنت عن فهم هذا  
القضاء عاجز ، ومن الوصول إلى سرّه ممنوع . ألا تراه يكف بأس ذى البأس  
فيمنعه من البطش حين يريد البطش ، ويحتفظ للسهل بسهولته وللحزن بحزونه ،  
مهما تتعاقب عليهما الأحداث . انظر إلى جبل رَضوى ما زال قائماً على كثرة  
ما اختلف عليها من الرايات والأعلام . أذعن إذن واستسلم ، ولا تحاول فهماً  
ولا تأويلاً ، فإن القضاء لا يخضع لفهم ولا تأويل .

- ١٥ (عَلَى الْوُلْدِ يَجْنِي وَالِدٌ وَلَوْ أَنَّهُمْ      وَوَلَاةٌ عَلَى أَمْصَارِهِمْ خُطَبَاءُ)  
١٦ (وَزَادَكَ بُعْدًا مِنْ بَنِيكَ وَزَادَهُمْ      عَلَيْكَ حُقُودًا أَنَّهُمْ نُحَسَاءُ)  
١٧ (يَرَوْنَ أَبَا أَلْقَاهُمْ فِي مُورَبٍ      مِنْ الْعَقْدِ ضَلَّتْ حَلَّهُ الْأَرْبَاءُ)

الولد ، بالضم وبفتحتين : ما وُلد أيّا كان ، وهو يقع على الواحد والجمع والذكر  
والأنثى ويجوز أن يكون «الولد» بالضم ، جمع ولد ؛ والولد ، بالكسر ، كالوُلد بالضم  
لغة ، وليس بجمع ؛ لأن فعلَ بالتحريك ليس مما يُكسّر على فعل . والحقود والأحقاد :  
جمعاً حقد ، وهو الضغن . والعقد : نقيض الحل . وتأريب العقد : إحكامه .  
يقال : أَرَبَّ عقدتك ، أى أحكمها ، ومنه قول كَنَاز بن نُفَيْع يخاطب جريراً :  
غَضِبْتُ عَلَيْنَا أَنْ عَلَاكَ ابْنُ غَالِبٍ      فَهَلَا عَلَى جَدِّكَ فِي ذَاكَ تَغَضُّبُ  
هَاجِرٍ يَسْعَى الْمَرْءُ مَسَاعَاةَ جَدِّهِ      أَنَاخَا فَشَدَّكَ الْعَقَالُ الْمُؤَرَّبُ  
والأرباء : جمع أريب . وهو الداهية البصير بالأمور .

يقول : إنما الحياة شر فلننصرف عن هذا الشر ؛ وإنما الوجود بؤس  
فلنقطع أسباب هذا البؤس ؛ وإنما الآباء جُناة على أبنائهم مهما يبلغوا من علو  
المنزلة وارتفاع المكانة ، أو مهما يُتيح لهما من التفوق والسلطان . ويزيد جنائية

الآباء على أبنائهم جدّة ، ويزيد بُعد الآباء من أبنائهم شدة ، أن يُتاح لهؤلاء الأبناء من الذكاء والنجابة ما يكشف لهم عن هذا الشر العظيم الذى دفعهم آبائهم إليه حين منحهم الوجود ، واضطروهم إلى الحياة ، فورطوهم فى مآزق لا تخرج لهم منها ، ومصاعب لاسبيل إلى اجتيازها ، ومشكلات لا أمل فى حلّها.

١٨ (وما أَدَبُ الْأَقْوَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ إِلَّا إِلَى الْمَنِّ إِلَّا مَعْشَرُ أَدْبَاءِ)

أدب يأدب ، بالكسر أدباً : دعا ، هذا أصله ، ثم استعمل فى الدّعوة إلى الطعام ، كما قيل لما يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المفاجح : أدباً . وقد يوجّه هنا على الأصل كما قد يوجّه إلى هذا المعنى الأخير لُنكتة . .

والمين : الكذب . ويجمع على مَيُون . والفعل منه مان يمين . والمائن : الكاذب . وإذا أردت المبالغة قلت : مَيُون ومَيَّان . وتقول : ود فلان مئان ، وفلان مئان الود ، إذا كان غير صادق الخُلة . والمعشر : كل جماعة أمرهم واحد ، نحو : معشر المسامين ، ومعشر الفقهاء .

يقول : تُخذ حذرْك ولا تسمع لكل ما يُقال ، ولا تَسْتَجِب لكل ما تُدعى إليه . أسىء ظنّك بأدب الأدباء ، فإنهم لا يدعون إلا إلى المين ، ولا يرغبون إلا فى الباطل ، ولا يهدون إلا إلى الضلال .

١٩ (تَتَّبِعُنَا فِي كُلِّ نَقَبٍ وَخَرَمٍ مَنَآيَا لَهَا مِنْ جِنْسِهَا نَقَبَاءُ)

تتبعنا ، أى تتبعنا . والنقب ، بالفتح والضم : الطريق ؛ وقيل : هو الطريق الضيق فى الجبل . والجمع : أنقاب ونقاب . وقال الأزهري فى جمعه : نِقبَة . قال : ومثله : الجرف ، وجمعه جِرْفَة . والمِخرم ، بكسر الراء ، والجمع المخارم ، وهى أفواه الفِجاج



والطرق في الغلظ . وقيل : الطرق في الجبال أو الرمل . وفي حديث الهجرة : مرّا بأوس الأسلمي فحملهما على جمل وبعث معهما دليلاً وقال : اسلك بهما حيث تعلم من مخارم الطرق . ونقباء : جمع نقيب ، وهو الضمين والكفيل .

يقول : أتريد أن تعرف الحق ؟ فاستمع إلى : إنما نحن صيد يطلبنا الموت حيثما اتجهنا ، ويطفر بنا حيثما اعتصمنا ، فلا تفرق ولا تجبن ، وأقدم على ما ترى الإقدام عليه ؛ فلن يمنحك الفرقُ خلوداً ، ولن يُجنبك الجبنُ موتاً .

## ٢٠ ( إذا خافت الأسدُ الخِماصُ من الظُّبا )

فكيف تعدّى حكمهنّ ظبَاءُ

الخِماص : جمع خمصان ، بالفتح والضم ، وهو الضامر البطن جوعاً . والأسد إذا جاع كان أشرى . ولم يجمعوه بالواو والنون ، وإن دخلت الهاء في مؤنثة حملاً له على فعّالان ، الذي أثناه فعلى ؛ لأنه مثله في العدة والحركة والسكون . وحكى ابن الأعرابي : امرأة خصى ، وأنشد للأصم عبد الله بن ربيعٍ الديلمي :

لكن فتاة طفلة خَمَصَى الحشا عزيزة تنام نومات الصّحى

مثل المهاة خذلت عن المها

والظُّبا ، كهْدَى : من جموع ظُبة ، أهمله ابن منظور وذكره الفيروزابادي : وهو حد السيف ، ومثله : ذُبابه . وتعدى ، أى تتعدّى ، حذف منه حرف المضارعة . والتعدى : التجاوز .

يقول : فكّر أى فَرَّق بين القوى إذا أدركه الخوف ، وبين الضعيف إذا مسّه الهلع . فكّر ما خطب الظُّبى إن أشفق من الموت ، وفيم تُنكر عليه هذا الإشفاق ، إذا لم يكن الأسد المصور بمأمن من الخوف والإشفاق ؟

## اللزومية الثانية

وقال أيضاً في الهذرة المضمومة مع الباء :

١ ( تُكْرَمُ أَوْصَالُ الْفَتَى بَعْدَ مَوْتِهِ وَهَنْ إِذَا طَالَ الزَّمَانُ هَبَاءً )

الأوصال : مجتمع العظام والمفاصل . وفي صفته صلى الله عليه وسلم : إنه كان فَعَمَ الأوصال ، أى ممتلئ الأعضاء . الواحد وُصِلَ ، بالكسر والضم . وقيل : الوصل : كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط بغيره ولا يوصل به غيره ، وهو الكَسْرُ والجَذَلُ .

وقد مر الحديث على « الهباء <sup>(١)</sup> » .

يقول : دع ما استقر في طباع الناس من إهمال الحق وإيثار الباطل ، اغتراراً بالظاهر الكاذب : من لفظ خادع ، أو وهم شائع ، أو خرافة باطلة . فإنما حياة الناس أنوان من تلك الأباطيل المحترمة كأنها حق ، منها ما أجمع الناس عليه في كل جيل وفي كل موطن من تكريم الجثة بعد الموت ، مع أنها صائرة إلى التغير والاستحالة وصائرة هباء بعد حين ، وحرصهم على الحياة واغترارهم بها وانخداعهم بلذاتها واندفاعهم خلف الآمال والأمانى ، كأنهم خالدون ، مع أن الموت لا بد منه ولا مندوحة عنه .

٢ ( وَأَرَوْا حُنَا كَالرَّاحِ إِنْ طَالَ حَبْسُهَا فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ سِبَاءً )

الراح : الخمر ، اسم له ، والسِّبَاءُ : مصدر سبى الخمر يسبئها ، أو سبأ الخمر يسبؤها . وهو على الأول بمعنى : حَمَلَهَا من بلد إلى بلد وجاء بها من أرض إلى أرض . قال أبو ذؤيب :

(١) انظر شرح البيت ١١ من اللزومية الأولى ص ٥٨ من هذا الجزء .

فما إن رحيق سبّتها التجا رُ من أذرعات فوادی جذرُ  
وعلى الثانى فالمعنى : اشتراها ، أو اشتراها ليشربها ، فإن لم تهمز كان المعنى  
فيه الجلب ، وإن همزت كان المعنى فيه الشراء . والمعنى على التوجيهين مستقيم ،  
فكلاهما يفيد الاحتياز .

يقول : وما الروح فى الجسم إلا كالراح فى الدن ، لكل منها مقتضى يبتغيها  
وطالب يرغب فيها . فطالب الراح الإنسان ، وطالب الروح الموت .

- ٣ ( يُعَيِّرُنَا لَفْظَ الْمَعْرَِةِ أَنَّهَا مِنْ الْعَرِّ قَوْمٌ فِي الْعَلَا غَرْبَاءُ )  
٤ ( فَإِنَّ إِبَاءَ اللَّيْثِ مَا حَلَّ أَنْفَهُ بِأَنَّ مَحَلَّاتِ اللَّيْثِ إِبَاءُ )  
٥ ( وَهَلْ لِحَقِّ التَّثْرِبِ سُكَّانَ يَثْرِبِ )  
٦ ( هُمْ ضَارِبُوا أَوْلَادَ فَهْرٍ وَجَالِدُوا عَلَى الدِّينِ إِذْ وَشَى الْمُلُوكُ عِبَاءُ )  
٧ ( ضِرَابًا يُطِيرُ الْفَرَّخَ عَنْ وَكْرِ أُمِّهِ وَيَتْرَكُ دِرْعَ الْمَرْءِ وَهِيَ قَبَاءُ )  
٨ ( وَذُو نَجَبٍ إِنْ كَانَ مَا قِيلَ صَادِقًا فَمَا فِيهِ إِلَّا مَعَشَرٌ بُجْبَاءُ )

التعيير : التعاييب والتساب . والعامة تقول : عيَّره بكذا . والصواب : عيَّره  
كذا . قال النابغة :

وعيرتني بنو ذبيان خشيته وهل على بأن أخشاك من عارٍ

والمعرة ، هى معرة النعمان ؛ منها كان أبو العلاء . وأما معنى المعرة لغة ،  
فالجرب والشدة ، وتلون الوجه من الغضب ، والغرم والدية ، وقتال الجيش دون إذن  
الأمير . وهى أيضاً كوكب فى السماء دون المجرة ، سميت بذلك لكثرة النجوم فيها ،

تشبيهاً بالجرب . والنعمان التي نسبت إليه هو ابن بشير ، صحابي اجتاز بها فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه فسميت به .

وقال ياقوت : وهذا في رأيي سبب ضعيف لا تسمى بمثله مدينة . والذي أظنه : أنها مسمّاة بالنعمان ، وهو الملقب بالساطع بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بريح ابن خزيمة بن تيم الله ، وهو تنوخ بن أسد بن وَبَرَة بن تغلب بن حُلوان بن عُمُران بن الحاف بن قُضاعة ، وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حِمْص بين حلب وحماة .

والقَرْ ، بالفتح والضم : الجَرْب . وقيل القَرْ ، بالفتح : الجذب . وبالضم : قُرُوح بأعناق الفُصْلان .

والإباء : الامتناع : وأنفه : أشده ؛ تقول : جاء يعدو أنف العدو ، أى أشده . وما حلّ ، أى ما نقص ونقّض من مرّته .

ومحلات : جمع محلة ، وهي المنزل يُنزل فيه . والأباء : جمع أباءة ، وهي أجمة القصب . وقدمر عنها مزيد<sup>(١)</sup> . ومحل « الباء » وما اتصلت به من « أن » ومعمولها الرفع على الفاعلية للفعل « حل » .

والتثريب : التوبيخ . وقيل : ثرّب عليه : لامه وعيّرته بذنبه وذكّره به . وفي التنزيل العزيز : ( قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ) قال الزّجاج : معناه لا إفساد عليكم . وقال ثعلب : معناه لا تذكروا ذنوبكم . وفي الحديث : « إذا زنت أمة أحدم فليضربها الحدّ ولا يثرب » . قال الأزهرى : معناه : ولا يبكّتها ولا يقرعها بعد الضرب : وقيل : أراد : لا يقنع في عقوبتها بالتثريب بل يضربها الحدّ ، فإن زنى الإماء لم يكن عند العرب مكروهاً ولا منكراً ، فأمرهم بحدّ الإماء كما أمرهم بحدّ الحرائر . وثرّب عليه وعربّ عليه ، بمعنى ، إذا قبح عليه فعله . ويثرب :

( ١ ) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية الأولى : ص ٥٩ من هذا الجزء .

مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . سمّاها طيبة وطابة كراهية للتثريب . وقيل : إن يثرب ناحية من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم . والنسبة إليها يثربى وأثربى وأثربى ، فتحوا الرّاء استئقلاً لتوالى الكسرات . والغباء ، أصله غباً ، فمدّ للشعر . يقال : غبى الشيء ، وغبى عنه ، غباً وغباوة : لم يفتن له . كما يقال : غبى الأمر عني ، أى خفى فلم أعرفه . وفى حديث الصوم : « فإن غبى عليكم » أى خفى . ورواه بعضهم « غبى » بضم الغين وتشديد الباء المكسورة ، لما لم يُسمّ فاعله . وأما الغباء ، بالمد ، فهو شبه الغبرة فى السماء ، وكذلك الخفاء من الأرض .

والمضاربة والمجالدّة ، بمعنى . وفى اختياره لصيغة « فاعل » فى الفعلين إشارة لما نالوا من خصومهم ونال منهم خصومهم ، وهو أمدح .

وفهر ، أبوقبيلة ، وهى أصل قریش ، وهو فهر بن غالب بن النضر بن كنانة . وقریش كلهم ينسبون إليه .

والوشى من الثياب ، هو أن يكون من كل لون . وقيل : ما اختلط فيه لون بلون والجمع : وشاء .

والعباء : جمع عباية ، وهى ضرب من الأكسية واسع فيه خيوط سود كبار . يُشير إلى ما كانوا عليها حينذاك من بدابة ، فى ظلال الحمية أشد ، والحفاظ ألد . والوكر : عُش الطائر وإن لم يكن فيه . وقال الأزهري : موضع الطائر الذى يبيض فيه ويفرخ . وزاد أبو عمرو : هو العُشّ حينما كان ، فى جبل أو شجر . والجمع القليل : أوكر ، وأوكر ؛ والكثير : وُكور ، ووُكر .

والدرع : كبُوس الحديد : تذكّر وتؤنث . يقال : درع سابعة وسابع ، والجمع فى القليل : أدرع وأدراع . وفى الكثير : دُرُوع . وتَصْغِير درع : دُرِيع ، بغير هاء على غير قياس ، لأنّ قياسه بالهاء ، وهو أحد ما شذ من هذا الضرب .

والدرع كذلك : قميص المرأة ، وهو أيضاً الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة فى بيتها ، وكلاهما يذكر ، وقد يؤنثان . وقال اللحياني : درع المرأة مذكر لا غير . والعباء ، ممدود : من الثياب ، سمّى بذلك لاجتماع أطرافه .

وذو نجب ، محرّكة : واد لمحارب ، كانت فيه وقعة لبنى تميم على بنى عامر ابن صعصعة . دعت بنو عامر حسان بن معاوية بن آكل المزار الكندي ، وهو ابن كبشة ، امرأة من بنى عامر بن صعصعة ، بعد وقعة جيلة بجوّل ، إلى غزو بنى حنظلة ، وهوتوا أمرهم عليه . فساروا إليهم في جمع وثروة ، ووقعت الحرب ، فقتل ابن كبشة الملك ، وأسر يزيد بن الصعق وغيره من وجوه بنى عامر ومن تبعهم . فقال سُحيم بن وثيل الرّياحى :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد      يزيد وضرّجنا عبيدة بالدم  
بذى نجب إذ نحن دون حريمنا      على كل جيّاش الأجارى مرّج

يقول : إن بعض الأعداء ليعيروننا لفظ المعرة ، يزعمون أنها مشتقة من العر ، وهو الجرب . فانظر إلى سخف الناس وما يتورّطون فيه من الانخداع بالأسماء ، والاندفاع فيما تدعو إليه من رغبة أو رهبة ، غير حافلين بالحق ، ولا ناظرين فيه . لو أن للأسماء أثراً في الوجود والحس ، لكانت الأسود إنما تستمد إباءها من أجماتها التى تسكنها ، ولكان أهل يثرب قد أصابهم التثريب والقيّيب . مع أنهم أحقّ الناس بالمدح والمثوبة ، لما جالدوا عن الدين وزادوا عن حوضه ، بضرب يطير الفرخ عن وكر أمه ، ويبطل مزية الدرع فيردّها كالقميص لا تغنى غناء ، ولا تدفع بلاء . لو كان ذلك حقاً لكان اسم ذى نجب ، علة لنجابة سكانه ، وسبباً لنُبوغ أبنائه . أجل ، إن ذلك باطل ، مصدره فساد العقول ، ومرض القلوب ، وانحراف الأمزجة .

٩ (هَلْ الدِّينُ إِلَّا كَاعِبٌ دُونَ وَصْلِهَا      حِجَابٌ وَمَهْرٌ مُّعَوِزٌ وَحِبَاءٌ)  
١٠ (وَمَا قَبِلْتُ نَفْسٌ مِنْ الْخَيْرِ لَقَطَه      وَإِنْ طَالَ مَا فَاهَتْ بِهِ الْخُطْبَاءُ)

الكاعب : الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، والجمع : كواعب . قال تعالى :

(وَكَوَاعِبَ أَتْرَابٍ) . ومُعَوِّزٌ ، أى يُعَوِّزُ صاحبه . يقال : أعوزه هذا الأمر ، إذا اشتد عليه وعسر ، أو قَلَّ عنده مع حاجته إليه .  
والحباء والعطاء : ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به .

يقول : وإنك لترى لفظ الدين والخير أشيع الألفاظ بين الناس ، يتخذونها طريقاً إلى الحياة والغنى ، وجنة من الموت والفاقة . مع أن معنى الدين عزيز لا ينال إلا بالكد ، ولا يدرك إلا بالمحاولة ، ولا يسمو إليه إلا من أعد له العدة من جهاد بالنفس والقوة والمال . وما كنت لآخذ بلفظ الخير فأزعم بعد ذلك أئى خير . وطالما ردّد الخطباء هذا اللفظ ولا كتبه أفواههم ، إنما الخير معنى يؤثر في القلوب والعقول ، وتظهر آثاره في الأعمال ، لا لفظ تلوّكه الأفواه وتذهب به الرياح .

١١ (تَفَرَّعُ أَغْرَابِيَّةٌ أَنْ جَرَتْ لَهَا نَوَاعِبُ يَسْتَعْرِضْنَهَا وَظُبَاءُ)  
١٢ (وَمَا الْأَرْبَى لِلْحَيِّ إِلَّا مُسَفَّةٌ عَلَى أَنْهَمُ فِي أَمْرِهمْ أَرْبَاءُ)

نَحْ  
مُسَفَّةٌ  
أَرْبَاءُ

تفرّع ، أى تتفرّع ، مع حذف تاء المضارعة . وجرت لها : وقعت وحدثت . والنواعب . الغربان تنعب . والنعيب للغراب ، ويقال لغيره على الاستعارة . وهو مما يُطَيَّر به ، إذ لا يرى إلا على آثار الديار بعد أن يخلفها أهلها . ويستعرضنها ، أى يبحثها من جانبها عرضاً ، يُشير إلى تطيّر العرب بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها . فكانوا يُثيرونها ، فإذا مرّت شمالاً فهي البارحة ، فتشاءموا بها . وإذا أتهم عن اليمين فهي السانحة ، وتيمنون بها . وفي الحديث : « ثلاثة لا يسلم منها أحد : الطيرة والحسد والظن . قيل فما نصنع ؟ قال : إذا تطيرت فامض ، وإذا حسدت فلا تنبغ ، وإذا ظننت فلا تصحّح » .

والأَرَبِي ، بضم الهمزة : الداهية . قال ابنُ أحر :  
 فلما غَسَى لِيَسْلِي وأيقنتُ أنها هي الأَرَبِي جاءت بأم حَبَو كَرَى  
 قال الزَّيْدِي : وهي كَشْعِي رَأَرْنِي ولا رابع لها . ومُسَفَّة ، أى مؤذيه ضارَّة  
 تربد لها الوجوه وتتغير وتكمد . وفي الحديث : « أتى برجل فقيل إنه سرق » .  
 فكأنما أُسِفَّ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى تغير وجهه واكمد ، كأنما  
 دُرَّ عليه شيء غيره . من قولهم : أسففتُ الوشم ، وهو أن يُغرز الجلد بإبرة ، ثم  
 تحشى المغارز كحللا . أو لعلها من « الإسفاف » ، وهو الدنو ، يريد أنها نازلة بهم .  
 وأرباء : جمع أريب ، وهو البصير العاقل .

يقول : وهل رأيت أضعف عقلا أو أسخف رأيا أو أضل حلما أو أسفه  
 نفساً ممن يتفرع ويتشام ، أو يستبشر ويتفال بالالفاظ الخادعة أو الأمور التي  
 لا أثر لها في عمل الطبيعة . تلك الأعراية تفرع وترتاع حين تعرض لها نواعب  
 الغربان أو أسراب الطباء . مع أن الداهية قد تلم بالحي البصير الحازم ، تفال  
 أو تشام . لا يؤثر ذلك في قدر ، ولا يدفع ذلك شيئاً من البلاء .

- ١٣) تعادت بنوقيس بن عيلان بالغنى فثابوا كأن السجدة الثوباء ( )  
 ١٤) ولولا القضاء الحتم أخى واقد ( ) ولم يبن حول الراقين خباء ( )  
 ١٥) وعادوا إلى ما كان إن جاد عارض ( ) رأوا أن رعيًا في البلاد باء ( )  
 ١٦) يميئون قتلهم بأكثر منهم ( ) وإن قتلوا حراً فليس يباء ( )

تعادى القوم ، أى أصاب هذا مثل ما أصاب هذا . وعيلان أبو قيس ، هو  
 الياس بن مضر بن نزار . وقيل : الصواب قيس عيلان ، مضافاً . وقال الجوهري :  
 وليس في العرب « عيلان » غيره . واستدرك عليه الزَّيْدِي فقال : وعيلان ، يطن  
 من باهلة . وعيلان ، هو في الأصل اسم فرسه فأضيف إليه . وقيل : إنما عيلان



عبد مضر، فَحَضَنَ إلياسَ فغلب عليه ونسب إليه . وقال السهيلي في الروض الأنف :  
 قيس بن عيلان . هو المشهور عند أهل النسب . وبعضهم يقول : قيس هو عيلان  
 لا أبنة . قال : وعرف قيس عيلان بفرس له يسمى عيلان ، كما عرف قيس كُبَّة  
 في بجيلة بفرس له اسمه كبة . وكان هو وقيس عيلان متجاورين ، فإذا ذكر أحدهما  
 وقيل : أى القيسين هو ؟ قيل قيس عيلان ، أو قيس كُبَّة . كما قيل : إن عيلان  
 كان اسم كلب له . وقيل : اسم جبل وُلد عنده . وقيل : كان قيس عيلان  
 جواداً أتلف ماله فأدر كته عيلة ، فسمى عيلان .

وثابوا ، أى امتلأت به أيديهم ، من ثاب الحوض ، إذا امتلأ . والمسجد :  
 الذهب ، وقيل : هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت . والثؤباء ، من  
 الثؤوب . وقد مر<sup>(١)</sup> .

والحَتمُ : اللزوم الواجب الذى لا بد من فعله . وخبت النار : سكنت وطففت  
 وخذلها . وأخيتها أنا . قال الكميت :

ومنا ضرار وابنمأه وحاجبٌ مؤجَّجٌ نيران المكارم لا المخبي

والواقد : المتقد المشتعل . والخباء : واحد الأخبية ، وهو ما كان من وبر  
 أو صوف ، ولا يكون من شعر . وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو  
 بيت . وقد يستعمل فى المنازل والمساكن ، ومنه الحديث : « أتى خباء فاطمة وهى  
 فى المدينة » . يريد منزلها . وأصله الهمز ، لأنه يختبأ فيه .

والعارض : السحاب المثل يعترض فى الأفق . والرِّبَا : الزيادة والنمو . فعله :  
 ربا يربو .

ويقال : أبأت فلاناً بفلان ، إذا قتلت به . وباء فلان بفلان ، إذا قُتل به  
 وصار دمه بدمه .

(١) انظر شرح البيت ١٠ من اللزومية الأولى : ص ٥٧ من هذا الجزء .

يقول : أولئك قيس بن عيلان أعدام الغنى والثروة ، فعادوا من أثرياء الناس وأهل الغنى منهم . ولولا أن سبق بذلك قضاء محتوم وقَدَر مكتوب لما وَرِيت لهم زَنْد ، ولا كان لهم رَفْدٌ ، ولعادوا إلى ما كانوا فيه من الفقر المدقع ؛ يُضْنِيهِمْ رعى الكَلأ ، ويضعفهم الحصول على أدنى القوت ، مختلفين فيما بينهم لا يجمعهم نظام ، ولا يُلم شعهم قانون ، وإنما هو الغلب والقهر ، وهو السلطان والاستبداد .

## اللزومية الثالثة

وقال في الهمزة المضمومة مع الباء ، والطويل الثانى <sup>(١)</sup> :

١ (أَرَأَيْكَ فَلْيَغْفِرْ لِي اللَّهُ زَلَّتْ بِذَلِكَ وَدَيْنُ الْعَالَمِينَ رِثَاءً)

راءيتُ الرجل مُرَاةً ورثاء : أَرَيْتُهُ أَنَّى عَلَى خِلافٍ مَا أَنَا عَلَيْهِ .

يقول : شيئاً من الفطنة ونفاذ البصيرة ، فإنما الأمر بينك وبينى يقوم على الرياء والنفاق ؛ إني لأظهر لك غير ما أضمر ، وأبدي لك غير ما أخفى ، فليغفر الله لى هذه الزلة ، وليتجاوز لى عن هذه السيئة .

٢ (وَقَدْ يُخْلِفُ الْإِنْسَانُ ظَنَّ عَشِيرِهِ وَإِنْ رَاقَ مِنْهُ مَنَظَرٌ وَرُوءٌ)

الإخلاف : أن يعد الرجل العدة فلا يُنجزها ، أو أن يطلب الرجل الحاجة فلا يجد ما طلب . يقال : رُجِيَ فلان فأخلف . والعشير : القبيلة ، والمعاشر ، والقريب والصديق . والرؤاء ، بالضم : حُسْنُ المنظر فى البهاء والجمال . يقول : ما أكثر ما ينكر الإنسان أمرَ عشيره ! يَرَى منه ما يرضيه ويخدعه ، ولو قد تكشّف له ما وراء ذلك لرأى شراً ونُكراً .

٣ (إِذَا قَوْمُنَا لَمْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ بِنُصْحٍ فَإِنَّا مِنْهُمْ بِرِءَاءٍ)

يقال : أنا برئ من ذلك ؛ والجمع برءاء ، مثل كريم وكرام ؛ وبرءاء ، مثل فقيه وفقهاء ؛ وأبرءاء ، مثل شريف وأشراف ؛ وأبرياء . مثل نصيب وأنصباء . يقول : برئتُ إلى الله من الذين لا يعبدونه وحده ناصحين مخلصين ، لا يشوب دينهم رياء ولا نفاق .

(١) أى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

## اللزومية الرابعة

وقال في الهمزة المضمومة مع الباء ، والطويل الثاني<sup>(١)</sup> :

- ١ (سَأَلْتُ رَجُلًا عَنْ مَعَدٍّ وَرَهْطِهِ وَعَنْ سَبَأٍ مَا كَانَ يَسْبِي وَيَسْبَأُ)  
٢ (فَقَالُوا هِيَ الْأَيَّامُ لَمْ يُخْلِ صَرْفُهَا مَلِيكًا يُفْدَى أَوْ تَقِيًّا يُذَبَّأُ)

معد ، هو ابن عدنان أبو العرب العدنانية ، والميم زائدة . وأصلية ، لقولهم :  
تَمَعَّد ، لقلة « تمفعّل » في الكلام . وعن النُّحَاة : أن الأغلب على معدٍّ وقرش  
وثقيف التذكير والصرف ، وقد تَوَثَّ ولا تُصَرَف . والرَّهْط : قوم الرجل وقبيلته  
وعَشِيرته . وقيل : هم من الرجال ما دون العشرة . وقيل : إلى الأربعين ، ولا يكون  
فيهم امرأة . وسبأ : لقب ابن يَشْجَب بن يَعْرَب بن قحطان ، واسمه عبد شمس ،  
يجمع قبائل اليمن عامة . ومرَّ الكلام على السبي والسبأ<sup>(٢)</sup> وصرف الأيام :  
حَدَّثَانِهَا ونَوَائِبِهَا . وَيُتَبَّأ ، أى تَدْعَى له النبوة .

يقول : سألت رجلاً من أهل العلم وأصحاب الفلسفة والبصر بمخاتق الأشياء  
عن معدٍّ أو رهطه ، ماذا أعدّوا لاتقاء الخطوب ، وماذا دبّروا لتجنب الأحداث ؟  
وسألتهم عن سبأ ماذا كان يسبي إذا حارب ، وماذا كان يسبأ إذا فرغ للهوه ،  
والآم صار أمره بعد هذا كله ؟ فقالوا : إنما هي الأيام قد أنزل الناس على حكمها ،  
لم يُعَفَّ من صُروفها مَلِيك يُفْدَى بالأنفس والأموال ، ولا تَقَى يدين الناس له  
بالكرامة أو بالنبوة .

(١) أى ذو العروض المقبوضة ، وضررها مثلها .

(٢) انظر شرح البيت ٢ من اللزومية الأولى ص ٥٣ من هذا الجزء .

٣) (أَرَى فَلَكًا مَازَالَ بِالْخُلُقِ دَائِرًا لَهُ خَبَرٌ عَنَّا يُصَانُ وَيُخْبَأُ)

الفلك : مدار النجوم . ويُجمع على أفلاك ، ويجوز أن يجمع على فُلك ، مثل أسد وأُسَد .

يقول : أرى فلكا يدور بما فيه ومن فيه ؛ وإن لهذا الفلك لسراً مَصُونًا وخبراً مَكْتُومًا .

٤) (فَلَا تَطْلُبِ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتَ نَاشِئًا فَإِنِّي عَنْهَا بِالْأَخْلَاءِ أَرَبًا)

الناشيء : فويق المحتمل . وقيل : هو الحدث الذي جاوز حد الصغر . وكذلك الأنثى ناشيء ، بغير هاء أيضاً . والجمع نشأ ، مثل طالب وطلب ، وكذلك النشاء ، مثل صاحب وصحب . وفي الحديث : «نشأ يتخذون القرآن مزامير» . ورَبَابُهُ عن كذا ، أى رفعه عنه .

يقول : فأعرض عن الدنيا ولا تغررك عن نفسك ، لا في شيبية ولا في شيخوخة ؛ إنما هي نصيحة أُسديها إليك مخلصاً ، لأنى أو ترك بالحب ، وأنا أربأ بالذين أحبهم عن طلب الدنيا والتورط في آثامها .

٥) (وَمَا تُؤَبُّ الْأَيَّامُ إِلَّا كَتَائِبُ ثُبْتُ سَرَايَا أَوْ جُيُوشُ تُعَبَّأُ)

الثوب : النازلات . جمع نادر لنائبة ؛ والأعراف نواب . قال ابن جني : مجيء فَعْلَةٌ على فَعَلٍ يُريك كأنها إنما جاءت عندهم من فَعْلَةٍ ، فكان نُوبَةٌ نُوبَةٌ ، وإنما ذلك لأن الواو مما سبيله أن يأتي تابِعاً للضمة . قال : وهذا يؤكد عندك ضعف حروف اللين الثلاثة . والكتائب : جمع كتيبة ، وهي القطعة العظيمة من الجيش . وفي حديث السقيفة : «نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام» . وبثته : نشره وفرقه .

والسرايا : جمع سرية ، وهى طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة ؛ قيل : سُمُّوا بذلك لأنهم يُنفَّذون سرّاً وخفية ، وليس بوجه ؛ لأنّ لام « السر » راء ، وهذه ياء . وعَبَّأت الجيش وعَبَّأته : رتبهم فى مواضعهم للحرب ، وقد يترك الهمز .

يقول : اصبر نفسك على أحداث الدنيا وكوارثها ، وأقم فيها إقامة المجاهد المرابط ، فإنّ ما يُلمّ بأهلها من النوائب ليست إلّا كتائب يبثها القضاء ، مفرقة حيناً ومجمعة حيناً آخر ، ولا مردّ لها على كل حال .

## اللزومية الخامسة

وقال في الهمزة المضمومة مع الدال ، والطويل الثانى <sup>(١)</sup> :

١ ( بَنِى الدَّهْرِ مَهْلًا إِنْ ذَمَّمْتُ فِعَالَكُمْ فَإِنِّى بِنَفْسِى لَا مَحَالَةَ أَبَدًا )

المهل ، بالإسكان : الرفق ؛ وبالتحريك : التقدم ، ومنه حديث على لأصحابه لما لقي الشَّراء : أَقْلُوا البِطْنَةَ وَأَعْذِبُوا . وإذا سرتم إلى العدو فمهلاً مهلاً — أى رِفْقًا رِفْقًا — وإذا وقعت العين على العين فَمَهْلًا مَهْلًا ، أى تقدُّمًا تقدُّمًا . قال ابن منظور : الساكن : الرفق . والمتحرك : التقدم ، أى إذا سرتم فتأنوا ، وإذا لقيتم فاحملوا . وقال الجوهري : المهل ، بالتحريك : التؤدة والتباطؤ .

ولا محالة ، هى فى موضع : لا بُد ، ولا حيلة ؛ مفعلة من الحول والقوة . وأكثر ما تستعمل بمعنى اليقين والحقيقة ، أو بمعنى لا بد ، والميم زائدة . يقول : بنى زمنى ، لا تَجِدُوا عَلَى ، ولا تنقموا منى أن أنكر حالكم ، وأذم فعالمكم . فإنى أنكر من نفسى مثل ما أنكر منكم ، وأعيب من فعلى مثل ما أعيب من فعلكم . أشارككم فى الحياة فأشارككم فى الإثم وفى اللوم .

٢ ( مَتَى يَتَقَضَّى الْوَقْتُ وَاللَّهُ قَادِرٌ فَنَسْكُنُ فِي هَذَا التُّرَابِ وَنَهْدًا )

يتقضى الوقت : ينفى وينصرم . والسكون هنا : ضد الحركة . وأما السكون بمعنى الإقامة ، فهو من ذوات المفعول ، وقد يجوز إليه بالباء .

يقول : ما أقدر الله على أن يَرُدَّنَا إلى هذا التراب ، فنسكن بعد حركة ، ونهدًا بعد عناء .

( ١ ) أى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

٣ (تَجَاوَرَ هَذَا الْجِسْمُ وَالرُّوحُ بُرْهَةً      فَمَا بَرِحَتْ تَأْذَى بِذَلِكَ وَتَصْدَأُ)

أَذَى بِهِ يَأْذَى أَذَى وَأَذَاةٌ وَأَذِيَّةٌ، تَأْذَى، فَهُوَ أَذٍ. قَالَ الشَّاعِرُ :

لَقَدْ أَذُوا بِكَ وَذُّوا لَوْ تُفَارِقُهُمْ      أَذَى الْمَرَّاسَةِ بَيْنَ النَّعْلِ وَالْقَدَمِ

وَصَدَأَتْ تَصْدَأُ، أَيْ رَكِبَهَا الرَّيْنُ وَعَلَاهَا الطَّبَعُ. وَمِثْلُهَا أَصْدَأُ يُصْدَى.

يَقُولُ : لَقَدْ جَاوَرَتْ نَفْسِي هَذَا الْجِسْمَ التَّكْدَ، فَمَا أَصَابَهَا مِنْ جَوَارِهِ  
إِلَّا الْأَذَى، وَالصَّدَأُ الَّذِي يَفْسِدُ مَعْدِنُهَا، وَيَجْلِبُ لَهَا كَدْرًا بَعْدَ صَفَاءٍ.



## اللزومية السادسة

وقال في الهمزة المضمومة مع السين ، والبسيط الثاني <sup>(١)</sup> :

١ (يَأْتِي عَلَى الْخَلْقِ إِصْبَاحٌ وَإِمْسَاءٌ وَكُنَّا لَصُرُوفِ الدَّهْرِ نَسَاءً)

الإصباح : الصباح ، وهو نقيض المساء . أما الصبح ، فهو أول النهار والفجر .  
والإمساء : نقيض الإصباح . وصرُوف الدهر : حَدَثَانِه ونَوَائِبه ؛ الواحد : صرف ،  
اسم للدهر ؛ لأنه يَصْرِفُ الأشياء عن وجوها . ونساء : كثير النسيان ، وفعله :  
نسى الشيء نسياناً ؛ ونسيّاً بالفتح والكسر . ونساوة ونسوة . قال الشاعر :  
فلستُ بصراًمٍ ولا ذى ملالةٍ ولا نسوة للعهد يا أمَّ جعفرٍ  
يقول : ما أكثر ما يستقبل الناسُ الصُّباح ! وما أكثر ما يستقبلون المساء !  
ولكنهم جميعاً يَنسُون ما يكون بينهما من الأحداث .

٢ (وَكَمْ مَضَى هَجْرِيٌّ أَوْ مُشَاكِهُ مِنْ الْمَقَاوِلِ سَرُّوا النَّاسَ أَمْ سَاءُوا)

هَجْرِيٌّ : نسبة إلى هجر ، بفتحين ، مدينة ، وهي قاعدة البحرين . وقيل :  
ناحية بها . والنسبة إليها : هَجْرِيٌّ على القياس ، وهاجريٌّ على غير القياس . والغالب  
عليها التذكير والصرف . وربما أنثوها ولم يصرفوها . وقد فُتحت في أيام النبي  
صلى الله عليه وسلم ، قيل : في سنة ثمان ؛ وقيل : في سنة عشر على يد العلاء بن الحضرمي .  
والمَقَاوِلِ : جمع مِقْوَل ، وهو كالتَّيْل ، الملك من ملوك حمير ، وقيل هو دون الملك  
الأعلى . ويجمع على مقاولة أيضاً . دخلت الماء فيه على حَدِّ دخولها  
في القشاعة .

(١) أى ذو العروض المحبوبة ، وضررها مقطوع .

يقول : ما أكثر من يمضى من الساسة والقادة ! وقد سرّوا الناس بسياساتهم وقيادتهم ، أو ساءوهم بما دبّروا وقدرّوا .

٣ ( تَتَوَى الْمُلُوكُ وَمِصْرُ فِي تَغْيِيرِهِمْ مِصْرُ عَلَى الْعَهْدِ وَالْأَحْسَاءُ أَحْسَاءُ )

التّوى ، مقصور : الهلاك . وقيل هو هلاك المال خاصة . وفعله من باب فرح .  
والأحساء : مدينة بالبحرين . أوّل من عمرّها وحصّنها وجعلها قسبة « هجر »  
أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد الجنّابى القرمطى .

يقول : إن الملوك والرؤساء ليتتابعون فيما يردّون من الهلك ، ولكن بلادهم تبقى على عهدّها لا تتغيّر ولا تبدّل . فمِصرُ هي مصر ، والأحساء هي الأحساء ، وما أكثر من هلك من ملوك مصر وأمرّاء الأحساء .

٤ ( خَسِيسَتْ يَا أَمْنَا الدُّنْيَا فَأُفَّ لَنَا بَنُو الْخَسِيسَةِ أَوْ بَاشُ أَحْسَاءُ )  
٥ ( وَقَدْ نَطَقْتَ بِأَصْنَافِ الْعِظَاتِ لَنَا وَأَنْتِ فِيمَا يَظُنُّ الْقَوْمُ خَرَسَاءُ )

خس يخس ، من بابى فرح وضرب : صار خسيسا ، وهو الرّذل الدّنى .  
وأف : كلمة تضجر . وفيها عشرة أوجه جمعها ابن مالك فى بيت واحد وهو قوله :  
فَأُفَّ نَلْتُ وَنَوْنٌ إِنْ أُرِدْتَ وَقُلْ أَفَى وَأَفَى وَأُفْ وَأُفْ تَصِبْ  
والأوباش : الأخلاط من الناس ، مثل الأوشاب .

يقول : أى أَمْنَا الدنيا ، إنك لخسيصة حقيرة . فأف لنا نحن أبناءك من أوباش أحساء ! ورثنا عنك الخسة وضعة القدر . إنك لتعطينا أصناف العظّات ، وتقدمين لنا ألوان النصّح ، بما تتكشّفين لنا عنه من السوء والشر ، والناس على ذلك يروّونك خرساء لا تنطقين .

٦ (وَمَنْ لَصَخْرٍ بَنٍ عَمْرٍو أَنْ جَسَّتْهُ صَخْرُهُ وَخَنَسَاءُهُ فِي السَّرْبِ خَنَسَاءُ)

صخر بن عمرو ، هو ابن الشريد السلمي ، أخو الخنساء الشاعرة ، طعن يوم ذى الأثل ، طعنه رجل من بني أسد فأدخل جوفه حلقاً من الدرع فاندمل عليه ، حتى شقَّ عنه بعد سنين ، فكان ذلك سبب موته . ولأخته الخنساء فيه مراث كثيرة . ويُريد بالخنساء الثانية بقرة أو ظبية ، وأصل الخنس في البقر والظباء ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه ، ثم انتقل إلى غيرها . والسرب : القطيع . يقول : من الصخر بن عمرو أن يكون جسمه صخراً لاهية فيه ! ومن لأخته الخنساء أن تكون ظبية ترعى مع الظباء ، لاحظ لها من عقل ! إذن لتجنبنا ما أصابهما من القتل والشكل والحزن .

٧ ( يَمُوجُ بِحَرْكٍ وَالْأَهْوَاءُ غَالِبَةٌ لِرَاكِبِيهِ فَهَلْ لِّلْسُفْنِ إِرْسَاءُ )

يقول : إنَّ بحرك لهايج شديد الهياج ، مضطرب عظيم الاضطراب ، تعصف به الشهوات الجامحة ، والأهواء العنيفة ، ونحن في سفن يكتنفها الهول من كل وجه ، فمتى يُتاح لها الإرساء ، ومتى تُتاح لأهلها العافية !

٨ ( إِذَا تَعَطَّفْتَ يَوْمًا كُنْتَ قَاسِيَةً وَإِنْ نَظَرْتَ بَعَيْنٍ فَهِيَ شَوْسَاءُ )

الشَّوْسَاءُ : التي تنظر بمؤخر العين تكبراً أو تعيظاً ، وقيل التي تنظر بإحدى عينيها وتميل وجهها في شق العين التي تنظر بها ؛ يكون ذلك خلقة ، ويكون من الكبر والتَّيِّه والغضب . والفعل منه شَوَسَ يَشْوَسُ ، من باب فرح .

يقول : إنك لتعطفين علينا وترفقين بنا ، وما أرى عطفك إلا قسوة ، وما أرى

رفقك إلا غفلاً . وإنك لتنظرين إلينا فنرى في نظرك إلينا راحة وليناً ، وإنه مع ذلك للنظر الشر لا يَصَوِّرُ إلا العلظة والجفاء .

٩ ( إِنْسُ عَلَى الْأَرْضِ تُدْمِي هَامَهَا إِحْنٌ مِنْهَا إِذَا دَمِيَتْ لِلْوَحْشِ أَنْسَاءُ )

الهام : جمع هامة ، وهى الرأس . ويقال : الهامة هى ما بين حرفى الرأس ؛ وقيل هى وسطه ومعظمه ، والإحن : الأحقاد ؛ الواحدة : إحنة . والحنة ، لغة فيها . والأنسا : جمع نسا ، بوزن العصا ، عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرُّ بالعرقوب حتى يبلغ الخاصر ؛ فإذا سمئت الدابة انفلقت فحذاها بلحمتين عظيمتين ، وجرى النسا بينهما واستبان ؛ وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الركبتان وخفى النسا . والأفصح أن يقال : النسا ، لاعرق النسا . قال أبو ذؤيب :

مُتَفَلَّقٌ أَنْسَاؤُهَا عَنْ قَانِيٍّ كَالْقُرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضَعُ

قال ابن منظور : والنسا لا يتفلق وإنما يتفلق موضعه .

يقول : إنما الناس على الأرض فى إحن مستمرة ويحن متصلة ، يذوق بعضهم بأس بعض ، يتساقون الموت كما يتعاطون الشر ، على حين لا يصيب الوحش على الأرض من الشر إلا أيسره وأهونه .

١٠ ( فَلَا تَغَرَّنَّكَ شُمٌّ مِنْ جِبَالِهِمْ وَعِزَّةٌ فِي زَمَانِ الْمُلْكِ قَعَسَاءُ )

عزة قعساء : ثابتة . ورجل أقعس : ثابت عزيز منيع . وتقاعس العز : ثبت وأمتنع ولم يطأطأ رأسه .

يقول : فلا تنخدع بما ترى من جبالهم الشماء ، وعزتهم القعساء ، ومجدهم التليد والطريف ، فإنما هذا كله باطل وغرور .

١١ ( نَامُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّذَّاتِ وَارْتَحَلُوا بِرَنِّهِمْ فَإِذَا النِّعْمَاءُ بِأَسَاءَ )

النِّعْمَاءُ والتَّعِيمُ والتَّعْمَى والنِّعْمَةُ ، كلها انخفض والدَّعَةُ . وهي ضد البأساء والبؤس .

يقول : إنما أُتيح لهم حظّ قليل من لذة ، ونصيب ضئيل من نعمة ؛ ثم ارتحلوا فإذا اللذة ألم ، وإذا النعماء بأساء .

## اللزومية السابعة

وقال في الهمزة المضمومة مع الباء :

١ ( إِنَّ الْأَعْلَاءَ إِنْ كَانُوا ذَوِي رَشَدٍ بِمَا يُعَانُونَ مِنْ دَاءٍ أَطْبَاءُ )  
الأعلاء : جمعُ العليل . والرشد ، بفتحتين : نقيض النى . كالرشد بالضم ،  
والرشد .

يقول : إنما العليل المعنى طبيب إذا عرف علته ، واستقصى حقيقة الداء  
الذى يعانيه . فاعرف علتك في هذه الحياة ، وأستقصى حقيقة ما يُصيبك فيها من  
أذى ، وما يُلم بك من مكروه .

٢ ( وَمَا شَفَاكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ تَطْلُبُهَا إِلَّا الْأَلْبَاءُ لَوْ تُلْفَى الْأَلْبَاءُ )  
الألباء : جمع لبيب ، وهو العاقل ذو اللب . قال سيبويه : لا يكسر على غير  
ذلك . والأثنى لبيبة . وألفى الشيء : وجده وصادفه ولفقه .  
يقول : إن أصل هذا كله حاجتك التى لا تنقضى ، وتتبعك لتحقيق ما تُثير  
الحياة في نفسك من رغبات . والرجل اللبيب هو الذى يشفى نفسه من الحاجة ،  
ويكفها عن تتبع المآرب .

٣ ( نَفِرٌ مِنْ شُرْبِ كَأْسٍ وَهِيَ تَتْبَعُنَا كَأَنَّمَا لِمَنِيَانَا أَحْبَاءُ )  
يقول : يا ويحنا ! إِنَّا نَفِرُ مِنَ الْمَوْتِ ، وليس لنا ملجأ من الموت ، ونحن مع  
ذلك نمضى في الفرار ، . وهو مع ذلك يُلحّ في اقتفاء آثارنا ؛ كَأَنَّمَا نَحْنُ  
الأحباء قد شطت بهم نوى بعيدة ، والموت عاشق مُلحّ ، يأبى إلا أن تتمصل  
أسبابه بأسبابنا .

## اللزومية الثامنة

وقال في الهمزة المضمومة مع الواو :

١ ( إِنْ مَازَتْ النَّاسَ أَخْلَاقُ يُعَاشُ بِهَا فَإِنَّهُمْ عِنْدَ سُوءِ الطَّبْعِ أَسْوَاءُ )

ماز الشيء يميزه ميّزا وميزةً : عزله وفرّزه وفصل بعضه عن بعض ، وكذلك ميّزه تمييزاً . وقد تميّز وأماز وأستأز ، كله بمعنى ؛ إلا أنهم إذا قالوا : مرّته فلم يَنَمِز . لم يتكلموا بهما جميعاً إلا على هاتين الصيغتين ، كما أنهم إذا قالوا : زلّته فلم ينزل . لم يتكلموا به إلا على هاتين الصيغتين . لا يقولون : ميّزته فتميّز ، ولا زلّته فلم يزلّ . وهذا قول اللحياني . وأساء : جمع سواء . وسواء الشيء : مثله . قال الشاعر :

تَرَى الْقَوْمَ أَسْوَاءَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا      وَفِي الْقَوْمِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ

يقول : إذا تمايز الناس في أخلاقهم وخصالهم ، وافترقوا في أقوالهم وأعمالهم ، فهم سواء في فساد الطّبع وسوء الغريزة .

٢ ( أَوْ كَانَ كُلُّ بَنِي حَوَاءَ يُشَبِّهُنِي فَبئْسَ مَا وَلَدْتُ فِي الْخَلْقِ حَوَاءَ )

بئس : كلمة ذم . ونعم : كلمة مدح . وهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ، لأنهما أزيلتا عن موضعهما . فنعم ، من قولك : نَعِمَ فلان ، إذا أصاب نعمة . وبئس ، منقول من : بئس فلان ، إذا أصاب بؤسا . فُنُقِلَا إلى المدح والذم ، فشابهها الحروف فلم يتصرفا .

يقول : وإذا كان كل الذين ولدتهم حواء يُشبهوننى فى الطبع والخلق  
والسيرة ، فبئس من ولدت حواء للناس !

٣ ( يُعْدِي مِنَ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقَامِهِمْ      وَقُرْبُهُمْ لِلْحِجَا وَالَّذِينَ أَدَوَاءُ )  
٤ ( كَالَيْتِ أَفْرِدَ لَا إِيْطَاءَ يُدْرِكُهُ      وَلَا سِنَادَ وَلَا فِي اللَّفْظِ إِقْوَاءُ )

الحِجَا ، مقصور : العقل والفتنة ، والجمع أحجاء . وأدواء : جمع داء .  
والإيْطَاء : أن تتفق فى الشعر قافيتان على كلمة واحدة معناهما واحد ، فإن اتفق  
اللفظ واختلف المعنى فليس بإيْطَاء . والسِّنَاد فى الشعر : هو أن تُخالف بين  
الحركات التى تلي الأرداف فى الروى ، كقول الشاعر :

شَرِبْنَا مِنْ دِمَاءِ بَنِي تَمِيمٍ      بِأَطْرَافِ الْقَنَا حَتَّى رَوَيْنَا

ثم قوله بعد :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ تَغْلِبَ بَيْتُ عِزٍّ      جِبَالُ مَعَاقِلٍ مَا يُرْتَقِينَا

فكسر ما قبل الياء فى « روينَا » . وفتح ما قبلها فى « يرتقينا » .  
والإقواء : اختلاف إعراب القوافى . وقال الأخفش : هو رفع بيت وجر آخر .  
يقول : إنما أوتر العزلة وأتجنب الناس ، لأبرأ من أدوائهم ، وأغتصم من  
شروهم ، وأطهر من آثامهم . إنما أريد أن أكون كبيت الشعر يقول الشاعر  
مفرداً لا سابق له ولا لاحق ، فهو بذلك آمنٌ عُيُوب القافية . إنما يأتينا السوء  
من الحياة الاجتماعية التى يجاور فيها بعضنا بعضاً ، فيشقى فيها بعضنا بجوار بعض .



٥ ( نُودِيْتُ أَلْوَيْتَ فَاَنْزِلْ لَا يُرَادُ أَتَى

سَيَّرِي لَوَى الرَّمْلِ بَلْ لِلنَّبْتِ إِلْوَاءِ )

٦ ( وَذَاكَ أَنَّ سَوَادَ الْفَوْدِ غَيْرَهُ

فِي غِرَّةٍ مِنْ بَيَاضِ الشَّيْبِ أَضْوَاءِ )

ألويت ، أى قد جفّ عودك ويبس وذبل . وأصل هذا المعنى فى النبت .  
وألوى أيضاً ، إذا صار إلى اللوى ، وهو مسترق الرمل . وهذا المعنى هو الذى دفع  
توهمه بقوله : « لا يراد أنى سىرى لوى الرمل » .

والفؤد : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن . وفودا الرأس : جانباه . وفى  
الحديث : « كان أكثر شيبه فى فودى رأسه » . والغرة ، بالكسر : الغرور .

يقول : لقد نادانى المُنَادى : ألويت فانزل . فَلَأْفْهَمَ عن المُنادى نداءه ،  
فهو لا يريد أنى قد بلغت اللوى ، وإنما يريد أن نبتى قد ألوى ، وأن زهرى  
قد ذوى ، وأنى قد أدركت الشيب ؛ فأن لى أن أرعوى وأثوب إلى الرشد .

٧ ( إِذَا نُجُومٌ قَتِيرٍ فِي الدُّجَى طَلَعَتْ فَلِلْجُفُونِ مِنَ الْإِشْفَاقِ أَنْوَاءُ )

القَتِير : الشَّيْب ؛ وقيل هو أول ما يظهر منه . وأصل القَتِير : رُءُوس مسامير  
حَلَقَ الدُّرُوع تلوح فيها ، شُبَّهَ بها الشيب إذا نقب فى سواد الشعر . وفى الحديث :  
« إن رجلاً سأله عن امرأة أراد نكاحها . قال : وبقدّر أى النساء هى ؟ قال :  
قد رأت القتير . قال : دَعَهَا » . والدُّجَى : سواد الليل مع غيم ، وألّا ترى نَجْمًا ،  
ولا قرأ . وقيل : هو إذا ألبس كل شيء وليس هو من الظلمة . وقالوا : ليلة  
دُجى ، وليال دجى ؛ لا يجمع لأنه مصدر وُصف به . وقد دجا الليل يدجو .

وذهب ابن جنيّ إلى أن الدجا : الظلمة ، واحدها دجية . قال : وليس من دجا يدجو ، لكنه في معناه .

والإشفاق : الخوف والجزع . والإشفاق أيضاً : الدخول في الشفق ، وهو من الأضداد ، يقع على الحُمْرة التي تُرى بعد مغيب الشمس ، وبه أخذ الشافعيّ . وعلى البياض الباقي في الأفق الغربي بعد الحمرة المذكورة ، وبه أخذ أبو حنيفة . وعلى هذا الوجه الثاني فالمعنى ظاهر .

والأنواء : جمع نوء ، وهو النجم إذا مال للمغيب . ويجمع أيضاً على نُوآن ، مثل عَبد وعُبدان ، وبطن وبُطنان . قال حسان ثابت :

وَيَثْرُبُ تَعْلَمُ أَنَّا بِهَا إِذَا قَحَطَ الْغَيْثُ نُوْأْنَهَا

وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إليها ، فيقولون : مُطِرْنَا بنوء كذا . والأنواء ثمانية وعشرون نجماً ، معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها ، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته . وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة .

يقول : إنما الشيب كهذه النجوم التي لا تكاد تظهر في الدجى حتى يتبعها المطر الواكف ، كذلك الشيب لا تكاد تظهر نجومه في سواد الشعر حتى تنهل العبرات حزناً وخوفاً وإشفاقاً .

## اللزومية التاسعة

وقال في الهزمة المضمومة مع الفاء ، والبسيط الأول<sup>(١)</sup> :

١ ( أَكْفَى سَوَامَكَ فِي الدُّنْيَا مُيَاسِرَةً

وَأَعْرِضَنْ عَنْ قَوَافِي الشَّعْرِ تُكْفِيهَا )

٢ ( إِنَّ الشَّبِيْبَةَ نَارٌ إِنْ أَرَدْتَ بِهَا

أَمْرًا فَبَاكِدِرُهُ إِنَّ الدَّهْرَ مُطْفِئُهَا )

السَّوَام والسَّائِمَة ، بمعنى ، وهي كل إبل خَلَّيت في الفلوات ترعى حيث تشاء . وإكفاؤها : هو أن يُعطى نتاجها سنةً ، لبنها ووبرها وأولادها . يقال : استكفأت فلاناً إبله ، أى سألتُهُ نتاجَ إبله سنةً ، فأكفأنيها . والإكفاء أيضاً : أن يجعل إبله كفاتين ، أى نصفين ، يَنْتُجُ كلَّ عام نصفاً ويدع نصفاً ، كما يصنع بالأرض بالزراعة . فإذا كان العامُ المقبل أرسل الفحل في النِّصْف الذي لم يُرسله فيه من العام الفارط ؛ لأنَّ أجود الأوقات عند العرب في نتاج الإبل أن تُترك الناقة بعد نتاجها سنة لا يحْمَل عليها الفحل ، ثم تُضْرَب إذا أرادت الفحل .

والمعنى على الوجهين مستقيم . والمُيَاسِرَة : المُلاينة والمساهلة . قال الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا شُومِسُوا جَدَّ الشَّمْسُ بِهِمْ ذَاتَ الْعِنَادِ وَإِنْ يَاسَرْتَهُمْ يَسَرُّوا

والإكفاء في الشَّعْر : المخالفة بين ضُرُوبِ إعراب قوافيه . وقيل هي المخالفة

بين هجاء قوافيه إذا تقاربت مخارج الحروف أو تباعدت . وقال بعضهم : هو

المُعاقبة بين الراء واللام والنون والميم .

يقول : أَسْرِعْ إِلَى مَا يَخْلُقُ بِكَ مِنْ نَفْعِ النَّاسِ ، مُعْرِضًا عَمَّا لَا خَيْرَ فِيهِ .

( ١ ) أى ذو العروض المخبونة ، وضربها مثلها .

وبادر بذلك أحسن الأوقات ، وأشدّها ملاءمةً له ، وهو وقت الشباب ؛ فإن الشباب أوفقُ وقتٍ لأستيفاء الحاجات وأقتضاء اللذات ، وهو لا يدوم بل الدهر ماحيه ومُخَيِّبٌ جَذْوَتِه . وما الشباب إلا كالنار يحدُر بمن يُريد الانتفاع بها أن ينتهز فرصة ذكائها وتلّظّيها .

٣ (أَصَابَ جَمْرِي قُرٌّ فَأَتَبَهْتُ لَهُ وَالنَّارُ تُدْفِي صَنِيفِي حِينَ أَذِفُهَا)

جَمْرِي ، أى جذوة شَبَابِي . والجمر فى الأصل : النار المتقدمة ، واحدته جمره . فإذا بَرَدَ فهو غَم . والقرُّ ، بالضم : البرد عامّة . وأدقّها ، أى أذكيها وأهيجها . يقول : لقد أصاب قوة شَبَابِي وهنُ الشَّيْبِ ، فلم أستطع أن أردّ ذلك الضعفَ قوةً ، ولا أن أحوّل هذا الخُمود أَسْتَعَارًا . ولئن كان الشباب كالنار ، إنَّ من اليسير عليك إذكاء النار الخاملة بعد خُمودها ؛ وليس من الممكن ولا من المتاح أن تستردّ شباباً مضى ، أو تستأنف قوةً فاتت .

٤ (أَلْقَى عَلَيَّهَا جَلِيسِي فِي الدُّجَى حُمًّا فَقَامَ عَنْهَا بِأَثْوَابٍ يُرَفِّفُهَا)

الحُمَم : الرماد والفحم البارد وكل ما احترق من النار ، الواحدة حُمّة . ورؤى عن النّبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ رجلاً أَوْصَى بَنِيهِ عند موته فقال : إذا أنا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي بالنار ، حتى إذا صرْتُ حُمًّا فَاسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّوْنِي فِي الرِّيحِ لَعَلِّي أَضِلُّ » . ورفأ الثوب يرفؤه ، مهموز : لَأَمْ خَرَقَهُ وَضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ وَأَصْلَحَ مَا وَهَى مِنْهُ ، وربما لم يُهمز . ولعله قصد بالتضعيف إلى المُبالغة .

يقول : لست آمنَ عليك ، حين تخبو نار شبابك فتريد إذكاءها ، أن يعودَ عليك ما تحاول من نفعها ضرراً ، وما تطلب من خيرها شراً . فكل قوة يبذلها الأَشيب أَسْتِثْنَاءً لِحياة الشباب لا تزيده إلا ضعفاً ولا تُفيدُه إلا وهناً .

## اللزومية العاشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع الياء ، والبسيط السادس<sup>(١)</sup> :

١ ( قد حُجِبَ النُّورُ والضِّيَاءُ وَإِنَّمَا دِينُنَا رِيَاءٌ )

٢ ( وَهَلْ يَجُودُ الْحَيَا أَنَا مُنْطَوِيًا عَنْهُمْ الْحَيَاءُ )

الحيا، مقصور ، وقد جاء ممدوداً : المطر والحِصْب ؛ وإذا ثَنَيْتَهُ قُلْتَ :  
حَيَّان ، فثَبِينَ الياء ، لأن الحركة غير لازمة . وجادهم الحيا ، أى مَطَرهم .

يقول : أجل ، قد حُخِمَ على القلوب وأظلمت البصائر ، حين حُجِبَ عنها  
نور الحق . فظَنَّ الناسُ أنهم على دينٍ صادق ، وإنما هم أهلُ نفاق ورياء ، ليس  
إلى إصلاحهم من سبيل . فقد فقدوا أهم شرط للإصلاح وهو الحياء . وكيف  
يمكن أن يميل إلى الخير من لا يستحي من الشر !

٣ ( يَا عَالَمَ السَّوْءِ مَا عَلِمْنَا أَنَّ مُصْلِيكَ أَتَقِيَاءُ )

السوء ، بالضم : الفجور والمنكر ؛ وبالفتح : المصدر من ساء يسوء ،  
إذا فعل به ما يكره ، نقيض سَرَّه . وإذا أَضَفْتَ أَضَفْتَ إلى الثانى فتقول : هذا  
رجل سَوء ، بالفتح ؛ ولا تقول : رجل سوء ، بالضم ؛ لأنه إِنَّمَا يُضَافُ إلى المصدر  
الذى هو فعله ، كما يقال : رجل الضَّرْب والطَّعْن ، فيقوم مقام قولك : رجل  
ضَرَّاب وطَعَّان . وتقول فى النكرة : رجل سَوء . وإذا عَرَفْتَ قلت : هذا  
الرجل السَّوء ، ولم تضيف . وتقول : هذا عمل سَوء ، ولا تقل : السَّوء ؛ لأن  
« السَّوء » يكون نعتاً للرجل ولا يكون « السوء » نعتاً للعمل : لأنَّ الفعل  
من الرجل وليس الفعل من السوء ، كما تقول : قول صدق ، والقول الصدق ،

( ١ ) أى ذو العروض المجزوءة المقطوعة ، وضربها مثلاً .

ورجل صدق ؛ ولا تقول : رجل الصدق ، لأن الرجل ليس من الصدق .  
يقول : أبهذا العالم السيئ والمنزل الموبوء ، لقد رأينا فيك المصلدين ، ولكننا  
لم نر فيك الأتقياء .

٤ ( لا يَكْذِبَنَّ أَمْرُؤٌ جَهِولٌ مَّا فِيكَ لِلَّهِ أَوْلِيَاءُ )  
يقول : ألا لا يكذب الجاهلون ، فقد خلع الناس ولاية الله من أعناقهم ،  
فليس فيهم له ولي ولا صادق أمين .

٥ ( وَيَا بِلَادَا مَشَى عَلَيْهَا أُولُو افْتِقَارٍ وَأَغْنِيَاءُ )  
٦ ( إِذَا قَضَى اللَّهُ بِالْمَخَازِي فُكِّلُ أَهْلِيكَ أَشْقِيَاءُ )  
٧ ( كَمْ وَعَظَ الْوَاعِظُونَ مِنَّا وَقَامَ فِي الْأَرْضِ أَنْبِيَاءُ )  
٨ ( فَانْصَرَفُوا وَالْبَلَاءُ بَاقٍ وَلَمْ يَزَلْ دَاوُكِ الْعِيَاءُ )  
٩ ( حُكْمٌ جَرَى لِلْمَلِكِ فِينَا وَنَحْنُ فِي الْأَصْلِ أَغْنِيَاءُ )

الافتقار: الفقر . والفعل : افتقر يفتقر . وعليهما أقتصرون الثلاثي . فلا  
يقال : فقّر ، ولكن أفتقر . والداء العيَاء : الصَّعب الذي لا دواء له ، كأنه أعياء  
على الأطباء . وفي حديث على كرم الله وجهه : فَعَلُهُمُ الداء العيَاء .

يقول : أيتها البلاد التي أشتملت السعادة والشقاء ، وأحتوت الفقر والثراء .  
لقد حَقَّتْ عليك الكلمة ، ومضى فيك القضاء المحتوم بالخِزْي والتَّعَس . فأهلك  
أشقياء ليس لهم من شَقَائِهِمْ مَنْفَعٌ ولا لهم عنه صارف ، لا ينفعهم وعظ ولا يحكمهم  
إرشاد . لقد طالما عَنَيْنَا أَنْفُسَنَا بِالنُّصْحِ والهداية ، فوعظ الواعظون وقام الأنبياء .  
ولمَّا يُجِدْ ذَلِكَ نَفْعاً ، ولما يَأْتِ ذَلِكَ بِخَيْرٍ . البلاء باقٍ لازوال له ، والداء عِيَاء  
لا شفاء له ، وحكم الله فينا نافذٌ لا صارف عنه ، ولكننا بفطرتنا أغنياء لا نفهم ،  
وَحَقَّقِي لا نَعْقِل .

## اللزومية الحادية عشرة

وقال أيضاً في الهزمة المضمومة مع الياء ، والوافر الأول <sup>(١)</sup> :

١ ( تَعَالَى رَازِقُ الْأَحْيَاءِ طُرًّا لَقَدْ وَهَتِ الْمُرُوءَةُ وَالْحَيَاءُ )

٢ ( وَإِنَّ الْمَوْتَ رَاحَةً هَبْرَزِيٍّ أَضَرَ بَلْبُهُ دَاءً عِيَاءُ )

تعالى ، أى جلّ ونبا عن كل ثناء ، فهو أعظم وأجلّ وأعلى مما يثنى عليه .  
وطرّاً ، أى جميعاً ، وهو منصوب على المصدر أو الحال . وقال سيديويه : لا تُستعمل  
إلا حالاً . واستعملها خَصِيب النَّصْرَانِي المتطبّب في غير الحال ، وقيل له : كيف  
أنت ؟ فقال : أحمّد الله إلى طُرٍّ خَلَقَهُ . وفي نوادر الأعراب : رأيت بنى فلان  
بُطْرًا ، إذا رأيتهم بأجمعهم . ووهت : ضعفت وفترت .

والهَبْرَزِيّ : الإسوار من أساورة فارس ، وكلّ جَمِيلٍ وَسِيمٍ عند العرب  
هَبْرَزِيّ ، مثل هَبْرَقٍ ، وكذلك كلّ مُقْدَامٍ . والداء العِيَاءُ : الذى أعيا الأطباء  
ولم ينجع فيه الدواء .

يقول : تعالى الله الذى شَمِلَ النَّاسَ بِنِعْمَتِهِ ، وَعَمَّهُمْ بِرِزْقِهِ ، لم يُفَرِّقْ بَيْنَ  
فَاضِلٍ وَعَاطِلٍ ، وَلَا بَيْنَ نَاقِصٍ وَكَامِلٍ . لقد وهت المرُوءَةُ وأَخْلَقَ أُدِيمَهَا ، ومضى  
الحَيَاءُ وَعَفَّتْ آثَارُهُ ؛ حَتَّى بُغِضَتِ الْحَيَاةُ إِلَى الْبَصِيرِ ذِي اللَّبِّ ، وَكُرِّهَ الْعَيْشُ  
إِلَى الْخَصِيفِ ذِي الْعَقْلِ ، وَأَصْبَحَ الْمَوْتُ لَهُ رَاحَةً وَالْعَدَمُ لَهُ نَعِيمًا .

٣ ( وَمَالِي لَا أَكُونُ وَصِيًّا نَفْسِي وَلَا تَعْصِي أُمُورِي الْأَوْصِيَاءُ )

الوصيّ : الذى يُوصَى ، والذى يوصى له ، من الأضداد ، والأثنى وصى .  
وجمعهما جميعاً أَوْصِيَاءُ . ومن العرب من لا يثنى الوصى ولا يجمعه .

(١) أى ذو العروض المقطوفة ، وضربها مثلها .

يقول : أجل ، لقد أصبح الموت خيراً من حياة ملؤها الشر ، وأحبّ إلى النفس من عيش مُفَعَّم بالذل والاستبداد ، فقام على الناس ، ومنهم الألباء الأذكياء ، ظلمة معتدون ، يحملونهم على ما يكرهون ، ويسوسونهم بما لا يحبون . وهم بعد ذلك أولى أن يحملوا نفوسهم على الخير ، وأجدر أن يأخذوها بالمعروف .

- ٤ ( وَقَدْ فَتَّشْتُ عَنْ أَصْحَابِ دِينٍ لَهُمْ نُسْكٌ وَلَيْسَ لَهُمْ رِيَاءٌ )  
 ٥ ( فَأَلْفَيْتُ الْبَهَائِمَ لَا عُقُولَ تُقِيمُ لَهَا الدَّلِيلَ وَلَا ضِيَاءَ )  
 ٦ ( وَإِخْوَانَ الْفَطَانَةِ فِي اخْتِيَالٍ كَانَتْهُمْ لِقَوْمٍ أَنْبِيَاءُ )  
 ٧ ( فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَأَهْلُ مَكْرٍ وَأَمَّا الْآوَلُونَ فَأَغْيَاءُ )

النسك ، بالضم وبضمّتين : العبادة والطاعة وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى .  
 وقيل لثعلب : هل يُسمّى الصوم نسكاً ؟ فقال : كل حق لله عز وجل يُسمّى نسكاً .  
 والفرق بين النسك والورع ، أن النسك فيما أمرت به الشريعة ، والورع عما نهت عنه .  
 وألقى الشيء : وجده وصادفه ولقيه . والبهائم : جمع بهيمة . وهي كل ذات أربع قوائم من دواب البرّ والماء . وقال الزجاج في قوله عز وجل ( وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْبَهِيمَةُ الْأَنْعَامُ ) إنما قيل لها بهيمة الأنعام ، لأنّ كلّ حي لا يُميّز فهو بهيمة ، لأنه أبهم عن أن يميز . ولا ضياء ، أى ولا شعاع من عقل ، فقد سلبها العقل طراً .  
 والفتانة : ضدّ الغباوة . يقال : فطن لهذا الأمر ، بالفتح ، يفتن ، بالضم ، فطنة . وفتن ، بالضم فطنا وفطنا وفطونا وفطونة وفتانة وفتانية ، فهو فاطن وفتون وفتن وفتين وفتن وفتن وفتن وفتونة . وفتن ، بالكسر ، فطنة وفتانة وفتانية . والجمع فطن ؛ والأنتى فطنة .

يقول : لقد فتّشت في هذه الدنيا عن أهل الدّين الصادق والأعتقاد الصحيح . الذين لا يشوب صفاء دينهم كدرُ الرياء ولا صدأُ النّفاق ، ولا دّنس الخديعة ؛ فإذا الناس في الدّين رجлан ، أما أولهما فأبله لا يعقل أو محمّق لا يفقه .



هو البهيمية لا يهديها إلى الحق عقل ، ولا يرشدها إلى الخير ضياء . وأما الثاني فذكرى فطن ، ولكنه مُختال مَرَح . فأنت من أهل الدين بين ما كر خادع ، وجاهل غي .

- ٨ ( فَإِنْ كَانَ التَّقَى بَلَهًا وَعِيًّا فَأَعْيَارُ الْمَذَلَّةِ أَتَقِيَاءُ )  
 ٩ ( وَأَرْشَدُ مِنْكَ أَجْرَبُ تَحْتَ عِبٍّ تَهْبُ عَلَيْهِ رِيحُ جَرِيَاءِ )

الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار أيّا كان ، أهلياً أو وحشياً . وقد غلب على الوحشى . والأثنى عيرة . ومن أمثالهم : فلان أذل من العير . وقال شمر : لو كنت عيراً كنت عير مذلة أو كنت عظماً كنت كسر قبيح . وكسر القبيح : طرف عظم المرفق الذى لا لحم عليه .

والجر بياء : الرّيح التى تهب بين الجنوب والصبأ . وقيل : هى النكباء التى تجرى بين الشمال والدّبور ، وهى ريح تقشع السحاب . وجعل الأجرَب تحت عبء ، ليكون مشغول اليدين به لا يستطيع بهما حِكَّة . وهو على هذه الحال أشغل بالاً لا يرجى لديه رأى .

يقول : ولعمري لو أن الدين والتقى كان عيًّا وبَلَهًا أو غفلة ومُحَقًا ، لقد كانت الأعيار التى ضربت عليها الذلّة ، والحُمُر التى أخذت بالنزق والمسكنة ، أحقّ بالدين وأدنى إليه ، ولكان ذلك الأجرَب الذى أكّله العبء الثقيل ، وهبت عليه الرّيح الباردة ، فزادته تأذياً بدائه وتألماً لعنته ، أهدى إلى الدين سبيلاً وأكثر فيه رشداً .

- ١٠ (وَجَدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَقِيرٌ وَيُعْدَمُ فِي الْأَنَامِ الْأَغْنِيَاءُ)  
 ١١ (نَحِبُ الْعَيْشَ بَعْضًا لِلْمَنِيَا وَنَحْنُ بِمَا هَوَيْنَا الْأَشْقِيَاءُ)

يُعْدَم ، على ما لم يُسَمَّ فاعله : يُفْقَد . عَدِمَ الشَّيْءُ يَعْدِمُهُ عُدْمًا وَعَدَمًا :  
 فقده . وقد غلب على فقد المال وقلته . إِذَا ضَمَمْتَ أَوَّلَهُ خَفَّفْتَ ، فقلت : العُدْمُ .  
 وَإِذَا فَتَحْتَ أَوَّلَهُ ثَقَلْتُ ، فقلت : العَدَمُ . وكذلك الجُحْد والجَحْد ، والصُّلْب  
 والصَّلْب ، والرُّشْد والرَّشْد ، والحُزْن والحَزْن .

وهوى . بالكسر : أحب . ورجل هَوٍ : ذو هوى . وامرأة هَوِيَّة . ومتى  
 تُكَلِّمُ بِالْهَوَى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى يُنْعَت بما يُخْرِجُ معناه ، كقولهم :  
 هوى حسن ، وهوى موافق للصواب .

يقول : أجل ، لقد عظم الشر في هذه الحياة ، واشتد حرص الناس عليها .  
 فليس فيهم إلا محب لها ومشغوف بها . حتى جعلهم الحرص ككَلِّهم فقراء ،  
 لا يعرفون الغنى ، ولا يذوقون النعمة ؛ وحتى كان ما فيها من شقاء يُغريهم بها ،  
 وما في الموت من راحة تصرفهم عنه .

- ١٢ (يَمُوتُ الْمَرْءُ لَيْسَ لَهُ صَفِيٌّ وَقَبْلَ الْيَوْمِ عَزَّ الْأَصْفِيَاءُ)  
 ١٣ (أَتَدْرِي الشَّمْسُ أَنَّ لَهَا بَهَاءً فَتَأْسَفُ أَنْ يُفَارِقَهَا الْإِيَاءُ)

الصفى : الخالص من كل شيء . وصفى الإنسان : أخوه الذى يُصَافِيهِ الإخاء .  
 وفى الحديث : « إن الله لا يرضى لعبده المؤمن ، إذا ذهب بصفته من أهل الأرض  
 فَصَبْرٌ وَأَحْتَسِبُ ، بثوابٍ دون الجنة » .

والبهاء : المنظر الحسن الرائع المالىء للعين . وأياء الشمس وإيائها : نورها  
 وضوءها وحسنها . وكذلك إياتها وأياتها . وقال الأزهري : يقال : الأياء ، مفتوح  
 ( ٧ )

الأول بالمد ؛ والإيّا ، مكسور الأول بالقصر ، وإيّا : كله شعاع الشمس وضوءها . قال : ولم أسمع لها فعلا .

يقول : لقد عظم في نفوسهم أثر الحرص على الحياة ، حتى ما تجد لأحد من أصحابه صفيّاً ولا صديقاً . وكذلك باعدت الحياة بين الناس قديماً ، إنهم أعداء منذ كانوا ، وقد خلقوا ليكونوا أصدقاء . إيه أيها المحمقون ! لقد أخطأتم العبرة وأضلتكم الموعظة ، ففعلتم عما كان يخلق بكم أن تحفلوا به وتتنبّهوا إليه . علام تأسفون إن دهمكم الموت وفارقتكم الحياة ! أفتعقدون أن الشمس ، وهي أذكى منكم ناراً وأجمل بهاء ، تُحسّ مالها من نباهة الشأن وحسن الطلعة فتأسف إن فارقها جمالها ، وتأسى إن باعدها ضياؤها ! أما إن في العالم لغيراً نافعة ، ومواعظ صالحة ، ولكن الناس أكثرهم لا يعقلون .

## اللزومية الثانية عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع الظاء :

١ (أَرَاهُمْ يَضْحَكُونَ إِلَى غِشًّا وَتَغَشَانِي الْمَشَاقِصُ وَالْحِطَاءُ)

تَغَشَاهُ : تزدحم عليه وتكثر . وَالْمَشَاقِصُ : جمع مَشَقَص ، بالكسر ، وهو السهم العريض النصل . وقيل : المشقص : نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض . فإذا كان عريضاً فهو المِعْبَلَة . وَالْحِطَاءُ : جمع حَطْوَة ، وهي سهم صغير قَدَر ذراع . وقيل : الحظوة من المرامي : الذي لا قَدَّذ له .

يقول : جِدُّوا أيها الناس فيما أتم بسبيله من تقَرُّبٍ إِلَىَّ وتَلَطُّفٍ بِي ، ومن رَفَقَ تَظْهِرُونَهُ وَغِشَّ تَضْمُرُونَهُ ، ومن لَفَظَ حُلُوْهُ تَهْدُونَهُ إِلَىَّ ، وَلَوْمْ مُرِّ تَرْمُونَنِي بِهِ ؛ فَلَقَدْ كَثُرَ مَا أَظْهَرْتُمُ الْحَبَّ لِي ، وَأَصَابَنِي مِنْ بُغْضِكُمْ طَوَالَ السَّهَامِ وَقِصَارَهَا ، وَعِظَامُ الْأُمُورِ وَصَغَارَهَا .

٢ (فَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ قَرَبُوا أَلِيفًا كَمَا لَمْ تَأْتَلِفْ ذَالٌ وَظَاءٌ)

الذال : حرف مجهور . والظاء : حرف مُطْبِق مُسْتَعِل . وقد حال التنافر دون اجتماعهما في كلمة .

يقول : جِدُّوا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ تَقَرُّبُكُمْ إِلَىَّ لِيُؤَلَّفَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، إِلَّا إِنْ صَحَّ اتِّتِلَافُ الذَّالِ وَالظَّاءِ .

## اللزومية الثالثة عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع القاف :

١ (أَسَيْتُ عَلَى الذَّوَائِبِ أَنْ عَلَاهَا نَهَارِي الْقَمِيصِ لَهُ أَرْتَقَاءُ)

٢ (لَعَلَّ سَوَادَهَا دَنَسٌ عَلَيْهَا وَإِنْقَاءُ الْمُسِنَّ لَهُ نَقَاءُ)

أَسَى يَأْسَى ، من باب فرح ، أَسَى ، بالقصر : حَزَنَ ، فهو آسٍ وَأَسِيَانٌ وَأُسْوَانٌ .

والذوائب : جمع ذُوَابَةٍ . وهى منبت الناصية من الرأس .

والدَّنَسُ : لُطَخُ الوَسْخِ فِي الثِّيَابِ وَنَحْوِهَا ، وَحَتَّى فِي الْأَخْلَاقِ ؛ وَالْجَمْعُ :

أَدْنَسَ . وَنَقِيَ الشَّيْءُ ، بِالْكَسْرِ يَنْقَى ، بِالْفَتْحِ ، نَقَاوَةً وَنَقَاءً ، فَهُوَ نَقِيٌّ ، أَيْ نَظِيفٌ ، وَانْقَاءٌ هُوَ إِنْقَاءٌ .

يقول : ويلى على تلك الذوائب السُّود قد أغار عليها ذلك الشَّيبُ نَهَارِيَّ

الثَّوْبُ ، يَمْحُو ظُلُمَتَهَا بِضِيَائِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهَا . أَفِينَعِي أَنْ آسَى عَلَى

الشَّبَابِ ، أَمْ يَنْبَغِي أَنْ أَفْرَحَ بِالشَّيْبِ ! أَفَلَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَتَلْقَى الشَّيْبَ فَرَحًا مَسْرُورًا

مَعْلَلًا نَفْسِي بِمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَقًّا مِنَ الْأَمَانِيِّ ! فَلَعَلَّ هَذَا السَّوَادَ الزَّائِلَ قَدْ

كَانَ دَنَسًا أَصَابَ تِلْكَ الذَّوَائِبَ ، ثُمَّ عَنَى الشَّيْبُ بِإِزَالَتِهِ وَحَرَصَ عَلَى تَحْوِهِ

وإِحَالَتِهِ إِلَى نَقَاءٍ .

٣ (وَدُنْيَانَا الَّتِي عُشِقَتْ وَأَشَقَّتْ كَذَلِكَ الْعَشِيقُ مَعْرُوفًا شَقَاءُ)

يقول : إِلَيْهِ آيَتُهَا الدُّنْيَا ، لَقَدْ عَشَقْنَاكَ رَاغِبِينَ ، ثُمَّ أَشَقَيْنَاكَ كَارِهِينَ ؛ وَكَذَلِكَ

الْعَشِيقُ شَقَاءٌ ، وَالْحُبُّ تَعَسٌ ، وَالْهُوَى هَوَانٌ .

٤ (سَأَلْنَاهَا الْبَقَاءَ عَلَى أَذَاهَا فَقَالَتْ عَنْكُمْ حُظْرَ الْبَقَاءِ)

الحظر: الحَجْر، وهو خلاف الإباحة. حَظَرَ الشيء يحْظُرُهُ عليه حَظْرًا: منعه. وكل ما حال بينك وبين شيء، فقد حَظَرَهُ عليك.

يقول: إليه أيتها الدنيا! لقد سألتك البقاء، وطلبنا إليك الخلود، على ما فيك من أذى، وعلى ما تشتملين من ألم. فأبيت ذلك علينا، وصرفته عنا، إذ كان الفناء لنا مقدورًا، والبقاء علينا محظورًا.

٥ (بِعَاذَ وَاقِعُ فَمَتَى التَّدَانِي وَبَيْنَ شَاسِعٍ فَمَتَى اللَّقَاءُ)

البَيْن: الفُرقة، ويكون الوصل، فهو من الأضداد. وشاهد البين والوصل قول قيس بن ذريح:

لَعَمْرُكَ لَوْلَا الْبَيْنُ لَا يُقَطَّعُ الْهَوَى وَلَوْلَا الْهَوَى مَا حَنَّ لِلْبَيْنِ آلَفُ

يقول: إليه أيها الراغب في الدنيا الحريص عليها، الذي كذب فيها ظنون الحكماء، وأتهم في حُبِّها رأى الفلاسفة! لقد خدعتك نفسك، وأضللتك آمالك، فإنما أنت وأصحابك إلى بعاد لا دُنُو بعده، وفراق لا لقاء معه، إنما أنت وأصحابك عُرضة لموت واقع غير مدفوع، ورحم نازل غير مردود.

٦ (وَدِرْعُكَ إِنْ وَقَّتْكَ سِهَامَ قَوْمٍ فَمَا هِيَ مِنْ رَدَى يَوْمٍ وَقَاءُ)

الدِّرْع: كبوس الحديد. تُذَكَّرُ وتَوَثَّث. والجمع في القليل أدْرُع وأدراع. وفي الكثير دُرُوع. وتصغير دِرْع دُرَيْع، بغير هاء على غير قياس؛ لأن قياسها بالهاء. وهو أحد ما شَدَّ من هذا الضرب.

ووقتك: صانتك وسترتك. وفي الحديث: «فوقى أحدكم وجهه النار».

والوفاء ، بالكسر والفتح : كل ما وقيت به شيئاً . ومثله الوفاية ، بالكسر والفتح والضم ، والواقية . وقال اللحياني : كل ذلك مصدر وقيته الشيء . والردي : الهلاك .

يقول : دونك ما شئت من دُرُوع ضافية وحُصُون واقية ، ومعاقل وبرُوج ، ومن أسلحة وقوة ؛ فإن ذلك إن أُستطاع أن يدفع عنك شيئاً من أذاة عدوّ ، فلن يستطيع أن يرُدَّ عنك ما تحمله إليك الأيامُ من ردّى لا بدّ منه ولا مندوحة عنه .

٧ ( وَلَسْتُ كَمَنْ يَقُولُ بغيرِ علمٍ سَوَاءٌ مِنْكَ فَتْكٌ وَاتِّقَاءٌ )  
الفتك : ركوب ما همّ من الأمور ودعت إليه النفس . والاتقاء : التحرّز والخشية والإحجام .

يقول : لا أحذرك بغير علم ، ولا أنهاك عن غير بصيرة ؛ وإنما أضدّر في نصيحتي لك عن تجربة صادقة وبحث صحيح : الموت واقع لا شكّ فيه ، قد رهنته الطبيعة لوقت معين ، وجعلت له كتاباً ثابتاً وأجلاً محتوماً .

٨ ( فَقَدْ وَجَبَتْ عَلَيْكَ صَلَاةٌ ظُهُرٌ إِذَا وَافَاكَ بِالْمَاءِ السَّقَاءُ )  
٩ ( لَقَدْ أَفْنَتْ عَزَائِمَكَ الدِّيَاجِي وَأَفْرَادُ الْكَوَاكِبِ أَرْفِقَاءُ )  
١٠ ( فَيَاسِرْنِي لِتُدْرِكَنَا الْمَنَايَا وَنَحْنُ عَلَى السَّجِيَّةِ أَصْدِقَاءُ )  
١١ ( أَرَى جُرْعَ الْحَيَاةِ أَمْرَ شَيْءٍ فَشَاهِدُ صِدْقِ ذَلِكَ إِذْ تُقَاءُ )

وجبت عليك : لزمته . والواجبُ والفرَضُ عند الشافعيّ سواء ، وهو كل ما يُعاقب على تركه . وفرّق بينهما أبو حنيفة ، فالفرَضُ عنده أكّدُ من الواجب ووافاك : جاءك في الميعاد .

والسَّقاء : جِلْد السَّخْلَة إذا أَجْذَع ، ولا يكون إِلَّا للماء : والجمع أسقية ،  
وأسقيات ؛ وأساقٍ ، جمع الجمع . وقال أَبْنُ السَّكَيْت : السَّقاء يكون  
للبن والماء .

ولعله خَصَّ الظُّهر ، إذ المرء فيه إلى الدَّعة أَثْمِيل ، وإلى إِطفاء غُلَّتِه بالماء  
أَشْوَق . فيكون القُعود عن الصلاة أَغْلَب ، أو لعله أَلْتَفَت إلى ما في معنى الظهر من  
الزوال ، فجعلها صلاة مودَّع أَجْجَل بالماء في ميعاده .

والدِّيَّاجِي : حَنَادِس الليل ؛ كأنَّه جمع دَيَّجَة . وأَرْقَاء : جمع رفيق ، وهو  
المُرافق .

ويأسرَه : لا يَنه وساهلَه . والسَّجِّيَّة : الطَّبيعةُ وأُلْخِق . وفي الحديث : « كان  
خُلِقَ سَجِّيَّة » أى طَبِيعَة من غير تكلف . والجُرْع : جمع جُرْعَة ، وهى مِلٌّ  
الْفَم يُبْتَلَع . وقاء فلان ما أكل ، إذا أَلْقاه .

يقول : قد زالت الشمسُ والماء بين يديك . وأنت تَنْتَحِل الإسلامَ ، فدُونك  
الظُّهر فأدِّ فريضته وأقم صلاته ؛ وقد أُنْحِلَ جِسْمُكَ ومضى أَجْلُكَ ، وأدبرت  
عَنكَ الحَيَاةُ ، وأنت إنسان ليس من طبيعتك أُلْخُود . فدُونك الموتَ فَرِّدْ حَوْضَه  
وأحتسِ كَأْسَه . أقدمْ أو أحجم فإنك مَيِّت من غير رَيْب . لِمَ تَكْرِه الموت ؟  
ولِمَ تَعَاْفُ كَأْسَه ؟ وأنت لم تَذُقْها ، ولم تَبْلُ منها حلاوة ولا مرارة ؟ هل  
وجدتَ الحَيَاةَ عَذْبَة المذاق لذِيذَة الجَنَى ؟ كَلَّا ، ما أراها إِلَّا كَأْسًا تَحْتَسِيها  
غافلين عن مرارتها وما فيها من غَضاضة ؛ فإذا أَقْبَل الموت ، وقَفْنَا ما استقر في  
أمعائنا من هذه الكأس ، عَرَفْنَا مرارة العَلَقَم والصَّاب ، وتَبَيَّنَا أَنَّنَا لم نكن  
إِلَّا مَخْدُوعِينَ .



ألا إنك مخدوع فأفوق من غفلتك ، ودع ما تُجسّمك الحياةُ من المكروه ،  
وما تُصيبك به من الأذى ، وما تَحْمِلُك عليه من إثارة البغضة على المحبة ، فكل  
ذلك باطل لا خير منه . دونك الحبّ والمودة والإخلاص والإخاء ، فاعتنم  
نصيبك منها قبل أن يُدركك الموتُ فتَمْضَى وقد خَسِرْتَ الحقَّ والباطل معاً .

## اللزومية الرابعة عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع الراء ، والكامل الأول<sup>(١)</sup> :

١ (مَالِي غَدَوْتُ كَقَافِ رُؤْبَةٍ قَيِّدْتُ فِي الدَّهْرِ لَمْ يُقَدَّرْ لَهَا إِجْرَاؤُهَا)

القاف ، حرف هجاء مجبور ، يكون أصلاً ، لا بدلاً ولا زائداً . ورؤبة : هو ابن العجاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر ، سُمِّيَ برؤبة الخشب ، وهي القطعة يُرَأَّبُ بها الإناء ، أى يُشْعَبُ ويُصْلَحُ وتُسَدُّ بها ثلمة الجفنة ، هذا على رأى من يهمز ؛ وعند من لا يهمز ، فقد جُعِلَ من « الرؤبة » بمعنى القطعة من الليل أو اللحم ، أو بمعنى الكرملة من الأرض الكثيرة النبات . وقاف رؤبة ، يريد أرجوزته المقيدة التي على حرف القاف وأولها :

وقَاتِمِ الأعماق خاوى المخترق

والمُقَيَّد من الشعر : الساكن ، وهو خلاف المطلق . وهو على وجهين : إما مقيد قد تَمَّ ، وشاهده بيت رؤبة السالف . فإن زدت فيه حركة كان فضلاً على البيت . وإما مقيد قد مُدَّ على ما هو أقصر منه ، نحو « فَعُولٌ » في آخر المتقارب ، مُدَّ عن « فَعُلٌ » . فزيادته على « فَعُلٌ » عوض له من الوصل . وإجراء القافية أن يكون لها مجرى . والمَجْرَى في الشعر : حركة حرف الروى ، فَتَحْتَهُ وضمتَه وكسرتَه . وليس في الروى المقيد مجرى ، لأنه لا حركة فيه فتسمى مجرى . وهكذا يَقْصُرُ العروضيون المَجْرَى في القافية على حركة حرف الروى دون سكونه . ولكن صاحب الكتاب يريد بالمجارى أحوال أواخر الكلم وأحكامها والصُّور التي تتشكل لها .

(١) أى ذو العروض التامة ، وضرها مثلها .

يقول : أف لهذه الحياة ! وأف لهذا العالم ! لقد أحتبساني فيهما أسيراً ، وأرتهناني عندهما بحيث لا أوّمل من أسرهما فككاً ، ولا أرجو من سجنهما أنطلاقاً ؛ فكأنتي ، وقد وقفتُ على حال سيئة من الحياة ليس لي عنها مَزْحل ولا مندوحة ، قافُ رؤْبة أرسلها ساكنة ليس لها إلى الحركة سبيل ، وأنطق بها مقيّدة ليس لها من الإطلاق حظ .

٢ (أُعِلَّتْ عِلَّةٌ « قَالَ » وَهِيَ قَدِيمَةٌ أَغْيَا الْأَطِبَّةَ كُلَّهُمْ إِبْرَاؤُهَا)

الإعلال ، عند الصّرفيين : كلُّ ما يمسّ حروفَ العلة : الألف والواو والياء ، من قلب أو حذف أو تسكين . وساق الفعل « قال » مثلاً لما كان أحدُ أصوله حرف علة تتعاوره هذه العلل .

يقول : أف لهذه الحياة وأف لهذا العالم ! لقد أنهلاني الهموم ، وعلاّني الخطوب ، وأصاباني من أحداثهما بعلل ليس لها شفاء ، وأدواء ليس لها دواء ؛ فكأنما أصابتني منهما تلك العلة الباقية القديمة التي تُصيب الأفعال الجوف ، يُعْيِي الأطباء شفاؤها ، ويُعْجز الحكماء الطبُّ لها .

٣ (طَالَ الثَّوَاءُ وَقَدْ أَنَّى لِمَفَاصِلِي أَن تَسْتَبِدَّ بِضَمِّهَا صَحْرَاؤُهَا)

الثَّوَاءُ : طول المقام . وَأَنَّى الشَّيْءُ : حان وأدرك ؛ يقال : أَلَمْ يَأْنِ ، وألم يئن لك ، وألم ينلْ لك ، وألم يُنلْ لك ، ومعناها كلها : ألم يحنْ لك . واستبدَّ فلان بكذا : أنفرد به دون غيره . ويُريد : « صحرائها » : مقبرتها ؛ إذ الناس دائماً يُصْحرون بمقابرهم أنى وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

يقول : إيه أيها الجسم ؛ الذي فترت أوصاله ، وانحلت قواه ، وطال عليه الأمد ؛ لقد أنى لك أن تستبدَّ بك الصحراء ويتضمّنك التراب .

٤ ( فَتَرَتْ وَلَمْ تَقْتَرْ لِشُرْبِ مُدَامَةٍ بَلْ لِلخُطُوبِ يَعْوُلُهَا إِسْرَاؤُهَا )

فترت ، أى لانت وضعفت ، يقال : فتر الشيء يفتر ، بالضم والكسر ، فتوراً وفتاراً : سكن بعد حدة ، ولان بعد شدة . والمدامة والمدام : الخمر ، لإدامتها فى الدن زماناً . ويعولها : يهلكها ويغتالها ويذهب بها . والإسراء : السرى ليلاً ، وهو بمرور الخطوب أوفق ؛ فهى المدلهمات حين توصف ، وبينها وبين سود الليالى جامعة لا تنحل .

يقول : أجل ، لقد فترت أوصالك ، وأرتخت مفاصلك ، وما ذاك من شرب المدام ولا حب الندام ؛ وإنما هى الخطوب المسرية ، والهجوم المدلجة ، ألحّت عليك فبدلتك من القوة ضعفاً ، ومن النشاط فتوراً .

٥ ( مُلَّ الْمُقَامُ فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَّةٍ أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلَاحِهَا أَمْرًاوُهَا )  
٦ ( ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ وَأَسْتَجَازُوا كَيْدَهَا فَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرَاوُهَا )

المقام ، بالضم : الإقامة ، وبالفتح : الموضع . وقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وبمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم ، ففتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم ، فمضموم .

والاستجازه ، فى الأصل : فى السقيا ، تقول : أستجرتُ فلاناً فأجازنى ، إذا سقاك ماءً لأرضك أو لماشيتك ، قال القُطَامِيُّ :

وَقَالُوا فَتَقِيمُ قِيمُ الْمَاءِ فَاسْتَجَزَ عِبَادَةَ إِنْ الْمُسْتَجِيزَ عَلَى قُتَرٍ

على قتر ، أى على ناحية إما أن يُسقى ، وإما ألا يُسقى . ومن المجاز : أستجاز رجل رجلاً : إذا طلب الإجازة ، أى الإذن فى مروياته ومسموعاته . وهى ، على الحقيقة والمجاز ، تحمل الطلب ، وهو الغالب على هذه الصيغة ؛ فكأنهم

استجازوا أنفسهم الكَيْدَ فأجازتهم . وربما خرجت من قَيْدِ الطلب إلى لازمه الإيجابي ، فتكون بمعنى « أجاز » .

وَعَدَوْا : جاوزوا الحد ، ومن جاوزه فقد ظَلَمَ . والأجراء : جمع أجير ، وهو مَنْ تَسْتَعْمَلُهُ عَلَى عَمَلِكَ .

يقول : لقد طال بي المَقَامُ حَتَّى مَلِلْتُهُ ، وطالت عَلَى الحَيَاةِ حَتَّى سُمْتُهَا ؛ فكم أَنَا مُعْنَى بِعُشْرَةِ أُمَّةٍ قَدْ حَكَمْتُهَا الذُّلَّةُ ، وسيطر عليها الظُّلْمُ ، واستبدَّ بِحُقوقِهَا الأُمَرَاءُ يَظْلُمُونَهَا أَشَدَّ الظُّلْمِ ، وَيَعْسِفُونَهَا أَقْبَحَ الْعَسْفِ ، وَيَكِيدُونَ لَهَا شَرَّ الكَيْدِ ، وَيَعْدُونَ مَصَالِحَهَا ، وَيَتَجَاوِزُونَ مَنَافِعَهَا ؛ وَإِنَّمَا هُمْ لَهَا أَجْرَاءُ ، وَعَنْهَا وَكَلَاءُ .

٧ (فِرْقًا شَعَرْتُ بِأَنَّهَا لَا تَقْتَنِي خَيْرًا وَأَنَّ شِرَارَهَا شُعْرَاؤُهَا)

أَقْتَنِي وَقَنِي : كَسَبَ . والشَّرَارُ : جمع شَرِيرٍ ، قاسه على كبير وكبار ، وإن لم تَنْصَ عَلَيْهِ الْمَعَاجِمُ ، فَقَدْ اقْتَصَرْتَ عَلَى أَشْرَارٍ ، جَمْعًا لَشَرِيرٍ ؛ وَشَرِيرِينَ ، جَمْعًا لَشَرِيرٍ .

يقول : أُمَّةٌ قَدْ طَالَتْ صُحْبَتِي لَهَا وَأُخْتِيَارِي إِيَّاهَا ، فَمَا دَلَّتْنِي التَّجَرُّبَةُ ، وَلَا أَرَشَدَنِي الْإِخْتِبَارُ ، إِلَّا إِلَى بَرَاءَتِهَا مِنَ الْخَيْرِ ، وَإِقْفَارِهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَإِلَّا إِلَى أَنَّ أَشَدَّهَا بِالشَّرِّ اتِّصَالًا ، وَأَكْثَرَهَا فِيهِ إِغْرَاقًا ، هُمُ الشُّعْرَاءُ الَّذِينَ قَدْ كَانَتْ تُعَقِّدُ بِهِمْ أَمَالَ الْإِصْلَاحِ ، وَيُنَاطُ بِهِمْ رَجَاءُ الْخَيْرِ .

٨ (أَثَرْتُ أَحَادِيثَ الْكِرَامِ بِزَعْمِهَا وَأَجَادَ حَبَسَ أَكْفَهَا إِثْرَاؤُهَا)

أَثَرْتُ الْحَدِيثَ آثَرَهُ ، إِذَا ذَكَرْتَهُ عَنْ غَيْرِكَ وَحَدَّثْتَ بِهِ عَنْهُمْ . وَالْإِثْرَاءُ : كَثْرَةُ الْمَالِ ؛ يُقَالُ : ثَرَى الْقَوْمُ يَثْرُونَ ، إِذَا كَثَرُوا وَنَمَوْا ؛ وَأَثَرُوا يَثْرُونَ ، إِذَا كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ ؛ وَمِثْلُ « أَثَرَى » فِي هَذَا « ثَرَى » .

يقول : أمة ما أكثر قوتها وأقل عملها ! ما أكثر روايتها لأخبار الجود وأحاديث الأجواد ! وما أشد بُخلها بالمال وضنّها بالثراء ! كأنّ ما ترويه من حمد الكرم ، وما تأثّره من مدح الجود ، يُغريها بالبخل والكرازة ، ويُرغبها في الضنّ والدّناءة .

٩ ( وإذا النفوس تجاوزت أقدارها حَدَّ البعوض تغيّرت سُجراؤها )  
١٠ ( كصحيحة الأوزان زادتها القوى حَرْفًا فَبَانَ لِسامِعٍ نكراؤها )

تجاوزت أقدارها : تعدّتها وخلّفتها . والحدّ : البأس والنّفاذ في النّجدة ، أنابه مُناب المفعول المطلق . أراد : تجاوزت مجاوزة البعوض ونفاذه . وبالبعوض يُضرب المثل في كل ما هو هيّن مهين . وقد يكون « الحدّ » بمعنى الغاية والقدر . والمعنى هو المعنى . والشّجراء : الأصدقاء والأخلاء والأصفياء ؛ الواحد سَجِير . وساجر فلانٌ فلاناً : صاحبه وصافاه . قال أبو خراش :

و كنت إذا ساجرتُ منهم مُساجراً صَبَحْتُ بِفَضْلِ في المُرُوءة والعِلْمِ

والصّحيح من الشعر : ما سلّم من النّقص ؛ وقيل : كل ما يمكن فيه الزّحاف فسلّم منه ، فهو صحيح ؛ كما قيل : هو كل آخر نصف يسلم من الأشياء التي تقع عللاً في الأعاريض والضروب ولا تقع في الحشو .

والقوى : جمع قوّة ، وهي الطاقة من طاقات الحبل أو الوتر . وتُجمع أيضاً على قوى ، بالكسر . وبها تُشَبّه مقاطع الشعر ، يُجعل كل مقطع منها قوّة .

والزيادة في الشعر أنواع : تذييل ، وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع . وتسبيغ ، وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف ، وترفيل ، وهو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع .

فإن أريد بالحرف معناه اللغوى انصرف إلى الأول والثانى من هذه الأنواع ؛ وإن أريد به معناه المجازى شَمِلَ أنواع الزيادة الثلاثة .

وبان : ظهر ووضح . والتَّكْرَاءُ : المنكر ، خلاف المعروف . فكأنَّ السامع يستنكرها ولا تألفها أذنه . وقد تكون « نُكْرَاء » جمع « نكير » اسم بمعنى الإنكار ، وهو التغيير ، نحو : كرماء وكريم . أى يدرك السامع ما جد عليها من مخالفة ومغايرة .

يقول : أمة جنت من ثمار الحياة ما لم تكن له أهلاً ، ولقيت من نعيمها ما لم تكن به خليفة ، فأبطلتها النعمة وأفسدها الغنى . ولم أر شراً من نفس الإنسان ، إذا تجاوزت قدرها جناح بعوضة ، ساءت حالها ، وفسدت طبيعتها ؛ كأنها القصيدة من الشعر يزينها الوزن الصحيح المستقيم ، فإذا زيد فيها حرف ظهر للسامع نكرها ، وبان للسمع اختلالها .

١١) (كَرِيَتْ فَسُرَّتْ بِالْكِرَى وَحَيَاتُهَا أَكْرَتْ فَجَرَ نَوَائِبًا إِكْرَاؤُهَا)

كِرَى الرجل ، بالكسر ، يكرى بالفتح ، كَرَى : إذا نام ، فهو كَرٍ وكِرَى وكَرِيَان . والفعل « أكرى » على وجهين ، فقد يكون مُتَعَدِّيًا ، بمعنى أطلال وأخر ؛ تقول : أكرينا الحديث الليلة ، أى أطلناه ؛ وقد يجوز إلى المفعول بالحرف ، ومنه حديث ابن مسعود : « كنّا عند النّبيّ صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأكرينا فى الحديث » أى أطلناه وأخرناه .

والوجه الثانى أن يكون لازماً ، بمعنى طال وقصر ، وزاد ونقص ، من الأضداد . قال ابنُ أحرر :

وَتَوَاهَمَتْ أَخْفَاؤُهَا طَبَقًا وَالظَّلُّ لَمْ يَفْضُلْ وَلَمْ يُكْرِى

أى ولم ينقص . كما قد يكون مع اللزوم خالصاً للقلّة والنفاذ والنقصان ، ومنه : أكرى الرجل ، إذا قل ماله أو نفذ زاده . وأكرى الزاد ، إذا نقص . قال لبيد :

كَذِي زَادٍ مَتَى مَا يُكْرِمُهُ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بَزَادٍ  
والمعنى هنا على النقصان . والإكراء : المصدر من « أكرى » بمعنى  
نقص .

يقول : أمة أظفها الثروة ، وأطمعتها الحياة ، فزيّدت منهما ، وتلذّدت بهما ؛  
كأنها النائم يذلّه النوم فيستزیده ، غافلاً عن أن زيادته إنما هي تقصيرٌ من أجله ،  
واستعجالٌ لموته .

١٢) سُبْحَانَ خَالِقِكَ الَّذِي قَرَّرَتْ بِهِ غَبْرَاءُ تُوْقَدُ فَوْقَهَا خَضْرَاوُهَا  
١٣) (هل تعرف الحسد الجياد كغيرها فالبههم تحسد بينها غراؤها)

سبحان ، في اللغة : تنزيه الله عزّ وجل عن السوء ، منصوب على المصدر .  
وقال ابن جني : هو اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه ، بمنزلة «عثمان» و «عمران» .  
اجتمع في « سبحان » التعريف والألف والنون ، وكلاهما علة تمنع من الصرف .  
وقرّرت : استقرت وثبتت . والغبراء : الأرض ، كما أن الخضراء : السماء . يريد  
باستقرارها وثباتها أطمئنان الناس عليها . هذا معنى . وقد يكون « قر » من  
« القرّ » بالضم ، وهو البرد عامّة ، والمقابلة في قوله « توقد » مُزَكِّيّه .

والحسد : أن يتمنى المرء زوال نعمة المحسود إليه . والجياد : جمع جواد ،  
للفرس السابق الجيّد ، ويجمع أيضاً على أجياد . فإذا أردت به الرجل السخيّ  
جمعته على أجواد . و « الجواد » بمَعْنَيَيْهِ مما يستوى فيه الذكر والمؤنث . والبههم  
بالضم وبضمّتين : جمع بهيم . وهو الفرس الأسود الذي لا شية فيه ، الذكر  
والأنثى في ذلك سواء . وقيل هو الذي لا يُخالط لونه شيء سوى مُعْظَم لونه .  
أما البههم ، بالفتح ، فهي من جُمُوع بهيمة ، وهي الصّغيرة من أولاد الغنم والضأن



والمعز والبقر ، من الوحش وغيرها . والمعنى لا يتجه إليها هنا . والغراء : الجياد في جبهتها غرة . ومجموع الكثرة توصف بالفرد المؤنث ما كانت لغير العاقل . والغرة : بياض في الجبهة ، أكبر من الدرهم قد وَسَطَت جبهته ولم تُصَب واحدة من العينين ولم تَمِلْ على واحدة من الخدين ولم تَسِلْ سُقلاً .

يقول : سبحانهك اللهم ، لقد جلّ شأنك ، وَخَفِيتْ حِكْمَتَكَ عَلَى الْعُقُولِ ، بَسَطْتَ الْغَبَاءَ ، وَرَفَعْتَ فَوْقَهَا الْخَضْرَاءَ ، وَأَجْرَيْتَ بَيْنَهُمَا عَالَمًا مَا أَعْرَفَ لِلْخَيْرِ فِيهِ مَوْضِعًا ، عَالَمَ عَاقِلٍ وَلَكِنَّهُ شَرِّيرٌ . هل تعرف رذائله الحيوانُ الْعُجْمُ ؟ وهل تُشَارِكُهُ فِيهَا الْمَخْلُوقَاتُ الْبُلْهُ ؟ هل تَحْسُدُ الْجِيَادُ السُّودَ الْقَائِمَةُ أَخَوَاتُهَا الْغُرَّ الْوَاضِحَةُ ؟ كَلَّا مَا أَرَى لِلْحَسَدِ فِيهَا أَثَرًا ، وَإِنَّمَا هُوَ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ قَدْ أَفْسَدَهُ الطَّمَعُ وَالشَّرُّ ، وَغَيَّرَهُ الْبُخْلُ وَالْحِرْصُ .

١٤ ( وَوَجَدْتُ دُنْيَانَا تُشَابِهُ طَامِثًا لَا تَسْتَقِيمُ لَنَا كَيْحَ أَقْرَاوْهَا )

الطامث : الحائض . وقيل : إذا حاضت أولَ مَا تَحِيضُ . والفعل : طَمِثَتْ ، بكسر العين وفتحها ، تَطْمِثُ . بفتحها وضمتها ، على الترتيب ، طَمَسًا ، مثل « ضَرَبًا » . والقراء ، بالفتح والضم : الْحَيْضُ وَالطَّهْرُ ، ضِدٌّ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْءَ الْوَقْتُ ، فَقَدْ يَكُونُ لِلْحَيْضِ وَالطَّهْرِ . وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى قُرْءٍ وَأَقْرُوءَ ، الْأَخِيرَةُ عَنِ اللَّحْيَانِي فِي أَدْنَى الْعَدَدِ . وشاهد الطَّهْرُ قولُ الْأَعَشَى :

مُورِثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرْءٍ نِسَائِكَ  
فَالْقُرْءُ هُنَا الْأَطْهَارُ لَا الْحَيْضُ ، لِأَنَّ النِّسَاءَ إِنَّمَا يُؤْتَيْنِ فِي أَطْهَارِهِنَّ لَا فِي حَيْضِهِنَّ . فَإِنَّمَا ضَاعَ بَغْيِيَّتُهُ عَنْهُنَّ أَطْهَارُهُنَّ . وشاهده على الحيض قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعَى الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِكَ ، أَيَّ أَيَّامِ حَيْضِكَ » . وقول أبي العلاء هُنَا مِنَ الْأَوَّلِ .

يقول : أَفْ لَكَ أَيَّتُهَا الدُّنْيَا الْمُتَقَلِّبَةُ ! مَا أَرَى أَنَّكَ تَتَّبِعِينَ عَلَى حَالٍ :

وما أشبهك إلا بالحسنة الناعمة ، ذات الدلال والفننج ، وذات الجلال والبهجة ، وذات المنظر الساحر واللفظ الخادع والالحظات المُطَمِّعة ؛ ثم هي مع هذا كله طامث ، قد لزمها الطَّمْث ، وحجبها الحَيْض ، فما تستقيم أقرأؤها لطالبا ، وما تنتظم أطارها لمحبها ؛ على أنه بها كَلِفٌ مُعْنَى ، وعليها حريصٌ معذب .

١٥ (هُوَيْتْ وَلَمْ تُسْعِفْ وَرَاحَ غَنِيَّهَا تَعِبًا وَفَازَ بَرَاةٍ فَقَرَأُوهَا)

الإسعاف : المساعدة والمواتاة والتُّرْب في حُسن مصافاة ومعاونة . قال الشاعر :  
وإن شفاء النَّفس لو تُسْعِفِ النَّوى    أولاتُ الثَّنَايا الغرِّ والحدَقِ النُّجْلِ  
يقول : لقد هويكِ الناسُ فَذَكَبَتْ أهواءهم بالْمنى ، ونميتها بالآمال ، حتى إذا جاء وقت الإثابة وأقتضاء اللذات ، أوقعتهم في اليأس المهلك والقنوط المُميت .  
لقد شقى بك الأغنياء الذين هم أشدُّ عليك حِرْصاً وأكثرُ فيك رغبة ، وأستراح منك الفقراء الذين هم أبعدُ منك مكاناً وأقلُّ بك اتصالاً .

١٦ (وَتَجَادَلَتْ فَقَهَاوُهَا مِنْ حُبِّهَا وَتَقَرَّاتْ لِتَنَالَهَا قُرَّأُوهَا)

تقرأ : تفقه وتلَّسَّك . وقيل : قرأتُ . أى صرَّت قارئاً ناسكاً . وتقرَّأتْ تقرَّؤا ، في هذا المعنى . ولعلَّ أبا العلاء يُشير إلى الحديث : « أكثرُ مُنافقِ أمتي قُرَّأُوهَا » .

يقول : لقد أفسدتِ عقولاً كانت خليقة أن تصلح ، وعوّجت طُرُقاً كانت جديرة أن تستقيم ؛ أولئك الفقهاء لا يتجادلون إلا فيك ، وأولئك القُرَّاء لا يتقرءون إلا لك ، فأما فقه الدين وأستظهار الكتاب فشئ لا يحفلون به ولا يلتفتون إليه .

١٧ (وَإِذَا زَجَرْتَ النَّفْسَ عَنْ شَعْفِهَا فَكَأَنَّ زَجَرَ غَوِيَّهَا إِغْرَاؤُهَا)

الزجر : المنع والنهي والنهر . والشَّعْفُ : الولع بالشئ ؛ يقال : شَغِفَ فلان بالشئ ، على صيغة ما لم يُسمَّ فاعله : أُولِعَ به ؛ وشَغِفَ بالشئ ، على ما سُمِّيَ فاعله : قَلِقَ . والغَوَى : الضالّ ، ومثله : غَاوٍ وَغَوٍ وَغَيَّان . والفعل منه غَوَى ، وَغَوَى . وقال ابن بَرِّي : غَوٍ ، هو اسم الفاعل من « غَوَى » لا من « غَوَى » وكذلك غَوَى ، ونظيره : رَشَدَ فهو راشد ، ورَشِدَ فهو رشيد . والإِغْرَاءُ : الإيساد والتأريش .

يقول : لقد أضللت العقول ، وأفسدت الطباع ، حتى لم يبق للنصح إليها طريق ، وكأنما النصح بالانصراف عنك إغراء بشدة الحرص عليك .

## اللزومية الخامسة عشرة

وقال أيضاً في الهزمة المضمومة مع الباء ، والمُسرَّح المولَّد<sup>(١)</sup> :

١ (دُنْيَاكَ مَآوِيَّةٌ لَهَا نُوبٌ شَتَّى سَمَآوِيَّةٌ وَأَنْبَاءُ)

النسبة إلى « الماء » مأى وماوى ، فى قول من يقول « عطاوى » ، و « ماهى » كما يقول الأزهرى . لما كان الماء أصلُ الحياة به ردها إليه . أولعله شبه الدنيا به فى مُيوعتها وأنها لا تستقر مثله على حال . والنُوب : جمع نائبة ، وهى ما ينوب الإنسان وينزل به من المهمَّات والحوادث . وتُجمع على نوابٍ أيضاً . وشَتَّى . متفرقة . وفى الحديث : « يهلكون مهلكاً واحداً . ويصدرون مصادراً شَتَّى » . وقال ابن جنى : شَتَّان وشَتَّى ، كسكران وسكرى . يعنى أن « شَتَّى » ليس مؤنث « شَتَّان » ، كسكران وسكرى . وإنما هما أسمان توارداً وتقابلاً فى عَرْض اللغة من غير قصد ولا إشار لتقاودهما . وفى تخصيص « النُوب » و « الأنباء » بأنها سَمَآوِيَّةٌ إشارة ، إلى ما يتردد فى شعر أبى العلاء من أثر الأفلاك . يقول : أياينة الماء ، وذات النُوب والأنباء ، أنت التى لا تثبت على حالٍ ولا يستقرُّ لها أمر . أنت المضطربة الهائجة ، والمُرتبكة المائجة . أنت الفَرَّارة الخدَّاعة ، والمنَّاحة المنَّاعة .

٢ (أَفِّ لَهَا جُلٌّ مَا يُفِيدُ بِهَا مَنْ فَازَ فِيهَا الطَّعَامُ وَالْبَاءُ)

أَفِّ : كلمة تضجّر . وقد سبق عنها مزيد<sup>(٢)</sup> . وجُل كل شىء ، بالضم : معظمه ، مبتدأ ، خبره « الطعام » وما أنعطف عليه . وأفدتُ المالَ : أعطيته غيره .

(١) شاهده : \* من فرص اللص ضجة السوق \*

(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية السادسة ص ٨١ من هذا الجزء .

وأفدته : أَسَفَدَتْهُ . والثاني هو المراد . والباء : النكاح والتزويج . ومضى الكلام فيه بتفصيل <sup>(١)</sup> .

يقول : أف لك ! لقد قلّ فيك الخير وكثر فيك الشرّ ، ولقد صغرتُ أمورك ، وهانت الآمال فيك ؛ فأعظمُ حظّ الفائز بك ، والظافر برغائبك ، طعامُ يُسِغُه ، ورَفَثٌ يناله .

٣ (جَدَّ مُقِيمٌ وَخَابَ ذُو سَفَرٍ كَأَنَّهُ فِي الْمَحْجِرِ حِرْبَاءُ)

جَدَّ فلان يَجِدُّ ، من باب علم : صار ذا حظٍّ وغنى ، فهو جَدِيدٌ ومجدود . والهِجِير : نصف النهار عند اشتداد الحر . ومثله الهَجِيرَة والهِجْر والهاجرة . والحِرْبَاءُ : ذَكَرٌ أُمُّ حَبِين . وقيل : هي دويّبه نحو العظاءة أو أكبر تستقبل الشمس برأسها ، وتكون منها كيف دارت . يقال إنما تفعل ذلك لِتَتَقَى جَسَدَهَا برأسها . وهي تتلون ألواناً بجزر الشمس . والجمع : الحِرَابِيّ . ويقال فيها : حِرْبَاءُ تَنْضُبُ . كما يقال : ذئب غَضِي . قال أبو ذؤاد الإيادي :

أَنِّي أَتِيحُ لَهَا حِرْبَاءَ تَنْضُبَةٍ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسَّكًا سَاقًا

يَصِفُ ظُعُنًا سَاقَهَا وَأَرْعَجَهَا سَائِقُ مُجَدَّ ، فَتَعَجَّبَ كَيْفَ أَتِيحُ لَهَا هَذَا السَّائِقُ الْمُجَدَّ . وهذا مثل يُضْرَبُ للرجل الحازم ، لأنّ الحِرْبَاءَ لَا تُفَارِقُ الْغُصْنَ الْأَوَّلَ حَتَّى تَتَبَثَّ عَلَى الْغُصْنِ الْآخِرِ .

يقول : تَسِيرِينَ عَلَى غَيْرِ حِكْمَةٍ مَفْهُومَةٍ ، وَلَا نِظَامٍ مَأْلُوفٍ ، يَسْعَدُ فِيكَ الْمُقِيمُ الْأَمَنُ ، وَيَشْقِي بِكَ الْمَجَدَّ الظَّاعِنُ .

(١) انظر شرح البيت التاسع من اللزومية الأولى ص ٥٧ من هذا الجزء

٤ (أَقْضِيَّةٌ لَا تَزَالُ وَارِدَةً تَحَارُ فِي كَوْنِهَا الْأَلْبَاءُ)

أقضية : جمع قضاء ، وهو الحكم . واردة ، أى حاضرة وآتية . والألباء :  
العُقلاء ، الواحد : لبيب .

يقول : قضاء سَبَقَتْ به الكلمة ، وجَرى به القلم ، فما يزال على الناس جاريًا ،  
وعلى العقول خافيًا ؛ قد حَيَّرَ الألباءَ فهُمُّهُ ، وأَعْيَا الحكماءَ تَعْبِيرُهُ .

٥ (قَامَ بَنُو الْقَوْمِ فِي أَمَا كِنِهِمْ وَغُيِّتَ فِي التُّرَابِ آبَاءُ)

٦ (وَزَالَ عِزُّ الْأَمِيرِ وَأُفْتَرَقَتْ أَحْبَاؤُهُ عَنْهُ وَالْأَحْبَاءُ)

٧ (وَكُلَّ حِينَ حُوبٍ وَمَعْصِيَةٍ زَادَتْهُمَا فِي الذُّنُوبِ حَوْبَاءُ)

بنو القوم ، أى الذرارى والأعقاب . والضمير فى « أَمَا كِنِهِمْ » . إما من  
المضاف فى « بنو القوم » أو من المضاف إليه . وعلى الثانى ، فالمراد : حَلَّ الأبناء  
محل الآباء . وعلى الأول ، فالمراد : قام الأبناء حيث هم فى الحياة .

والأحباء : جلساء الملك وخاصته ، الواحد : حَبَا ؛ مثل أسباب وسَبَب .  
ويقال : هو من حَبَا الملك ، أى من خاصته . والأحباء : المُحِبُّون ، الواحد  
حبيب .

والحوب ، بالضم والفتح ، والحاب : الإثم . فالحوب ، بالفتح ، لأهل الحجاز .  
والحوب ، بالضم ، لتيم .

وقال الزَّجَّاج : الحوب : الإثم ؛ والحوب : فعل الرجل . وفى قوله تعالى :  
(إِنَّهُ كَانَ حُوبًا) قرأ الفَرَّاءُ بالضم ، وقرأ الحسن بالفتح . وفى حديث أبى هريرة  
رضى الله عنه : « إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الربا سبعون حُوبًا . أيسرها  
مثلُ وقوع الرجل على أمِّه . وأرْبَى الربا عَرْضُ المُسْلِمِ » . قال شَرِيف : قوله :  
« سبعون حُوبًا » كأنَّه سبعون ضربًا من الإثم .

والْحَوْبَاءُ : النفس ، ممدودة ساكنة الواو ؛ والجمع : حوباوات . يريد  
استرسال النفوس في غيَّها .

يقول : أسلاف تسلف ، وأخلاف تخلف ، ومُلوك يزول عنها العِزُّ ويُفارقها  
السلطان ، ويُسلِّمها الأُخْبَاء والأَحْبَاء ، وآثام ما تزال تُجَدِّدها الحاجة ، وسيئات  
ما يزال يخلقها الفقر والبؤس ؛ ونحن لكل هذه السَّهام أغراض ، لا نُحْس ولا  
نَشعر ، ولا تسمو عقولنا إلى عظمة ولا اعتبار .

## اللزومية السادسة عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع الميم ، والخفيف الأول<sup>(١)</sup> :

١ (فَقَدْتُ فِي أَيَّامِكَ الْعُلَمَاءُ وَأُدْلَهَمْتُ عَلَيْهِمُ الظُّلَمَاءُ)

٢ (وَتَغَشَّى دَهْمَاءَنَا الْغَيُّ لَمَّا عُطِّلْتُ مِنْ وُضُوحِهَا الدَّهْمَاءُ)

ادلهمت : كُفِّتْ وأُسُودَّت . والظلماء : الليلة الشديدة الظلمة .

وتغشَّى : عَلَا وتَجَلَّلَ . والدَّهْمَاءُ : الجماعة من الناس . يقال : دخلتُ في خَمَرِ

الناس ، أى في جماعتهم وكثرتهم ، وفي دهماء الناس أيضاً ، مثله . قال الشاعر :

فَقَدْنَاكَ فِقْدَانِ الرَّبِيعِ وَلَكَيْنَا فِدِينَكَ مِنْ دَهْمَانَا بِالْوَفِ

والغىّ : الضلالة والخيبة . والوضوح : الظهور والانجلاء .

وفي نسخة « أوضاحها » . وهى جمع « وَضَحَ » بالتحريك ، وهو الغرة

والتحجيل في القوائم ، وهو الضوء والبياض أيضاً .

وقد يراد « بالدَّهْمَاءِ » في آخر البيت : الغبراء ، أى الأرض ، ويكون المعنى

من معنى عجز البيت السابق ومؤكداً له . جعل انجلاء الحياة بالعلماء ، فإذا عطِّلْتُ

منهم تغشَّتْها الظلمات .

كما قد يراد بها الدَّابة السوداء لاشية فيها . جعل العلماء في الحياة بمنزلة

الأوضح في الدَّابة الدهماء . وهو لا يخرج عن الأول .

يقول : إيه أيها المتفكّر المتفهم ! والباحث المُستبصر ! لقد قُضِيَ عليك أن

تَعِيشَ في عصرٍ ظهر فيه الجهل ، وخَفِيَ فيه العلم ، وعمَّ دهماءه الخُمق ، واشتمل

على أهله الجُمُود .

(١) أى ذو العروض الصحيحة ، وضررها مثلها .



- ٣) (لِلْمَلِكِ الْمَذْكُرَاتُ عَبِيدُ وَكَذَلِكَ الْمُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ)  
 ٤) (فَالِهَلَالُ الْمُنِيفُ وَالْبَذَرُ وَالْفَرْ قَدْ وَالصُّبْحُ وَالثَّرَى وَالْمَاءُ)  
 ٥) (وَالثَّرِيَّا وَالشَّمْسُ وَالنَّارُ وَالنَّثْرَةُ وَالْأَرْضُ وَالضُّحَى وَالسَّمَاءُ)

أراد « بالملك » : الله تعالى ، ملك الخلق ، أى ربهم ومالكهم .  
 والمذكّرات : ما كان على صيغة التذكير من خلقه . والمؤنثات : ما كان منها على  
 صيغة التأنيث ؛ أراد الشمول فذكر الشئ وضده .

وقصد إلى هذين خاصة لأنهما سرُّ الوجود وبقاؤه . والإماء : جمع أمة ،  
 وهى المملوكة ، خلاف الحرة . وقال الأزهري : هى المرأة ذات العبودة ، وقد  
 أقرت بالأموّة . وتُجمع أيضاً على أموات وآم ، وإموان ، بالكسر والضم .  
 وقد شبه أبو العلاء « الأيام » بالعبيد ، و « الليالى » بالإماء فى غير هذا  
 الموضع ؟ فقال :

بسبع إماء من زغاوة رُوِّجت من الرُّوم فى نُفمان سَبْعَةَ أَعْبِدِ  
 والمُنِيف : المُشرف المرتفع على غيره ؛ يقال : ناف الشئ ، إذا طال وأشرف  
 وأرتفع . وكذلك أناف .

والفرّقد : واحد الفرّقين ، وهما نجمان فى السماء لا يغرّبان ، ولكنهما  
 يطوفان بالجدى . وقيل : هما كوكبان قريبان من القطب ؛ كما قيل إنهما فى بنات  
 نعش الصُّغرى . وحكى الكسائى : لأبْكَيْنَك الفرّقين ، أى طولَ طلوعهما .  
 قال : وكذلك النُّجوم ، كلها تُنصَّب على الظَّرف ، كقولك : لأبْكَيْنَك الشمسَ  
 والقمرَ . كل هذا يُقيمون فيه الأسماء مُقام الظروف . قال ابنُ سيده : وعندى  
 أنهم يريدون طولَ طلوعها ، فيحذفون اختصاراً واتساعاً .

وقالوا فيها : الفراقِد . كأنهم جعلوا كُلَّ جزءٍ منهما فرقداً . قال الشاعر :

لقد طالَ يا سَوْداءَ مِنْكَ المَواعِدُ ودُونَ الجَدَا المَأمولِ مِنْكَ الفَراقِدُ

وكذلك قالت العربُ لهما : الفرقد . ولعلَّ عليه بيتُ أبي العلاء . ومنه قولُ لمبيد :

حالفَ الفرقدُ شرباً في الهدى خلةً باقيةً دُونَ الخَلَلِ

والثريا ، من الكواكب ، سُميت لفزارة نوثها . وقيل : سُميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها . فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحلِّ ، لا يتكلمُ به إلا مُصغراً ، وهو تصغير على جهة التكبير . والنثرة : نجم من نجوم الأسد ينزلها القمر . وقال الأزهريُّ : هي كوكب في السماء كأنه لطخ سحاب حيال كوكبين تُسميه العرب نثرة الأسد . أو هي من منازل القمر ، وهي من برج السرطان . والسماء ، التي تُظِلُّ الأرض ، مؤنثة في قول جمهور النحويين . وذكر بعضهم أنها تذكر وتؤنث ، محتجّين بقوله تعالى ( والسماء مُنْقَطِرٌ ) . وقيل في دفع هذا : إنما جاء على معنى النسب أي ذات انفطار ، كما قالوا : امرأة عاشق أو عاقر ، أي ذات عشق وعقر . وقد يجوز أن يكون ذكرها على معنى السقف لقوله تعالى : ( وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً ) . ومنه بيت الفرزدق :

فلو رَفَعَ السَّماءُ إِلَيهِ سَقْفًا لَحَقَّقْنَا بِالسَّماءِ مَعَ السَّحَابِ

وأما السماء الذي يُراد به المطر ، فقال بعضهم إنه مذكّر ، ومنه قول الشاعر :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا

ويرى الأخفش أنه مؤنث . ومنه بيتُ أبي العلاء ، هذا ، فقد جمع المذكرات في بيت والمؤنثات في بيته الآخر .

يقول : سبحانك اللهم ! بك آمنت ، ولك أذعنت . لك العبيدُ والإماء ، من رجال ونساء ، لك الأرض والسماء . والهواء والماء . لك النجوم الطالعة ، والكواكب الساطعة .

٦ (هَذِهِ كُلُّهَا لِرَبِّكَ مَا عَا بِكَ فِي قَوْلِ ذَلِكَ الْحَكَمِ)

٧ (خَلَّنِي يَا أَخِيَّ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فَلَمْ يَبْقَ فِيَّ إِلَّا الذَّمُّ)

الذَّمُّ : بقية النَّفْسِ ، وكذلك بقية الروح في المذبح . قال أبو ذؤيب يذكر القانص والحَمِير :

فَأَبْدَهُنَّ حُتُوفَهُنَّ فَهَارِبٌ بِذَمَائِهِ أَوْ بَارِكٌ مُتَجَعِّعٌ

يقول : قُلْ مَا شِئْتُ مِنْ ذَلِكَ ، لَا يَعْيبُكَ بِقَوْلِهِ حَكِيمٌ ، وَلَا يَنْكَرُهُ عَلَيْكَ فِيلْسُوفٌ ؛ ثُمَّ دَعْنِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَنْضِرَّعَ إِلَيْهِ ، فَقَدْ أَنْقَضَتْ عَنِّي مُدَّتِي ، وَأَسْلَمَتْنِي أَيَّامِي إِلَى الْحَيْنِ .

٨ (وَيُقَالُ الْكَرَامُ قَوْلًا وَمَا فِي الْمَصْرِ إِلَّا الشُّخُوصُ وَالْأَسْمَاءُ)

٩ (وَأَحَادِيثُ حَبَرَتِهَا غَوَاةٌ وَافْتَرَّتْهَا لِمَكْسَبِ الْقُدَمَاءِ)

العصر : الدهر ، وهو المراد هنا . وقال أبو عَبَّاسٍ : هو ما يلي المغرب من النهار . وقال قتادة : هو ساعة من ساعات النهار . والعصران : الليل والنهار ، والغداة . والعشي . وفي العصر لغات ، الفتح والكسر والضم وبضمتين . ويجمع على أعصار وعُصور ، وعَصْرٌ ، بضمتين أيضاً . والشخوص : جمع شخص ، وهو كل جسم له ارتفاع وظهور .

والتجوير التجويد والتَّحْسِين . والغواة : الضالُّون ، الواحد غاوي . وأفترى : كذب وأخترق . وفي حديث بيعة النساء : « وَلَا يَأْتَيْنِ بَبْهَتَانِ يَفْتَرِيْنَهُ » هو افتعال من الكذب .

يقول : دعني أفرِّغ لما أنا فيه من خَلْوَةٍ إِلَى نَفْسِي وَعِنَايَةِ أَمْرِي ، فَإِنَّمَا نَحْنُ فِي أَيَّامٍ كَثُرَتْ فِيهَا الْأَسْمَاءُ ، وَقَلَّ فِيهَا الْغَنَاءُ . يَذْكُرُونَ الْكِرَامَ وَالْجُودَ ، وَالْحَقَّ

والفضيلة ، والخير والبرّ ؛ وإنما هي ألفاظ تلفظها الأفواه ، وتتلقّفها الرياح .  
يَرَوْنُ الحكمة والعظة ، ويأثرون النصيحة والهدى ، ويدرسون العلم والشريعة ؛  
وإنما هي أحاديث الغوّة ، وأفانين من التجارة أخترعها القُدّماء ، يكسبون بها  
عيشهم ، ويشترون بها ثمنًا قليلًا . دَعْنِي أفرُغ لما أنا فيه ، فقد كذبتني الأمانى ،  
وتكشّفت لى الآمال عن باطلها ، وظهرت لى الحقائق واضحة ، ولكنها بشعة  
المنظر مُرة المذاق .

١٠ ( هَذِهِ الشُّهُبُ خِلَتْهَا شَبَكُ الدَّهْرِ لَهَا فَوْقَ أَهْلِهَا إِمَاءُ )

١١ ( عَجَبًا لِلْقَضَاءِ تَمَّ عَلَى الْخُلُقِ قِي فَهَمَّتْ أَنْ تُبْسِلَ الْعِمَاءُ )

١٢ ( أَوْ مَا يُبْصِرُونَ فِعْلَ الرَّدَى كَيْفَ يَبِيدُ الْأَصْهَارُ وَالْأَحْمَاءُ )

الشُّهُبُ : النجوم السبعة المعروفة بالدَّرَارِي ، الواحد شِهَاب . وظاهر أنه  
يريد النجوم عامة .

وَالْإِمَاءُ : الاحتواء والاشتغال . يقال أُلِمَّا عَلَى الشَّيْءِ ، إِذَا أُحْتَوِيَ عَلَيْهِ .

وَالْإِبْسَالُ : الإسلام للهلاكته . قال تعالى : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا )  
أَيُّ أُسْلِمُوا بِجَرَائِرِهِمْ . وقيل : أُرْزُقْتُهُمْ . وقيل : أَهْلَكُوا . وقال مُجَاهِدٌ : فُضِحُوا .  
وقال قَتَادَةُ : حُبِسُوا . وقال أَبُو مَنْصُورٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَأَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ  
بِمَا كَسَبَتْ ) أَيُّ لَثَلًا تُسَلَّمُ نَفْسٌ إِلَى الْعَذَابِ بِعَمَلِهَا . وقال النَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّةُ :

وَنَحْنُ رَهَنًا بِالْأَفَاقَةِ عَامِرًا      بِمَا كَانَ فِي الدَّرْدَاءِ رَهْنًا فَأُبْسِلَا

وإِبْسَالُ الْعِمَاءِ ، أَنْ يُؤْخَذُوا بِعَمَلِهِمْ . وكثيراً مَا يَنْعَى أَبُو الْعَلَاءِ عَلَيْهِمْ .  
وجاء في بعض النُّسخ « الْحُزْمَاءُ » مكان « الْعِمَاءُ » .

وَالرَّدَى : الهلاك . وَالْأَصْهَارُ : أهل بيت المرأة ، وأما أهل بيت الرجل فيقال  
لهم : الْأَخْتَانُ . وَالْأَحْمَاءُ لِلْمَرْأَةِ : إِخْوَةُ زَوْجِهَا ، وكذلك مَنْ كَانَ مِنْ قِبَلِهِ ؛

وكل من ولى الزوج من ذى قرابته ، فهم أحماء لها . وأم زوجها : حماتها . وكذلك الأحماء للرجل ، من كان من قِبَلِ أمراته : أب أو أخ أو عم . وقيل : الأحماء ، من قِبَلِ المرأة خاصة ، الواحد حَمُو . وفيه لغات أربع : حمًا ، مثل قفًا ؛ وحَمُو ، مثل أبو ؛ وحَمٌ مثل ، أب ؛ وحَمَاء ، ساكنة الميم مهموزة .

يقول : هل ترى هذه الشهب اللامعة إلا شباكا قد أعدها الدهر يلقيها على العالم فيصطاد بها فرائسه ! أو ما تبصر كم ترك الردى فى الناس من الأفاعيل ! كيف فرّق بين الأصهار والأحماء ! وكيف باعد بين الآباء والأبناء !

١٣ ( غَلَبَ الْمَيِّنُ مُنْذُ كَانَ عَلَى الْخَلْقِ وَمَاتَتْ بِغَيْظِهَا الْحَكَمَاءُ )

المَيِّن : الكذب ، والجمع مُيُون . وجاء فى بعض الأصول « الخزماء » مكان « الحكماء » .

يقول : عجباً للقضاء المحتوم والقدر المكتوب ! لقد قضيا على الخلق لا يرُدُّها رادٌّ ولا يدفعهما دافع ، حتى أصبح الأمل معهما حمقاً ، واليأس بين يديهما حزمًا .

١٤ ( فَارْزُقِي يَا عَصْمَاءُ يَوْمًا وَلَوْ أَنَّكَ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ عَصْمَاءُ )

« عصماء » الأولى ، من أسماء النساء ؛ وهى من الوُعُول : البيضاء اليدين ، أو اليد وسائرهما أسود أو أحمر . وهى المرادة « بعصماء » الثانية . وبها سُمِّيت المرأة ، لامتناعها عن يرومها امتناع الأروية بالجبل . قال الشاعر :

إِنَّ عَصْمَاءَ إِنْ تَرُمُّهَا كَعَصْمًا ۚ سَمَتْ فِي الذَّرَا فليس تُنَالُ

وقد يكون للتسمية وجه آخر يُفسره الحديث فى النساء : « لا يدخل الجنة منهنّ إلا مثل الغراب الأعصم » ، وهو الأبيض الجناحين ، أو الأبيض الرجلين .

أراد قلة من يدخل الجنة من النساء ، ويكون الجامع في الشبه العزة والنُدرة .  
إلا أن القُنن بالوعول أنسب ، والوصف هنا مُخصَّص .  
والكلام في البيت على الحذف ، تقديره : فارقبي يا عصماء يوماً تهلكين فيه .  
فحذفه للعلم به .

يقول : أيتها العَصماء المكنونة ، والحسناء المصونة ، لا يَخْدَعَنَّكَ جمالك  
الخلّاب للعقول ، الفتان للألباب . لا يَخْدَعَنَّكَ لحظك الفاتر ، ولفظك الساحر .  
لا يَخْدَعَنَّكَ خدك الأَسيل ، وخَصْرُكَ النّحيل . لا يَخْدَعَنَّكَ وجهك الذي تُباهين  
به ضوء النهار ، وشَعْرُكَ الذي تبارين به خُمة اللَّيل . فكلُّ ذلك إلى زوال .  
إنما بَدَرُكَ إلى أَفول ، وزهرُكَ إلى ذُبُول ، وجمالُكَ الفاتن إلى فناء . أرقبي ذلك  
اليوم الذي سيُصَوِّبُ إليك من الحِمام سهماً لا يطيش ، ونَصْلاً لا يُخْطئ ، ورَمِيّة  
لا يحميك منها معقل ولا حِصْن . خُذِي مكان العَصماء من رأس الجبل ؛ فإن  
الموت لا حَقَّكَ لا محالة ، ونازلٌ بك من غير رَيْب .

- ١٥ ( وَأَرَى الْأَرْبَعَ الْغَرَائِزَ فِينَا      وَهِيَ فِي جُثَّةِ الْفَتَى خُصَمَاءُ )  
١٦ ( إِنَّ تَوَافِقْنَ صَحَّ أَوْ لَا فَمَا يَنْ      فَكُثُّ عَنْهَا الْإِمْرَاضُ وَالْإِغْمَاءُ )

يريد بالغرائر الأربع : العناصر التي يتكون منها الكون ، والإنسان منه . وهي :  
المائية والترابية والهوائية والنارية . وهي بعض لبعض خصم . وخصماء : مخاصمون ،  
الواحد خصيم . والخصيم غير الخصيم ، إذ الخصم : العالم بالخصومة وإن لم يخاصم ،  
والخصيم : الذي يخاصم غيره .

والتوافق : الاتفاق . والإمراض : وقوع العاهات ، من قولك : أمرض  
الرجل ، إذا وقع في ماله العاهة . والإغماء ، بكسر الهمزة ، المصدر من أغشى عليه ،  
إذا غشى عليه ثم أفاق . وقيل : إذا ظن أنه مات ثم يرجع حياً . وأما الإغماء ،

بفتح الهمزة ، فهو جمع غمى عند بعضهم ، وهو المغشى عليه . ويجعل بعضهم « غمى » للواحد والواحدة والاثنين والجميع ، دون تغيير ، لأنه مصدر .

يقول : أئني يكون الخلود أو يقدّر البقاء لجسم ! ما أرى حياته وصحته إلا رهناً باتفاق غرائزه ، ووفقاً على التثام طبائعه . فهو صحيح إن استوين ، وعليل إن التوين .

١٧ (وَوَجَدْتُ الزَّمانَ أَعْجَمَ فَظًّا وَجُبَّارًا فِي حُكْمِهَا الْعَجَمَاءِ)

الأعجم : العجمي ، وهو غير العربي . يريد أنه لا يعي عنك ولا تبعي عنه . رجل أعجم ، وقوم أعجم . قال الراجز :

سَلُومَ لَوْ أَصْبَحْتَ وَسَطَ الْأَعْجَمِ فِي الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِي الدَّلِيلِ  
إِذَا لَزَرْنَاكَ وَلَوْ بِسُلْمٍ

والفظ : الخشن الكلام ، أو الجافي الغليظ في منطقه ، والجمع أفظاظ . ويقال : إنه لفظ بظ ؛ على الإبتاع . وجبار : هدر لا قود فيه ولا دية . وفي الحديث « المَعْدِنُ جُبَّارٌ ، والبئرُ جُبَّارٌ ، والعجماء جُبَّارٌ » والمعنى : أن تنفلت البهيمة العجماء فتصيب في أنفلاتها إنساناً أو شيئاً فجرحها هدر . وكذلك البئر العادية يسقط فيها إنسان فيهلك فدمه هدر . والمعدن إذا أنهار على من يعمل فيه فهلك لم يؤخذ به مستأجره . وحكمها ، أي فيما يحكم به في أمرها ويقضى .

يقول : أذعن أيها الإنسان لحكم الزمان لا تُناقشه حساباً ، ولا تسأله ثواباً ، ولا تطلب منه لشيء علة ، ولا ترج منه لسؤال جواباً ؛ إنما الزمان أحق لا يعقل ، وأعجم لا ينطق . ألا وإن حكم العجماء أن جنائياتها مهكرة ، وجرائمها مغتفرة .

١٨ (إِنَّ دُنْيَاكَ مِنْ نَهَارٍ وَلَيْلٍ وَهِيَ فِي ذَاكَ حَيَّةٌ عَرْمَاءُ)

الحية العرماء : التي فيها نُقْطُ سُودٍ وَبَيَضٍ . والعَرَم والعُرْمة : لونٌ مُختلطٌ بسوادٍ وبياضٍ في أى شىء كان . وقيل : تنقيط بهما من غير أن يتَّسع ؛ الذَّكَرُ أعرم ، والأنثى عَرْماء . وقد غلبت العرماء على الحية الرَّقْشاء .

يقول : ألا وإن دُنْيَاكَ نَهَارٌ وَلَيْلٌ ، لا تثبت على حال ، فهي كالْحَيَّةِ الرَّقْطَا ، ربما تُعْجِبُكَ أَلْوَانُهَا ، ولكن في ناهيها الشَّمُّ الزُّعَافُ .

١٩ (وَالْبَرَايَا حَازُوا دُيُونَ مَنَآيَا سَوْفَ تَقْضَى وَيَحْضُرُ الْعَرْمَاءُ)

البرايا : جمع البريَّة ، وهى الخلق . أصله الهمز ، ويُجمع على البريَّات أيضاً . قال ابن بَرِّى : والدليل على أن أصل البريَّة الهمز قولهم « البريئة » بتحقيق الهمزة ، حكاه سيبويه وغيره لغةً فيها .

وقيل إنها بلا همز ، إن أخذت من « البرى » وهو التراب ، والفعل منه : بَرَاه يَبْرُوهُ بَرَوْا . ومن ذهب إلى أن أصلها الهمز أخذها من « برأ الله الخلق يبرؤهم » ثم ترك الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .

والحَوَز : الجمع ، وكل مَنْ ضَمَّ شَيْئاً إلى نفسه مِنْ مَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فقد حَازَهُ حَوَزاً وَحِيَازَةً . والمنايا : جمع النية ، وهو الموت ؛ لأنها مُقَدَّرَةٌ بوقتٍ مخصوص ، ومثلها المَنَى . وقال الشرقى بن القُطَامِي : المنايا : الأحداث . والحمام : الأجل . والْحَتْفُ : القدر . والمَنُون : الزمان . وقال ابن بَرِّى : النية : قَدَرُ الموت . ألا ترى إلى قول أبى ذؤيب :

مَنَآيَا يُقَرِّبُنِ الْحَتْفَ لِأَهْلِهَا      جِهَاراً وَيَسْتَمْتَعْنَ بِالْأَنْسِ الْجُبْلِ

فجعل المنيا تقرب الموت ولم يجعلها الموت . وتُقْضَى : تُؤَدَّى . والعَرْمَاءُ :



أصحاب الدين ، الواحد : غريم ، ويُجمع على غُرَام أيضاً . في حديث جابر : فاشتد عليه بعض غُرَامِهِ في التقاضى .

يقول : أَلَا وَإِنَّ النَّاسَ بِالموتِ مَدِينُونَ ، ولا بُدَّ لهذا الدين من وفاء ، ولهذا القَرْضَ من قضاء . والموت غريم لا يُهمل رَدُّهُ ، ولا يُمكن الإلواء عليه .

٢٠ ( وَرَدَ الْقَوْمُ بَعْدَ مَا مَاتَ كَعْبٌ وَأُرْتَوَى بِالنَّمِيرِ وَفَذُ ظِمَاءٌ )

الورود للماء : ضد الصدور ، وهو أن تحضره لتشرب . وكعب ، هو ابن مامة الإيادى ، وكان أحد أجواد العرب ، خرج في بعض أسفاره ، ومعه رجل من النمر بن قاسط يقال له شمر بن مالك . وقيل : حنيف ، وقيل هنب بن قاسط . فقل ما كان معهما من الماء ، فتصافناه .

والتصافن : أن يُطرح في الإناء حجر ، يقال له المقلّة ، ثم يُصب عليه من الماء ما يغمره ، لئلا يتغابنوا ، ثم يُرفع إلى واحد من المتصافين حظه منه .

فكان النمر يشرب نصيبه ، فإذا أخذ كعب نصيبه ليشربه قال هنب : أسق أخا النمر . فبيّثه على نفسه ، حتى جهد كعب . ورفعت له أعلام الماء فقيل له : رد كعب — ولا ورود به — فمات عطشاً . ففى ذلك يقول أبو دُواد الإيادى :

أَوْفَى عَلَى الْمَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ رِدْ كَعْبَ إِنْكَ وَرَادٌّ فَمَا وَرَدَا  
وَالنَّمِيرُ : الْمَاءُ النَّاجِعُ فِي الرَّيِّ . وَظِمَاءٌ : عِطَاشٌ ، الْوَاحِدُ : ظِمَانٌ ، وَالْأُنْثَى ظِمَائِي .

يقول : أَلَا وَإِنَّ الزَّمانَ قَدْ قَسَمَ الْخُطُوطُ بَيْنَ النَّاسِ فَأَسَاءَ الْقِسْمَةُ ، لم يُراع في ذلك عدلاً ، ولم يتبع قاعدة ، فأمات بالظماً كعب بن مامة ، وروى بنمير الماء بعده الكثيرين .

٢١ (حَيَوَانٌ وَجَامِدٌ غَيْرُ نَامٍ وَنَبَاتٌ لَهُ بِسْقِيَا نَمَاءٌ)

النَّمَاءُ : الزيادة والكثرة ، والفعل منه : نَمَى يَنْمُو نَمِيًّا . وربما قالوا : نَمَا يَنْمُو نَمَوًّا .

يقول : لا تلتمس لشيء علة ، ولا تطلب لموجود سبباً ؛ فذلك شيء قد خفي عليك أمره ، وحُجب عنك سره . وأنقسم العالم منذ كان إلى حيوان نامٍ حسَّاس ، ونبات ينمو ولا يُحسّ ، وجاد قد حُرِمَ الحسّ والنمو معاً . وما أعرف لهذا الجسم الذي رُزِقَ القوتين ، وظفر بالفضيلتين ، نافلة من فضل نُؤثره بالحياة والحركة ، وتختصّه بالحسّ والنمو دون الآخرين .

٢٢ (وَلَوْ أَنَّ الْأَنْعَامَ خَافُوا مِنَ الْعُقَّةِ بِي لَمَا جَارَتْ الْحَيَاةُ الدِّمَاءُ)

الأنعام : ما ظهر على الأرض من جميع الخلق ؛ ويريد الناس . ويجوز في الشعر : الأنيم . والعقبي : جزاء الأمر ، كالعاقبة ، والعقبان . وجاراه مجارة وجراء : جرى معه . يشير إلى كثرة ما يسفح من دماء البشر .

يقول : ما أجهل الناس ، وما أضلّ عقولهم ، وما أغفلهم عن العواقب ، وألهام عن مستقبل الأمور ! لو أنهم عرفوا حياتهم حقَّ المعرفة ، وبَلَوْها حقَّ البلاء ، لهانت عليهم ولصغرت في عيونهم ، فلم يقتل فيها بعضهم بعضاً . ولو أنهم إذ كَبَرُوا منها صغيراً ، وعظّموا من أمرها حقيراً ، وفرضوا لأنفسهم حساباً تظهر فيه سيئاتهم وحسناتهم ، وتبدو فيه نقائصهم وفضائلهم ، ويلقى بعده كُلُّ أمرئ نتيجة عمله خيراً أو شراً ؛ لو أنهم إذ فعلوا هذا كلّه خافوا الحساب الذي فرضوه ، والميعاد الذي انتظروه ، لما سفكوا بينهم من الدماء ما يجارى الماء ، ولكنها طبائع بلهاء ، لا تعرف للحق طريقاً ، ولا تسلك إلى الهدى سبيلاً .

٢٣) (أَجْدَرُ النَّاسِ فِي الْعَوَاقِبِ بِالرَّحْمَةِ قَوْمٌ فِي بَدْيِهِمْ رَحْمَاءُ)

أجدر: أخلق وأحق وأولى . ويريد « بالعواقب » و « البدء » : الآخرة والدنيا . أو هما على ظاهرهما .

يقول : سألني عن أحقّ الناس بالرحمة وأولاهم بالرّفق والرّأفة ، أجنبك بأنهم أولئك الذين نشئوا راحمين للضعيف ، عاطفين على البائسين ، ثم تنكرت لهم الأيام وأرهقتهم من أمرهم عسراً .

٢٤) (وَعَظِيمُنَا مِنْ قَوْلِ زَائِعٍ حَقٌّ إِنَّنَا فِي أَصُولِنَا لَوُمَاءُ)

لعله يشير « بالأصول » إلى أصل الخلقة ، وأنا خلقنا من نقطة قدرة ، تضمنتها أرحام وضرّة .

وفي هذا قول علىّ عليه السلام : « وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله مُضْغَةٌ وآخره جيفة ، لا يَرْزُقُ نفسه ولا يدفع حتفه » . وفي هذا يقول أبو العتاهية :  
ما بال من أوله نُطْفَةٌ وجيفة آخره يَفْخَرُ

يقول : هذه أخلاقنا وتلك خللنا ، ما أحمد فيها خلقاً ولا أَرْضِي منها خُلَّةً . ونحن بعد ذلك بأنفسنا مُعْجِبُونَ ، وبأخلاقنا مُفْتَنُونَ . انغضب من مقالة الحقّ ، ونَحْتَدُّ على صادقٍ رمانا بِحِسَّةِ الْأَصْلِ وَلَوْمِ الطَّبَعِ . نعم أخسّاء لَوُمَاءُ .

٢٥) (أَنْتَ يَا آدَمَ السَّرْبِ حَوًّا وَكُ فِيهِ حَوًّا أَوْ أَدَمَاءُ)

يا آدَ ، أراد « يا آدم » فرخم للنداء ، فحذف الميم . ويجوز لك في الدّالّ الفتح ، على لغة من ينظر إلى المحذوف؛ والضم ، على لغة من لا ينظر إليه . والآدم من الناس: الأسمر . قال الزّجاج : يقول أهل اللغة : إن اشتقاقه من أديم الأرض ، لأنه خُلِقَ من تُراب . وقال الجوهري : آدم ، أصله بهمزيّتين لأنه أفعل ، إلا أنهم

لَيَنُوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واوًا، وقلت: أوادم، في الجمع، لأنه ليس لها أصل في الياء معروف، فجعل الغالب عليها الواو. والسَّرب، القطيع من الظباء والنساء. وحوَّاءُك، أى زوجك حواء، وهى من الحَوَّة، اسوداد إلى خُضرة، أو مُحرة تضرب إلى سواد.

يقول: وأنت أيها الأب الذى سَمَّته التواريخ آدم فغلَّبت على لونك السواد، وسَمَّت زوجك حواء، فجعلت لونها مشوبًا بحمرة، لقد اُتْلَف منكما مزاج جمع فيه الخير والشر، ولكن الشر عليه غالب، والسوء فيه مَوْفُور.

٢٦) (قَرَمَتْنَا الْآيَّامُ هَلْ رَثَتْ النَّحَامَ لَمَّا تَوَى بِهَا قَرَمَاءُ)  
٢٧) (عَالَمٌ حَائِرٌ كَطَيْرٍ هَوَاءٍ وَهَوَافٍ تَضُمُّهَا الدَّأْمَاءُ)

القرم: الأكل الضعيف، وذلك في أول ما تأكل، وهو أدنى التناول. والقشر أيضاً، والفعلُ منه من باب ضرب. واستخدامه «القرم» دون غيره من نظائره في المعنى مع «الأيام» أدق في تصوير نيل الأيام منا. ورثى فلان فلاناً، يرثيه رثياً ومرثية، إذا بكاه بعد موته. فإن مدحه بعد موته، قيل: رثاه يرثيه ترثية. وقيل هما بمعنى.

والنحام: فرس السليك بن السلكة السعدي، كان قد مات بقرماء. ويقال بل تحره لأصحابه، فقال يرثيه:

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا تَرَحَّلْتُ مُعْبَتِي أَصْلًا حَارُ  
عَلَى قَرَمَاءَ عَالِيَةِ شَوَاهِ كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهِ خِمَارُ

وقرماء: باليمامة. وتَوَى بها: هلك بها. ومنه قول كعب بن زهير:

فَمَنْ لِلْقَوَائِمِ شَانَهَا مَنْ يَحْكُوكُهَا إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ وَفَوْزَ جَزُولُ

وكذلك يقال للمقتول : قد ثوى . قال أبو كبير الهذلي :

تَغْدُو فَتَرْكُ فِي الْمَزَاحِفِ مَنْ ثَوَى      وَنَقَرَ فِي الْعِرْقَاتِ مَنْ لَمْ يُقْتَلْ

وحائر : لم يتَّجه لشيء ولم يهتد لسبيله . وفي بعض النسخ « جائر » من الجور ، وهو الميل عن القصد . وهواء : خال لا فؤاد له . وفي حديث عائكة :

فهن هواء والحلوم عوازبُ

والهوافي : الإبل الضوال . ويقال للطائر إذا طار : هفا ، وكذلك الطَّيِّب والريِّح ، وقد أراد بها هنا الأسماك . أراد ما على ظهر الأرض بسماها ، وما انطوت عليه بحارها .

والدَّماء : البحر . قال الأفوه الأودي :

والليلُ كاللِّدَاءِ مُسْتَشْعِرٌ      مِنْ دُونِهِ لَوْ نَا كُلُّونَ السَّدُوسِ

يقول : كفوا أيها النَّاسُ من غُلواتكم ، وخَفِّفُوا من غُروركم ، فإنما أنتم للأيام أغراضٌ غير مومومة ، وأهداف غير مرحومة ، ولعمري إن تشفق عليكم الأيام إلا إذا أشفقت الرحي على ما تطحن من حَبٍّ ، وإن تَرثَى لكم السَّنُون إلا إذا رثت الأرض لما تَضُمُّ من الأشلاء . ولكني ما أرى لكم من الذِّكَاة حَظًّا ، وما أعرف بين عقلائكم وبين بُله الحيوان فرقاً ، سواء منكم ذو العقل الراجح ، والرأى الصائب . ما أجِد رُجحان أحلامكم وصواب آرائكم يَزِن خِقة أحلام الطَّيْرِ في الهواء ، والسَّمَك في الماء .

٢٨ (وَكَانَ الْهَمَامَ عَمْرَو بْنَ دَرْمَاءَ      فَلْتَهُ مِنْ أُمِّهِ دَرْمَاءُ)

عمرو بن درماء ، رجل من بني مُثَل . قال ابن الكلبي : هو عمرو بن عدى بن ذبيان بن ثعلبة . ودرماء أمه ، بنت حنّة بن عمرو بن أفضى بن دُعِي .

وكان أمروؤ القيس بن حُجر نَزَلَ عليه عند طلب المُنذر بن ماء السماء إِيَّاهِ وأُستجار به ، فأجاره عمرو وأكرمَه . وفي ذلك يقول أمروؤ القيس :

وَأُتْعِلًا وَأَيْنَ مَنِّي بَنُو تُعَلِّ      أَلَا حَبَّذَا قَوْمٌ يَحْلُونُ بِالْجَبَلِ  
نَزَلْتُ عَلَى عَمْرِو بْنِ دَرْمَاءَ بُلُطَّةً      فَيَا كَرَمَ مَا جَارِي يَا حَسَنَ مَا فَعَلَ  
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

وعمرُ بن دَرْمَاءَ الهُمَامَ إِذَا غَدَا      بِذِي شُطَبَ عَضْبٍ كَشِيَّةٍ قَسُورًا  
وَفَلَتَتْهُ ، أَى فُطِمَتْهُ عَنِ الرَّضَاعِ . ومثل « فلا » في ذلك « أفتلى » . والدَرْمَاءُ :  
الأَرنب ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمَقَارَبَتِهَا الْخَطُو إِذَا مَشَتْ . يقال : درمت تَدْرُمُ .  
وبالأَرنب يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِالضَّعْفِ . قال الأعشى :

أَرَانِي لَدُنْ أَنْ غَابَ رَهْطِي كَأَنَّمَا      يَرَانِي فِيكُمْ طَالِبُ الضِّيمِ أَرْنَبًا  
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

أَرَانِبَ غَيْرِ أَنَّهُمْ مُلُوكٌ      مُفْتَحَةٌ عِيُونُهُمْ نِيَامُ  
وخصَّ الأَرنب الدَرْمَاءَ بِالذِّكْرِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهَا أضعفَ منها ، طَلَبًا  
لصنعة الجناس .

يقول : أَفَيقُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَأَسْتَبصِرُوا ، إِنَّمَا أَنْتُمْ لِلْأَيَّامِ هُزَاةٌ ، وَلِلزَّمَانِ  
ضُحْكَةٌ ، وَلِلْعَوَادِثِ مُسْتَذَلُونَ . أَرَأَيْتُمْ إِلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ قَدْ احْتَدَّتْ  
شُوكَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ سَطَوَتُهُ ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ، كَيْفَ أَغَارَتْ عَلَيْهِ الْآيَّامُ زَارِيَةً  
عَلَيْهِ ، مُحْتَقِرَةً لَهُ ، تَسْتَذِلُّهُ اسْتِذْلَالُ الْأَرْنَبِ .

٢٩ (وَالْبَهَارُ الشِّمِيمُ تَحْمِيهِ مِنْ وَطْءِ مُعَادِيكَ أَرْنَبُ شَمَاءُ)

البهار : نبت طَيِّبُ الرِّيحِ ، وقال الجوهري : البهار : العَرَارُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ

عين البقر ، وهو بهار البر ، وهو نبت جَعْد له قُتَّاحَة صفراء . والشَّميم : المرتفع ، يريد المرتفع المنبت . وقد يكون الشَّميم بمعنى المشموم ، فعيل بمعنى مفعول . والوطء ، بالقدم ، ويستعمل في الإذلال والقهر ، ومنه الحديث : « اللهم أشدُّدا وطأتك على مُضَر » . وأَرْنَب : جمع أرنبه ، وهى طرف الأنف . والأرنب أيضاً : الأكمة والمهضبة ، على التشبيه .

وشَمَاء : مرتفعة . ولعله أراد « بالأرنب الشَّمَاء » منابت البهار المرتفعة فلا تصل إليها مواطئ الأقدام ، وقد يكون على الأصل ، إذ المشموم ما دام مَوْصُولاً يغرّين أنفك فهو أبعد عن أن يوطأ . والأرنب ، على التوجيهين ، مثَلٌ للسبب الواهى الضعيف ، أو المطرَح المتروك .

أو لعله أراد « بالأرنب الشَّمَاء » العزة والكبر ، يشير إلى استبداد السادة بنصرة العيش .

يقول : أجل إنكم لتفاضلون فى الحياة نعمة وبؤساً ، وإن أقداركم لتختلف رفعةً وضعةً ، ولكنكم جميعاً إلى فناء ، قد اختلفت إليه الطرق وتشعبت إليه المسالك ، فلئن كان الفقر لا يُميت الملوك وأصحاب النعمة والثراء ، لقد جعل لها الدهر من غناها رَصداً مُهلكاً ، ومن ثروتها عِلَّةً مُميتة ، فهم كالزَّهْرَة النضرة ، لا يُذبلها وقع الأقدام ، ولكن يُذبلها شَمُّ الأنوف .

٣٠ (وَعَرَانَا عَلَى الْحُطَامِ ضِرَابٌ وَطِعَانٌ فِي بَاطِلٍ وَرِمَاءٌ)

عَرَانَا : غَشِينَا . والحُطَام : ما تكسَّر من النبت وتحطَّم ، يُشَبَّه به ما لا طائل تحته من الأمور .

والضَّرَاب : المجالدة ، فعال من ضاربه ، إذ جالده ، وكذا الطَّعَان والرماء ، فعال ، من طاعن بالرمح ، ورامى بالسهم والنبل .

يقول : فِيمَ الطَّعَانِ وَالضَّرَابِ ؟ وفيم الرِّمَاءِ وَالْجِلَادِ ؟ إِنَّمَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ فِي بَاطِلٍ ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ فِي زُورٍ ، وَلَكِنْ هَلْ يَنْفَعُكُمُ النَّصْحُ ، أَمْ هَلْ تُفِيدُكُمُ الْمَوْعِظَةُ ؟ لَقَدْ أَسْوَدَّتْ قُلُوبٌ ، وَضَلَّتْ عُقُولٌ ، وَلَقَدْ أَضْغَى الْحَكِيمُ إِلَى نِدَاءِ الْحَقِّ ، وَصَمَّ عَنْهُ الْجَاهِلُ الْمَغْرُورُ .

- ٣١ (أَسْوَدُ الْقَلْبِ أَسْوَدٌ وَمَتَى مَا تُصْنَعُ أُذُنِي فَأَذُنُهُ صَمَاءٌ)  
 ٣٢ (قَدْ رَمَى نَابِلٌ فَأَنْمَى وَأَضْمَى وَلِيَّالِيكَ مَا لَهَا إِنْمَاءٌ)

« أسود » الأولى : حبة القلب ، وقيل : دمه ، وهي سَوَادُهُ وَسَوَادُوهُ وَسَوَادِيَّةٌ .

و « أسود » الثانية . ضرب من الحيات عظيم يقال له : أسود سَالِحٌ ، لَأَنَّهُ يُسَلِّخُ جِلْدَهُ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَيُقَالُ لِلْأُنْثَى : أَسْوَدَةٌ . وَلَا تُوصَفُ بِسَالِحَةٍ ، أَقَامَهُ مُقَامَ الْعَلَمِ ، فَفُتِّدَتِ الْوَصْفِيَّةُ ، وَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تَصْرَفَ .  
 وَالصَّمَاءُ مِنَ الْحَيَّاتِ : الَّتِي لَا تُجِيبُ الرَّاقِيَ . جَعَلَ إِبَاءَ قَلْبِهِ الْمَوْعِظَةَ مِنْ إِبَاءِ الْحَيَّةِ رُقِيَّةَ الرَّاقِ .

وَالنَّابِلُ : الَّذِي مَعَهُ النَّبَلُ ، وَمِثْلُهُ النَّبَالُ . فَإِنْ كَانَ يَعْمَلُهَا لَا غَيْرَ ، فَهُوَ نَابِلٌ لَا غَيْرَ . وَيُقَالُ : رَمَى الصَّيْدَ فَأَضْمَى ، إِذَا أَصَابَ مَقْتَلَهُ فَمَاتَ فِي مَوْضِعِهِ ؛ وَرَمَى فَأَنْمَى ، إِذَا لَمْ يُصَبِّ مَقْتَلَهُ فَتَنَهَضَ بِالسَّهْمِ . وَفِي الْحَدِيثِ : « كُلُّ مَا أَضْمَيْتَ وَدَعْتَ مَا أَنْمَيْتَ » .

يقول : مَا الَّذِي أَعْجَبُكُمْ مِنَ الْإَيَّامِ قَتَالِكُمْ عَلَيْهِ ؟ وَمَا الَّذِي رَاقَكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ فَتَفَانَيْتُمْ فِيهِ ؟ إِنَّ الْإَيَّامَ لَتَسْلُكُ سَبِيلَهَا إِلَى الْفَنَاءِ صُمًّا ، حَتَّى لِيَكَادَ الْمُقَامِرُ أَنْ يَكُونَ أَوْثَقَ مِنْهَا بِالرَّبِّحِ ، وَأَضْمَنَ مِنْهَا لِلْإِصَابَةِ الْخَيْرَ .



- ٣٣ (إِنَّ رَبَّ الْحِصْنِ الْمَشِيدِ بَيْتِيَّما ۚ تَوَلَّىٰ وَخُلفَتْ تَيْمَاءُ)  
 ٣٤ (أَوْمَأَتْ لِلْحَذَاءِ كَفُّ الثَّرِيَّا ۖ ثُمَّ صَدَّ الْحَدِيثُ وَالْإِيَاءُ)  
 ٣٥ (شَهِدَتْ بِالْمَلِكِ أَجْمَعُهَا السَّتَّةُ ۖ ثُمَّ الْخُصِيبُ وَالْجُذْمَاءُ)  
 ٣٦ (فَهِمَ النَّاسُ كَالْجَهُولِ وَمَا يَظُنُّ فَرَّ إِلَّا بِالْحُسْرَةِ الْفُهِمَاءُ)

يريد « بالحصن المشيد » : الأبلق ؛ ورثته : السؤال بن عادي اليهودي ،  
 وكان له حصنان ، يقال لأحدهما : الأبلق ، وللآخر : مارد . وسُمي « أبلق » لأنه  
 بُني من حجارة بيض وسود . وفيه يقول الأعشى :

كُنْ كَالسَّمَوِّ إِذْ سَارَ الْهُمَامُ لَهُ      فِي جَعْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ  
 بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءِ مَنْزِلُهُ      حِصْنِ حَصِينٍ وَجَارٍ غَيْرِ غَدَّارٍ

والمشيد : المبنى بالشيء ، وهو الحصن . وتيماء : بلد في أطراف الشام .  
 وأوماً : أشار إلى قدامه وإلى خلفه ، ومثله : أوباً . وقيل : الإياء إلى قدام ،  
 والإيياء إلى خلف . والحذاء : الكثير الاحتذاء . والعرب تُسمى « الدَّبران » الحاذي  
 والحذاء ، لأنه يتبع الثرياً ومعه قِلاص يَحْذُوها ، وهي الفتية من الإبل ،  
 واحدتها قلوص . وتزعم العرب أن الدَّبران خطب الثرياً وساق إليها عشرين  
 كوكباً مهزراً لها ، وأن العيوق عاقها عن نكاحه ، فسموه العيوق . فهو يتبعها  
 وهي لا تقبل عليه . والثرياً : من الكواكب . سُميت لغزارة نوائها ، وقيل :  
 لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها . فكانتها كثيرة العدِّ بالإضافة إلى ضيق المحل .  
 لا يُتكلَّم به إلى مصغراً ، وهو تصغير على جهة التكبير .

وفي بعض النسخ : « السبعة » مكان « الستة » . وروى عن ابن سيرين  
 أن امرأة قالت له : رأيت البارحة فيما يرى النائم القمر قد دخل في الثرياً ،  
 وسمعت قائلاً يقول لي : إيتي ابن سيرين فقصي عليه . فقال ابن سيرين : إني

سَامُوت إلى سبعة أيام . فكان كذلك . وللثريّا كَفَانٌ يقال لأحدهما :  
الخَضِيب ، وتُسمى أيضاً : المبسوطة ، وهى آخذة نحو الشمال ، وتسمى أيضاً : سَنَامُ  
الناقة . والكف الثانية تسمى : الجذماء ، وهى آخذة نحو الجنوب . قال أبو حنيفة :  
سُمِّيتْ جَذْمَاءَ لِقَصْرِهَا ، وذلك أنها لا أمتدادَ لها . وقال غيره : سُمِّيتْ جَذْمَاءَ  
لبعدِها عن الثريّا فكانَها مُنْقَطعة عنها ، وإلى هذا المعنى الثانى أشار المعرى فى  
قوله يصف الثريّا :

كَأَنَّ يَمِينَهَا سَرَقَتْكَ شَيْئًا وَمَقْطُوعٌ عَلَى السَّرَقِ الْبَنَانُ

يقول : لقد مضى صاحب تيماء وبقيت تيماء بعد ذلك ناطقة بالعبرة والموعظة  
لو تسمعون أو تعلقون . لقد أومأت إليكم الثريا واعظةً وأشارت إليكم ناحمة ،  
ثم انقطع إيمانها وسكنت إشارتها . لقد أعجزت سرعتُها سرعتكم ، وأغيا جذُها  
جذكم ، وشهدت نجومُها الستة بما أغفلتم عنه من آية بيّنة . فقلت كل ذلك فلم  
يفهم عنها إلا الحكيم ، على أنه لم يعد من فهمه وفقهه إلا بالحسرة والأسى .

- ٣٧ ( تَلْتَقِي فِي الصَّعِيدِ أُمٌّ وَبِنْتُ )  
٣٨ ( وَأَنْبِقُ الرَّيِّعُ يُذَرِّكُهُ الْقَيِّ )  
٣٩ ( وَطَرِيقِي إِلَى الْحَمَامِ كَرِيَّةُ )  
٤٠ ( وَلَوْ أَنَّ الْبَيْدَاءَ صَارِمُ حَرْبِ )  
٤١ ( كَيْفَ لَا يُشْرِكُ الْمُضِيقِينَ فِي النَّعَةِ )  
وَتَسَاوَى الْقَرَنَاءُ وَالْجُمَاءُ )  
ظُ وَفِيهِ الْبَيْضَاءُ وَالسَّحْمَاءُ )  
لَمْ تُهَبْ عِنْدَ هَوَاهُ الْيَهْمَاءُ )  
وَهِيَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ صَرْمَاءُ )  
مَةِ قَوْمٌ عَلَيْهِمُ النَّعْمَاءُ )

الصعيد : القبر . قال الشاعر :

أَضْحَتْ أُمَيَّةٌ مَعْمُورًا بِهَا الرَّجَمُ لَنِي صَعِيدٍ عَلَيْهِ التُّرْبُ مَرُتَكُمُ

والصعيد أيضاً : وجه الأرض . والقرناء : الشاة التي لها قرنان . والجماء : التي لا قرنين لها . ضَرَبَ « القرناء » مثلاً لمن يدفع عن نفسه ، و« الجماء » مثلاً لمن لا دفاع عنده .

والأنيق : الذي يُعجب مَنْ نظر إليه : والقيظ . أشد الحر . والسَّحماء : السوداء . أقام البياض والسواد مثلين للشيب والشباب .

واليهماء من الفلوات : التي لا ماء فيها . والبيداء : القلاة التي تُبِيد مَنْ سَلَكَهَا . وصَرَّماء : غابت مياهها . وشَبَّه البيداء بما فيها من لمعان السراب بصارم قد سُلَّ فيها . والمُضَيِّق : الذي ضاقت حاله .

يقول : أسهلوا أيها الناس فقد أحزنتم ، وياسروا فقد عاسرتم . وأعلموا أنكم في حُكِّ الموت سواء ، ليس لغنيتكم على فقيركم فضيلة ، ولا لأمركم من حقيركم مزية ، إنما هي طريق مسلوكة إلى الفناء ، أشدَّ وَحْشَةً من البيداء ، وأكثر ظلمة من غُبر الفلا . ألا فليؤاس بعضكم بعضاً . لقد استويتم في الموت فلمَ لا تستوون في الحياة ؟ لِمَ أجِد منكم في الحياة مُوسراً ومُعسراً ، ومُنعماً وبائساً ؟ ألا فلتقتسموا تعب الحياة الفانية ، كما اقتسمتم راحة الفناء المقيم .

## الهمزة المفتوحة

### اللزومية السابعة عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المفتوحة مع السين :

١ (رُوَيْدَكَ قَدْ غُرِزْتَ وَأَنْتَ حُرٌّ بِصَاحِبِ حِيَلَةٍ يَعْظِ النَّسَاءُ)

رويداً ، بدل من قولهم « إزواداً » التي بمعنى « أرود » فكأنه تصغير الترخيم بطرح جميع الزوائد . وهذا حكم هذا الضرب من التحقير . والكاف في « رويدك » لا موضع لها وإنما هي للخطاب . قال ابن سيده : ومن العرب من يقول : رويد زيد . كقوله غدر الحى ، وضرب الرقاب .

وتقع « رويد » على أربعة أوجه : اسم فعل ، نحو : رويداً عمراً ، أى أمهل عمراً . وصيغة ، نحو : ساروا سيراً رويداً . وحال ، نحو : سار القوم رويداً . ومصدر ، نحو : رويداً عمرو ، بالإضافة .

وقال ابن كيسان : كأن « رويداً » من الأضداد ، تقول : رويداً ، إذا أرادوا : دعه وخله ، وإذا أرادوا : ارفق به وأمسكه ، قالوا : رويداً زيداً ، أيضاً .

وأراد بهذا القيد « وأنت حر » مزيد معنى ، إذ الحر فوق إبانته ما يضير ، أقوى على أن يثور .

يقول : يا له من فقيه قد أكثر فيكم الوعظ ، وأثقل عليكم النصح ، وتردد على نساكنكم مرشداً هادياً ، ومذكراً داعياً ، وأتم له مضغون ، وحوله محتشدون ؛ تذرّفون لمقاتله الدّموع ، وتفظرون لألفاظه القلوب ، أنتبهوا فقد غفلتم .

- ٢ (يُحَرِّمُ فِيكُمْ الصَّهْبَاءَ صُبْحًا وَيَشْرِبُهَا عَلَى عَمْدٍ مَسَاءً)  
 ٣ (تَحَسَّاهَا فَمِنْ مَزْجٍ وَصِرْفٍ يُعَلُّ كَأَنَّمَا وَرَدَ الْحِسَاءُ)  
 ٤ (يَقُولُ لَكُمْ غَدَوْتُ بِلَا كِسَاءٍ وَفِي لَذَائِهَا رَهْنُ الْكِسَاءِ)

الصَّهْبَاءُ : الخمر ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِلْوَنَاءِ . وقيل : هي التي عُصِرَتْ مِنْ عِنَبٍ أبيض . وقيل : هي التي تكون منه ومن غيره ، وذلك إذا ضربت إلى البياض .  
 والصهباء : اسمٌ لها كالعَلَمِ ، وقد جاءت بغير ألف ولام ؛ لأنها في الأصل صِفَةٌ .  
 قال الأعشى :

وَصَهْبَاءُ طَافَ يَهُودِيَّهَا وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خَمٌّ

والعمد : الجَدُّ واليقين ، والمسموع الوارد في ذلك : فعلت ذلك عمداً على عين ، وعمد عين ، أى بجِدٍِّ و يقين . فمن الأول قول خُفَّافِ بْنِ نُدْبَةَ :  
 إِنْ تَكْ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنٍ تَيْمَمْتُ مَالِكًا  
 ومن الثاني قول عُمر بن أبي ربيعة :

ثُمَّ صَدَّتْ بَوَاجِهُهَا عَمْدَ عَيْنٍ زَيْنَبُ لِلتَّقْضَاءِ أُمُّ الْحُبَابِ

والتَّحَسُّى : الشُّرْبُ فِي مُهَلَةٍ ، ومثله الخَسُو ، والأصل فيه للطائر . يُقَالُ : حَسَا الطَّائِرُ الْمَاءَ وَتَحَسَّاهُ . ولا يقال : شَرِبَ . والمَزْجُ ، بِالْفَتْحِ : الْخَلْطُ ، وَالشَّرَابُ الممزوج . وكلُّ نوعين امتزجا فكلُّ واحد منهما لصاحبه مَزْجٌ ، بالكسر . وقد سَمَّى أَبُو ذُوؤَيْبٍ الْمَاءَ الَّذِي تُمَزَّجُ بِهِ الْخَمْرُ مَزْجًا ؛ لِأَنَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ يُمَزَّجُ صَاحِبَهُ ، فَقَالَ :

بِمَزْجٍ مِنَ الْعَذْبِ عَذْبِ السَّرَاهِ يُزْعِزُهُ الرِّيحُ بَعْدَ الْمَطَرِ

والصِّرْفُ ، بالكسر : الخالص من كلِّ شيء . وشراب صِرْفٍ ، أى بَحْتٍ لم يُمَزَّجَ . ويُعَلُّ ، على ما لم يُسَمَّ فاعله : يُسْقَى ثَانِيَةً . يقال : عَلَّه يَعْلُهُ ، بضم

العين وكسرها في المضارع ، إذا سقاه الثانية . ويَصَحَّ أن يكون « يعلّ » في البيت على ما سُمّي فاعله . إذ هو يتعدّى ولا يتعدّى . تقول : علّ ، إذا شرب الشربة الثانية . والمراد تكرار الشرب . والحساء ، بالكسر : جَمْعُ حَسَى ، بالكسر أيضاً ، وهو سهل من الأرض يُسْتَنْقَع فيه الماء ، أو هو غَلْظُ فوقه رمل يجتمع فيه ماء السماء ، فكلما نَزَحَتْ دَلَوًا جَمَعَتْ أُخْرَى . وقيل : هو الرمل المتراكم ، أسفلَه جبلٌ صَلَدٌ ، فإذا مُطِرَ الرملُ نَشِفَ ماء المطر ، فإذا أَنتَهَى إلى الجبل الذي أسفلَه أَمْسَكَ الماءُ وَمَنَعَ الرملُ حَرَّ الشمس أن يُنَشِّفَ الماء . فإذا اشتدَّ الحَرُّ نُبِثَ وجه الرمل عن ذلك الماء فَنَبِيعَ بارداً عَذْباً . وفي حديث أبي التَّيَّهَان : « ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الماءُ مِنْ حِسَى بَنِي حَارِثَةَ » . وَوَرَدَهَا : جَاءَهَا لِيَشْرَبَ .

يقول : أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ مُحْتَالٌ كَاذِبٌ ، وَغَرَّارٌ خَادِعٌ ، يُظْهِرُ لَكُمْ النُّسْكَ ، وَيُخْفِي عَنْكُمْ الْإِفْكَ ، يَنْهَاكُمْ عَنِ الْحَمْرِ وَهُوَ لَهَا مُدْمِنٌ ، وَيُظْهِرُ لَكُمْ الْفَقْرَ وَإِنَّمَا أَفْقَرْتُهُ مَعْصِيَتُهُ . سَلُّوهُ عَنْ كِسَائِهِ أَيْنَ أَضْلَهُ وَفِيمَ فَقَدَهُ ، يَشْكُ لَكُمْ صَرَفَ الْأَيَّامِ وَتَتَابُعَ الْأَحْدَاثِ ؛ ثُمَّ سَلُّوا الْخِمَارَ عَنْ هَذَا الْكِسَاءِ تَجِدُوهُ عِنْدَهُ رَهِينًا بَدَنٍ مِنْ رَاحٍ أَوْ زِقٍّ مِنْ عُقَارٍ .

هـ ( إِذَا فَعَلَ الْفَتَى مَا عَنَّهُ يَنْهَى فَمِنْ جِهَتَيْنِ لَا جِهَةَ أَسَاءَ )

يقول : أَلَا إِنَّ شَرَّ النَّاسِ الْمُقْتَرِفُونَ لِمَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ ، إِنْهُمْ يُسَيِّئُونَ مِنْ جِهَتَيْنِ : يُسَيِّئُونَ لِاقْتِرَافِ الْآثَامِ ، وَيُسَيِّئُونَ لِعَشِّ النَّاسِ وَتَضْلِيلِ الْعُقُولِ .

## الزومية الثامنة عشرة

وقال أيضاً في الهمة المفتوحة مع الجيم :

- ١ ( نَرْجُو الْحَيَاةَ فَإِنْ هَمَّتْ هَوَّاجِسُنَا      بِالْخَيْرِ قَالَ رَجَاءُ النَّفْسِ إِرْجَاءُ )  
 ٢ ( وَمَا نَفِيقُ مِنَ السُّكْرِ الْمُحِيطِ بِنَا      إِلَّا إِذَا قِيلَ هَذَا الْمَوْتُ قَدْ جَاءَ )

الهواجس : الخواطر وما يقع في الخلّد ، الواحد : هاجس ، صفة غالبة غلبة الأسماء . وهو مما يطرد فيه هذا الجمع ما لم يكن وصفاً لمذكر عاقل .

والرجاء : من الأمل ، نقيض اليأس ، ويكون بمعنى الخوف أيضاً . وقال الفراء : « الرجاء » في معنى الخوف لا يكون إلا مع الجحد . تقول : ما رجوتك ، أى ما خفتك . ولا تقول : رجوتك ، في معنى خفتك . وأنشد لأبي ذؤيب :

إِذَا لَسَعَتْهُ النُّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا      وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ

والمعنى هنا في بيت المعرّي على الأول ، إلا إذا قيل إنه خوف النفس من أن يلفتها هاجس الخير عن الحياة . والإرجاء : التأخير ؛ أرجأت الأمر وأرجيته ، إذا أخرته ، يهمز ولا يهمز .

يقول : ما أشدّ أغترارنا بالحياة وأسترسالنا في الأمل ؛ نرجو العيش راغبين فيه ، ونزجى الخير مُتبرّمين به ؛ مُغرقين في سُكْر عميق ، لا يُنبهنا إلا صيحة الموت ودعوة الحمام .

## اللزومية التاسعة عشرة

وقال أيضاً في الهمة المفتوحة مع الباء وواو الرّذف :

- ١ ( قَدْ نَالَ خَيْرًا فِي الْمَعَاشِرِ ظَاهِرًا      مَنْ كَانَ تَحْتَ لِسَانِهِ نَجْوًا )  
 ٢ ( بَاءَ الْكَلَامِ بِمَا نَمَّ وَالصَّمْتُ لَمْ      يَكُ فِي الْأَعْمِّ بِمَا نَمَّ لِيُؤْ )

« ظاهراً » : وصف لـ « خيراً » . واللسان ، بمعنى الجارحة والمِقُول ، يذكر ويؤث ، والجمع ألسنة وألسُن ، لأنّ ذلك قياس ما جاء على « فِعَال » من المذكر والمؤنث . أما اللسان بمعنى اللغة فمؤنث لاغير . وقال اللحياني : اللسان في الكلام ، يذكر ويؤنث .

وباء بالإثم أو الذنب ، إذا أحتمله ، وقيل : أعترف به . وفي قوله تعالى : ( إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ) . قال ثعلب : معناه : إن عزمت على قَتْلِي كان الإثم بك لا بي . وقال الأخفش : ( بَاءُوا بَفَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ) : رجعوا به . وبكلّ يَسْتَقِيمُ المعنى .

والمائم : الذنب ، كالإثم . يقال : أئِمَّ فلان يَأْتِمُّ إثمًا ومائمًا ، إذا وقع في الإثم ، وأئمه الله يَأْتِمُّه : عاقبه بالإثم . والأئام والإئام : عُقُوبَةُ الإثم .

« ولم يك » الأصل فيها « لم يكن » . فحذفت نون المضارع المجزوم جوازاً ، هذا بشرط ألا يَلِيهَا ساكن ولا ضمير متّصل ، وإلا فلا يصحّ الحذف . والأعم : الجماعة . قال أبو زيد : وليس في الكلام أفعل يدلّ على الجمع غير هذا ، إلا أن يكون اسم جنس ، كالأرّوى ، والأمرّ ، الذي هو الأمعاء ، وأنشد :

نَمَ رَمَانِي لَا أَكُونَنَّ ذَبِيحَةً      وَقَدْ كَثُرَتْ بَيْنَ الْأَعْمِّ الْمَصَائِضُ



وفي الأعم ، أى عند جمهور الناس وجماعتهم . وتوجيه العبارة : والصمتُ لم يك ليَبوء بماثم فى الأعم . أى وما عرف جمهور الناس أن الصمت جرّ إلى مآثم .

وقد يكون « أعم » أفعل من « عم » بمعنى شمل ، والمعنى به غير بعيد عن سابقه .

يقول : الصمت الصمت ، احتفظ به وأحرص عليه ، فإنه مأمّن لك من الشرّ ومنجاة من الزلل . أخبأ نفسك تحت لسانك ، لا تُحرّكه فيظهر ما يعيبها من نقیصة ، وما يشينها من رذيلة . ما أرى كالكلام مصدرّاً للإثم ، ولا كالصمت مُبرّئاً منه .

٣ ( إِنْ يَرْتَفِعْ بَشْرٌ عَلَيْكَ فَكُفَّ عَنْهُ )

ارتفع ، بمعنى علا وبمعنى تقدّم . وكلا المعنيين جائز ، فهو يُريد الظهور ؛ وما علا أو تقدم فقد ظهر . وإذا وصلت الكلام بما قبله كان الظهور بفضل الحديث ، وإلا فالأمر على العموم .

والعلم : الجبل الطويل . وقال الأحيانى : العلم : الجبل ، فلم يخصّ الطويل . ويُجمع على أعلام وعِلام . و « تابع فتنة » ، أى لزّمة لها ، من خدامها والمُعِينين عليها .

ومربوء : مفعول ، من : ربأ القوم ولهم ، إذا اطلع لهم على شرفٍ ليرقب ويعتّن . و « ربأ » أيضاً : بمعنى أشرف ؛ والشئ : علاه . وعلى هذا المعنى الثانى فصيغة المفعول على وجهها ، إذ الجبل معتلّ ومكان إشراف . وعلى الأول ، فاسم المفعول مُضمّن معنى اسم المكان بتقدير جارّ ومجرور محذوف ، والتأويل :

مربوء عليه ، إذ المربوء القوم ؛ والمربأ : المكان يربأ عليه . ولعلّ في البيت إشارة إلى ابن نُوح عليه السلام حين تَبِعَ الفِتْنَةَ والضَّلَالَةَ وعصى عن أمر ربه وعلا الجبلَ لِيَقْصِمَهُ .

يقول : الأناةَ الأناةَ ، والحَزَمَ الحَزَمَ ، لا يُغْضِبَنَّكَ فَوْقَ الناس عليك ، وَسَبِّقْهُمْ لَكَ ، وإن أَحْسَسْتَ مِنْ نَفْسِكَ الْفَضِيلَةَ ، وعرفتَ لها التقدم ؛ فإنَّ الجَبَلَ الشاهق لا يَتَأَذَّى حين يعلوه الرقيبُ صاحبُ الفِتْنَةِ ، ويتسَنَّمه الشريرُ حليفُ السيِّئَةِ .

٤ ( مَهْلًا أَمِنْ وَبِأٍ فَرَزْتَ وَهَلْ تَرَى فِي الدَّهْرِ إِلَّا مَنَزِلًا مَوْبُوءًا )

مهلا ، أى رفقًا وسكونًا لا تعجل . وقال الليثُ : المَهْلُ ، هو السَّكِينَةُ والوَقَارُ . وهى مَوْحَدَةٌ ، للواحد والاثنين والجمع والمؤنث . وإذا قيل لك : مهلاً ، قلت : لا مهلَ والله ؛ ولا تَقُلْ : لا مهلاً والله . وتقول : ما مهلُ والله بِمُغْنِيَةِ عَنْكَ شَيْئًا

والوباء : الطاعون ، بالقصر ، وللد والهمز . وقيل : هو كل مَرَضٍ عام . وَجَمَعَ الممدود : أوبية؛ وجمع المقصور : أوباء . وفى الحديث : « إنَّ هذا الوباءَ رِجْزٌ » . والموبوء : الكثير الوباء ، ومثله الوبيء ، والوبىُّ ، والموبىُّ .

يقول : ممّ تهرب ؟ وإلى أين تفرُّ ؟ الرِّيثَ الرِّيثَ ، لقد أزعجك الوباء الذى أَلَمَّ ببلدك ، فهل تعرف بلدًا غير مَوْبُوءٍ ؛ تفرُّ من رذائل أصحابك ، فهل تعرف أصحابًا خلَوْا من الرذائل ؟ أُلْبَسَ العالمُ على عِلَاقَةٍ ، وأُصْحَبَهُ على ما فيه من سوء .

- ٥ (تُسَبِّى الْكَرَّائِمُ وَالْكُمَيْتُ شَرَابُهَا يُبْلَغُ لِلْأَمِّ شَارِبٍ مَسْبُوءٍ )  
 ٦ ( حَلْفُ الْعَبَاءِ سَوْفَ يُصْبِحُ مِثْلَهُ مَلِكٌ وَيَتْرُكُ طَيْبَهُ الْمَعْبُوءُ )

السَّبِي : الأسر . والسَّبَا ، بالهمز : شِراء الخمر لشربها . ويا كُثْر ما يلعب أبو العلاء بهذين اللفظين . وقد مرَّ عنهما شرح مُفَصَّل<sup>(١)</sup> . والكرائم : جمع لكريمة وكريم ، وصُفِين للمؤنث ؛ وبهما وُصِفَت المرأة العزيزة الجامعة لكل ما يُحْمَد . وشاهد الكريم وصفاً للمرأة حديثُ أُم زَرْع : « كَرِيمُ الْخِلِّ لَا تُخَادِنُ أَحَدًا فِي السَّرِّ » . فأطلقت كريماً على المرأة ، ولم تقل : كريمة الخلل ، ذهاباً به إلى الشخص . وتُطْلَقُ « الكريمة » على الرجل الحَسِيب فيقال : هو كريمة قومه ، الهاء فيه للمبالغة . وفي الحديث : إِنَّهُ أَكْرَمَ جَرِيرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ فَبَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ وَنَعَّمَهُ بِيَسَدِهِ ، وقال : « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمَةُ قَوْمٍ فَأَكْرَمُوهُ » . وقال صَخْر :

أَبَى الْفَخْرَ أُنَّى قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِي وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاهُ الْخَنَى مِنْ شِمَالِيَا

يعنى بقوله « كريمتى » أخاه معاوية بن عمرو . والكميت : الخمر . وقد مرَّ شَرْحُهَا<sup>(٢)</sup> . وَيُبْلَغُ : يوجد . تقول : أَلْفَيْتُ الشَّيْءَ أَلْفِيَهُ إِفَاءً ، إِذَا وَجَدْتَهُ وَصَادَفْتَهُ وَلَقِيتَهُ . وفي حديث عائشة رضى الله عنها : « مَا أَلْفَاهُ السَّحَرُ عِنْدِي إِلَّا نَائِمًا » . أى مَا أَتَى عَلَيْهِ السَّحَرُ إِلَّا وَهُوَ نَائِمٌ . تعنى بعد صلاة الليل ، والفعل فيه للسَّحَر

وَالْحَلْفُ : الْحَلْفُ . وَالْعَبَاءُ : ضَرْبٌ مِنَ الْأَكْسِيَةِ وَاسِعٌ فِيهِ خُطُوطٌ سُودٌ كِبَارٌ ، وَهُوَ لُغَةٌ فِي الْعَبَايَةِ . قَالَ سِيبَوَيْهِ : إِنَّمَا هُمَزَتْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَرْفُ الْعَلَّةِ فِيهَا طَرَقًا ، لِأَنَّهُمْ جَاءُوا بِالْوَاحِدِ عَلَى قَوْلِهِمْ فِي الْجَمْعِ : عَبَاءٌ . وَقَالَ

(١) انظر البيت الثاني من الزومية الأول ص ٥٣ من هذا الجزء

(٢) انظر البيت الثاني من الزومية الأول ص ٥٣ من هذا الجزء

أَبْنُ جَنَى : وقد كان ينبغي لما لحقت الهاء آخرًا ، وجَرى الإعراب عليها ، وقويت الياء لبُعدها عن الطرف ، أَلَّا تُهْمَز ، وألا يقال : إلا عباية ، فيقتصر على التصحيح دون الإعلال ، وأَلَّا يجوز فيه الأمران . إلا أن الخليل قد علَّل ذلك ، فقال : إنهم إنما بنَوْا الواحد على الجمع ، فلما كانوا يقولون « عباء » فيلزمهم إعلال الياء لوقوعها طرفًا ، أدخلوا الهاء ، وقد أنقلبت الياء حينئذ همزة ، فبقيت اللام معتلة بعد الهاء ، كما كانت مُعتلة قبلها .

والطَّيِّب : ما يُطَيَّب به . والمعْبُوء : المَصْنُوع المخلوط . عَبَأَ فلان الطيبَ يَعْبُوهُ عَبَأً : صنعه وخلطه . قال أبو زُبَيْد يصف أسدًا :

كَأَنَّ بَنَحْرَهُ وَبِمَنْكِبَيْهِ عَمِيرًا بَاتَ يَعْبُوهُ عَرُوسُ

يقول : القناعة ، القناعة ؛ أَرِحْ نفسك من طَمَعٍ لَا يُفِيدُ ، وَشَرِّهِ لَا يَنْفَعُ ؛ وَلَا تَلَمْ الحَظَّ وَلَا تُنْكَرِ المُصَادِفَةَ ، فَكَذَلِكَ طَبِيعَةُ الزَّمانِ . انْظُرْ إلى الحَسَناءِ الْفَاتِنَةِ يَسْبِيهَا الْقَبِيحُ الشَّرِيرُ ؛ وانْظُرْ إلى الْعَقَّارِ ذاتِ الْجَوْهَرِ النَّقِيِّ يَسْبُوها أَلَامُ النَّاسِ طَبْعًا وَأَكْدرهم خُلُقًا . أَرِحْ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْعَنَاءِ ، فَإِنَّ الْغَايَةَ وَاحِدَةٌ ، وَإِنَّ الْمَلِكَ وَالْفَقِيرَ فِي حُكْمِهِمَا سَوَاءٌ .

## اللزومية المُتممة العشرين

وقال أيضاً في الهمزة المفتوحة مع الراء :

- ١ (عَلَّمُوهُنَّ الْغَزْلَ وَالنَّسَجَ وَالرَّذْنَ نَ وَخَلُّوا كِتَابَةً وَقِرَاءَةً )
- ٢ (فَصَلَاةُ الْفَتَاكِ بِالْحَمْدِ وَالْإِخْلَاصِ لِأَصِحِّجُزِي عَنْ يُونُسَ وَبِرَاءَةٍ)

الرَّذْنَ ، بالفتح : تنْضِيد المتاع . يقال : رَدَنْتُ المتاعَ رَدْنًا ، إذا نَضَدْتَهُ . أما « الرَّذْنَ » بالتحريك ، فهو الغَزْلُ يُفْتَلُ إلى قَدَامِ ، وقيل : هو الغَزْلُ المنكوس ، وليس مُراداً هنا .

والحمد والإخلاص ، أى سورتا الحمد والإخلاص . وهما مكيتان ، أولاهما سبع آيات ، وثانيتها أربع . و « تُجْزَى » ، مسهّل من « تُجْزَى » بمعنى تكفى وتُغْنِي . والأصل فى معنى « الجزء » الاستغناء بالأقل عن الأكثر ، إذ هو راجع إلى معنى الجزء .

ويونس وبراءة : سورتان ، أولاهما ، وتُسمى التوبة أيضاً ، مدنية ، وعدد آياتها مائة وتسع وعشرون آية . وثانيتها مكية ، وعدد آياتها مائة وتسع آيات . وقد جاءتا فى ترتيب المصحف متتاليتين . ضَرَبَ الأوليين مثلاً للسُّور القصار ، والثانيتين للطوال .

يقول : أَحْجَبُوا عَنْ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَنْفَعُهُنَّ وَلَا يُجْدِي عَلَيْهِنَّ . دَعُوا ذَلِكَ إِلَى مَا يُفِيدُ الْمَرْأَةَ مِنْ حَيْثُ هِيَ أُمٌّ وَصَاحِبَةٌ بَيْتٍ . عَلَّمُوها النَّسَجَ وَالْغَزْلَ وَالرَّذْنَ ، ودَعُوا الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ . أَقْرَبُواها الْحَمْدَ وَالْإِخْلَاصَ ، فهما تُجْزَانِ عنها فى الصلاة ما تُجْزَى عنها يُونُسَ وَبِرَاءَةَ .

٣ ( تَهْتِكُ السِّتْرَ بِالْجُلُوسِ أَمَامَ السِّتْرِ إِنْ غَنَّتِ الْقِيَانُ وَرَاءَهُ )

الَهْتِكُ : خَرَقَ السِّتْرَ عَمَّا وَرَاءَهُ . وقيل : هو أن تَجْذِبَ سِتْرًا فَتَقْطَعَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ ، أَوْ تَشُقَّ مِنْهُ طَائِفَةً يُرَى مِنْهَا مَا وَرَاءَهُ : والمراد لازم المعنى لا الفعل ، فمن أَسْتَشَفَّ مَا وَرَاءَ الْأَسْتَارِ وَتَعَرَّفَ مَا تَحْجُبُ ، فَكَأَنَّهُ خَرَقَهَا وَقَطَعَهَا . وَالْقِيَانُ : جَمْعُ قَيْنَةٍ ، وَهِيَ الْأُمَةُ الْمُغْنِيَّةُ ؛ تَكُونُ مِنَ التَّزْيِينِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تُزَيَّنُ . وَرَبَّمَا قَالُوا لِلتَّزْيِينِ بِاللِّبَاسِ مِنَ الرِّجَالِ : قَيْنَةٌ . وَهِيَ كَلِمَةٌ هُذْلِيَّةٌ . وَقِيلَ : الْقَيْنُ : الْأُمَةُ ، مُغْنِيَّةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مُغْنِيَّةٍ . قَالَ اللَّيْثُ : عَوَامُّ النَّاسِ يَقُولُونَ : الْقَيْنَةُ ، الْمُغْنِيَّةُ . قَالَ أَبُو مَنصُورٍ : إِنَّمَا قَبْلَ الْمُغْنِيَّةِ قَيْنَةٌ ، إِذْ كَانَ الْغِنَاءُ صِنَاعَةً لَهَا ، وَذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الْإِمَاءِ دُونَ الْحَرَائِرِ ؛ وَالْقَيْنَةُ : الْجَارِيَةُ تَخْدُمُ فَحَسَبُ .

يقول : أَحْجَبُوا أَصْوَاتَهُنَّ عَنِ الْأَذَانِ ، كَمَا تَحْجُبُونَ أَشْخَاصَهُنَّ عَنِ الْأَبْصَارِ .  
إِنكُمْ لَتَهْتَكُونَ السِّتْرَ حِينَ تَسْتَمْعُونَ مِنْ خَلْفِهِ غِنَاءَ الْقِيَانِ .

## الهمزة المكسورة

### اللزومية الواحدة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع السين :

١ ( تَوَحَّدَ فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ وَاحِدٌ      وَلَا تَرْغَبْنِ فِي عِشْرَةِ الرُّؤَسَاءِ )

تَوَحَّدَ : بَقِيَ وَحْدَهُ . قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : وَيَطَّرَدُ إِلَى الْعِشْرَةِ . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ : « وَكَانَ رَجُلًا مُتَوَحِّدًا » أَيْ مُنْفَرِدًا : لَا يَخَالُطُ النَّاسَ وَلَا يُجَالِسُهُمْ .

يَقُولُ : آتَرُ نَفْسَكَ بِالْعُزْلَةِ ، وَزَيَّنَهَا بِالْوُحْدَةِ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ رَاغِبًا فِي الْكَمَالِ طَامِعًا فِيهِ ، لَمْ تَجِدْ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنَ الْوُحْدَةِ الَّتِي هِيَ أَخْصُ صِفَاتِ اللَّهِ . وَإِنْ تَكُنْ رَابِتًا بِنَفْسِكَ عَنِ الشَّرِّ ضَانًا بِهَا عَلَى الْأَذَى ، فَانْ تَجِدْ أَوْقَى لَكَ وَلَا أَجْدَى عَلَيْكَ مِنَ الرَّغْبَةِ عَنْ عِشْرَةِ النَّاسِ ، مُلَوِّكِهِمْ وَسُوقَتِهِمْ ، سَرَاتِهِمْ وَصَعَالِيكِهِمْ .

٢ ( يُقِيلُ الْأَذَى وَالْعَيْبَ فِي سَاحَةِ الْفَتَى - وَإِنْ هُوَ أَكْدَى - قَلَّةُ الْجُلَسَاءِ )

السَّاحَةُ : النَّاحِيَةُ ، وَهِيَ أَيْضًا فُضَاءٌ يَكُونُ بَيْنَ دُورِ الْحَيِّ . وَسَاحَةُ الدَّارِ : بَاحَتُهَا . وَالْجَمْعُ : سَاحٌ وَسُوحٌ وَسَاحَاتٌ . وَأَكْدَى الرَّجُلُ : قَلَّ خَيْرُهُ . وَقِيلَ : الْمُكْدَى مِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي لَا يَثُوبُ لَهُ مَالٌ وَلَا يَنْمَى . وَأَكْدَى الرَّجُلُ أَيْضًا : إِذَا قَتَلَ عَطَاءَهُ ؛ وَقِيلَ : بَخِلٌ . وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : ( وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ) قِيلَ : أَيْ وَقَطَعَ الْقَلِيلَ . وَقِيلَ : أَمْسَكَ عَنِ الْعَطِيَةِ .

وإن كان البخل والإمساك عن عَوْز فهو لازم المعنى السابق ، والكلام يستقيم به ، وإلا فلا

وأكدى الرجل كذلك ؛ إذا انقطع . وهو من الأول أو قريب منه . أى سواء أصابك ذلك فى مال أو رفاق .

يقول : أجل ، إنك لن تجد أحفظ لك من العيب ، وأضنَّ بك على الرِّيب ، وأنزه لنفسك من الأذى ، وأعصم لقدرك من الضَّعة ، كالْعُزلة واجتناب الناس ، وإن جَرَّ عليك الفقر والضيِّق . العُزلة مَكْن عيوبك ، وسِتْر لما أنت فيه من رذيلة ، فأحذر أن تهتك هذا السِّتر فيظهر الناسُ على ما خلفه ؛ والعُزلة جُنَّة لك من شرور الناس وأذاتهم ، قاحذر أن تدع هذه الجُنَّة فينالك من ضررهم ما لا تطيق .

٣ ( فَأَفَّ لِعَصْرِ يَهُمْ نَهَارٍ وَحِنْدِسٍ وَجِنْسِي رِجَالٍ مِنْهُمْ وَنِسَاءً )

أف ، اسم فعل مضارع بمعنى : أنضجر . وقد سبق عنها مزيد<sup>(١)</sup> . والعصران : الليل والنهار . والعصر : الليلة . والعصر : اليوم . قال حميد بن ثور :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكََا مَا تَيَمَّمَا

ويُطلق « العصران » على الغداة والعشي أيضا . قال الشاعر :

وَأَمْطُلُهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَأَنِي وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدَّيْنِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ

وفى الحديث : « حافظ على العصرين . قيل : وما العصران ؟ قال : صلاة

قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها » .

وفى كلام لعلّى رضى الله عنه : « ذكرَّهم بأيَّام الله وأجلس لهم العصرين » أى

بُكرة وعشيًا . وأراد أبو العلاء الأول ، فذكر النهار والحندس .

( ١ ) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية السادسة ص ٨١ من هذا الجزء



والحنّس : الظلمة . وقال الجوهرى : الليل الشديد الظلمة .

يقول : أفّ للناس رجالاً كانوا أو نساء ! فإنهم أهل شرٍّ وأذى . يمتقّهم الحكيم ويذمّهم العاقل ، لا يحمد منهم خلة ولا يرضى لهم خُلُقاً . هم فى الليل وفى النهار جنةٌ أشرار ، لا يعصمك منهم إلا اجتنابك لهم .

٤ ( وَلَيْتَ وَلِيدًا مَاتَ سَاعَةً وَضَعِهِ وَلَمْ يَرْتَضِعْ مِنْ أُمِّهِ النَّفْسَاءُ )  
 ٥ ( يَقُولُ لَهَا مِنْ قَبْلِ نُطْقِ لِسَانِهِ تَفِيدِينَ بِي أَنْ تُنْكِبِي وَتُسَائِي )  
 أرتضع ، كرَضِع . قال ابن أحرر :

إِنِّي رَأَيْتُ بَنَى سَهْمٍ وَعَزَّهْمُ كَالْعَزْزِ تَعَطَّفُ رَوْقِيهَا فَتَرْتَضِعُ  
 يريد : تَرْضَع نَفْسَهَا . يصفها بِاللُّؤْمِ : والعزّز تفعل ذلك . تقول منه : أرتضعتِ  
 العزّز ، أى شربت لبن نفسها . والنفساء : الوالدة والحامل والحائض . والمراد  
 هنا المعنى الأول وأفاد : استفاد ، وأعطى غيره أيضاً . والمراد هنا الأول ، ومنه  
 قولُ القَتَّالِ :

نَاقَتُهُ تَرْمُلُ فِي النَّقَالِ مُهْلِكُ مَالٍ وَمُفِيدُ مَالٍ  
 وَنَكِيبُ فُلَانٍ ، عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ : أَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ .

يقول : إِنِّي لِأَعْظُكَ بِالْعَزْلَةِ حِينَ قُدِّرَتْ عَلَيْكَ الْحَيَاةُ فَلَمْ تَجِدْ عَنْهَا مَزْحَلًا ،  
 وَإِنِّي لِأَكْرَهُ الْحَيَاةَ لِمَنْ لَمْ يَبْلُهَا ، وَأَمُتَّ الْعِيشَ لِمَنْ لَمْ يَذُقْهُ ، وَأَتَمَنَّى لِلْوَالِدِ  
 الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الْحَيَاةِ حُلُوءًا وَلَا مُرًّا ، وَلَمْ يَرَ مِنَ الْعِيشِ خَيْرًا وَلَا شَرًّا .  
 موتًا يُرِجِيهِ مِنْ مُسْتَقْبَلِ أَيَّامِهِ ، وَمُسْتَأْنَفِ زَمَانِهِ . موتًا يَصْرِفُهُ عَنْ تَدْنَى أُمِّهِ  
 قَبْلَ أَنْ يَرْتَضِعَ مِنْهَا قُوتًا يَشُوبُهُ الشَّرُّ وَغِذَاءُ يُخَالِطُهُ السُّوءُ . موتًا يَقْطَعُ مَا يَنْطُقُ  
 بِهِ لِسَانُهُ حَالَهُ مِنْ عِبَارَاتِ الشَّكِّ فِي مُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ : أَيْ كَوْنِ خَيْرًا أَمْ شَرًّا ،  
 وَعُرْفًا أَمْ نُكْرًا ؟ أَيْ كَوْنِ إِلَى أَهْلِهِ مُحْسِنًا أَمْ مُسِيئًا ، وَلَهُمْ نَافَعًا أَمْ ضَارًّا ؟

## اللزومية الثانية والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع الميم :

١ ( إِذَا كَانَ عِلْمُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَافِعٍ وَلَا دَافِعٍ فَالْخُسْرُ لِلْعُلَمَاءِ )

الخُسْر : الضلال .

يقول : الويل لكل الويل للعلماء ، والخُسْرُ كُلُّ الخُسْرِ للحكام ، إذا لم يُقدَّر لِعِلْمِهِمْ أَنْ يَنْفَعِ النَّاسَ شَيْئًا ، ولم يُتَّحَ لِحُكْمَتِهِمْ أَنْ تَكُفَّ عَنْهُمْ سُوءًا .

٢ ( قَضَى اللَّهُ فِينَا بِاللَّذِي هُوَ كَائِنٌ قَتَمَ وَضَاعَتْ حِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ )

٣ ( وَهَلْ يَأْبُقُ الْإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ فَيُخْرِجَ مِنْ أَرْضٍ لَهُ وَسَمَاءٌ )

أَبُقَ : هرب واستخفى ، وبأبه ضرب ونصر ، أَبَقًا وإِباقًا ، فهو أَبَقَ . وجمعه أَبَاقٌ . وقيل : الإِباق : هَرَبُ العبد من سيده .

يقول : لقد تَمَّ في الناس قضاء الله بما هو كائن من خير وشر ، فهو يُمضَى لا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ولا رَادَّ لِأَمْرِهِ . وعبثًا يحاول المصلحون أَنْ يَغَيِّرُوا مِنْهُ قَلِيلًا أو كَثِيرًا . أَجَلٌ ، لقد أَمْضَى اللهُ الْقَضَاءَ بِمَا شَاءَ ، فليس لك مِنْهُ مَفَرٌّ ولا مُعْتَصِمٌ . دونك الأرضَ فَاتَّخِذْ فِيهَا نَفَقًا ، ودونك السماءَ فَاتَّخِذْ إِلَيْهَا سُلْمًا ، فَإِنَّ عَجْرَكَ ذَلِكَ ، وهو معجزك من غير شك ، فَأَذْعَنْ لِمَا قَضَى اللهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مِنْ مُلْكِهِ خُرُوجًا ، وَلَنْ تَمْلِكَ مِنْ قُدْرَتِهِ إِبَاقًا .

٤ ( سَتَنْبُعُ آثَارَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا عَلَى سَاقَةٍ مِنْ أَعْبُدِ وَإِمَاءِ )

تحمل القوم : ذهبوا وأرتحلوا . والساقة من الجيش : مؤخره ، وهى أيضاً جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه . ومنه : ساقة الحاج . و«على ساقة» حال من الواو فى «تحملوا» ، أى مسبقين بغيرهم فى إثر من يقدّمهم ، كالمؤخرة من الجيش تقفو السابقة . و«من أعبد وإماء» فى موضع البيان «لساقة» ، أى عبيداً وإماء ، يريد رجالاً ونساء . وهو ملتفت فيه إلى ما ذكره فى البيت السابق من ذكر الإباق الذى هو من صفة الأرقاء .  
يقول : سرّ فى آثار من مضى قبلك ، فإنك لهم تابع ، ولخطايم مترسم . عاشوا عبيداً أذلاء ، فعش مثلهم عبداً ذليلاً .

٥ ( لَقَدْ طَالَ فِي هَذَا الْأَنَامِ تَعَجُّبِي فَيَا لِرِوَاءِ قُوبِلُوا بِظَمَاءِ )

الرواء ، بالكسر : جمع ريان ورياناً . والصيغة للتعجب ، وهى كالمستغاث به فى أحواله ، فتقول : يا للرجل ، ويا رجلاً ، ويا رجلاً . كل هذا إذا تعجبت منه .

يقول : لقد ملكنى العجب من هذا العالم ، فما أنفك مُغْرِقاً فيه ، مُطِيلًا له ، أرى فيه السعيدَ والشقيّ ، والفقر والغنى ، وأجد فيه الرّيان يكاد يقتله الرّى ، والصّديان يكاد يخترمه الصّدى .

٦ ( أَرَامِي قُشْوَى مَنْ أَعَادِيهِ أَشْهُمِي وَمَا صَافَ عَنِّي سَهْمُهُ بِرِمَاءِ )

رامى : رمى بالسهم عن القسيّ ، ورماء غيره : فالفعل على المشاركة . والإشواء : أن يرمى الرامى فيصيب الأطراف ولا يصاب المقتل . وصاف

السهمُ عن المَهْدَفِ ، يَصِفُ صَيْفًا وَصَيْفُوفَةً وَمَصِيفًا . عَدَلٌ : قَالَ أَبُو زُبَيْدٍ :

كَلَّ يَوْمَ تَرْمِيهِ مِنْهَا بِرَشْقٍ فَمَصِيفٌ أَوْ صَافٍ غَيْرَ بَعِيدٍ  
وكذلك كل شيء قد عدل عن شيء فقد صاف عنه . وفي حديث أنس : إن  
النبي صلى الله عليه وسلم شاور أبا بكر رضى الله عنه يوم بدر في الأمرى . فتكلم  
أبو بكر فصاف عنه . أى عدل صلى الله عليه وسلم بوجهه عنه ليشاور غيره .  
والرَّمَاءُ . المَرَامَةُ ، والفِعْلُ مِنْهُمَا رَامَى .

يقول : الدهر على الناس مُسَيِّطِرٌ ، قد عَظُمَ سُلْطَانُهُ ، وَاشْتَدَّتْ سَطَوْتُهُ ،  
ينالونه بما شاءوا من عَيْبٍ لَهُ وَطَمَنَ عَلَيْهِ ، فلا يُصَيِّبُهُ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، وَيَرْمِيهِمْ  
بِسَهَامِهِ الْمُتَّصِلَةِ وَنِصَالِهِ الْمُتَتَابِعَةِ ، فلا يُخْطِئُهُمْ مِنْهَا سَهْمٌ .

٧ ( وَهَلْ أَعْظَمُ إِلَّا غُصُونُ وَرِيْقَةٍ وَهَلْ مَاؤُهَا إِلَّا جَنَى دِمَاءٍ )

الأعظم والعِظام والعِظامَةُ ، كلها جُمُوعُ لِعَظْمٍ ، وهو الذى عليه اللَّحْمُ من  
قَصَبِ الحيوان . والهَاءُ فى هذه الأخيرة لتأنيث الجمع . وقيل : العِظامَةُ ، واحد  
العظام . والورِيْقَةُ : الحَسَنَةُ الورَق . والجَنَى : الغَضُّ من الثمار المُجْتَنَةِ . أراد  
دِمَاءَ طَرِيَةِ غَضَّةٍ . وقد تكون أيضاً فعِلاً بمعنى مفعول ، من جَنَى الذنب يَجْنِيهِ ،  
إذا جَرَّهُ . قال أبو حية الثُمَيْرِيُّ :

وإن دَمًا لو تَعَلَّيْنِ جَنَيْتِهِ عَلَى الْحَيِّ جَانِي مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمٍ

ويريد بـ « جَنَى دِمَاءٍ » : المَسْفُوكُ المَهْرَاق ، وهو أشبه بالماء فى الاندفاع .

يقول : جِدُّوا مَا شِئْتُمْ فى عِنَادِ الدَّهْرِ وَخِصَامِهِ ، وفى ذِمَّةِ والزَّرَايَةِ عَلَيْهِ ،  
فليس ذلكم بَرَادٍ عَنْكُمْ حُكْمُهُ ، ولا بِقَابِضٍ عَنْكُمْ يَدُهُ ، إِنَّهُ عَلَيْكُمْ لَمُسَيِّطِرٌ .

يُمَيِّتُكُمْ وَيُحْيِي أَجْسَامَكُمْ إِلَى مَا شَاءَ مِنْ مَادَّةٍ ، وَيَمْنَحُهَا مَا أَحَبَّ مِنْ صُورَةٍ .  
انظروا إلى هذه الغُصُونِ النَّضْرَةِ والأشجارِ الْخَضِرَةِ ، هل هي إِلَّا عِظَامُكُمْ بَعْدَ  
الْبَلَى ، وَهَلْ مَأْوَاهَا إِلَّا دِمَاؤُكُمْ بَعْدَ الْفَنَاءِ .

٨ (وَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّحْسَ لَيْسَ بِغَافِلٍ لَهُ عَمَلٌ فِي أَنْجُمِ الْفُهْمَاءِ )

النَّحْسُ : الْجَهْدُ وَالضَّرُّ ، وَخِلَافُ السَّعْدِ مِنَ النُّجُومِ وَغَيْرِهَا . وَالْجَمْعُ : الْأُنْحُسُ  
وَالنُّحُوسُ . وَفُهْمَاءُ : جَمْعُ لِفَاهٍ ، وَهُوَ يَنْقَاسُ . وَلَمَّا كَانَ النَّحْسُ لِلنُّجُومِ ،  
جَعَلَ أَفْهَامَ الْفُهْمَاءِ أَنْجُمًا .

يَقُولُ : أَلَا إِنَّ الشَّرَّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَاقِعٌ ، لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . وَهُوَ نَقَادٌ لَا يَغْفُلُ ،  
وَبَاحِثٌ لَا يُخْطِئُ . أَلَا وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مِنْهُمْ حُطَاءٌ وَأَعْظَمُهُمْ مِنْهُمْ نَصِيبًا ، أَشَدَّهُمْ  
لَهُ فُهْمًا وَأَكْثَرُهُمْ مِنْهُمْ احْتِيَاطًا .

٩ (وَمَنْ كَانَ ذَا جُودٍ وَلَيْسَ بِمُكْثِرٍ فَلَيْسَ بِمَحْسُوبٍ مِنَ الْكِرْمَاءِ )

أَكْثَرُ : ذَاتُ مَعَانٍ ، يَقَالُ : أَكْثَرَ الرَّجُلُ ، إِذَا كَثُرَ مَالُهُ ؛ وَلَيْسَ  
الْمَذْهُوبَ إِلَيْهِ هُنَا . وَأَكْثَرُ : أَتَى بِكَثِيرٍ . وَهُوَ بِالْمِرَادِ الْأَصْقُ . وَأَكْثَرُ مِنْ  
الشَّيْءِ : رَغْبٌ فِي الْكَثِيرِ مِنْهُ ؛ وَهِيَ كَالثَّانِيَةِ ، عَلَى تَأْوِيلِ جَارٍ وَمَجْرُورٍ مَحْذُوفٍ ،  
تَقْدِيرُهُ « مِنْهُ » . وَمَحْسُوبٌ : مَعْدُودٌ .

يَقُولُ : أَنْفَقُوا بَيْنَكُمْ الثَّرَوَةَ وَأَشِيعُوا فِيكُمْ الْمَعْرُوفَ ، فَلَنْ يَنْفَعَكُمْ حِرْصُكُمْ ،  
وَلَنْ يُفِيدَكُمْ اقْتِصَادُكُمْ ، وَلَنْ يَكُونَ مُنْفَقَتُكُمْ جَوَادًا ، وَلَا بِأَذَلِّكُمْ كَرِيمًا ، حَتَّى يُكْثِرَ  
الْإِنْفَاقَ وَيُوسِعَ الْبَذْلَ .

١٠ (نَهَابُ أُمُورٍ أَنتُمْ نَزَكَبُوهَا عَلَى عَنَتٍ مِنْ صَاغِرِينَ قِمَاءٍ)

الهَوَلُ : الأمر الشديد ، والخِافَةُ من الأمر لا يَدْرِي ما يهجم عليه منه ؛ كَهَوَلِ اللَّيْلِ ، وهَوَلِ الْبَحْرِ . والجمع : أهوال وهوُل . والعَنَتُ : دُخُولُ الْمَشَقَّةِ عَلَى الْإِنْسَانِ وَلِقَاءُ الشَّدَّةِ . وقال ابنُ الأَثِيرِ : العنتُ : المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والخطأ والزنا ، كل ذلك قد جاء ، وأُطلق العنتُ عليه . والصاغرُ : الذي يرضى بالضيم ويقربه . قال تعالى : ( حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ) أى أذلاء . والفعل منه : صَغَرَ يَصْغُرُ ، من باب فرح ، صَغَرًا وَصَغَارًا ، والفعل من الصَّغَرِ ، الذى هو ضدُّ الْكِبَرِ ، هو الفعل ، وزاد ابنُ الأعرابي : صَغُرَ ، بضم الغين ، فهو صغير وصُغَار . وقِماءُ : جمعُ لقمىء ، وهو الذليل الصغير . يقول أَقْدِمُوا وَلَا تُخْجَمُوا ، دَعُوا التَّرَدَّدَ جَانِبًا ، وَأَنْبِذُوهُ نَاحِيَةً ، فَإِنْ كُمْ صَاغِرُونَ إِلَى مَا تَسْكُرُهُونَ طَائِعِينَ أَوْ رَاغِبِينَ . أَقْدِمُوا أَعْرَاءَ قَبْلَ أَنْ تُكْرَهُوا أَذْلَاءَ صَاغِرِينَ .

١١ (أَفِيقُوا أَفِيقُوا يَا غَوَاةُ فَإِنَّمَا دِيَانَتُكُمْ مَكْرٌ مِنَ الْقُدَمَاءِ)

١٢ (أَرَادُوا بِهَا جَمْعَ الْخُطَامِ فَأَدْرَكُوا وَبَادُوا وَمَاتَتْ سُنَّةُ اللُّؤْمَاءِ)

الغَوَاةُ : الضالّون . والخُطَامُ : ما تكسّر من اليديس .

يقول : لقد آن لكم أن تستبصروا ، وحان لكم أن تنتبهوا ، وحقّ عليكم أن تُفَيقُوا . ألا إنَّ ما أنتم فيه من سُنَّةٍ وَسِيرَةٍ ، ومن شريعة ودين ، ليس إلا مَكْرُ الْأَقْدَمِينَ ، اتَّخَذُوهُ سَبِيلًا إِلَى جَمْعِ الْخُطَامِ ، وإحراز الثَّوَرَةِ ؛ فَأَدْرَكُوا مَا أَمَلُوا ، وَبَلَّغُوا مَا أَرَادُوا . ثُمَّ مَضَتْ أَيَّامُهُمْ ، وَأَنْقَضَتْ مُدَّتُهُمْ ؛ فَلْتَبَدَّ مَعَهُمْ سُنَّتُهُمُ السَّيِّئَةُ ، وَأَصُولُهُمُ الضَّارَّةُ .

- ١٣ (يَقُولُونَ إِنَّ الدَّهْرَ قَدْ حَانَ مَوْتُهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْآيَامِ غَيْرُ ذِمَاءٍ)  
 ١٤ (وَقَدْ كَذَبُوا، مَا يَعْرِفُونَ انْقِضَاءَهُ فَلَا تَسْمَعُوا مِنْ كَاذِبِ الرُّعَمَاءِ)  
 ١٥ (وَكَيْفَ أَقْضَى سَاعَةً بِمَسَرَّةٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مِنْ غُرْمَائِي)

الذِّمَاءُ : الحركة ، وبقية النفس ، وبقية الروح في المذبوح . وقد مرَّ (١) .  
 والغُرْمَاءُ : جمع غريم ، وهو الذي له الدين ، والذي عليه الدين ، جميعاً ؛ والمراد هنا الأول . وإنما سُمِّيَ غريماً ، لأنه يطلب حقه ويلجّ حتى يقبضه . وفي هذا ما يصور ما كان يعرض لأبى العلاء من شك في البعث وقيام الساعة .

يقول : لقد خدعكم الخادعون ؛ وعبث بألبابكم العابثون ، فمنَّوكم الحياة الثانية ، وزعوا لكم انقضاء الدهر وأتتهاء أجله . وأنه عنكم مُرتحل ولكم تارك ، وأنَّ الأيام لم يبق فيها إلا بقية الروح في جسم المذبوح . لقد كذبوا ، ما يعرفون للدهر أجلاً ، وما يعلمون له انقضاء ؛ وإنما هي ظنون مُرجمة ، وأنباء مُتوهمة . ألا فأعرضوا عن مقالة الرُّعَمَاءِ الكاذبين ، والأغوياء المُضِلِّين . لا تياسوا من الدهر ولا تطمئعوا فيه ، ولكنَّ القصد بين الخَلَّتَيْنِ ، والاعتدال بين الخَصْلَتَيْنِ ؛ فإنَّ اليأس من الدهر هُلك ، والاطمئنان إليه غرور . وكيف يُسرُّ ساعة في الدهر مَنْ يعلم أنَّ له من الموت غريماً لا يُردُّ ، وطالبا لا يُدفع .

- ١٦ (خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ أَقْرَبِينَ وَجَانِبٍ وَلَا تَذْهَبُوا عَنْ سِيرَةِ الْحُزَمَاءِ)

الحِذْرُ : الخيفة والتحرُّز ؛ ومثله : الحِذْرُ . والجانب : الغريب . وقد يُفرد في الجميع ولا يؤنَّث ، ومثله في ذلك : الجُنُبُ والأَجَنِبِيُّ والأَجَنِبُ ؛ وفي الحديث : « الجانب المُستَغْزَرُ يُثَابِرُ مِنْ هَيْبَتِهِ » ، أى إنَّ الغريب الطالب إذا أهدى

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية السادسة عشرة ص ١٢٢ من هذا الجزء .

هدية ليطلب أكثر منها فأعطيه في مُقابلة هديته . والمستغزر : الذى يطلب أكثر مما أعطى .

والذهل والذهول : ترْكُكُ الشيء تتناساه على عمد ، أو يشغلك عنه شغل . والفعل منه بفتح العين وكسرها فى الماضى ، مع فتحها فى المضارع .

يقول : إنكم لتخدعون عن أنفسكم بأواصر القربى وروابط المحبة ، وإنما هى الشرُّ كل الشرِّ ، والخطر كل الخطر . فالحذر الحذر من أضرارها ، والتَّقيَّة التَّقيَّة من آثامها ؛ فما آذاك مثل قريب ، ولا ضرك مثل حبيب .



## اللزومية الثالثة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع الخاء :

١ ( إِذَا صَاحَبْتَ فِي أَيَّامِ بُؤْسٍ فَلَا تَنْسَ الْمَوَدَّةَ فِي الرَّخَاءِ )

الرخاء : سعة العيش ، بالفتح . فإذا ضَمَمْتَ فهو للريح اللينة . وفي الحديث :  
« اذكر الله في الرِّخَاءِ يَذْكُرْكَ فِي الشَّدَةِ » .

يقول : لَتَعْرِفْ فِي يُسْرِكَ صَدِيقَكَ فِي عُسْرِكَ ؛ فَإِنَّ مِنْ سَوْءِ النِّيَّةِ وَقُبْحِ  
الْخُلَّةِ أَنْ تَتَّخِذَ الْأَصْدِقَاءَ تَدْفِعُ بِهِمْ عَنْ نَفْسِكَ الْأَذَى ، وَتَقِيَهُمَا بِهِمْ الْمَكْرُوهَ  
أَيَّامَ بُؤْسِكَ ، حَتَّى إِذَا أُيْسِرْتَ وَأَعْسَرُوا ، ضَرَبْتَ عَنْهُمْ صَفْحًا ، وَطَوَيْتَ  
عَنْهُمْ كَشْحًا . هَذِهِ خُلَّةٌ مِنَ الْأَثَرَةِ سَيِّئَةٍ ، وَخَضَلَةٌ مِنْ حُبِّ النَّفْسِ مَذْمُومَةٌ ؛  
وَإِنَّمَا الْحَقُّ عَلَيْكَ أَنْ تُخْلَصَ لِلْأَصْدِقَاءِ ، فِي النَّعْمَاءِ وَالْبَأْسَاءِ .

٢ ( وَمَنْ يُعْدِمُ أَخُوهُ عَلَى غِنَاهُ فَمَا أَدَّى الْحَقِيقَةَ فِي الْإِخَاءِ )

هذه رواية . و « الإعدام » عليها بمعنى الافتقار ، يقال : أعدم الرجل ،  
إذا افتقر . وفي رواية أخرى : « وَمَنْ يُعْدِمُ أَخَاهُ » . و « أعدم » هنا بمعنى  
منع ، وقيل : إِذَا مَنَعَهُ طَلِبَتَهُ .

يقول : وَإِنْ أَمْرًا قَدْ أَمَدَّتْهُ الْحَيَاةُ بِالنَّعْمَةِ وَالثَّرْوَةِ ، فَهُوَ مِنَ الْعَيْشِ فِي دَعَا  
وَحُفْظٍ ، يَقْضِي حَاجَتَهُ مِنَ اللَّذَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، ثُمَّ يَتْرِكُ إِخْوَانَهُ فَرِيسَةً  
لِلْعُدْمِ وَدَرِيئَةً لِلْبُؤْسِ ، لِجَاهِلِهِ حَقَّ الْأَخَوَةِ ، وَجَاهِدِ وَاجِبَ الْمَوَدَّةِ .

٣ ( وَمَنْ جَعَلَ السَّخَاءَ لِأَقْرَبِيهِ فَلَيْسَ بِعَارِفٍ طُرُقَ السَّخَاءِ )

السَّخَاءُ : الجُود ، ومثله : السَّخَاوَةُ . ويقال إنه مأخوذ من « السَّخُو » وهو الموضع الذي يُوسَّع تحت القدر ليتمكن الوقودُ ، لأن الصَّدْر أيضاً يتَّسع للعطية . والأقرب : أدنى من القريب ، يكون مثله لقرب المكان ، وقرب النسب . والمعنى هنا يجوز بهما . وطرق ، بضمّتين : جمع طريق ، ومثناها : أطرقة .

يقول : ليس من الحزم ، ولا من صدق الرأي ، للسَّخَى الجواد أن يُشيع السَّخَاءَ ويُذيع الجود في أهله وأقاربه ، قابضاً يَدَهُ عن غيره من الناس ؛ فإنَّ لأهله ولأقاربه عليه حقاً هو قاضيه ، ودَيْناً هو مؤدّيه . فأما الأبعدون فالتكريم عليهم فضيلة ، والإحسان إليهم نافلة ، والتمهّد لهم معرفة بمواضع الأمور .

## اللزومية الرابعة والعشرون

وقال أيضاً في الهمة المكسورة مع السين :

١ ( يَا مُلُوكَ الْبِلَادِ فُزْتُمْ بِنَسَاءِ الْ  
عُمَرِ وَالْجَوَرِ شَأْنُكُمْ فِي النَّسَاءِ )

يقال : نساء الله في عمره ، ينسؤه نَسْأً : أخره ومدّه له فيه . وفي الحديث :  
« مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ فِي أَجَلِهِ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ » .  
والجور : نقيض العدل وضدّ القصد . والنساء ، بالفتح والمد : تأخير الدين .  
قال ابن الأثير : نسأتُ عنه دينه : أخرته ، نساء ، بالمد ، وكذلك « النساء » في  
العمر ممدود . وليس هناك أجل ممدود للملوك دون غيرهم ، ولكنهم لما مكّن  
الله لهم في الحياة كانوا أقوى على ما يقتضى أمداً طويلاً في فترة وجيزة ، فعُدّ ذلك  
لهم أبو العلاء فسحة في الآجال . والحديث المتقدم من ذاك ، إذ المراد أزدحام العمر  
بالخيرات ، واتساع اليوم لما تتسع له الأيام ، فكان العمر أضعاف .

يقول : أيها الملوك الأقوياء ، والأقيال المترفون ، لقد فُزْتُمْ بما تحبّون  
من طول الحياة وتأخر الأجل ، فما لكم لا تبتدرون الخير ولا تستبقون إلى  
الحسنة ! ما لكم تُرجئون تشييد المكرمات ، وبناء الصالحات ، إلى مستقبل من  
الأيام قد لا تُدركونه ، ومُستأنف من الدهر قد لا تبلغونه ! مغترّين باملاء  
الأيام لكم ، وإبقائها عليكم .

٢ ( مَا لَكُمْ لَا تَرْوَنَ طُرُقَ الْمَعَالِي قَدْ يَزُورُ الْهَيْجَاءُ زِيرُ نِسَاءِ )

الطُّرُق ، بضمّتين : جمع طريق ، وسُكُنَ للشعر . والهيجاء ، بالمدّ

والقصر : الحرب ، لأنها موطن غَضَب . وزير النساء ، الذي يُخالطهنّ ويريد حديثهنّ لغير شرٍّ ، سمى بذلك لكثرة زيارته لهن . وأصله من الواو والجمع : أزوار ، وأزيار ، وزيارة .

وقيل : هو المخالط لهنّ في الباطل . وفي الحديث : « لا يزال أحدكم كاسراً وسادهُ يتكى عليه ويأخذ في الحديثِ فعلَ الزير » . وقال مهلهل :  
فلو نبش المقابرُ عن كليب      فيُخبرَ بالذّنائبِ أيّ زيرِ

يقول : ما لكم لا تدعون ما أنتم فيه من خمول ، ولا تتركون ما أنتم عليه من ضعف ؛ مُحجّمين لا تُقدّمون ، ومُبْطئين لا تُسرعون ؛ مُستنيمين إلى اللذة لا تطمح نفوسكم إلى المجد ، ولا تسمو إلى المآثر الباقية ! أقدموا فرُبّ مُترَفٍ شهد الهيجاء ، ورُبّ عاشقٍ للنساء كلف بهن صريعٍ بجاهن ، قد ترك اللهو والباطل ، ورغب في الجِدِّ فأبلى فيه البلاء الحسن .

٣ ( يَرْتَجِي النَّاسُ أَنْ يَقُومَ إِمَامٌ نَاطِقٌ فِي الْكِتَابَةِ الْخُرَسَاءِ )

الإمام الناطق ، هو المهدي المنتظر . وسمى ناطقاً ، لأن الشيعة يزعمون أنه سوف يدعو إلى نفسه ، فسموه ناطقاً لذلك . وقد اختلفت الشيعة فيه ، فزعمت السبئية أنه علي بن أبي طالب عليه السلام . وزعموا أنه حتى لم يمت . ومنهم من يرى أنه في السحاب . ويروى أن عبد الله بن سبأ ، وهو أصل هذه المقالة ، لما أُخبر بموت علي عليه السلام ، قال : كذبتُم ، والله لو جئتمونا بدماعه مَصْرُوراً في سبعين صرة ما صدّقنا بموته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما مُلِئت جوراً .

وزعمت الواقعة والمطورة من الشيعة أنه موسى بن جعفر . وقالت الإسماعيلية

منهم : هو محمد بن إسماعيل بن جعفر . وزعمت الكيسانية أنه محمد بن الحنفية . وزعموا أنه لما خاف على نفسه دخل شعب رضى بين مكة والمدينة ، فهو هناك حتى لم يمُت ، أسدٌ عن يمينه ونمر عن يساره حتى يخرج . وفى ذلك يقول كثير :

أَلَا إِنَّ الْأُمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ      وَلَاةُ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سِوَاهُ  
عَلَىٰ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ      هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ  
فَسَبَطَ سَبَطَ إِيْمَانٍ وَبَرٍّ      وَسَبَطَ غَيْبَتَهُ كَرْبَلَاءُ  
وَسَبَطَ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى      يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ  
تَغَيَّبَ لَا يُرَىٰ فِينَا زَمَانًا      بِرَضْوَىٰ عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

والكتيبة : الجيش ، والقطعة العظيمة منه . والخرساء : التى صمتت من كثرة الدروع ، أى لم يكن لها قعاقع . وقيل : التى أحتزمت بالسلاح وأجادت شدّه فلا يُسمع له صوت . وقيل : هى التى لا تسمع لها صوتاً ، من وقارهم فى الحرب . وقال الأصمعى : إنما قيل لها خرّساء لقلة كلامهم . وقال بُنْدَار : إنما قيل لها خرّساء ، لأنّ الصوت لا يُفهم فيها لكثرة الأصوات ، فكأن كلام المتكلم فيها تُسمع حركاته كحركات لسان الأخرس ولا تُفهم . وأراد بـ « الكتيبة الخرساء » جماعة أئمة الشيعة ؛ إذ الشيعة يُسمّونهم مُصمّتا ، لصمتهم عن إقامة الدعوة حتى يظهر الإمام الأعظم .

يقول : أيها الناس ، أتم مصدر ما تلثون من ظلم ، وأصل ما تُقاسون من عسف . فَنَيْتُمْ فى الملوك وأذلتم لهم أنفسكم ، تشقّون لیسعدوا ، وتخافون ليأمنوا ، وتأرقون ليناموا . غلوثم فى ذلك وأسرقم فيه ، فقدّستهم طائفة منكم

عن الخطأ ، ووصفتهم بالعِصمة ، وزعمت أنهم الناطقون والعالم صامت ، والمُهمدون والحياة جائزة .

انتظروا الإمامَ المعصوم ، ورجوا الناطقَ المُرشد ، والهادى الذى لا يُخطئ .

٤ ( كَذَبَ الظَّنُّ لِإِمَامٍ سِوَى الْعَقْلِ مُشِيرًا فِي صُبْحِهِ وَالْمَسَاءِ )

٥ ( فَإِذَا مَا أَطَعْتَهُ جَلَبَ الرَّحْمَةَ عِنْدَ الْمَسِيرِ وَالْإِرْسَاءِ )

الإرساء : الثبات والاستقرار ، يُستعمل لازماً ومتعدّياً ، يقال : أرسى الشيء ، إذا ثبت واستقرّ ، وأرسيته أنا .

يقول : لقد كذبتْ ظُنُونُهُمْ ، وساءت آراؤُهُمْ ، وأخطئوا قَصْدَ السبيل .  
إن هذا الإمام الذى ينتظرونه ، والهادى الذى يرجونه ، لبين ظَهْرَانِيَّهِمْ ، يأمرهم بالمعروف فلا يَأْتَمِرُونَ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْجَهْلِ فَلَا يَنْتَهُونَ ؛ يُرَغِّبُهُمْ فِي الْخَيْرِ فَيَصُدُّونَ عَنْهُ ، وَيُرْهِبُهُمُ الشَّرَّ فَيَرْغَبُونَ فِيهِ ؛ ذَلِكَ هُوَ الْعَقْلُ ، يُخْلِصُ لَهُمْ فَيَسْتَغْنَوْنَ ، وَيَجِدُّ فِي نُصَحِهِمْ فَيَخْتَانُونَهُ . أَطِيعُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ تَهْتَدُوا ، وَأَتَّبِعُوهُ تَرشُدُوا . إِنَّمَا هُوَ مَصْدَرُ الرَّحْمَةِ ، وَمِنْشَأُ النِّعَةِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَفِي الظَّنِّ وَالْإِقَامَةِ .

٦ ( إِنَّمَا هَذِهِ الْمَذَاهِبُ أَسْبَابٌ لِجَذْبِ الدُّنْيَا إِلَى الرُّؤْسَاءِ )

٧ ( غَرَضُ الْقَوْمِ مُتَمَعَةٌ لَا يَرْقُو نَ لِدَمْعِ السَّمَاءِ وَالْخُنُسَاءِ )

٨ ( كَالَّذِي قَامَ يَجْمَعُ الزَّيْنَجَ بِالْبَصْرَةِ وَالْقَرَمَطِيَّ بِالْأَحْسَاءِ )

السَّمَاءُ مِنَ النِّسَاءِ : التى استوت قَصْبَةُ أَنْفِهَا وَأَشْرَفَتْ أُرْنَبَتَهُ ، وَصَفَتْ مُسْتَحَبَّ فَيْهِنَ . وَالْخُنُسَاءُ : التى تَأَخَّرَ أَنْفُهَا وَقَصُرَ ، وَهُوَ مَكْرُوهٌ فَيْهِنَ . يُشِيرُ بـ « السَّمَاءِ » إِلَى الشَّرِيفَةِ الرَّفِيعَةِ ، وَبـ « الْخُنُسَاءِ » إِلَى الْخُسِيسَةِ الْوَضِيعَةِ .

وكانت العرب تزعم أن هذا الخنفس وذلك القطس إنما حدثا فيهم لمداخلتهم  
السودان وغيرهم من العجم في أنسابهم ومناكحهم .

وأراد بجامع الزنج : عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن  
الحسين بن عليّ بن أبي طالب . وكان دعيّاً في نسبه . زعم أولاً أنه عليّ بن  
محمد بن أحمد بن عيسى ، عليّ ما ذكر ، ثم رجع عن هذا النسب وزعم أنه عليّ  
بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ، ابن زيد بن  
عليّ . ولم يكن ليحيى ولد يُقال له رحيب ولا غيره ، لأنه قتل وهو ابن ثمان  
عشرة سنة ، وكان لا ولد له . وكان هذا المدّعي ، فيما ذكروا ، رجلاً من  
عبد القيس ، وأمه امرأة من بني أسد يقال لها فروة ، وكان مولده بالرى . واتصل  
في أول أمره بآل المستنصر ، وأنتجهم بشعره ، ثم ادّعى أنه من ولد عليّ بن  
أبي طالب عليه السلام ، ثم علا أمره وكثر عدده وغلب على البصرة ، وقتل  
مُعظم أهلها ، إلى أن حصّره الموفق في مدينته التي كان سمّاها المختارة ، حتى  
أكل الزنج دوابهم . واستأمن آل الموفق جُلٌّ من كان معه ، وأتى إليه  
برأسه . وكان يزعم أن النبوة عُرضت عليه فأبأها . وقال : إنما أبيتها لأن لها  
أعباء خِفت ألا أُطيعها . وهو القائل :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورٍ بَبْنَدَا      دَوْمَنْ قَد حَوْتُهُ مِنْ كُلِّ عَاصِي  
وَمُخُورٌ هُنَاكَ تُشْرَبُ جَهْرًا      وَرِجَالٌ عَلَى الْمَعَاصِي حِرَاصُ  
لَسْتُ بِأَبْنِ الْفَوَاطِمِ الزُّهْرِ إِنْ لَمْ      أَجِلِ الْخَيْلَ بَيْنَ تِلْكَ الْعِرَاصِ

وأراد بـ « القرمطي » : أبا القاسم بن ذكرويه صاحب الشامة ، وكان  
ينتمي إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وخرج في أيام المكتفي بجهة السماوة  
سنة تسع وثمانين ومائتين ، فقوى أمره واشتدت شوكته ، ثم قُتل قريباً من

دمشق . ثم خرج أخُّ له يكنى أبا الحسين وأبن عم له يُعرف بالمدثر ، لادّعائه أنه المراد بقوله تعالى : ( يَأْيُهَا الْمُدَّثِّرُ ) فُقْتُلاً جميعاً .

وقيل لهم القرامطة ، لأنهم نُسبوا إلى قَرْمَط بن الأشعث . وكان الذى أصَّل لهم مقالاتهم . ويقال إن اسم قمرط : سحْدان ، وإنه لُقِّبَ قَرْمَطًا ؛ لأنه كان يُقَرْمَط خطّه ، وقيل : بل كان يُقَرْمَط مشيه ، أى يقارب خطّوه . وكان أخذ أصلَ مقالته من رجل يقال له الفرج بن عثمان النَّصرانى . وكان يزعم أنه داعيةُ الْمَسِيح ، وأنه السَّكَمَة ، وأنه الدَّابَّةُ المذكورة فى القرآن ، والناقة ، وروح القدس ، ويحيى بن زكريّا ، والمَهْدَى المنتظر . وزعم أن الصلاة أربع ركعات ، ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وأن القبلة إلى بيت المقدس والحجّ إليه ، والصوم يومان : المِهْزِجان والنَّيروز ، والجمعة يوم الاثنين لا يُعمل فيه شغل ، وأن النّبِيذ حرام والخمر حلال ، ولا غُسل من جنابة ، ولا وضوء للصلاة . وكُلٌّ من حاربه قتله ، ومن لم يحاربه أخذت منه الجزية . وكان أذانه للصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ؛ أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، أشهد أن عيسى رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمد بن الحنفية رسول الله . وكان يقرأ فى كل ركعة الاستفتاح .

والأحساء : مدينة بالبَجَرين ، كان أولَ من سَمَرها وحصَّنها وجعلها قصبة هَجَرَ ، أبو طاهر الحسن بن أبى سعيد الجنابى القَرْمَطى .

يقول : أيها الناس ، إنكم لا تنتظرون إماماً معصوماً ، ولا تَرْجُونَ هادياً مَوْقِفاً ، وإنما هى بِدْعٌ مُنْتَحَلَةٌ ، ومذاهبٌ مُخْتَرَعَةٌ ، اتَّخَذْتُمُوهَا أَسْبَاباً تَصِلُونَ بها بين رؤسائكم وبين الدنيا ، وجعلتموها طُرُقاً تُرْضُونَ بها تلك النفوس التى



لا تَرْضَى ، والأهواء التي لا تقنع ، لا يصدكم عن ذلك رَحمة ولا تعوقكم عنه رَافَة . لا تَبْأَلُون أَظْلَمْتُمْ قَوِيًّا أَمْ ضَعِيفًا ، ولا تَحْفَلُونَ أَعْسَقْتُمْ رَجُلًا أَمْ امْرَأَةً . كل ذلكم عندهم سواء في مَرْضَاة الرُّؤَسَاء ، ذلك شأن زعيمكم الذي جمع الزَّنج بالبصرة ، فأفسدوا فيها ولم يُصلحوا ، وأساءوا ولم يُحسنوا ، رَوَّعُوا الْعَذْرَاءَ فِي خِدْرِهَا ، وَأَزْجَعُوا الْأَمْنَ فِي سِرِّهِ . وذلك شأن زعيمكم القرمطيّ بالأحساء ، جمع أَوْشَابِ النَّاسِ وَقُمَامَتِهِمْ ، فَأَزْجَعِ الْحَاجَّ ، وَأَتَهَكَ حُرْمَةَ الْبَيْتِ ، وَأَهْدَرَ دِمَاءَ مَعْصُومَةٍ ، وَأَزْهَقَ نَفْسًا مُحَرَّمَةً ، كل ذلك لِيَرْضَى نَفْسًا زَاهِدَةً إِلَّا فِي الشَّرِّ ، رَاغِبَةً إِلَّا فِي الْمُنْكَرِ .

٩ ( فَاَنْفَرِدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَالْقَائِلُ الصَّا دِقُّ يُضْحِي ثَقَلًا عَلَى الْجُلَسَاءِ )

الثَّقْلُ ، بالكسر : الحمل . و بفتح القاف : نقيض الخفة .

يقول : ولكن هل يُجْدِي النصح ؛ وهل تنفع الموعظة ؟ وهل يُحْتَمَلُ قولُ الحق ؟ إِلَّا أَنِّي أَعْظُكَ أَيُّهَا الْمُصْلِحُ الْحَكِيمُ أَنَّ تَعْتَزِلَ النَّاسَ وَتُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ . فما أعرف أثقلَ عليهم من كلمة حق ، ولا أبغضَ إليهم من دَعْوَةٍ إِلَى خَيْرٍ .

## اللزومية الخامسة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع الصاد :

- ١ (أَوْصَيْتُ نَفْسِي وَعَنْ وَدَّ نَصَحْتُ لَهَا      فَمَا أَجَابَتْ إِلَى نُصْحِي وَإِصْأَيِ)
- ٢ (وَالرَّمْلُ يُشْبِهُ فِي أَعْدَادِهِ خَطِيئِي      فَمَا أَهْمُ لَهُ يَوْمًا بِإِحْصَاءِ)
- ٣ (وَالرِّزْقُ يَأْتِي وَلَمْ تُبْسَطْ إِلَيْهِ يَدِي      سَيَّانٍ فِي ذَاكَ إِذْنَانِي وَإِقْصَائِي)
- ٤ (لَوْ أَنَّهُ فِي الثَّرِيَّا وَالسَّمَاءِ أَوْ الشَّعْرَى الْعُبُورِ أَوِ الشَّعْرَى الْغُمِيصَاءِ)

سيان ، بمعنى سواء . يقال : هما سيان وهم أسواء . وقد يقال : هم سى ، كما يقال : هم سواء . قال الشاعر :

وَهُمْ سَى إِذَا مَا نُسَبَّوْا      فِي سَنَاءِ الْمَجْدِ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ

قال ابن سيده : السَّيَّانُ ، المِثْلَانِ : الواحد : سى . قال الخطيئة :

فَيَأْتَاكُمْ وَحْيَةً بَطْنٍ وَادٍ      هَمُوزَ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بَسِيٌّ

والثَّرِيَّا : نجم . وقد مر<sup>(١)</sup> . والسَّمَاءُ : أحد سماكين . نجمين نيرين ، أحدهما السماء الأعزل ، والآخر السماء الرامح . ويقال : إنهما رَجُلَا الْأَسَدِ . والذي هو من منازل القمر : الأعزل ، وبه ينزل القمر ، وهو شَامٌ ، وُسْمَى أعزل ، لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب ، كالأعزل الذي لا رُمح معه . وقيل : سُمِّيَ أعزل ، لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها . وهو من كواكب الأنواء ، وطلوعه مع الفجر ، يكون في تشرين الأول . والرامح ليس من منازل القمر ، لا نَوْءَ له ، وهو إلى جهة الشمال . والشَّعْرَى : كوكب نيرٌ يقال له

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

المِرْزَمَ ، يَطْلُعُ بعدَ الجوزاءِ . وطلوعه في شِدَّةِ الحرِّ . وهما شِعْرَيَانِ : العبُورُ التي في الجوزاءِ ؛ والغُمَيْصَاءُ التي في الذَّرَاعِ ، تزْعُمُ العربُ أنهما أُخْتَانُ سُهَيْلٍ . وَسُمِّيَتِ العبُورُ ، لأنَّه يقالُ إنها عَبَرَتِ السَّمَاءَ عَرَضًا ، ولمْ يَعْبُرْهَا عَرَضًا غَيْرُهَا . وَسُمِّيَتِ الأُخْرَى الغُمَيْصَاءُ ، لأنَّ العربَ قالتْ في أحاديثها: إنها بَكَتْ على إثر العبورِ حتَّى نَعَمَصَتْ .

يقول : ما أَشَدَّ بَغْضَ النَّفْسِ للنَّصِيحَةِ ؛ وأَمْتَناعها على الإرشادِ ! لقد نصحت لها مُخْلِصًا ، وأوصيتها صادقًا ، فما سمعتْ لِي ، وما أَصغَتْ لِي . وهى بعد ذلك كثيرة الخطأ ، حمة الزلل ، لا يبلغ الإحصاءُ أغلاطها ، ولا يَنالُ العدُّ زلاتِها . غافلةٌ عن الحقِّ ، بصيرةٌ بالباطل ، زاهدةٌ في القصدِ ، حريصةٌ على الإسرافِ . تكدِّ وتَشْقَى ، وتكَلِّفُ السَّعى والمشقة ، في سبيل الرِّزْقِ . ولو أنها ودَّعَتْ وأطمأنت لَجاها رزقُها المَقْدُورُ ، ونصيبُها المَقْسُومُ ؛ سواء نأى عنها مكانُه أم دنا ، وسواء قَرُبَ أم بَعُدَ . ولكنَّ العنادَ مطيَّةَ الأَلَمِ ، وسبيلَ العناءِ .

## اللزومية السادسة والعشرون

وقال أيضاً في الهزمة المكسورة مع الميم :

١ ( الْقَلْبُ كَالْمَاءِ وَالْأَهْوَاءُ طَافِيَةٌ عَلَيْهِ مِثْلَ حَبَابِ الْمَاءِ فِي الْمَاءِ )

٢ ( مِنْهُ تَنَمَّتْ وَيَأْتِي مَا يُغَيِّرُهَا فَيُخْلِقُ الْعَهْدُ مِنْ هِنْدٍ وَأَسْمَاءِ )

الأهواء ، واحدها هوى ، مقصور . وإذا أضفته إليك قلت : هوى . قال ابن برّى : وجاء «هوى النفس» ممدود في الشعر . قال الشاعر :

وهان على أسماء إن شطّ النوى نَحْنُ إِلَيْهِـــــــــــــــــا والهواء يتوقُّ

قال ابن سيده : الهوى : العشق ، يكون في مداخل الخير والشر . وقال الأزهري : هو محبة الإنسان وغلبته على قلبه . ومتى تُكَلِّمَ بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً ، حتى يُنعت بما يُخْرِجُ معناه .

وقد انتصب « مثل » على الحال . ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف تقديره « طفواً مثل طفو حباب » فأقام الصفة مقام الموصوف والمضاف إليه مقام المضاف . والحباب : معظم الماء ، وفقاً لقيمه : التي تطفو عليه ، وطرائقه ، وأمواجه . وتنمّت : زادت وربت . وأخلق : بلى . وهند وأسماء ، من الأسماء التي شَبَّ بها الشعراء . يريد أن صُروف الدهر وخُطوبه تُذهل المُحبَّ عن محبوبه ، كما قد يُريد أن الإنسان إذا جرّب الأيام وعلم تصاريدها أقلع عن غيّه وضلاله . وهذا بمنحى أبي العلاء الصق .

يقول : مثل النفس الإنسانية — ثبتت طبيعتها لا تتغير ، واستقرت أصولها لا تتبدل ، ثم عرضت لها من الحياة مظاهر أثّرت فيها فغيّرت أهواءها ، وبدلت شهواتها ، تغييراً لا يلبث أن يزول — مثل البحيرة الهادئة والغدير الساكن عَصفت

بهما الريح فهاجت أمواجهما ، وأنشأت على سطحيهما من الحجاب كُرَاتٍ  
لا تلبث أن تزول بسكون الريح .

ذلك مثلُ صادقِ لنفسِ الإنسانِ الثابتةِ وأهوائه المتغيرةِ ، عنها صدرت تلك  
الأهواءُ ، فَخَيَّلَ إليك أنها باقية بقاءها ، ثابتة ثباتها . ولكنك لا تلبث أن  
ترى حالاً طارئةً ، وهوئى جديداً . لقد كنت تُحب أسماء وتكلف بها ،  
وتعتقد أن غرامك بها باقٍ بقاء الدهر خالدٌ خلود الزمان . فإذا طُول الأمد  
وأختلف ألوان الحياة قد عَبَثَ بهذا الغرام فغيره ، وأخذ يمحوه من قلبك قليلاً  
قليلاً ، ويُحِلْ مكانه غراماً طريفاً . ثم أصبحت وقد نَسِيتَ أسماء وأصبحت  
بهذا كَلِفًا مَشْغُوفًا . وما أراك إلا سالكاً بهذا الحب الجديد سَبِيلَكَ في ذلك  
الحبِّ التَّليدِ .

٣ (والقولُ كالخلقِ مِنْ سَيِّئٍ وَمِنْ حَسَنٍ والنَّاسُ كالدهْرِ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَاءٍ)

من، ها هنا : بمعنى بين . تقول العرب : جاء القوم من فارس وراجل ، أى  
بين فارس وراجل . وأصل « سَيِّئ » . سَيِّئٌ ، بالتشديد ، ثم خُفِفَ ، كما يقال في  
« هَيْنَ » هَيْنَ .

يقول : أجل ، ليس في العالم طريف ولا في الحياة جديد ، وإنما العالم والحياة  
مظاهر يماثل بعضها بعضاً . فالأقوال مرآة الناس ، منها السيِّئُ والحسنُ ؛ والناس  
مرآة الأيام ، ثابتة في نفسها متغيرة في شكلها ، منها الظلمة والنور ، ومنها الليل  
والنهار ؛ ظاهر متغير ، وطبيعة ثابتة دائمة . ضياء يملأ النفوس انشراحاً ، وظلمة  
تملؤها انقباضاً ، والحقيقة واحدة . فَلكَ يدور بالخير والشر ، ويجرى  
بالسَّعد والنَّحسِ .

٤ ( يُقَالُ إِنَّ زَمَانًا يَسْتَقِيدُ لَهُمْ حَتَّى يُبَدَّلَ مِنْ بُؤْسٍ بِنَعْمَاءٍ )  
 ٥ ( وَيُوجَدُ الصَّقَرُ فِي الدَّرْمَاءِ مُعْتَقِدًا رَأَى أَمْرِي الْقَيْسَ فِي عَمْرٍو بْنِ دَرْمَاءٍ )

يستفيد : يتأنتى وينقاد ، كما يستفيد البعير إذا قيد . والدَّرْمَاءُ : الأرنب .  
 وعمرو بن درماء : رجل من مُعَلٍ ، نزل عليه أمرؤ القيس عند طلبه المنذر بن ماء  
 السماء . وقد مرَّ حديث ذلك <sup>(١)</sup> . يشير أبو العلاء إلى ما يقوله الشيعة من أن  
 إمامهم المُنتظر إذا ظهر ملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وأبدلهم من البؤس  
 بالنَّعماء ، وذهبَ بما في الصدور من الحقد والشَّحْناء ؛ حتى تأمن الأرنب من سَطوة  
 الصَّقَر ، كما أَمِنَ أمرؤ القيس حين استجار بعمرو بن درماء .

وكان السياق يقتضي : رأى عمرو في أمرى القيس ؛ فعمره ، هو المشبَّه بالصَّقَر ،  
 وأمرؤ القيس ، هو المشبَّه بالأرنب ، فقلَّب إذ مراده مفهوماً .

يقول : لم أَرَّ أشدَّ حُمَقًا ولا أكثر بَلَهًا من قوم ظنُّوا تغيُّرَ الزمان وتبدُّلَ  
 الأيام ، وانتظروا أن تُطيعهم حركة الفلك فنسنتحيل من شرٍّ إلى خير ، ومن بُؤْسٍ  
 إلى نعيم ، إذ ذاك تصلح النفوس الفاسدة ، وتصحُّ الطبائع المريضة ، وتُمَلَأُ  
 الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً ، وتسكن الأرنب إلى السَّبْع ، ويأنس العُصفور  
 إلى الصَّقَر . خيال ما أبعد من الحقِّ ، وأدناه من المُحال .

٦ ( وَلَسْتُ أَحْسَبُ هَذَا كَائِنًا أَبَدًا فابِغِ الْوُرُودَ لِنَفْسٍ ذَاتِ أَظْمَاءٍ )

الأظماء : جمع ظمأ ، وهو العطش . وجمع . ظمء ، وهو ما بين الشرب إلى  
 الشرب . وكلاهما جائز هنا .

(١) انظر شرح البيت ٢٨ من اللزومية ١٦ ص ١٣٢ من هذا الجزء .

يقول : ألا لا يَخْدَعَنَّكَ هذا الوهم ، ولا يَفْرُتَنَّكَ هذا الأمل ؛ إنما العالم على حاله : خيرٌ يُمازجه شرٌّ ، ونعيمٌ يَشُوبُهُ بُؤْسٌ . فلا تُحاول له تغييراً ، ولا تَطْلُبْ له تَبديلاً . ولكن إن استطعت أن تَرِدَ بِنَفْسِكَ الصادية مناهل الخير عذبةً ، وشرائع الفضيلة صافيةً ، فافعل فأنت الموفق السعيد .

## اللزومية السابعة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع الطاء :

١ ( السَّاعُ آئِيَةُ الْحَوَادِثِ مَا حَوَتْ لَمْ يَبْدُ إِلَّا بَعْدَ كَشْفِ غِطَائِهَا )

الساع : جمع ساعة ، وهي الجزء من أجزاء الليل والنهار . قال القُطامي :

وَكُنَّا كَالْحَرِيقِ لَدَى كِفَاحٍ فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهْبُ سَاعًا

والآنية : جمع إناء ، وجمع الآنية : الأواني . والألف في « آنية » مبدلة من الهمزة وليست بمخففة عنها ، لانقلابها في التكسير واواً . ولولا ذلك لحكم عليه دون البذل ، لأن القلب قياسي والبذل موقوف .

يقول : إنما الزمان إناء مُفعم بالحوادث ، مملوء بالعبر والمواعظ ، مُحجب لا ترى ما فيه العيون ، ولا تبلغه الظنون ، حتى يُزيح ستره ويُبيح سرّه . وهو متصل الحركة مُدشابه الأجزاء ، ليس بين ساعاته تباين ، ولا بين آنائه اختلاف .

٢ ( وَكَأَنَّمَا هَذَا الزَّمَانُ قَصِيدَةٌ مَا اضْطَرَّ شَاعِرُهَا إِلَى إِطَائِهَا )

٣ ( لَيْسَتْ لِيَا لِيهِ مُحِسَّةٌ كَأَنَّ وَصِفَتْ بِسُرْعَتِهَا وَلَا إِطَائِهَا )

الإيطاء في الشعر : أن تتفق قافيتان على كلمة واحدة معناها واحد . فإن اتفق اللفظ وأختلف المعنى فليس بإيطاء . وقال الأخفش : هو ردُّ كلمة قد قفّيت بها مرة ، نحو قافية على « رجل » وأخرى على « رجل » في قصيدة ، فهذا عيب عند العرب لا يختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك .



قال ابن جني : ووجه استقباح العرب الإيطاء ، أنه دال عندهم على قلة مادة الشاعر ونزارة ما عنده ، حتى يضطر إلى إعادة التافية الواحدة في القصيدة بلفظها ومعناها ، فيجري هذا عندهم مجرى العي والحصر . وقال أبو عمرو بن العلاء : الإيطاء ليس بعيب في الشعر عند العرب . وقال ابن سلام الجعفي : إذا كثرت الإيطاء في قصيدة مرآت فهو عيب عندهم .

وأصله أن يطاء الإنسان في طريقه على أثر وطء قبله ، فيعيد الوطاء على ذلك الموضع .

يقول : ما أشبه الزمان في ذلك إلا بالقصيدة الجيدة من الشعر قد استقامت للشاعر قوافيها وانقاد له رويها ، فلم ينجح إلى إيطاء . وهو معتدل السير ليس له استقرار ، وليس يوصف بسرعة ولا بطء ، وليس يملك إنسان رياضته ، ولا يستطيع أحد أن يحمله على أن يمضي حثيثاً أو مترثناً . ذلك شأن الزمان وهذه صفاته ، كلها لازمة لطبعه ، ملائمة لمزاجه ، ليس لأحد أن يغير فيها أو يبدل منها .

٤ ( وَالْمِصْرَ آنَسُ مِنْهُ خَرَقُ مَفَاذَةٍ    آنَسَ الدَّلِيلُ بِقَافِهَا مَعَ طَائِهَا )

المصر ، في كلام العرب : كل كورة تُقام فيها الحدود ويُقسم فيها الفئء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة . والمفاضة : البرية القفر . وقيل : هي من الأرضين ما بين الربع من ورد الإبل ، من الغب من ورد غيرها من سائر الماشية . وقال ابن شميل : المفاضة : التي لا ماء فيها وإذا كانت لليلتين لا ماء فيها فهي مفاضة ، وما زاد على ذلك كذلك . وأما الليلة واليوم فلا يعد مفاضة . قال ابن الأعرابي : وسميت مفاضة لأن من خرج منها وقطعها فاز . وأراد بالقاف مع الطاء : القطا ، وهو طير . وقد سبق التعريف به <sup>(١)</sup> .

(١) انظر شرح البيت ١٤ من اللزومية الأولى ص ٦٠ من هذا الجزء

يقول : فأما المكان ، فأحقُّه أن يأنس إليه العاقل ويرغب فيه الحكيم تلك الصحراء المُقفرة ، والبيداء الموحشة ، يأنس فيها الدليل في ظلمة الليل إلى القطاة ، وفي ضوء النهار إلى لمعان الآل . هذه الفلاة الموحشة الغامرة آنس من المدينة الآهلة الغامرة ، تلك يخلو فيها الحكيم إلى نفسه مُغتبطاً بنجرها مُصلحاً لشربها ، لا يسمع فيها أذاة ولا لغوا ، ولا يرى فيها مُنكراً ولا عيباً ؛ وهذه يُقيم فيها العاقل على أشد النارَيْن حرّاً ، وأعظمهما شراً : فإما أن يشهد مصرع الحق ومقتل الفضيلة بين يدي الباطل والذيلة ، ويظلّ معقود اللسان مضطرب الجنان ، رغبةً في رضا الناس ورهبة من غضبه ؛ وإما أن ينصر الحق المغلوب ويؤيد الفضيلة المقهورة ، فيلقى ما شاء الجهل من أذاة ، ويقاسى ما أحبّ النى من ألم ، دون أن يظفر بحاجة أو يصل إلى غاية .

٥ ( وَسِهَامٌ دَهْرِكٌ لَا تَزَالُ مُصِيبَةً صُرِفَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ عَنْ إِخْطَائِهَا )

الإخطاء ، من أخطأ السهم الغرض ، إذا لم يُصبه ، ومثل «أخطأ» في ذلك خطي .

يقول : في هذا الزمان تعيش ، وفي هذه المدينة تحيا ، ليس لك من هذا بُدّ . مَكَانٌ قَلَقٌ ، وزمان نَزَقٌ ، ولكنه صائب الرّمية لا يطيش سهمه ، ولا يخطئ نصّله .

٦ ( إِنَّ الْمَوَاهِبَ كُلَّهَا عَارِيَّةٌ وَمِنَ السَّفَاهَةِ غِبْطَةٌ بَعَطَائِهَا )

العاريّة ، منسوبة إلى العارة ، وهو اسم من الإعارة . تقول : أعرتُه الشيء أعيره إعارة وعارة . كما قالوا : أطعته إطاعة وطاعة ، وأجبتّه إجابة وجابة . وهذا كثير (١٢)

فى ذوات الثلاث، منها : العارة ، والدارة ، والطاقة، وما أشبهها . وقال الجوهرى :  
 العارية ، بالتشديد ، كأنها منسوبة إلى العار ، لأن طلبها عار وعيب ، وأنشد :  
 إنما أنفسنا عارية والعواري قصار أن تُردَّ

يقول : فإن كان فى هذه الحياة ما يسرّ ، من مواهب تُعلى القدر ، وتُبعد  
 الصيت ، فما أحسب هذا إلا غروراً بالباطل وافتتاناً بالزور . فإن تلك المواهب  
 عارية مردودة ، ودين لا بُد أن يُقضى . ولن يستردّ منك هذه العارية ، ولا يتقاضى  
 منك هذا الدين ، إلا الموت . وحسبك بالموت موقظاً للنائم ، ومنبهاً للغافل .

## الهمزة الساكنة اللزومية الثامنة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة الساكنة مع الباء :

١ ( ما خَصَّ مِصْرًا وَبَاءً وَحَدَّهَا بَلْ كَانَتْ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَبَاءً )

مصر ، تُذكر وتؤنث ، وتُصرف ولا تُصرف . وفي قوله تعالى : « اهْبِطُوا مِصْرًا » قال سيبويه : بلغنا أنه يريد مصر بعينها . وقال أبو إسحاق : فيه وجهان ، جائز أن يُراد بها مصر من الأمصار ، لأنهم كانوا في تيه ، وجائز أن يكون أراد مصر بعينها ، فجعل مصرًا اسمًا للبلد ، فصرف لأنه مُذكر . ومن قرأ « مصر » بغير ألف أراد « مصر » بعينها كما قال : ( ادخلوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ) ولم يصرف لأنه اسم المدينة ، فهو مذكر وتُسمى به مؤنث .

والوباء : الطاعون ، بالقصر ، والمد والهمز . وقيل : هو كل مرض عام . وفي الحديث : « إن هذا الوباء رجز » . وجمع المقصور : أوباء . وجمع المدود : أوبية ، وظاهر أنه أراد بهذا الوباء الذي نزل بمصر ما كان أيام ولاية المستنصر بالله أبي تميم معد الفاطمي ، الذي بقى في الخلافة نحواً من ستين سنة . فقد تولاهما وهو ابن سبع سنين سنة ٤٢٧ هـ . وتوفي سنة ٤٨٧ هـ . وفي ذلك يقول أبو المظفر : « وعاش المستنصر سبعاً وستين سنة وخمسة أشهر في الهزاهز والشدائد والوباء والغلاء » . وقبل أبي الغلاء تعرضت مصر غير مرة لألوان من الوباء .

وعاصر أبو الغلاء جزءاً من هذه الحِقْبَة ، حقبة المستنصر . إلا أنه مات قبل أن تبلغ الأيام شدتها في آخر عهد المستنصر ، ولعله يشير في عجز البيت إلى

الطاعون الذى حل بشيراز ، ثم واسط وبغداد والبصرة والأهواز وغيرها سنة ٤٢٦ هـ . ، ومن قبله الطاعون الذى حل ببلاد الهند والعجم وغزنة وخراسان وجرجان والري وأصبهان ، وامتد إلى الموصل والجزيرة وبغداد سنة ٤٢٣ هـ .

يقول : لقد طالما تحدّث الناس وامتألت كُتب التاريخ بما اختصت به مصر من وباء ، يغير على أهلها حيناً بعد حين ، ويفتك بهم آنأً بعد آن . حتى أصبحت هذه السمعة لمصر كأنها طبيعة لا تبرح ، وصِفة لا تزول . ولا يشاركها فيها بلد آخر من البلاد . خطأ كبير ووهم فاحش ؛ فإنه لم تخل مدينة من المدن من وباء مُغير أو داء فاتك ، وأية محلة خلت من الموت ؟ وأى منزل برىء من الرّدى ؟ وهل تعرف أشد من الموت داء ؟ وأخوف من الرّدى وباء ؟

- ٢ ( أَنْبَأَنَا اللَّبُّ بُلُقِيَا الرَّدَى فَالْعَوْتُ مِنْ صِحَّةِ ذَاكَ النَّبَأِ )  
 ٣ ( هَلْ فَارِسٌ وَالرُّومُ وَالتُّرْكُ أَوْ رَبِيعَةٌ أَوْ مُضَرٌّ أَوْ سَبَأٌ )  
 ٤ ( نَاجِيَةٌ فِي عِزٍّ أَمْلَاكِهَا أَنْ يُظْهَرَ الدَّهْرُ لَهَا مَا خَبَأَ )  
 ٥ ( وَمِنْ سَجَايَا نَبْلِهِ أَنَّهَا كُلُّ قَتِيلٍ قَتَلَتْ لَمْ يُبَأْ )  
 ٦ ( إِنْ سَارَ أَوْ حَلَّ الْفَتَى لَمْ يَزَلْ يَلْحَظُهُ الْمِقْدَارُ بِالْمُرْتَبَأِ )

اللُّقْيَا ، بالضم : اسم من اللُّقاء .

والرّدى : الهلاك ، بفتح الدال ؛ وبكسرهما : الهالك . والعَوْتُ : الاسم من « استعاث » بمعنى صاح : واغوثاه . ومثله الغواث ، بالضم والفتح . وجائز أن يكون « العوْث » اسمٌ وموضع المصدر من « أغاث » . وفي حديث هاجر أم إسماعيل : « فهل عندك غواث » . وهو منصوب على الإغراء .

وأراد بـ « فارس » وما بعدها التمثيل بمختلف من الأجناس لا الحصر .

و « ناجية » خبر لـ « فارس » وما عطف عليها في البيت السابق . وهذا من الشعر المضمن ، وهو ما لم يتم معناه إلا في البيت الذي بعده . قال ابن سيده : وليس بعيب عند الأخفش ، وألا يكون تضمينٌ أحسن . وقال ابن جني : التضمين مذهب تراه العرب وتستجيزه ، وله وجهان : أحدهما السماع والآخر القياس . أما السماع فلكثرة ما يرد عنهم من التضمين . وأما القياس فلأن العرب قد وضعت الشعر وضعاً دلّت به على جواز التضمين . وذلك ما أنشده صاحب الكتاب من قول الرّبيع بن ضُبّع الفزاريّ :

أصبحت لا أحمل السّلاحَ ولا أملك رأسَ البعير إنْ نَفَرَا  
والذئبَ أخشاه إنْ مَرَرْتُ به وحَدَى وأخشى الرّياحَ والمَطَرَا

فنصب العرب « الذئب » هنا واختيار النحويين له من حيث كانت قبله جملة مركبة من فعل وفاعل ، وهي قوله « لا أملك » يدلّك على جرّيه عند العرب والنحويّين جميعاً مجرى قولهم : ضربت زيدا وعمراً لقيته ، فكأنه قال : ولقيتُ عمراً ، لتجانس الجملتين في التركيب . فلولا أن البيتين جميعاً عند العرب يجرّيان مجرى الجملة الواحدة لما اختارت العرب والنحويّون جميعاً نصب « الذئب » . ولكن دلّ على اتصال أحد البيتين بصاحبه ، وكونهما معاً كالجملة المعطوف بعضها على بعض . وحكم المعطوف والمعطوف عليه أن يجرّيا مجرى العقدة الواحدة .

وأما : جمع قلة ، ملك ؛ والكثير : ملوك . والسّجّايا : جمع سجيّة . وهي الطبيعة والخلق . وقيل : هي الطبيعة من غير تكلف . والنّبل : السهام ، وقيل : السهام العربية . وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، فلا يقال : نبلٌ ؛ وإنما يقال : سهم ونسابة . وقال أبو حنيفة : وقال بعضهم واحدتها نبل . قال ابن منظور :

وَالصَّحِيحُ أَنْ لَا وَاحِدَ لَهُ إِلَّا السَّهْمُ . وَحُكِيَ : نَبَلٌ ، وَنُبْلَانٌ ، وَأَنْبَالٌ ، وَنَيْبَالٌ .

وَلَمْ يُبَيَّأْ : لَمْ يُقْتَلْ . يَقُولُ : بَاءَ فُلَانٍ بِفُلَانٍ ، أَيْ قَتَلَ بِهِ . وَبَاءَهُ بِهِ وَأَبَاءَهُ : قَتَلَهُ بِهِ وَصَيَّرَ دَمَهُ بَدَمَهُ . وَالْمَقْدَارُ : الْمَوْتُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَوْ كَانَ خَلْفُكَ أَوْ أَمَامَكَ هَائِبًا      بَشَرًا سِوَاكَ لَهَا بَكَ الْمِقْدَارُ

وَقَالَ اللَّيْثُ : الْمَقْدَارُ : اسْمُ الْقَدَرِ ، إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ الْمِقْدَارَ مَاتَ .  
وَالْمُرْتَبَأُ : الْمُرْتَفَعُ تَرْتِبُهُ ، أَيْ تَعْلَوُهُ وَتَضَعُهُ لَتَرْقُبَ مِنْ فَوْقِهِ . وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ « الْمَقْدَارِ » . جَعَلَ « الْمَقْدَارُ » بِمَنْزِلَةِ الرَّبِّيَّةِ وَالطَّلِيعَةِ .

يَقُولُ : لَقَدْ حَدَّثَنَا الْعَقْلُ وَصَدَّقَهُ التَّارِيخُ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَنَا غَايَةً ، وَالْحَمَامَ إِنَّا نَهَايَةٌ ؛ لَمْ تَسْلَمْ مِنْهُ أُمَّةٌ ، وَلَمْ يَأْمَنْ مِنْهُ جِيلٌ . يَرْمَى فَلَا يُخْطِئُ ، وَيَقْتُلُ فَلَا يُبَاءُ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْهِ ثَارًا ، وَلَا أَنْ يَقْضَى مِنْهُ وَتَرًا ، قَدْ اتَّخَذَ لَهُ مَرَايَ يُرْقُبُ مِنْهَا صَيْدَهُ ، وَيَرْبَأُ مِنْهَا . فَلَيْسَ يُنْجَى الْفَتَى مِنْ سَهْمِهِ إِقَامَةً وَلَا ظَعْنَ ، وَلَيْسَ يَحْمِيهِ مِنْ نَصْلِهِ حِلٌّ وَلَا رَحِيلٌ .

## اللزومية التاسعة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة الساكنة مع القاف :

١ ( تَقْوَاكَ زَادٌ قَاعَتَقِدْ أَنَّهُ أَفْضَلُ مَا أَوْدَعَتْهُ فِي السَّقَاءِ )

السقاء : جلد السَّخْلَةِ إذا أُجْذِعَ ، ولا يكون إلا للماء . وقال ابن السَّكَيْتِ :  
يكون للبن والماء .

والوطب ، لبن خاصة ؛ والدَّحَى ، للسَّمْنِ ؛ والقِرْبَةُ ، للماء . والجمع القليل :  
أَسْقِيَّةٌ ، وأَسْقِيَّاتٌ ؛ والكثير : أَسَاقٍ . أقام الزَّادُ والسقاء مقامَي الرُّوحِ والجسد .  
يقول : الْجَدَّ الْجَدَّ فِي التَّقْوَى وَإِثَارَ الْخَيْرِ . والحرصَ الْحَرَصَ عَلَى طَهَارَةِ  
اليد وصفاء القلب ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى خَيْرٌ مَّا أَحْرَزْتَهُ لِنَفْسِكَ مِنْ زَادٍ ، وأفضل  
مَّا ادَّخَرْتَهُ لَهَا مِنْ بَقِيَّةٍ .

٢ ( آمِ غَدًا مِنْ عَرَقٍ نَازِلٍ وَمُهِجَةٍ مُوَلَعَةٍ بَارْتِقَاءِ )

المُهْجَةُ : دَمُ الْقَلْبِ ، وقيل : الدَّمُ ؛ وقيل : الرُّوحُ . وإلى هذا الأخير قصد  
أَبُو الْعَلَاءِ . وَمُوَلَعَةٌ : مُغْرَاةٌ . يُشِيرُ إِلَى نُزُوعِ الرُّوحِ لِلْخَلَاصِ مِنْ أَسْرِ الْجَسَدِ .  
وطابق بين « النزول » و « الارتقاء » . والأول للجسم ، والثاني للرُّوحِ . وأراد  
بـ « غد » يوم الموت . وجعل العرق النازل للشَّدَّةِ . يشير إلى ما يعاني الجسم عند  
سكرة الموت .

أو لعله أراد إلى حَالِي الْجِسْمِ وَالرُّوحِ مَعَ الْمَوْتِ ، فذَاكَ يَسِيلُ مُسْفِلًا ، وتلك  
تنزع مُصْعِدَةً .



يقول : أَوْه ، كم يملأ قلبي الفزع ، وكم يملكه الهلع حين أذكر الغد ، ذلك اليوم الذي نبتُّونا به ، وخوفونا إياه . يوم يتصبَّب العرق تصبُّبَ الماء ، ويوم تذوب الأكباد وتبلغ القلوب الحناجر . لقد أذهل حيناً أذكر ذلك اليوم ، وأرى ما علق بنفسى من الشرِّ ، وما ران على قاي من السوء .

### ٣ ( ثَوْبِي مُحْتَاجٌ إِلَى غَاسِلٍ وَلَيْتَ قَلْبِي مِثْلَهُ فِي النَّقَاءِ )

أراد بـ « الثوب » الجسد . وقد يكون الخبر على وجهه ، وهو الإفادة بدنس الجسم وعوزة إلى ما يغسل عنه أدرانته . كما قد يكون ألقاه لغرض التعجب من غسل جسم الميت ، وكانت الروح بذلك أولى ، ولكن أنى السبيلُ إلى ذلك . يقول : لقد يحتاج الثوب تلبسه إلى غاسل يُزيل دَنَسَهُ ويردِّه نقيّاً نظيفاً ، ولو أن لقلبي من النِّقاء والصفاء ما لهذا الثوب الذي يَكْدُرُ وَيَصْفُو ، وَيَدْنُسُ وَيَنْظَفُ ، لحدتُ العاقبة ، ولرجوتُ حُسْنَ الْمآبِ .

### ٤ ( مَوْتُ يَسِيرٌ مَعَهُ رَاحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الْيُسْرِ وَطُولِ الْبَقَاءِ )

اليسير : الهين ، وقد لا يراد بالوصف تخصيص حال من حالات الموت بالتفضيل ، وإنما هو لاستغراق أحوال الموصوف . فكأنه قال : الموت يسير . كما قد تُراد حال من أحوال الموت تُفارق عليها النفسُ مطمئنةً بما عملت ، مستريحة لما قدّمت . واليسر : ضدّ العسر ، وهو خَفَضُ العيش والغنى .

يقول : ما ألدَّ الموتَ اليسيرَ تتبَّعه الراحةُ الباقية ، وما أعذبَ مذاقه . لقد أوتره على العيش الرِّضَى والبال الهنيء ؛ ذلك لا يشوبه كدر ولا يناله تنغيص ، وهذا عُرْضة لما ينبغي أن يحذر العاقلُ من خطب الزمان .

هـ ( وَقَدْ بَلَوْنَا الْعَيْشَ أَطْوَارَهُ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ غَيْرَ الشَّقَاءِ )

بلا الشيء يبلوه : جرَّبه وأختبره . والأطوار : الأحوال والضروب ؛ الواحد : طَوْر .

يقول : لقد بَلَوْنَا العيش أطواره ، وحَلَبْنَا الدهر أشطره ، فلم نَبْلُ إِلَّا مُرًّا ، ولم نَلْقَ إِلَّا شَرًّا ، ولم نشهد غيرَ الشَّقاء .

٦ ( تَقَدَّمَ النَّاسُ فِيَا شَوْقَنَا إِلَى اتِّبَاعِ الْأَهْلِ وَالْأَصْدِقَاءِ )

٧ ( مَا أَطْيَبَ الْمَوْتَ لَشُرَّابِهِ إِنْ صَحَّ لِلْأَمْوَاتِ وَشَكُّ اتِّقَاءِ )

تقدّم : سبق . و « يا شَوْقَنَا » ، التركيب للنذبة ، والمراد إظهار اللفظة والتعشُّر .

والشُّرَّاب : جمع شارب ؛ يعنى الذين يذُقونه ويتجرَّعونه . وشكُّ التَّقاء ، بالفتح : أى سرعة التَّقاء . وتُضَمُّ فيه الواو وتكسر . ومثله : وشكَّانه ، بالفتح والضم .

يقول : لقد تقدّم أبائنا وأصدقاؤنا فسبقونا إلى الموت راثقًا أَوْ رَنَقًا ، فكم يذينا الشوقُ للقائهم ، ويملكنا الحرصُ على جيرتهم ، ولكن هل تصدُق الأنبياء ، وتوفى المواعيد ، ويكفل لنا الموتُ لقاءَ الأحبَّاء ، وجيرةَ الأخلاء ؟ كم أَسْتَلِذُّ الموتَ وأستعذبه ، وكم أطلبه وأتمناه ، لو أن لتلك المواعيد من الصَّحَّة حَظًّا ، ومن الصدق نصيبًا .

## اللزومية الممتمة الثلاثين

وقال أيضاً في الهمزة الساكنة مع الفاء :

- ١ ( أَنْفَرَدَ اللَّهُ بِسُلْطَانِهِ فَمَا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ كِفَاءٌ )  
 ٢ ( مَا خَفِيَتْ قُدْرَتُهُ عَنْكُمْ وَهَلْ لَهَا عَنْ ذِي رِشَادٍ خَفَاءٌ )

الكِفَاء : النّظير والمثيل . قال حسان بن ثابت :

\* وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ \*

أى جبريل عليه السلام . وفي حديث الأحنف : لا أقاوم من لا كِفَاءَ له ، يعنى الشيطان . ومثل «الكفاء» : الكفى ، والكُفء ، والكُفوء . وهو فى الأصل مصدر من «كافأ» بمعنى مائل . والاسم : الكَفَاءة ، والكِفَاء . قال الشاعر :

فَأَنْسَكُهَا لَا فِي كِفَاءٍ وَلَا غِنَى زِيَادُ أَضَلَّ اللَّهُ سَعَى زِيَادِ

وقال الزّجاج فى قوله تعالى : ( وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ) أربعة أوجه ، القراءة منها ثلاثة : كُفُوًا ، وَكُفْتًا ، وَكِفْتًا ؛ وَكِفَاءً ، بكسر الكاف والمد ، ولم يُقرأ بها .

والرّشاد : نقيض الضلال ، وهو إصابة وجه الأمر والطريق .

يقول : تبارك الله مُنفردًا فى سلطانه ، مستبدًا بعظمته وجبروته ، ليس له من عباده كفٌ ولا من خلقه شريك ، لا تخفى قدرته ولا تغمض قوته . وكيف تخفى القدرة القاهرة على ذى حظّ من عقل ، أو تعزّب القوة المسيطرة عن ذى نصيب من رشاد !

- ٣ ( إِنْ ظَهَرَتْ نَارُهُ كَمَا خَبَرْتُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ فَعَلَيْنَا الْعِقَاءَ )  
 ٤ ( تَهْوِي الثَّرِيَّا وَيَلِينُ الصِّفَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوجَدَ أَهْلُ الصِّفَاءِ )

النار ، مؤنثة وقد تذكر . يُشير إلى ما ذكر في أشراف الساعة من ظهور نار في كل الأرض .

والعفاء : التراب ، وأيضاً الدُّروس والهلاك وذهاب الأثر . وقال الليث : ويقال في السبِّ : بِفِيهِ الْعِقَاءُ ، وعليه العفاء . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا كَانَ عِنْدَكَ قَوْلٌ يَوْمُكَ فَعَلِي الدُّنْيَا الْعِقَاءَ » . وقال زهير :

تَحْمَلُ أَهْلُهَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارٍ مِنْ ذَهَبِ الْعِقَاءِ

قال أبو عبيد : هذا كقولهم ؛ عليه الدُّبَارُ ، إذا دعا عليه أن يُدبر فلا يرجع .  
 والثريا ، من الكواكب . وقد مرَّت<sup>(١)</sup> . والصفاء : جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت شيئاً .

يقول : أى قساة القلوب ، وجُفأة الطباع ، لقد ظهرت لكم الآية بينة ، وقامت عليكم الحجّة ظاهرة ، وأنتم مع ذلكم تُجادلون في الحق ، وتُسابقون إلى الباطل . تنتظرون بإيمانكم ، ما منتكم الأساطير من خوارق العادة وكواذب المنى ، ناراً تظهر من كل أرض ، وتحشر الناس من كل صَوْب . هنالك تؤمنون ويومئذ تصدقون . لقد ضلّت الأحلام ، وجارت العقول ، وكذّبت الآمال من اغترّبها ، وتعلّق بأسبابها .

أيها الناس ، ما تنتظرون بإيمانكم ، وما تتربّصون بإصلاح أنفسكم . لقد أصبح اليأس منكم حقاً ، والرجاء فيكم حقاً ، ولقد أصبح لين الأحجار وسقوط الكواكب وبطلان حركة الفلك أيسر من أن يوجد فيكم الأصفياء ، أو يكون منكم أهل الخير الصالحون .

( ١ ) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

- ٥ ( قَدْ قُتِدَ الصَّدَقُ وَمَاتَ الْهُدَى      وَاسْتُحْسِنَ الْغَدْرُ وَقَلَّ الْوَفَاءُ )  
 ٦ ( وَاسْتَشْعَرَ الْعَاقِلُ فِي سَقْمِهِ      أَنَّ الرَّدَى مِمَّا عَنَاهُ الشِّفَاءُ )

عناه الأمرُ يَعْنِيهِ : شغله وأهمه . قال الشاعر :

لَا تَلْعَنِي عَلَى الْبُكَاءِ خَلِيلِي      إِنَّهُ مَا عَنَّاكَ قَدِمًا عَنَانِي

يقول : لقد قُتِدَ فيكم الصَّدَقُ ، وَطُمِسَتْ بينكم أعلامُ الهدى . ولقد حُبَّبَ إليكم الغدرُ ، وَقَلَّ بينكم الوفاء . ولقد اغتذت نفوسكم بالشرِّ ، وارتوت بالردِّية ، حتى أصبح العاقل الحكيم يعتقد أن ليس له من علته بكم شفاء ، ولا من مُصِيبته فيكم بُرءٌ ، إِلَّا الموتُ المريح .

- ٧ ( وَأُعْتَرَفَ الشَّيْخُ بِأَبْنَائِهِ      وَكُلُّهُمْ يُنْذِرُ مِنْهُ أَنْتِفَاءً )  
 ٨ ( رَبَّهُمْ بِالرَّفْقِ حَتَّى إِذَا      شَبُّوا عَنَّا الْوَالِدَ مِنْهُمْ جَفَاءً )

النَّذْرُ : أن تُوجِبَ على نفسك شيئاً . جعل انتفاءهم من الآباء مما أوجبوه على أنفسهم فلا يَرْجِعُونَ فيه . يقال : نَذَرْتُ أَنْذُرَ ، بضم العين في المضارع وكسرها ، وقد يكون من : أَنْذَرُ يُنْذِرُ ، بمعنى أعلم ، أى إنهم يظهرون انتفاءهم من آبائهم ولا يُخَفُونَهُ ، وهو أَعْقُ الْمُعْقُوقِ .

وربَّ الوالدُ ولده ، يَرْبُهُ رَبًّا : رَبَّاه . ومثلها : رَبَّه تَرْبِيًّا وَتَرْبَةً .  
 و « رَبَّبَ » أبلغ .

والجفاء : غَلِظَ الطَّبَعُ وترك الصَّلَة والبرَّ ، يُمَدُّ وَيُقْصَر . قال الأزهري :  
 « الجفاء » مَمْدُودٌ عند النحويَّين ، وما علمت أحداً أجاز فيه القصر . وفي الحديث :  
 « الحياء من الإيمان . والإيمان في الجنة . والبذاء من الجفاء . والجفاء في النار »

والجفاء يكون في الخِلقة والخُلُق . ويقال . جفوتُه جفوةً ، مرة واحدة ، وجفاء كثيراً ، مصدر عام .

يقول : أجل ، لم أر أُلأم منكم طبعاً ، ولا أدنا منكم أصلاً ، ولا أدنى منكم إلى الميّن ، ولا أحرص منكم على كفر النعمة وجُحود الصّنية . أولئكم الآباء يُنفقون عليكم صَفو حياتهم ونضرة شبابهم ، ويُبلّون فيكم جدّة أيامهم ؛ حتى إذا أدركهم الهرم ، وأن لهم أن يتقاضوا منكم دينهم ، ويُثابوا بما أحسنوا إليكم من صنيع ، جَزَيتهم عُقوقاً ، ولَقَّيتهم جُحوداً وكُفراً . يَجِدُون أَعترافهم بكم لَذّة ، وتَرَوْنَ براءتكم منهم نِعمة .

٩ ( والدَّهْرُ يَشْتَفُ أَخْلَاءَهُ كَأَنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ أُشْتَفَاءُ )

الاشتفاف : التقصّي في الشّرب . قال عبد الله بن سبرة الجرشى :

ساقيةُ الموت حتى أشتفّ آخرَه فما أَسْتَكَنَ لِمَا لَاقَى ولا ضَرَعَا

أى حتى شرب آخر الموت ، وإذا شرب آخره فقد شربه كُلّه . وفي حديث أم زرع : « وإن شَرِبَ أشتفّ » . أى شرب جميع ما فى الإناء . ويشتفّ أخلاءه . أى يأتى عليهم جميعاً ، كما يأتى الشاربُ على ما فى الإناء .

والضمير فى « أخلائه » للشيخ ، ويجوز أن يكون للدهر ، وكأنه على هذا الأخير أراد أن يجعل الأبناء كالدهر غَدراً بالأخلاء ، وإمعاناً فى الاشتفاء .

والاشتفاء : أُنْتعال من : شفاه الله يشفيه . أصله فى الأجسام ونُقل إلى شفاء القلوب والنفوس . والمعنى هنا على التّوجيهين جائز .

يقول : لَسَاءَ ما كافَأْتُمُ الحسنة وشكرتم المعروف ، ولساء ما جَزَى الدهرُ

أولئك الآباء برحمتهم قسوة ، وبرأفتهم غِلْظة ، وبدلهم من برهم عُقوقاً .  
ولو أنه إذ أنزلهم منكم هذا المنزل القلق ترك لهم الأخلاء ، وأبقى لهم على  
الأصفياء ؛ لكان لهم عنكم سلوة . ولكنه يخترم أصدقاءهم ، ويشتف  
أحباءهم ، كأنما هو يشتفى بذلك من علة معضلة ، وداء عياء .

## فصل الألف

هذا الفصل يحتمل وجهين، أحدهما أن يكون على ما رتبْتُ، والآخر أن يكون الروى ما قبل الألف وتكون الألف وصلاً .

## اللزومية الواحدة والثلاثون

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله التَّنُوخى فى الألف مع الضاد :

١ ( قَضَى اللهُ أَنْ الْآدَمِيَّ مُعَذَّبٌ إِلَى أَنْ يَقُولَ الْعَالِمُونَ بِهِ قَضَى )

٢ ( فَهَبْنِيْ وَلَاةَ الْمَيِّتِ يَوْمَ رَحِيلِهِ أَصَابُوا ثُرَاتًا وَاسْتَرَاخَ الَّذِي قَضَى )

قضى : حكم وأمر وحتم ، ومنه قوله تعالى : ( وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) .  
وقضى ، أيضاً : صنع وعمل وقدر . ومنه قوله تعالى : ( فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ) .  
وبالمعنيين تستطيع تفسير « قضى » الأولى فى البيت . و « به » أى الآدمي .  
والعالمون به ، المحسسون به من أهل وعُشراء . و « قضى » الثانية ، بمعنى مات .  
و « إلى أن يقول العالمون به قضى » أى إلى أن يُعلن هؤلاء موته ، ويُشيّعوه إلى رَمْسِهِ .

وولاية الميت : الذى يلون أمره ، يعنى أهله والأقربى ومن إليهم تؤول شؤنه .  
والتراث : ما يخلفه الرجل لورثته . والتاء فيه بدل من الواو . وفى حديث الدعاء :  
« وإليك مأبى ولك ثرائى » .

وفى أُنْفَاقِ « القافيتين على كلمة واحدة ، وبمعنى واحد ، إبطاء ، وقد تقدم شرحه <sup>(١)</sup> .

يقول : لقد قضى الله على الإنسان أن يقضى حياته تعباً مكثوداً ، ويمضى أيامه مُعَذَّباً شقيماً ، فما يزال به العذاب والألم حتى يستنقذه منهما الموت ، ويرميه

( ١ ) انظر شرح البيت الثانى من اللزومية السابعة والعشرين ص ١٧٥ من هذا الجزء .



من شرِّها الفناء ، إذ ذاك يَطْمئنُّ بعد القلق ، ويسعد بعد التّعس ؛ وإذ ذاك يستحقُّ أن تُهنَّئَه بما أفاد من راحة ، وما انتهى إليه من سكون . هنئَه بالراحة والسكون ، وهنئِ أوليائه بالغنَى والثروة ، من ثُراث كسبوه ، ومال استولوا عليه . ما أجلّ الموت ! فقد ضَمِنَ الخير للأموات والأحياء على السواء .

## اللزومية الثانية والثلاثون

وقال أيضاً في الألف مع الراء الممالة :

١ ( أَقِيمِي لَا أَعْدُ الْحَجَّ فَرَضًا عَلَى عَجْزِ النِّسَاءِ وَلَا الْعَذَارَى )

أقيمى ، الخطاب لجِنْسِ المرأة . والأمرُ هنا على بابهِ . فقد أُنْعم الأَمْنُ على العِرْضِ ، وليس دون المال والحياة . ومن لم يَأْمَن على نفسه فلا حَجَّ عليه . وحَتَّى مع الأَمْن فقد اشْتَرَط أن يكون مع المرأة زوجها أو محرم لها أو نِسوة يوثق بهن ، اثنتان فأكثر . فالإقامة هنا ، التي هي الأمر بالعود عن الحج ، مُقَيِّدة ، وليست مطلقة . والعَجْزُ ، بضمّتين : جمع العجوز من النساء ، ومثله : العَجْزُ ، بالضم ، والعجائز . والعذارى : جمع عذراء ، وهي البكر لم تُمَسَّ . يقول : أيتها المتهيّئة للحج العازمة عليه ، أَلْقِي عن مطيبتك رَحْلَهَا ، وخَفِّضِي عنها ثِقْلَهَا ، وأَقِمِي هَادِئَةً مطمئنّة ؛ فما أحسب الحجّ عليك فرضاً ، وما أعدّه منك مطلوباً .

٢ ( فَفِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ شَرُّ قَوْمٍ وَلَيْسُوا بِالْحُمَاةِ وَلَا الْغَيَارَى )

بطحاء مكة : هو مَسِيلُهَا الواسع الذي فيه دِقَاقُ الْحَصَى ، يريد مُنبطحاتها . وقُرَيْشُ البطحاء ، هم الذين ينزلون أباطحها . وقريش الظواهر ، هم الذين ينزلون ما حول مكة .

والغيارى ، بفتح أوله وضمه : جمع غيران ، وهو الشديد الغيرة . ومثل الغيران : غَيُورٌ ، والجمع غَيْرٌ . وأمرأة غيُورٌ وغَيُورٌ ، والجمع كالجمع . وقال الجوهري : امرأة غَيُورٌ ، ونِسوة غَيْرٌ ؛ وأمرأة غيُورٌ ، ونِسوة غَيَارَى .

يقول : أقيمى ، ما أرى لك أن ترحلى إلى بلد جمع الله فيه أشرار الناس ، وأسكنه أوشابهم ، وأقلهم عن الأعراض زياداً وللأحساب حمية ؛ فسقة لا يعرفون العفة ، وأنذال لا يستشعرون الغيرة .

- ٣ ( وإن رجال شيبة سادنيها إذا راحت لكعبتها الجمارى )  
 ٤ ( قيامٌ يدفعون الوفد شفعاً إلى البيت الحرام وهم سكارى )

شيبة ، هو ابن عثمان بن طلحة بن عبد الدار بن قصي الحنفي ، نسبة إلى حجابة البيت . وكانت السدانة واللواء لبني عبد الدار ، فأقرهما النبي صلى الله عليه وسلم لهم في الإسلام . والسادن : خادم الكعبة ، وبيت الأصنام أيضاً . والجمارى : الجماعات المحتشدة .

و « قيام » خبر « إن » في البيت السابق ، وهو من التضمين في الشعر <sup>(١)</sup> .  
 والشفع : الزوج .

يقول : أقيمى ، إلى من تحجّين ؟ لقد قام بين يدي هذا البيت الحرام سدنته وحجابه ، فجرةٌ مستهترين ، سكارى ما يفيقون من السكر ، ولا يفرغون من المجون ، لا يرعون لهذا البيت حقاً ، ولا يحتفظون له بدمّة .

- ٥ ( إذا أخذوا الزوائف أولجؤهم ولو كانوا اليهود أو النصارى )

الزوائف : ردىء الدّراهم . جعل ما يأخذونه زائفاً ، للتقليل من شأنه والتهوين من قدره . وأولجؤهم ، أى أجازوهم وأنفذوهم .

(١) انظر شرح البيت الرابع من الزومية ٢٧ ص ١٨١ من هذا الجزء .

يقول : إنما الطّواف والحجّ إليه تجارة لهم يربحون منها المال وبُفِيدون بها القوّات ، فما يُبالون إذا ملأت أيديهم صحاحُ الدراهم وزوائفها ، أطوفوا بهذا البيت أهله أم أعداءه !

٦ ( مَتَى آدَاكَ خَيْرٌ فَافْعَلِيهِ وَقَوْلِي إِنَّ دَعَاكَ الْبِرُّ آرَى )

آداك خير ، أى توفّرت لك أسبابه وفاضت بين يديك وسائله . يقال : آداه ماله ، إذا كثر عليه فعلبه ، وقريبٌ من قول أبي العلاء قول الشاعر :

إِذَا آدَاكَ مَالُكَ فَاْمْتَرْنَهُ الْجَادِيهِ وَإِنْ قَرَعَ الْمُرَاحُ  
أى فاض عن حاجتك ، وزاد عن مطالبك .

وآرى ، كلمة فارسيّة ، بمعنى ، نعم ، ومرّحى ، وحقاً ، وتكون بمعنى « لا » أيضاً .

يقول : دعى الحج وأمثاله من تلك الأعمال التى يدلّ ظاهرها على التنسك ، ويشهد باطنها بالتمتّك . دعيها وافعلى الخير خالصاً من كل رياء ، بريئاً من كل نفاق . دعيها وأجيبى دعوة البرّ إذا دعاك سرّاً أو جهراً ، لا تنتظري على ذلك أجراً ولا تبتغى به ثواباً . أطعمى القانع والمُعترّ ، وتعهّدى البائس بالمعروف ، وخذى نفسك بمكارم الأخلاق ومحاسن الخلال ؛ فذلك أنفع لك وأجدى عليك مما لجّ الناس فيه من باطل وزور .

٧ ( فَلَوْ قَبِلَ الْغَوَاةُ عَرَفَتْ كَشْفِي مِنْ الْكَذِبِ الْمَمُوءِ مَا تَوَارَى )

« لو قبل الغواة » ، أى سكّت المبطّون عن تشويه الحق وإحقاق الباطل . وكشّفى ، أى ما أظهر ممّا لا يُوارب فيه ولا مُداهنة . والتّمويه : التّليّس وإظهار الباطل فى صورة الحق . و« ما توارى » : أستر وأختفى . أى عرفت حقّ من باطلهم ، ولم يُغمّ عليك .

يقول : أجل ، إنهم ليلجئون في باطل ، ويحرصون على زور . ولو قد كان منهم إصغاء إلى نصيح ، أو إجابة إلى رشد ، أو انتفاع بموعظة ؛ إذاً لرأيت كيف أزيل باطلهم عن الحق ، وأجلى غيهم عن الرشد ، وأُحى ضالهم عن الهدى . ولكنها قلوب لا تفقه ، وعقول ضعيفة لا يقومها رشد ، ولا ينفعها إصلاح .

- ٨ ( وَلَا تَتَّبِعِ بَمَا صَبَّغُوا وَصَّاءُوا فَقَدْ جَاءَتْ خِيُولُهُمْ تَبَارَى )  
 ٩ ( جَرَتْ زَمْنًا وَتَسْكُنُ بَعْدَ حِينٍ وَأَقْضِيَةُ الْمُهَيِّمِينَ لَا تُجَارَى )

الصبغ للثياب : تلوينها ، والصياغة للحلى : سبكها . يريد : تغييرهم الكلام وتزويره . تقول : فلان يصنع الكلام ويصوغه ، أى يغيره ويؤثره . وهو أستمارة . وفي الحديث : « أكذبُ الناس الصبَّاغون والصَّوَّاغون » .

قيل : أراد الذين يرتبون الحديث ويصوغون الكذب . وقيل : أراد الذين يصبغون الكلام ويصوغونه ، أى يغيرونه ويخروصونه . وقيل : هم صبَّاغو الثياب وصاغة الحلى ، لأنهم يمتطلون بالمواعيد الكاذبة . وفي حديث أبي هريرة : « رأى قومًا يتعادون فقال ، ما لهم ؟ فقالوا : خرج الدجال . فقال : كذبة كذبها الصبَّاغون » . أى اختلقها الكذَّابون . وفي بعض النسخ : « صنعوا » مكان « صبَّغوا » وهى فى المعنى ؛ إذ الصُّنْعُ : الخلق . وتبارى : أى تتبارى . والتَّبارى : أن يصنع كل واحد مثل ما صنع صاحبه .

والأقضية : جمع قضاء ، وهو الحكم . و« لا تُجَارَى » ، أى لا يُجرى معها ، فهما جارَوْها فهى غالبتهم على أمرهم ونافذة فيهم .

يقول : ألا لا تَتَّقِ بما يدعون إليه ، فإنما هي خَيْلٌ تَجْرِي إِلَى الْبَاطِلِ ، وَخَلْبَةٌ تَسْتَبِقُ إِلَى الضَّلَالِ ؛ لقد جرت في باطلها حيناً ، وأُستَبِقَتْ إلى ضلالها آنناً ، ولا بُدَّ لِحِرَائِهَا من انْقِطَاعٍ ، ولأُستَبَاقِهَا من غَايَةٍ ، وَلِقَوَّتِهَا من نَفَادٍ . إنهم لِيُجَارُونَ قَضَاءَ اللَّهِ ، ولكن هذا القَضَاءُ لَا يُجَارَى ؛ وإنهم لِيَبَارُونَ قَدْرَهُ ، ولكنَّ هذا القَدْرَ لَا يُبَارَى .

- ١٠ ( لَعَلَّ قِرَانَ هَذَا النَّجْمِ يَثْنِي إِلَى طُرُقِ الْهُدَى أُمِّمًا حَيَارَى )  
 ١١ ( فَقَدْ أَوْدَى بِهِمْ سَغْبٌ وَظَمٌ وَأَيْنُقُهُمْ بِمَتْلَفَةٍ حَسَارَى )  
 ١٢ ( وَمَا أَدْرَى أَمَّنْ فَوْقَ الْمَهَارَى أَلْبُ إِذَا نَظَرْتُ أَمَ الْمَهَارَى )

القران في السكواكب : أن يصحب كوكبٌ كوكباً وَيَقْتَرَنَ بِهِ . وقديماً رَتَّبَتِ الْعَرَبُ عَلَى اقْتِرَانِ النُّجُومِ آثَاراً كَثِيرَةً . وَأَوْدَى بِهِ الشَّيْءُ : ذَهَبَ وَأَهْلَكَهُ . والسَّغْبُ : الْجُوعُ ، وَقِيلَ : هُوَ الْجُوعُ مَعَ التَّعَبِ . وَرَبَّمَا سُمِّيَ الْعَطَشُ سَغْبًا ، وَلَيْسَ بِمُسْتَعْمَلٍ . وَالظَّمُّ : الْعَطَشُ ، الْأَسْمُ مِنْ ظَمَى يُظْمَأُ . وَهُوَ أَيْضًا مَا بَيْنَ الشَّرَّيْنِ وَالْوَرْدَيْنِ : وَقِيلَ : ذَلِكَ فِي وَرْدِ الْإِبِلِ . وَالْأَيْنُقُ ، مِنْ مُجْوَ عِ نَاقَةٍ ، الْيَاءُ فِيهِ عِوَضٌ مِنَ الْوَائِ فِي «أُونُقٍ» فَيَمْنِ جَعَلَهَا «أَيْفَلًا» . وَمَنْ جَعَلَهَا «أَعْفَلًا» فَقَدَّمِ الْعَيْنَ مُغَيَّرَةً إِلَى الْيَاءِ ، جَعَلَهَا مَبْدَلَةً مِنَ الْوَائِ . فَالْبَدَلُ أَعْمَ تَصَرُّفًا مِنْ الْعِوَضِ ، إِذْ كُلُّ عِوَضٍ بَدَلٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ بَدَلٍ عِوَضًا .

وَالْمَتْلَفَةُ : الْمَهْوَاةُ الْمَشْرِفَةُ عَلَى تَلَفٍ . وَحَسَارَى : قَدْ أُعْيتِ وَكَلَّتْ ، جَمْعُ حَسَرَى ، وَهِيَ أَيْضًا جَمْعُ حَسِيرٍ ، لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى .

وَالْمَهَارَى ، مُخَفَّفَةُ الْيَاءِ ، وَالْمَهَارَى ، وَالْمَهَارَى ، كُلُّهَا جَمْعُ مَهْرِيَّةٍ ، وَهِيَ

الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، أبو قبيلة ، وهم حنّ عظيم . وألب :  
أعقل ، فعلة : لبّ يلبّ ، بوزن فرّ يفرّ .

يقول : ألا أيها النجم الشارق ، والكوكب المتلألئ ، ألم يأن لك أن تهدي  
إلى سواء السبيل أمماً جائرة ، قد أخطأت القصد ولم توفق للهدى ؟ فهي في تيه  
من البئداء عريض ، لا تعرف له وجهاً ولا تنتهي فيه إلى مدى . قد بلغ منها  
الجهنم وشفّ أينقها الإعياء ، لقد حرّت في أمرها وفي أمر أينقها . فما أدرى  
أيهما أهدى سبيلاً ، وأقوم طريقاً ؟ التوق أم ركبها ، والإبل أم أصحابها ؟

- ١٣ ( أَتَتْهُمْ دَوْلَةٌ قَهَرَتْ وَعَزَّتْ      فَبَاتُوا فِي ضَلَالِهَا أُسَارَى )  
١٤ ( وَظَنُّوا الطُّهْرَ مُتَّصِلًا بِقَوْمٍ      وَأَقْسَمُ إِنَّهُمْ غَيْرُ الطَّهَارَى )

الدولة ، بالفتح والضم : العُقبَة ، في المال والحرب ، سواء ؛ وقيل : الدولة ، بالضم ،  
في المال ؛ والدولة ، بالفتح ، في الحرب . وقيل : بالضم ، في الآخرة ؛ وبالفتح ، في  
الدنيا . يريد أنهم أصابوا من دنياهم عزّاً وسلطاناً فأغواهم . وظاهر أنه يريد  
« بالقوم » : معاشر العلماء الذين كثيراً ما ينغى عليهم .

يقول : قد غلبهم المضلون على أمرهم في الدّين والدنيا ، وصرفوهم عن رشدهم  
في كل شيء ، فهم مستذلون لدولة عزّت عليهم واستبدّت بهم ؛ يصفونها بالعصمة ،  
وينعتونها بالطُّهر . وأقسم ما هي بالمعصومة ولا الطاهرة ، وما هم عن ذلك  
بغافلين .

- ١٥ ( وما كَرَيْتُ عُيُونَ النَّاسِ جَمْعًا      وَلَكِنْ فِي دُجْنَتِهَا تَكَارَى )  
 ١٦ ( لَهُمْ كَلِمٌ تُخَالِفُ مَا أَجْنُوا      صُدُورُهُمْ بِصِحَّتِهِ تَمَارَى )

كَرَى الرَّجُلُ يَكْرِى كَرًى : إِذَا نَامَ . وَالدُّجْنَةُ : الظُّلْمَةُ وَالضَّمِيرُ فِي «دُجْنَتِهَا» لِلنَّاسِ ، نَظَرٌ إِلَى اللَّفْظِ . وَتَكَارَى ، أَيْ تَتَكَارَى . وَالتَّكَارَى : التَّنَاوُؤُ وَالْتِغَاوُلُ ، مَقِيسٌ لَمْ تَذْكُرْهُ الْمَعَاجِمُ بِهَذَا الْمَعْنَى ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتَ نَظِيرَهُ فِي مَعْنَى الْإِسْتِئْجَارِ .  
 وَالكَلِمُ : جَمْعُ كَلِمَةٍ ، وَلَا يَكُونُ أَقْلٌ مِنْ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ . أَمَّا الْكَلَامُ ، فَاسْمُ جِنْسٍ يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ . وَأَجْنُوا : سَتَرُوا وَأَخْفَوْا . وَتَمَارَى ، أَيْ تَتَمَارَى . وَالتَّمَارَى : الشُّكُّ وَالْكَذِبُ .

يَقُولُ : إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ دَخِيلَتَهَا ، وَمِنْ أَوْلَئِكَ الْقَادَةِ خَبِيئَتَهُمْ ، وَإِنَّ نَفُوسَهُمْ لَتَتَحَدَّثُ بِذَلِكَ وَتُطِيلُ فِيهِ ؛ وَلَكِنْ أَلَسْتَهُمْ عَنِ النَّطْقِ مَعْقُودَةٌ ، وَأَفْوَاهُهُمْ عَنِ الْبُوحِ بِهَ مَكْمُومَةٌ ، وَمَا عَقَدَ أَلْسِنَتَهُمْ وَلَا كَمَّ أَفْوَاهَهُمْ إِلَّا خَوَرُ الْعِزْمِ ، وَضَعْفُ النَّفْسِ ، وَكَذِبُ الْأَخْلَاقِ .



## اللزومية الثالثة والثلاثون

وقال أيضاً في الألف مع الراء الممالة :

- ١ ( إِذَا قِيلَ لَكَ أَخْشَ اللَّهَ مَوْلَاكَ فَقُلْ آرَى )
- ٢ ( كَأَنَّ الْأَنْجُمَ السَّبْعَةَ فِي لُغْبَةٍ بُقَارَى )
- ٣ ( خُزَامَى وَأَقَاحِيَّ وَصَفْرَاءَ وَشُقَّارَى )
- ٤ ( وَمَنْ فَوْقَ الثَّرَى يَصْغُرُ فِي أَجْزَاءِ مَنْ وَارَى )

آرى ، بمعنى نعم ، كلمة فارسية . وقد مرت قريباً<sup>(١)</sup> . ويريد بـ «الأنجم السبعة» الكواكب السيارة ، وهى : زُحل والمُشتري والمريخ والشمس والزهرة وعُطارد والقمر . وقد نظمها المقرئى فى بيت واحد وهو :

زُحْلٌ شَرَى مَرِيحُهُ مِنْ شَمْسِهِ فَتَزَاهَرَتْ بُعْطَارِدَ الْأَقَارِ

و«لعبة بُقَارَى» ، يريد لعبة للصبيان ، وهى كومة من تراب وحولها خطوط . وقيل هى أن يأتوا إلى موضع قد خُبيء لهم فيه شئ ، فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه . وقال الجاحظ : هو أن يجمع الصبى يديه على التراب فى الأرض إلى أسفله ، ثم يقول لصاحبه : اشتته فى نفسك . فيصيب ويخطئ . وعرفها البطليموسى فى الاقتضاب ، وابن سيده فى المختصص ، والبلوى فى ألف باء ، بما يقرب من هذا . وذكر الرَّاغب فى محاضراته بأنها جمعُ تراب يُقْطَعُ نِصْفَيْنِ ، ويقال : خذا أيهما شئت . وكلّهم أجمع على أنها بوزان «السَّمِيهَى» إلّا أن ابن منظور استطرد فقال : وجاء بالشُقَّارَى والبُقَّارَى ، أى الداهية ، أو بالكذب . ذكر ذلك فى مادتي «بقر» و«شقر» ، ولم

( ١ ) انظر شرح البيت ٦ من اللزومية ٣٢ ص ١٩٥ من هذا الجزء .

يعرض للبقارى بمجديد معنى ، غير أن زاد لها التّخفيف لغة فيها وفي « الشقارى » .  
والخزّامى : نبت طيّب الريح ، الواحدة خُزاماة ، وهى خيرىّ البرّ . وقال  
أبو حنيفة : هى عُشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة  
الريح ، لها نور كنور البنفسج . قال : ولم نجد من الزّهر زهرة أطيب نفحة من  
نفحة الخزّامى ، وأنشد :

لقد طرقتُ أُمّ الظّبَاءِ سَحَابَتِي      وقد جَنَحْتَ للغُورِ أُخْرَى الكَوَاكِبِ  
بريح خُزَامَى طَلَّةٍ من ثِيَابِهَا      ومن أَرْجٍ من جَيْدِ الْمِسْكِ ثَاقِبِ  
والأقحوان ، من نبات الرّبيع مُعرّض الورق دقيق العيدان ، له نور أبيض  
كأنه ثعرجارية حدثة السن . وهو القُرّاص عند العرب ، والبابونج والبابونك  
عند الفرس . وزنه أفعلان ، الهمة والنون زائدتان . واحدته : أقحوانة . ويجمع  
على أقاح . وقد حُكى « قُحْوَان » ، ولعله على الضرورة .

والصفراء : من نبات السّهل والرمل ، وقد تنبت بالجلد . وقال أبو حنيفة :  
الصفراء تنبت من العُشب ، وهى تُسطّح على الأرض ، وكأن ورقها ورق الخسّ ،  
تأكلها الإبل أكلاً شديداً .

والشقارى ، نبتة ذات زُهيرة سُكَيْلَاء ، وورقها لطيف أغبر . تُشبه نبتتها  
نبتة القَضْب ، وهى تُحمد فى المرعى ولا تنبت إلا فى عام خَصِيب . وقال  
أبو حنيفة : تنبت فى الرّمل ، ولها ريح ذَفرة ، وتوجد فى طعم اللبن . وقيل : هى  
نبت له نور فيه حُجرة ليست بناصرعة ، وحبّه يقال له : الخُخِم .

وكانّ أبا العلاء شاكل بين ألوان هذه النّباتات والنّجوم . فزُحل ملحوظ  
فيه الاحمرار ، والزّهرة البياض ، والمُشتري الصفرة . جعل الأنجم فى ظُهورها  
واختفائها كالحجارة فى تلك اللعبة تندسّ فى التراب ويُكشف عنها . وإن كان  
ذكر العدد ، وهو السبعة ، للتّقييد لا للتمثيل ، دون التفات إلى العدد ، فقد

أفاد قولُ أبي العلاء مزيداً في وصف اللعبة ، وهو أن الحجارة الملعوب بها فيها كان هذا عددها .

و « وارى » ، أى أخفى وستر . يريد أن من احتوت عليهم الأرض ، وشملهم بطئها ، يُربى على مَنْ فوقها .

يقول : أَجِبْ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ وَالْإِذْعَانِ لَهُ ، لَا تَعْدِلْ بِهِ شَيْئاً ، وَلَا تَجْعَلْ لَهُ نِدّاً ، فَكُلُّ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ لَا نَصِيبَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ ، وَهَالِكٌ لَا حَظَّ لَهُ مِنَ الْخُلُودِ . إِنَّمَا أَنْتَجِمَ الْعَالَمُ الْعُلُوءِ ، وَإِنْ عَظَّمَهَا النَّاسُ وَهَامُوا بِهَا ، لُعبةٌ لَا تَكْمِثُ أَنْ تَتَكَشَّفَ عَنْ خَطَلِ الَّذِينَ فَتَنُوا بِهَا وَرَغَبُوا فِيهَا . وَإِنَّمَا هَذَا الْعَالَمُ الشَّمْلِيُّ ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَلْوَانِ النَّبَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ عَلَى تَبَايُنِهَا ، وَأَصْنَافِ الْجَمَادِ عَلَى افْتِرَاقِهَا ، صُورٌ لَيْسَ لَهَا بَقَاءٌ ، وَظِلَالٌ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ ؛ وَإِنَّمَا هَذَا الْإِنْسَانُ الْمُدِلُّ بِعَقْلِهِ ، التَّيَّاهُ بِشَكْلِهِ . مِثَالُ لَمَثَلِ الْأَجْزَاءِ الْفَانِيَةِ الَّتِي ضَمَّنَهَا التُّرَابُ ، وَوَارَاهَا التُّرَى .

- ٥ ( وَأَصْبَحْتُ مَعَ الدُّنْيَا أَدَارِيهَا كَمَنْ دَارَى )  
 ٦ ( إِذَا بَارَأَهَا قَوْمٌ فَقَلْبِي جَبَّهَا بَارَى )  
 ٧ ( وَمَا يَرْهَبُنِي جَارِي إِنْ نَاصَلَ أَوْ جَارَى )  
 ٨ ( وَمَا عِرْسِي حَوْرَاءَ وَلَا خُبْرِي حَوَارَى )

داراه : لآينه ورفق به ، وأصله من « دريتُ الغبي » ، أى اختلت له وختلته حتى تصيده . و « بارأها قوم » ، أى برئوا إليها وبرئت إليهم ، وخلص كلٌّ من الطرفين من حقه على الآخر . يقال : برئتُ إليك من حَقِّكَ ، إِذَا أَدَيْتُهُ إِلَيْكَ وَخَلَصْتُ مِنْهُ . أو لعله من المِباراة ، بمعنى المِفاوقة ، تقول : بارأ

الرجل شريكه ، وذلك إذا فارقه . وأصله من الأول ، ومنه : بارأ الرجل المرأة ، والكرى ، مبارأة وبراء ، إذا صالحهما على الفراق . و « بارى » إما من المباراة ، بمعنى المجارة والمسابقة ، أى إنه يعارض الدنيا في حبها ، وليس إلا حرصها على أن تضمه إليها ، ويكون المعنى : إذا ساء الناس الموت فكرهوه وحاولوا الفرار منه ، فإنى مرحّب به ساع إليه . ويجوز أن يكون من « المباراة » بمعنى المفارقة ، ويكون المعنى : إذا قلاها قوم فإنى قاليها ومُبغضها .

وعلى الأول فالحبُّ منها إليه ، وعلى الثانى فالحبُّ منه إليها .

ويَرْهَبُنِي ، إما من « رهب » بمعنى خاف ، أو من « أُرهب » بمعنى أخاف . والمناضلة : المغالبة والمباراة فى الرعى . والمجارة : الجادلة والمناظرة . والمعنى على الأول : فليأمن جارى جانبى إذا أراد أن يعزّ ويبرّ ، فإنى زاهد فى الحياة . وعلى الثانى : فليعلم جارى أنى لا آبهُ لجبروته وجاهه ، فإنى لا أقيم للدنيا وزناً .

والعِرس ، بالكسر : الزوج ، للذكر والأنثى ، والجمع لهما : أعراس ؛ والمثنى : عرسان ، لأنَّ كل واحد منهما عرسٌ لصاحبه . قال عَمَلَمَةُ يصف ظليماً :  
حتى تَلَا فى وَقْرُنُ الشَّمْسِ مُرتفعٌ أُدْحِىَّ عَرَسَيْنِ فيه البَيْضُ مَرَكُومٌ  
أراد بـ «العرسين» الذكر والأنثى . والمراد فى بيت أبى العلاء هنا : المرأة .

والحوراء : التى بعينها حور ، وهو أن يشتد بياضها وسوادٌ سوادها ، وتستدير حدقتها ، ويرقَّ جَفَنُها ، ويبيض ما حولها .

والحَوَارَى ، من الخبز والدقيق ، الخالص الذى يُنَقَّى من لباب البرّ .

وليس ملزوم التّفى فى المجلتين على السواء ، فلزوم الأولى ، وهو غير الحوراء ، منفىّ أيضاً ، فإذا صدف المرء عن الحسّناء فهو بالصّدوف عن الشّوّهاء

أقدر . ذلك إلى ما عُرِفَ عن أبي العلاء من أنه عاش في هذا زاهداً . وأما ملزوم الثانية ، وهو غير الحوارى ، فثابت ، إذ لا حياة لغير طاعم .

يقول : أَلَا فَلْتَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا ، وَلْتَصْرِفْ عَنْهَا أَمَلَكُ ، وَلْتُدَارِهَا كَمَا يُدَارَى الْإِنْسَانُ عَدُوًّا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ جَبْرِتِهِ ، وَخَصَمًا لَا مَنَدُوحَةَ لَهُ عَنْ عِشْرَتِهِ . لَقَدْ دَارَيْتُهَا كُلَّ الْمُدَارَاةِ ، وَزَهَدْتُ فِيهَا كُلَّ الزُّهْدِ ، فَمَا آبَهُ لَصُورُهَا ، وَمَا أَحْفَلَ بِخُطُوبِهَا ، وَمَا أَغْنَى بِلَذَّتِهَا . لَقَدْ لَا يَنْتُ أَهْلُهَا كُلَّ الْمُلَايِنَةِ ، وَرَفَقَتْ بِهِمْ كُلُّ الرَّفْقِ ، فَمَا تَزْدَهِيْنِي مِنْهُمْ صَوْلَةُ الصَّائِلِ ، وَلَا جَوْرُ الْجَائِرِ . لَقَدْ نَزَلْتُ لَهُمْ عَمَّا يَتَنَافَسُونَ فِيهِ وَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ مِنْ لَذَّاتِ الْحَيَاةِ ، فَمَا أُحْتَبَسُ فِي بَيْتِي حَوْرَاءَ نَاعِمَةٍ وَلَا حَسَنَاءَ فَاتِنَةٍ ، وَلَا أَتَخَذُ عَلَى مَائِدَتِي شَهَى الطَّعَامِ وَلَذِيذَ الْمَالِ كُلِّ ، إِنَّمَا هِيَ لُقِيَّاتُ تَقِيْمِ الْأَوَدِ ، وَتُمْسِكُ الرَّمَقَ إِلَى حِينِ .

## اللزومية الرابعة والثلاثون

وقال أيضاً في الألف مع الراء المُمالة .

١ ( سَرَيْنَا وَطَالِبُنَا هَاجِعٌ وَعِنْدَ الصَّبَاحِ حَمِدْنَا الشَّرَى )

الشَّرَى : سَيَرَّ اللَّيْلُ كُلَّهُ . سَرَيْتُ سُرَّيٌّ وَمَسْرَى ، وَأَسْرَيْتُ ، بِمَعْنَى ،  
وَذَلِكَ إِذَا سَرَّتَ بِاللَّيْلِ . وَالْهَاجِعُ : الَّذِي يَنَامُ لَيْلًا . هَجَعَ يَهْجَعُ هُجُوعًا : إِذَا  
نَامَ بِاللَّيْلِ خَاصَّةً ؛ وَقِيلَ : إِذَا نَامَ فِي اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ . وَقَدْ يَكُونُ الْهُجُوعُ بِغَيْرِ نَوْمٍ .  
قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى :

قَفَرْتُ هَجَعْتُ بِهَا وَلَسْتُ بِنَائِمٍ وَذِرَاعُ مُلْقِيَةِ الْجِرَانِ وَسَادِي

وَعَجَزَيْتُ أَبِي الْعَلَاءِ مِنَ الْمَثَلِ : «عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرَى» . يُضْرَبُ  
لِلرَّجُلِ يَحْتَمِلُ الْمَشَقَّةَ رَجَاءَ الرَّاحَةِ . قَالَ الْمَيْدَانِيُّ : وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ  
لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ بِالْيَمَامَةِ : أَنْ سِرُّ إِلَى الْعِرَاقِ . فَأَرَادَ سُلُوكَ الْمَفَازَةِ . فَقَالَ لَهُ  
رَافِعُ الطَّائِي : قَدْ سَلَسَكُنْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، هِيَ خَمْسٌ لِلْإِبِلِ الْوَارِدَةِ ، وَلَا أَظُنُّكَ  
تَقْدِرُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنْ تَحْمِلَ مِنَ الْمَاءِ . فَاشْتَرَى مِائَةَ شَارِفٍ فَعَطَّشَهَا ثُمَّ سَقَاهَا الْمَاءَ  
حَتَّى رَوَيْتَ ، ثُمَّ كَنَّبَهَا وَكَمَّ أَفْوَاهَهَا ثُمَّ سَلَكَ الْمَفَازَةَ ، حَتَّى إِذَا مَضَى يَوْمَانِ وَخَافَ  
الْعَطَشَ عَلَى النَّاسِ وَالْخَيْلِ ، وَخَشِيَ أَنْ يَذْهَبَ مَا فِي بَطُونِ الْإِبِلِ ، نَحَرَ الْإِبِلَ  
وَاسْتَخْرَجَ مَا فِي بَطُونِهَا مِنَ الْمَاءِ ، فَسَقَى النَّاسَ وَالْخَيْلَ وَمَضَى . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ خَالِدُ :

عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرَى وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غَيَابَاتُ السَّكْرَى

يقول : جدّى أيتها الآمال فى تضليل العقول وتسفيه الأحلام ، واجتهدى فى التغرير بالناس ، منتهزة غفلة الحق عنهم وإبقاء الموت عليهم . اجتهدى فى هذا وجدّى فى ذاك ، فقد بلغت الأمر الذى أردته ، وأدركت الغاية التى ابتغيها ، واستفاد لك الناس فُسرّوا فى ظُلمة الباطل يترسمون خطوك ، ويتنوّرون نارك ، حتى إذا ما انمحت هذه الظلم ، وأدبر ذلك الليل ، وبدا صباح الحق أبلغ وضاحاً ، حمدوا الشرى ، واطمأنوا إلى غاية ليس بينها وبين ما كانوا يؤمنون إلا ما بين الموت والحياة من الاختلاف .

- ٢ ( بنو آدم يطلبون الثرا ۞ عند الثريا ۞ وعند الثرى )  
 ٣ ( فتى زارع ۞ فتى دارع ۞ كلا الرجلين غدا فامترى )  
 ٤ ( فهذا بعين وزاى يروح ۞ وذاك يؤوب بضاد ۞ ورا )  
 ٥ ( وعامل قوت ذرا حبه ۞ وخذن ركاز ضحا فاذرى )

الثريا : نجم ، وقد مر<sup>(١)</sup> . وأقام « الثريا » و« الثرى » مثلين للكثرة الكثيرة التى تفوت العد ، كما قد يكون أقام الأولى للجاء والرفعة ، والثانية للعين والنسب . وأرجع « الدارع » للأولى ، و« الزارع » للثانية ، على التقسيم دون الترتيب . والدارع : ذو الدرع ، على النسب ، كما قالوا : لابن ، وتامر . فأما قولهم : مدرّع ، فعلى وضع لفظ المفعول موضع لفظ الفاعل .

والأصل فى « الامتراء » : استخراج الحالب اللبن من الضرع بحيلة وتلطّف . وكذلك الرزق يعوزه الترفق والتدبّر . و« بعين وزاى » أى عزّ . والروح : السير بالعشى . راح يروح رواحاً . نقيض : غداً يغدو غدواً . ومثله « الإياب » على رأى من قال : إنه لا يكون إلاّ مع الليل . ذلك الأصل فى الفعلين : « الروح »

(١) شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

والإياب». وأراد أبو العلاء مطلق الرجوع والانصراف عن الشيء. وأراد «بضاد وراء» أى ضر، وهكذا عُقبى الساعين، بين عزّ وضر.

و«عامل قوت»، أى ساع لما يقوته ويُقيم أوده. وذرا الحبّ يذُرُوه: نثره. شبهه بذرّى الريح للتراب، فمع كليهما البعثة والتشتيت. والخذن: الذى يكون معك فى كل أمر ظاهر وباطن.

والرّكاز: كنوز الأرض من ذهب وفضة. وقيل: هو الدّفين من ذلك.

وخِذْن الرّكاز: المولّه بالذهب والفضة المَفْتُون بجمعهما. وضحا، أى برز وظهر. والضمير المستكنّ فيه «للكّاز». واذرى، أى تبدّد وتشتّت، الأصل فيه: اذدرى، قُلبت «تاء الافتعال» دالا، وهى تُقلب دالا، إذا وقعت بعد دال أو ذال أو زاي. ويجوز فى نحو «اذ ذكر» قلب الدال دالا، أو الدال ذالا، فتقول: اذكر، واذكر، ومثلها: اذرى؛ ويجوز أيضاً: اذرى.

يقول: إيه يا بنى آدم، ما أطول آمالكُم! وأقصر آجالكم! ما أشدّ طمعكم! وأقلّ نُبحكم! إنكم لتطلبون الثّروة من نجوم السماء، وغُصُون الأرض، وإنكم لتسلسكون إليها مختلف الطّرق، وتذهبون فيها شتّى المذاهب، ثم لا تؤوَّبون إلّا باليأس والقنوط. قدّكم من هذا الجهل فإنه ضائع! قَطَّكم من هذا الجدّ فإنه لغو! ذلكم زارع يُقلب الأرض ليستخرج أثمارها، وهذا دارع يُغيّر بقوته على الحصون والقلاع؛ والسعى من الرجلين ضائع، والحظّ فيهما متحكّم. فرما عاد الدّارع ذليلاً بعد العزة، وآب الزارع فقيراً بعد الثّروة، وحكم الحظّ فأمضى: حكم لهذا حبّاتٍ من الشّعير يُقِمّن أوده، ولذلك شدّراتٍ من تِبر الأرض وورقها يُقْضين حاجه ويُفضّلن عليه.



- ٦ ( وَكُورُكَ فَوْقَ طَوِيلِ الْمَطَا      وَسَرَجُكَ فَوْقَ شَدِيدِ الْقَرَا )  
 ٧ ( وَيُجْرَى ذَفَارِيهَا جِدُّهَا      بِمِثْلِ الظَّلَامِ إِذَا مَا جَرَى )  
 ٨ ( كَأَنَّ بُصَاقَ الدَّبَى فَوْقَهَا      إِذَا وَقَدَتْ فِي الْأَنْوَفِ الْبُرَا )  
 ٩ ( وَذَلِكَ مِنْ حَرٍّ أَنْفَاسِهَا      يُضَاعِفُهُ حَرُّ يَوْمٍ جَرَى )

الكور، بالضم : الرَّحْل ، وقيل : الرحل بأداته . والجمع : أكوار وأكُور .  
 والكثير : كُوران وكُؤور . والمطا : الظهر ، لامتداده . والسرّج : رحل الدابة ،  
 والقرى : الظهر . وقيل : وسطه . وتثنيته : قرّان ، وقرّوان . والجمع أقراء ، وقرّوان .  
 قال الهذلي : يصف الضَّبُع :

إِذَا نَفَسَتْ قِرْوَانَهَا وَتَلَفَّتْ      أَشَبَّ بِهَا الشَّعْرُ الصُّدُورِ الْقَرَاهِبُ  
 أراد « بالقراهب » أولادها .

ويجري : يُسِيل . والذفاري : جمع ذفري ، وهي العظم الشاخص خلف الأذن .  
 وقيل : هي من لدن المقدّ إلى نصف القذال ، من الناس ومن جميع الدواب ،  
 وهي أول ما يعرق من البعير . وجِدُّها ، أى متابعتها السير واجتهادها فيه .  
 و«مثل الظلام» ، أى يعرق مثل الظلام ، وذلك لأختلاطه بالغبار . والدبى :  
 الجرادُ أصغر ما يكون ، والنمل . ويُضرب المثل ببصاقه لكل ما دقّ وضوّل ،  
 في كثرة وانتشار .

ووقدت : أى كان لها مثل وَقَدَ النار لَسْعاً وضراً . والبرى : جمع البرّة ،  
 وهي الخلقّة تكون من صُفَر أو غيره ، تُجَمَلُ في لحم أنف البعير . يُشير إلى ما يطفو  
 على جسدها من زبد ، وقد حتمها على السير وَقَدُ البرى في أنوافها ، ثم حرّ  
 الأنفاس والقيظ ، اللذين ذكرهما في البيت التاسع .

وَجَرَى ، أى أُمْتَدَّ وَأُنْتَشَرَ ، وقد يكون المراد : جرت فيه وسارت . وبين كلمة « جرى » هنا و « جرى » السابقة ، إبطاء ، وقد مرَّ شرحه <sup>(١)</sup> . وهو هنا جائز على رأى من يُبَيِّرُهُ حين يختلف معنى الكلمتين المتفتقتين لفظاً . و « يجرى » الأولى ، فيها معنى السَّيْلَان ، وهذه فيها معنى الجَرَى والسَّيْر .

يقول : أَشْدُّ أَيُّهَا الْجَاهِدُ فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ رَحْلَكَ عَلَى مَا شِئْتَ مِنْ عَدَسٍ طَوِيلَةِ الْطَّاءِ ، شَدِيدَةِ الْقُوَى ، أَوْ صَغُرَ سَرْجُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ مِنْ طِرْفٍ أَيْدٍ شَدِيدِ الْقَرَى ؛ ثُمَّ أَجْهَدُ نَاقَتَكَ فِي الْأَسْفَارِ ، وَفَرَسَكَ فِي الْإِغَارَاتِ ؛ وَعُدُّبَهُمَا كَلِيلَتَيْنِ قَدْ أَنْصَاهَا الْجَدَّ ، وَأَكَلَهُمَا الْحَدَّ ؛ وَقَدْ سَالَ عَلَيْهِمَا مِنْ عَرَقِهِمَا مِثْلُ الظَّالِمَةِ السَّحْمَاءِ ، وَانْتَشَرَ عَلَى جَسْمَيْهِمَا بُصَاقُ الدَّبَى . لَا تَسْتَطِيعَانِ حَرَكَةَ وَلَا تُعْطِيَانِ نَائِلًا . قَدْ ذَهَبَ الْأَيْنُ بِجَدِّهَا وَحَدِّهَا ، وَقَدْ ذَهَبَ بِمَا فِيكَ مِنْ قُوَّةٍ ، وَنَحَا مَا فِيكَ مِنْ نَشَاطٍ . أَفْعَلْ مَا شِئْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَنْ تَعُودَ إِلَّا بِالْخَبِيَةِ ، وَلَنْ تَرْجِعَ إِلَّا بِالْإِخْفَاقِ .

- ١٠ ( تَلُومُ عَلَى أُمِّ دَفْرٍ أَخَاكَ وَرَاءَكَ إِنَّ هَوَى قَدْ وَرَى )  
 ١١ ( عَهْدَتْكَ تُشْبِهُ سَيِّدَ الضَّرَاءِ وَلَسْتَ مُشَابِهَ لَيْثِ الشَّرَى )  
 ١٢ ( تَدِبُّ فَإِنْ وَجِدْتَ خُلْسَةً فَيَا لِلْسَّلْيِكِ أَوْ الشَّنْفَرَى )

أُمُّ دَفْرٍ ، من أسماء الدواهي . وقيل : هى الدنيا . وبكليهما يتَّجِه المعنى : و «الوراء» يكون خلف ولقدَّام ، وقد جاء مقصوراً فى الشعر . قال الشاعر :

تَقَازَفَهُ الرُّوَادُ حَتَّى رَمَوْا بِهِ وَرَا طَرَفِ الشَّامِ الْبِلَادَ الْأَبْعَادَ

و «وراءك» ، أى تقدَّم أو تخلف ، على المعنيين . وورى ، أى اضطرم واشتعل ،

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية الثامنة ص ٨٧ من هذا الجزء . وكذلك شرح البيت الثالث من اللزومية ٢٧ ص ١٧٥ .

من : ورى الزند يَرى ، إذا اتقد . وإذا كانت « أم دفر » هى الدنيا فكأنه يقول : تلوم على حُب الدنيا أخاك ، فأقبل عليها إقباله ، فقد ولعت بها ولعه . وإن كانت « أم دفر » هى الداهية ، فكأنه يقول : تلوم على الهملح من الداهية أخاك ، فأحجم إحجامه ، فإن تعلقك بالحياة تعلقه .

وعهدتُك ، أى خبرتُك وعرفتُك . والسَّيد : الذئب ، وقد يُسمَّى به الأسد . والضَّراء : الشجر للثف فى الوادى ؛ وقيل : ما وراك من أرض فهى الضَّراء ، وما وراك من شجر فهو الخمر . يُشير إلى المثل : « هو يدبّ له الضَّراء ويمشى له الخمر » . أى خاتله ومكر به وخدعه . وهو من طباع الذئاب . والشَّرى : موضع بعينه تُنسب إليه الأسد .

والدَّيب : أن تمشى رؤيداً على هينة لم تُسرع ، وهكذا يفعل الخاتل . والخلُسة : الهزة والفرصة . والسُّليك ، هو ابن عمير بن يثربى السعدى التميمى . والسَّاسكة : أمه ، وإليها يُنسب ، فاتك عداء شاعر جاهلى . والشَّنْفرى ، هو عمرو ابن مالك الأزدي ، من خُتال العرب وعدائهم . شاعر جاهلى يمانى . وهو صاحب لامية العرب ، التى مَطلعها :

أقيموا بنى أُمى صُدورَ مطيِّكم      فإنى إلى قوم سواكم لأُميلُ

و« يا » ، هنا ، للاستغاثة ، و« للسُّليك » ، بلام مكسورة ، إذ هو المستغاث لأجله . والمستغاث به محذوف للعموم والكلام على إظهار الأسى والترحم ، أى أين منها السُّليك والشَّنْفرى ! وهما من الممدودين فى هذا الميدان .

يقول : لمن أنصح ! وبمن أهيب ! وعلى من ألوم ! لن ينفع النصح ولن يُجدى الزجر ولن يُفيد اللوم ، غريزة فى الناس ثابتة ، وطبيعة عليهم حكمة ؛ فُطِرُوا على حُبِّ الدُّنيا ، وورثوا عن آبائهم الغلوّ فيه . لا تعذّل أخاك فى هذا العشق ، ولا تألمه على هذا الحب ، فكلاهما فيه سواء ، ورثناه عن آبائنا ، وورثناه

أبناءكم . إنما أتما فيه أشبه بالذئاب خُبناً وسُوء نية ، منكما بالأسود شجاعةً  
وصدق إقدام . والدنيا خادعة ماكرة ، ومحتالة ماهرة ، تدب ديب الشيخ ، وتدرج  
دُروج الطفل ، حذرة مستأنية ، حتى إذا لمحت مطمعاً ، أو توسمت فريسة ، فدع  
مهارة السليك وتفوق الشنفرى فى الكرّ والفرّ ، وفى الاختلاس والنّدل ، وفى  
سوء الخلق وفساد الضمير .

١٣ ( هو الشرُّ قد عمَّ فى العالمين أَهْلَ الْوُهُودِ وَأَهْلَ الذُّرَا )

الوُهود : جمع وهْد ، وهو الهوّة تكون فى الأرض . جمع مَقِيس فى فَعْل ،  
كقَلْب وقُلُوب . ولكن المعاجم أهملته . والذُّرى : جمع ذِرْوَة ، وهى من كل  
شئ أعلاه .

يقول : لقد علّمتكم فأحسنتم تعليمكم ، وغذتكم فأحسنتم غذاءكم ؛ فليس  
فيكم من هو من الشر برىء ، ومن دَنَس الرذيلة نقيّ ، سواء فى الشر والرذيلة  
أهل السهل والجبل ، وسكّان الوهاد والذُّرا ؛ لا يردّهم عنه رادٌّ ، ولا يردّهم  
عنه رادع .

١٤ ( لِيَفْتَنَّ فِي صَمْتِهِ نَاسِكٌ إِذَا افْتَنَّ فِيمَا يَقُولُ الْوَرَى )

افتن ، جاء بالأفانين وتوسّع وتصرف . والورى : الخلق ؛ تقول العرب :  
ما أدرى ، أى الورى هو ؟ أى : أى الخلق هو ؟ قال ذو الرّمة :

وكأئنْ دَعَرْنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحٍ بِلَادُ الْوَرَى لَيْسَتْ لَهُ بِيَلَادٍ  
وقال ابنُ جنيّ : لا يُستعمل « الورى » إلا فى النّفى . والذى سوّغ لذى الرّمة  
استعماله ، أنّه فى معنى النّفى ، كأنه قال : ليست بلاد الورى له ببلاد .

يقول : أَلَا لَوَ أَنْصَفَ الْحَكِيمُ نَفْسَهُ لَطَلَبَ الصَّمْتَ وَسَكَنَ إِلَيْهِ ، وَلَافْتَنَّ فِيهِ  
أَفْتِنَانِ الْجَاهِلِ الْمَعْرُورِ فِي النَّطْقِ بِمَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ زُخْرَفٍ ، وَمَا فِي الْعَالَمِ مِنْ أَسْمَاءٍ .

- ١٥ ( فَكُنُّوْا صَبُوْحِيَّةَ الشُّرْبِ أَمْ لَيْلَى وَمَكَّةَ أَمْ الْقُرَى )  
١٦ ( وَقَالُوْا بَدَا الْمُشْتَرَى فِي الظَّلَامِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا اشْتَرَى )

الكنية ، على ثلاثة أوجه : أحدها أن يُسكنى عن الشيء الذي يُستفحش  
ذِكْرُهُ ، والثاني أن يُسكنى الرجل بِأَسْمٍ تَوْفِيرًا وَتَعْظِيماً ، والثالث أن تقوم  
الكنية مقامَ الاسم فيُعرف صاحبُها بها كما يعرف بِأَسْمِهِ . والفعل : كَنَيْتَ ،  
وَكَنُوتٌ ، وَأَكْنَيْتَ ، وَكُنَيْتَ .

قال الليث : أهل البصرة يقولون : فلان يُكْنَى بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ . ويقول  
غيرهم : فلان يُكْنَى بِعَبْدِ اللَّهِ .

وقال الجوهري : لَا تَقُلْ : يُكْنَى بِعَبْدِ اللَّهِ . وقال الفراء : أَفْصَحُ اللُّغَاتِ  
أَنْ تَقُولَ : كُنِّي أَخُوكَ بَعْمَرُو . والثانية : كُنِّي أَخُوكَ بِأَبِي عَمْرُو . والثالثة : كُنِّي  
أَخُوكَ أَبَا عَمْرُو .

والصَّبُوْحِيَّةُ : نسبة إلى الصَّبُوح . وهو ما يُشْرَبُ بِالْعَدَاةِ فَمَا دُونَ الْقَائِلَةِ ،  
والتَّائِيثُ على إرادة الخمر ، والأعراف فيها التَّائِيثُ . وَأُمُّ لَيْلَى : مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ .  
وليلي : النَّشْوَةُ . فَكَأَنَّ الْخَمْرَ أُمُّ النَّشْوَةِ وَأَصْلُهَا . وَسُمِّيَتْ «مَكَّةَ» أُمُّ الْقُرَى ، لِأَنَّهَا  
تَوَسَّطَتْ الْأَرْضَ فِيمَا زَعَمُوا ؛ وَقِيلَ : لِأَنَّهَا قَبِيلَةُ النَّاسِ يَوْمُؤْمُونُهَا . وَقِيلَ : لِأَنَّهَا  
كَانَتْ أَكْظَمَ الْقُرَى شَأْنًا . وَكُلُّ مَدِينَةٍ هِيَ أُمُّ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى . وَ«الْمُشْتَرَى» :  
أَحَدُ الْكُؤَاكِبِ السَّيِّارَةِ ؛ وَقِيلَ : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِحُسْنِهِ ، كَأَنَّهُ اشْتَرَى الْحُسْنَ  
لِنَفْسِهِ ؛ وَقِيلَ : لِأَنَّهُ نَجْمُ الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ ، وَدَلِيلُ الرِّبْحِ وَالْمَالِ . وَ«لَيْتَ شِعْرِي» ، أَيْ

ليت علمى ، أوليتنى علمت . وعن الكسائى : ليت شعرى لفلان ما صنع !  
وليت شعرى عن فلان ما صنع ! وليت شعرى فلاناً ما صنع ! وفى الحديث :  
« ليت شعرى ما صنع فلان ! » ، أى ليت علمى حاضرٌ أو مُحيط بما صنع ،  
فحذف الخبر .

يقول : إيه أيتها العقول الضالة ! ضعى ما شئت من الأسماء ، فلن تُجدى  
عليك شيئاً . سَمُوا الخمر أم لَيْلى ، وسَمُوا مكة أم القُرى . فما أنتم فى ذلك  
إلاً كاذبون . ما أرى الخمر ولدت ليلى ، وما أعرف مكة ولدت القُرى . سَمُوا  
هذا النّجم الطالع فى السماء بالمُشتري ، فما أنتم فى ذلك إلاً مُختلقون . فبَل  
تُذَيِّبُونَنى ماذا اشتري هذا النجم وماذا باع ؟ كلا ، إن هى إلا أسماء سَمَّيْتُمُوهَا  
أنتم وآباؤكم ، لا تعلمون لها مصدرًا ، ولا تُريدون بها غاية .

١٧ ( وَتَرْجُو الرِّبَاحَ وَأَيْنَ الرِّبَاحُ وَنَعْتُكَ فِي نَفْسِكَ الْخَيْسَرَى )

الرِّبَاح والرِّبَح والرِّبْح : النِّمَاء فى التجارة . والعرب نقول للرجل ، إذا  
دخل فى التجارة : بالرِّبَاح والسَّماح . والخَيْسَرى : الخاسر ، وهو الذى ذهب  
ماله ، الياء فيه زائدة . وفى بعض الأسجاع : بِيْفِيهِ الْبُرَى ، وَحَمَى خَيْبَرى ،  
وشرٌّ ما يُرى ، فإنه خَيْسَرى .

وهى أيضاً بمعنى الضلال والهلاك ، كالخَسار والخسارة . و « نَعْتُكَ فى  
نفسك . . » أى إن الخسار من ديدنه . وظاهر أنه يُشير إلى الآية الكريمة :  
( وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرَ ) .

يقول : أنتظروا الرِّبْح فلن ترجوا إلا الخُسْران ، وأَمَلُوا الظَّفَر فلن تظفروا  
إلا بالخَيْبَةِ . اُنْخَدَعُوا بالأسماء ، فإن ضَعُفَ عُقُولُكُمْ لم يُعَدِّدْكُمْ إلّا لذلك ، ولم يُهَيِّئْكُمْ  
إلّا له .

١٨ ( عَذِيرِي مِنْ مَّارِدٍ فَاجِرٍ تَقَرَّأُ وَالْمُخْزِيَّاتِ أُفْتَرَى )

العذير : النصير والعاذر ؛ يقال : عذرك من فلان ، بالنصب ، أى هات من يعذرك . وعذيري من فلان ، أى من يعذرنى ، فَعِيل بمعنى فاعل . ونصبه على إضمار : هلمَّ معذرتك إيتاى ، أو معذرتى إياك . والمارد : العانى الشَّدِيد . وقيل : الذى بلغ الغاية التى تخرجه من جُحلة ما عليه صِنْفُهُ . وتقرأ : تَنَسَّك وتَفَقَّه .

يقول : عَذِيرِي مِنْ هَذَا الْمَارِدِ الْغَالِي فِي مُرُودِهِ ، أَوِ الْفَاجِرِ الْمُغْرَقِ فِي فُجُورِهِ ؛ يَتَقَرَّأُ وَيَدْعَى النَّسْكَ ، وَيَتَزَهَّدُ وَيَتَنَحَّلُ الدِّينَ . وَمَا أَرَاهُ إِلَّا مُتَتَّبِعًا لِلْمُخْزِيَّاتِ ، مُتَطَلِّبًا لِلْآثَامِ ، مُسْتَبْطِنًا لِلْكَفْرِ وَالنِّفَاقِ .

١٩ ( فَهَوْنٌ عَلَيْكَ لِقَاءُ الْمَنُونِ وَقُلْ حِينَ تَطْرُقُ أَطْرُقُ كَرًا )  
 ٢٠ ( وَنَادٍ إِذَا أَوْعَدْتِكَ أُعْتِرَى فَصَبْرًا عَلَى الْحُكْمِ لَمَّا اعْتَرَى )  
 ٢١ ( وَنَفْسِي تُرْجَى كَأَخَذِ النَّفُوسِ وَتُذَرَى النَّوَابِئُ سَكَنَ الذَّرَى )  
 ٢٢ ( وَكَمْ نَزَلَ الْقَيْلُ عَنْ مَنَبَرٍ فَعَادَ إِلَى عُنْصُرٍ فِي الثَّرَى )  
 ٢٣ ( وَأُخْرِجَ عَنْ مُلْكِهِ عَارِيًّا وَخَلَّفَ مَمْلَكَةً بِالْعَرَا )

المنون : الموت ، لأنه يَمُنُ كُلَّ شَيْءٍ ، يُضَعِّفُهُ وَيَنْقُصُهُ وَيَقْطَعُهُ ، يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ ؛ فَمَنْ أَنْتَ حَمَلٌ عَلَى الْمَنِيَّةِ ، وَمَنْ ذَكَرَ حَمَلٌ عَلَى الْمَوْتِ . وَالْإِطْرَاقُ : الْإِسْتِرْخَاءُ فِي الْجَفْوَانِ .

وقبل : هو السكوت عامة . يُرِيدُ بِهِ عَلَى الْحَالِينِ غَمْضَةُ الْمَوْتِ وَصَمْتُهُ . وَالْكَرَا : الْكَرْوَانُ نَفْسَهُ . وَقِيلَ : هُوَ الذَّكْرُ ، وَالْأُنْثَى كِرْوَانَةٌ .

ويقال : أَطْرَقَ كَرًّا، إِنَّكَ لَنْ تُرَى . يَصِيدُونَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ، فَإِذَا سَمِعَهَا يَلْبَدُ فِي الْأَرْضِ فَيُنْقَى عَلَيْهِ ثَوْبٌ فَيَصَاد . وَيُشِيرُ إِلَى الْمَثَلِ : أَطْرَقَ كَرًّا، إِنْ النِّعَامُ فِي الْقُرَى . يُضْرَبُ لِلْمُعْجَبِ بِنَفْسِهِ ، كَمَا يَقَالُ : فُغِضَ الطَّرْفُ .

وقال أحمد بن عُبَيْدٍ : يَضْرَبُ لِلرَّجُلِ الْحَقِيرِ إِذَا تَكَلَّمَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُشَبِّهُهُ ، فَيَقَالُ لَهُ : اسْكُتْ يَا حَقِيرَ ، فَإِنَّ الْأَجْلَاءَ أَوَّلَى بِهَذَا الْكَلَامِ مِنْكَ . وَيُشَبِّهُ الْكَرْوَانَ بِالذَّلِيلِ ، وَالنِّعَامَ بِالْأَعْزَةِ . وَمَعْنَى « أَطْرَقَ » أَيْ غَضَّ مَا دَامَ عَزِيزٌ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْتَقِىَ أَيُّهَا الذَّلِيلُ . وَقِيلَ : يَضْرَبُ مِثْلًا لِلرَّجُلِ يُجَدِّعُ بِكَلَامِهِ يُلْطَفُ لَهُ وَيُرَادُ بِهِ الْغَائِلَةُ . وَقِيلَ : يَضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُتَكَلَّمُ عِنْدَهُ بِكَلَامٍ فَيُظَنُّ أَنَّهُ هُوَ الْمُرَادُ بِالْكَلَامِ . أَيْ اسْكُتْ فَإِنِّي أُرِيدُ مِنْ هُوَ أَنْبَلُ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مَنْزِلَهُ .

والوَعْدُ، فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: فِي الْخَيْرِ: الْوَعْدُ، وَالْعِدَّةُ؛ وَفِي الشَّرِّ: الْإِبْعَادُ، وَالْوَعِيدُ. فَإِذَا قَالُوا: أَوْعَدْتَهُ بِالشَّرِّ، أَثْبَتُوا الْأَلْفَ مَعَ الْبَاءِ. وَأَنْشَدَ لِبَعْضِ الرِّجَازِ:

أَوْعَدَنِي بِالسَّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ رَجُلِي وَرَجُلِي شَتْنَةُ الْمَنَاسِمِ

أَيْ أَوْعَدَنِي بِالسَّجْنِ وَرَجُلِي بِالْأَدَاهِمِ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: كَلَامُ الْعَرَبِ: وَعَدْتُ الرَّجُلَ خَيْرًا، وَوَعَدْتُهُ شَرًّا، وَأَوْعَدْتُهُ خَيْرًا، وَأَوْعَدْتُهُ شَرًّا؛ فَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الْخَيْرَ، قَالُوا: وَعَدْتُهُ، وَلَمْ يَدْخُلُوا الْبَاءَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الشَّرَّ، قَالُوا: أَوْعَدْتُهُ، وَلَمْ يَسْقُطُوا الْأَلْفَ. وَإِذَا أَدْخَلُوا الْبَاءَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي الشَّرِّ.

وَاعْتَرَى، إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا، مِنْ « اعْتَرَى » « يَعْتَرِي » بِمَعْنَى: غَشِيَ وَأَصَابَ، أَيْ أَلَمَنِي بِي فَإِنِّي لَا أَخَافُكَ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ « مِنْ عَتَرِ الرَّمْحِ يَعْتَرُ » إِذَا اشْتَدَّ وَاضْطَرَبَ وَأَهْتَزَّ، وَذَلِكَ حِينَ الْهَيَاجِ وَالصَّوْلَةِ، أَيْ تَوَعَّدِي وَلَوْحِي، فَإِنِّي لَا أَبَالِيكَ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ « الْعَتَرِ » الَّذِي هُوَ الذَّبْحُ، أَيْ أَجْهَزِي عَلَى- إِنْ شِئْتُ .



ورجى : توقع وأمل . قال بشرى مخاطب أبنته :

فرجى الخير وانتظرى إياي إذا ما القارظ العنزى آبا  
والأزدراء ، فى الأصل : الإلقاء والطرح . قال ابن أحرر يصف الرّيح :  
لها مُنْخَل تُذْرِى إذا عَصَفَتْ به أهائى سَفَسَافٍ من التُّربِ تَوَامٍ  
أى تُسْقَط وتَطْرَح ، إذ المنخل لا يرفع شيئاً إنما يُسْقِطُ مادقاً ويُمَسِكُ ماجلاً .  
ومنه : أذرت الدابة راكبها ، إذا صرعته ؛ والعينُ الدَّمْع ، إذا صَبَّتْه .  
والسَّكَن ، بالفتح : جمع ساكن ، كصَحْب وصاحب . والذُّرى : جمع  
ذِرْوَة ، وهى من كل شىء أعلاه .

والقَيْل : الملك من ملوك حمير يتَقَيَّل مَنْ قَبْلَه من ملوكهم ، أى يُشَبِّهه .  
والجمع : أقيال وقُيُول . وقال نعلب : الأقيال : الملوك ، من غير أن يَخْصُ بها  
ملوكَ حمير .

والعراء ، بالمدّ وقصر للشعر : الأرض المستوية المُصَحَّرَة ، ليس بها شجر ولا  
جبال ولا آكام ، وهى فضاء الأرض . أمّا « العراء » الذى أصله القصر ، فهو  
الناحية ، وليس مراداً هنا .

يقول : أيها الحكيم الحازم ، أُرْزَأْ بنفسك أن تُحِبَّ هذه الحياة ، فما فيها خير ؛  
أو تحرص على عشرة أهلها ، فما يُرجى لهم صلاح . هوّن على نفسك لقاء الموت ، فإنَّ  
خُشُونَتَه وَغُلْظَتَه أَلِينُ مَسًّا من نعومة الحياة ورقَّتْها . وَطَّنْها عليه وهَيَّئْها له ، فإنما  
أنت سالكٌ سبيلَ أمثالك الذين مضَوْا ، وتابعٌ تَهْجِ أَقْرَانِكَ الذين دَرَجُوا . كم  
خَبَّرَكَ التاريخ عن قَيْلٍ دَانَتْ له العروش ، وانقادت له المناير ! ثم أسلمته عِزَّتُهُ  
وقُوَّتُهُ إلى التُّراب ، فخالطه وفَنَى فيه . مضى لم ينفعه مُلْكُه ، ولم يَتَّبِعْهُ سُلْطَانُه ؛  
بل أقام فى ظُلْمَةِ قَبْرِهِ عَارِيّاً من كل شىء ، أعزَلَ من كل سلاح ، وخَلَّفَ دولته  
الضَّخْمَة ، وعزَّتَه القَعْسَاء بالعراء .

- ٢٤ ( إِذَا الضَّيْفُ جَاءَكَ فَأَبْسِمَ لَهُ      وَقَرَّبْ إِلَيْهِ وَشِيكَ الْقِرَى )  
 ٢٥ ( وَلَا تَحْقِرِ الْمُزْدَرَى فِي الْعُيُونِ      فَكَمْ نَفَعَ الْهَيْنُ الْمُزْدَرَى )  
 ٢٦ ( وَلَا تَحْمِلِ الْبُزْلُ تِلْكَ الْوُسُو      قَ إِلَّا بِأَزْرَارِهَا وَالْعُرَا )

البَسْمُ: أَقْلَ الضحك. قال اللَّيْثُ: بَسَمَ يَبْسِمُ، إِذَا فَتَحَ شَفَتَيْهِ كَالْمُسْكَاشِرِ.  
 والوشيك: السريع. والقَرَى: الضيافة. قَرَى الضيفَ قَرَى وقَرَأَ: أَضَافَهُ.  
 والبُزْلُ، بضمّتين وسكّن للشعر: جمع بَزُول، وهو كالبازل: البعير فَطَرَنَاهُ،  
 أى أَنشَقَّ، وذلك في السنة التاسعة، وربما بَزَلَ في السنة الثامنة.

والوُسُوق: جمع وَسَقَ، وهو العِدْل، وقيل: العِدْلَان. وقيل: هو الحِلْم  
 عامة. وقال الخليل: الوُسُق؛ حِمْل البعير؛ والوِقْر؛ حِمْل البغل أو الحمار.  
 والأززار، واحدها زِرٌّ، وهو ما تُشَدُّ به الأستار والقمصان ونحوها.  
 والعروة. مدخل الزَّر.

يقول: أرغب في الموت وأبتدره بفعل الخير، وليكن حظك من هذه الحياة  
 الإحسان إلى أهلها والتطوّل عليهم؛ أَقْرِ ضَيْفَهُمْ إِنْ نَزَلَ بِكَ، أَقْرِه بأول ما تَلْقَاهُ  
 لا تترَبَّص به ما ليس عندك، ولا تُكَبِّرْهُ عَلَى ما في يدك. لا تَزُدْ شيئاً من  
 القُوت؛ فَرَبَّ مُزْدَرَى نَفَعَ، وَرَبَّ مُحْتَقِر أَفَاد. إِنْ فِي هَذَا الْقُوتِ، الَّذِي تَمَقُّتُهُ  
 وَتُضْعِرُهُ أَنْ تُقَدِّمَهُ إِلَى ضَيْفِكَ، لِبَلَاغِ هَذَا الضَّيْفِ مِنْ جُوعٍ رُبَّمَا مَرَّتْ أَحْشَاءُهُ،  
 وَتَعَلَّ لَهُ عَنْ أَلَمٍ رُبَّمَا لَمْ يُطِيقْ لَهُ حَمَلاً. وَأَيْنَ تَقَعُ الْعُرَا وَالْأَزْرَارُ بِمَا أُوتِيَتْ الْبُزْلُ  
 مِنْ قُوَّةٍ وَمَا مُنَحَتْ مِنْ أَيْدٍ! وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقِلَّ  
 حَمَلاً، وَلَا أَنْ تَرْفَعَ ثِقَلاً إِلَّا بِهَا. وَلَيْسَ يُحْتَقَرُ الشَّيْءُ لِضَعْفِ مَكَانِهِ، وَلَا يُعْظَمُ  
 لَارْتِفَاعِ قَدْرِهِ؛ يَنْبَغِي أَنْ يَقْدَّرَ ذَلِكَ بِمَكَانِهِ مِنْ حَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَتَوَقُّفِ  
 مصالحهم عليه.

- ٢٧ ( أَجَلٌ خَزَرَتْني وَثَّابَةٌ سِوَاهَا الَّتِي مَشَتْ الْخِزْرَى )  
 ٢٨ ( فَإِنَّ سَرَاءَ اللَّيَالِي رَمَى أَوَانَ شَبِيبَتِنَا فَأَنْسَرَى )

أَجَلٌ ، بمعنى نعم . قال الأخفش : إلا أنه أحسن من « نعم » في التصديق ، و « نعم » أحسن منه في الاستفهام . و « أَجَلٌ » تصديق لخبر يُخْبِرُكَ به صاحبك ، فيقول : فَعَلْ ذَلِكَ . فتصدِّقه بقولك له : أَجَلٌ . وأما « نعم » فهو جواب المستفهم بكلام لا جَد فيه ، تقول له : هل صَلَّيْتَ ؟ فيقول : نعم . فهو جواب المُسْتَفْهِم . والخَزَرُ : النَّظَرُ بلحاظ العين ومُؤَخَّرُهَا ، يكون خِلْقَةً ويكون تَدَاهِيًا . والثَّوبُ : الطَّفَرُ . والثَّابَةُ ، مبالغة منه . يريد بها الدنيا الكثيرة النَّزْوَانِ والعُدْوَانِ ، مع مُبَاغِتَةٍ ومفاجأة . والخِيزْرَى : مِشْيَةٌ فيها ظَلَعٌ وتفكُّكٌ وتبخُّرٌ ، ومثلها الخوزرى ، والخيزلى ، والخوزلى . قال عُروَةُ بن الوَرْدِ :

وَالنَّاشِثَاتِ الْمَاشِيَاتِ الْخِيزْرَى كَعُنُقِ الْآرَامِ أَوْفَى أَوْ صَرَى <sup>(١)</sup>

أى لغير الحياة الرَّفْقُ والمَلَايِنَةُ . و « السَّرا » : جمع سُروَةٍ . بالضم والكسر ، وهى السَّهْمُ الصغير القصير ، وقيل : هى سهم عريض النَّصْلِ طويله . وقال أبو حنيفة : السَّروَةُ : نَصْلٌ كَأَنَّهُ مَحِيطٌ أَوْ مِسلَةٌ . وتجمع أيضاً على « سُرَى » بضم السين وكسرهما . قال النَّمِرُ بن تَوَلَّبَ :

وَقَدْ رَمَى بُسْرَاهُ الْيَوْمَ مُعْتَمِدًا فِي الْمَنْكِبَيْنِ فِي السَّاقَيْنِ وَالرَّقَبَةِ

وَالْأَوَانِ ، بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ : الْحَيْنَ وَالزَّمانَ ، وَلَمْ يُعَلَّ « الْإِوانَ » لِأَنَّهُ لَيْسَ

بِمَصْدَرٍ .

وَالشَّبِيبَةُ : الْاسْمُ مِنْ : شَبَّ يَشُبُّ ، وَهُوَ خِلَافُ الشَّيْبِ . وَأَنْسَرَى ، أَى انْكَشَفَ وَانْتَزَعَ ، يُقَالُ : سَرَى الثَّوبُ ، إِذَا نَزَعَهُ وَكَشَفَهُ ، فَأَنْسَرَى .

(١) أوفى : أشرف . وصرى : رفع رأسه .

يقول : أجل ، لقد بالغنا في حُب الدنيا وإكبارها حتى أطمعناها في أنفسنا ، فَشَرَرْنَا مُحْتَقَرَةً لَنَا ، ونظرتنا زاريةً علينا ، وهي أحقُّ أن تُحَقَّرَ وأجدر أن تُزْدَرى ، فليس فيها شيءٌ يَحْسُنُ بالعاقل حرصه عليه أو رغبته فيه . لذاتها نائية ، وآلامها دانية ، خيرها قليل ، وشرها كثير ، والسعادة فيها غير باقية ، والشقاء بها لا يزول . أو ليس أجل الأشياء فيها عصر الشَّبَاب الذي يحمل إلينا من اللذات ألواناً ، ومن النعمة فنوناً ! فكيف ترى ثباته لنضالها ، وبقائه أمام نيلها ؟ أو ليست تتَخَذُهُ غَرَضاً فلا تزال بِجِدَّتِهِ حتى تَبْلَى ، وبِنَضْرَتِهِ حتى تَذْوِي ، وبِجَمَالِهِ حتى يَزُول !

٢٩ ( وَنَوْبِي مَوْتٌ قَرِيبُ النُّشُورِ وَمَوْتِي نَوْمٌ طَوِيلُ الْكَرَى )

النُّشُور : البعث بعد الموت . والكرى : النوم والنعاس .

يقول : نُحِبُّ الحَيَاةَ ونكره الموت ، وما أعرف لشيء من ذلك سبباً . لقد عرفنا سرَّ الحَيَاةِ وضُرَّها ، وأرى أننا لا نكره الموت إلاَّ لجهلنا إياه وغفلتنا عنه ، وأننا لم نَذُقْ طَعْمَهُ ولم نَبْلُغْ ثَمَرَهُ . بلى ، لقد ذُقْنَاهُ ، فما أَلَدَّه ! وبَلَوْنَاهُ ، فما أَحْلَى جَنَاهُ ! وأىَّ فَرْقٍ بين الموت والنَّوْمِ ، إلاَّ قِصَرُ هذا وطول ذاك ! وأىَّ خِلافٍ بين رَقْدَةِ القبر ورَقْدَةِ السَّرِيرِ ، إلاَّ أنَّ هذه رَاحَةٌ مُوقَّتَةٌ تَنْسُخُهَا أَلَامُ اليَقَظَةِ ، وتلك رَاحَةٌ خَالِدَةٌ لَا يَنْسُخُهَا شَقَاءُ الحَيَاةِ !

٣٠ ( نَوْمٌ خَالِقَنَا إِنَّا صَرِينَا لِنَشْرَبَ ذَاكَ الصَّرَى )

٣١ ( سَوَاءٌ عَلَيَّ إِذَا مَا هَلَكْتُ مَنْ شَادَ مَكْرُمَتِي أَوْ زَرَى )

٣٢ ( فَأَوْدَى فُلَانٌ بِسُقْمٍ أَضَرَ وَأَوْدَى فُلَانٌ بِعِرْقٍ ضَرَى )

٣٣ ( أَابَالنَّبْلِ أَدْرِكُ أُمَّ بِالرَّمَا حَ بَيْنَ أَسْنَتِهَا وَالسَّرَى )

صَرِينَا : أَجْتَمَعْنَا . أَيْ وَجَدْنَا فِي الْحَيَاةِ . وَيُقَالُ فِيهِ : صَرَى ، وَالْأَصْلُ : «صَرَى» فَقَلِبْتَ الْيَاءَ أَلْفًا ، كَمَا يُقَالُ : «بَقِيَ» فِي «بَقِيَ» . وَالصَّرَى : مَا بَقِيَ مِنْ مِنَ اللَّبَنِ فَتَغَيَّرَ وَفَسَدَ طَعْمُهُ . يَرِيدُ بِهِ الْمَوْتَ الْكَرِيهَ الْمَعِيفَ . أَوْ لَعَلَّهُ شَبَّهِ الْمَوْتَ بِهِ ، فِي أَنْ كُلًّا مِنْهُمَا شَيْءٌ لَا يُؤْبَهُ لَهُ . وَهُوَ بِإِشَارَتِهِ الْأُولَى أَوْفَى . كَمَا قَدْ يَرَادُ : «الصَرَى» أَيْضًا كَدَّرَ الْحَيَاةَ وَمَرَارَتَهَا .

و«شَادَ مَكْرُمَتِي» أَيْ أَشَاعَهَا وَعَرَفَ بِهَا وَشَهَّرَ وَرَفَعَهَا ، وَالْأَصْلُ فِيهِ لِلْبِنَاءِ . يُقَالُ : شَادَ الْبِنَاءَ ، وَأَشَادَهُ ، وَشَيَّدَهُ ، إِذَا أَحْكَمَهُ وَرَفَعَهُ . وَمِنْ الْمَجَازِ : أَشَادَ ذِكْرَهُ ، وَبَذَرَهُ ، إِذَا أَشَاعَهُ . يُقَالُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالْمَدْحِ وَالذَّمِّ . وَأَفْرَدَ بِهِ الْجَوْهَرِي : الْخَيْرَ . فَقَالَ : أَشَادَ بِذِكْرِهِ ، أَيْ رَفَعَ مِنْ قَدَرِهِ . مِنْ «أَشَدَّتْ» الْبُنْيَانُ ، فَهُوَ مُشَادٌ ، إِذَا طَوَّلَتْهُ . خَصُّوْا بِذَلِكَ الْخُرُوجَ الْمَجَازِي «أَشَادَ» دُونَ نَظِيرَتَيْهَا : «شَادَ» وَ«شَيَّدَ» وَالْمُجَوِّزَ وَاحِدًا . وَمَا هُنَا مِنْ مُسْتَعْمَلٍ أَبِي الْعَلَاءِ .

و«أَوْزَرَى» ، أَيْ : أَوْزَارَهَا عَلَى ، وَالْمَعْنَى : عَابَنِي بِهَا وَعَنَّفَنِي عَلَيْهَا .

وَأَوْدَى : هَلَكَ ، فَهُوَ مُودٍ . وَفِي بَعْضِ النُّسخِ مَكَانُ «وَأَوْدَى» الثَّانِيَةِ «وَأَوْدَوَى» . وَأَوْدَى ، أَيْ مَرَضَ ، وَالْمُسْمُوعُ مِنْ مَعَانِي هَذِهِ الصِّيغَةِ : أَوْدَى الرَّجُلُ ، إِذَا صَحِبَ مَرِيضًا . وَأَوْدَى غَيْرَهُ ، إِذَا أَمْرَضَهُ .

وَضَرَا ، الْعِرْقُ ، إِذَا نَزَا مِنْهُ الدَّمُّ وَاهْتَزَّ وَتَعَرَّ بِالدَّمِّ . وَالسَّرَى ، بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ : جَمْعُ سَرَوَةٍ ، بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ أَيْضًا . وَهِيَ أَدْقُ مَا يَكُونُ مِنْ نِصَالِ السَّهَامِ .

يَقُولُ : أَلَا إِلَى اللَّهِ الْمُلْجَأُ وَعَلَيْهِ الْمُعْتَمَدُ ، فَإِنَّا لَمْ نُجْمَعْ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَلَمْ نُخْشَرْ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ ، إِلَّا لِنَشْرَبَ كَأْسَ الْمَوْتِ كَدِرَةً أَوْ صَافِيَةً ، لَا بُدَّ مِنْهَا وَلَا مُنْصَرَفَ عَنْهَا ، تَشْرِبُهَا رَاغِمِينَ فَتَجِدُ لَهَا مَذَاقًا وَاحِدًا لَا يُغَيِّرُهُ اخْتِلَافُ

المادة، ولا يُبدلُه تبدُّل الأجزاء . فلان قتله المرض ، وفلان قتله السيِّف ، وفلان أصابه الرُّمَح ، وآخر أصماه السَّهْم . كُلُّ قَدْ أُنتَهت به الحياة إلى مورد واحد ، لا اُختلاف له ولا تَفاضُل فيه .

نشرِبُها راغمين وإن لم نَحْمَدْ أثرها ، فناء تامٌّ ، وسُكون خالد ، وزهول عن العالم مُقيم . رَدَّ حَوْض الموت مُطمئنًّا ، وأَحْتَسَّ كأسه مُستريحًا ، فلن يُوَلِّمَكَ بعد ذلك ذَمُّ الناس لك ، ولن يُرْضِيكَ ثَنائُهم عليك . وأَنْتَ لهم أن يُولُوك أو يُرْضُوك ، وقد فُصِّمَت بينك وبينهم العُرا ، وتَقَطَّعت بينك وبينهم الأسباب .

- ٣٤ ( فَهَلْ قَامَ مِنْ جَدَثٍ مَيِّتٌ      فَيُخْبِرُ عَنْ مَسْمَعٍ أَوْ مَرَى )  
 ٣٥ ( وَلَوْ هَبَّ صَدَقَةُ مَعْشَرٍ      وَقَالَ أَنَا طَفَى وَأُفْتَرَى )

الجدَث : القَبْر . والجمع أجداث . وقد قالوا : جَدَفَ ، فالفاء بدل الثاء ؛ لأنهم قد أجمعوا في الجمع على أجداث ، ولم يقولوا : أجداف . و « مَرَى » أصله مرأى ، فَخَفَّفَ الهمزة بعد أن أتى حركتها على الساكن الصَّحِيح قبلها ، فاجتمعت ألفان ، فحذف إحداهما لالتقاء الساكنين . ومثله قول الحادرة :

\* بمرى هناك من الحياة ومسمع \*

يقول : أَقْدَم ولا يهولنك ما تسمع من أخبار الغيب وأنبائه ، فإنما هي ظنون مُرَجَّمة ، وأحاديث مَنحولة ، لم تَنْتَقِلْ إليك عن ثِقَةٍ ، ولم تَبْلُغَكَ عن يَقِين . هل أنبأك مَيِّت بما بعد الموت ؟ وهل قَصَّ عليك ما لقي في قَبْرِهِ من سعادة أو شقاء ؟ ومن نَعِيمٍ أو جَحِيمٍ ؟ كلا ؛ لو أنه قام من جدثه ، وهبَّ من مَرَقَدِهِ ، فأنبأنا بما رأى ، وحدثنا بما سمع ، لأختلف ظن الناس به ورأيهم فيه ، ولكان منهم

المُصَدِّقُ له والتَّاعَى عليه . طبيعةٌ تلك في الناس لا تزول ، يُؤثرون الباطل فيجتمعون عليه ، ويَحْقِرُونَ الحقَّ فيختلفون فيه .

٣٦ (وَلَمْ يَقْرَ فِي الْحَوْضِ رَاعِيَ السَّوَا م إِلَّا لِيُورِدَهُ مَا قَرَى )

قرى الماء في الحوض ، يَقْرِيهِ قَرِيًّا وَقَرَّى : جمعه . وحذف المفعول ، وهو الماء ، للعلم به ، والسَّوَامِ والسَّائِمة ، بمعنى المال الرَّاعَى . وقيل : هو كل ما رعى من المال في الفلوات ، إذا خُلِّيَ وَسَوَّاهُ يَرعى حيث شاء . والماء في «يورده» للحوض وما حَوَى ، مفعول أول . و « ما » مفعول ثانٍ ، يعنى الذى جمع من الإبل . يقول : أجل ، إنّا لم نُجْمَعِ إِلَّا لنرد هذا المورد ، كما أن راعى الإبل لم يُورِدْها الحوضَ ، ولم يَعْرِضْها عليه ، إِلَّا لَنَشْرَبَ منه وترتوى من مائه .

٣٧ ( أَفِرُّ وَمَا فَرَأُ نَافِرُ بِمُعْتَصِمٍ مِنْ قَضَاءِ فَرَى )

الفرأ ، مهموز مقصور ، ويُمدّ : حمار الوحش . وقيل : الفتى منها . وفي المثل : « كل الصَّيْدِ في جوف الفرا » لأن كل صَيْدٌ أَقْلٌ من الحمار الوحشى ، فكل صَيْدٍ لصغره يدخل في جوف الحمار .

والفرى ، فى الأصل : القَطْعُ والشَّقُّ . واختُلف ، هل هو للتَّقدير والإصلاح ، أم للإفساد ؛ فقال أهل اللغة : « فرى » للإفساد ، و « أفرى » للإصلاح . تقول : فرى ، إذا شقّ وأفسد . وأفراه : أصلحه ، أو أمر بإصلاحه ، كأنه دفع عنه ما لحقه من آفة الفرى وخَلَّه ، وقيل : أفراه : شقّه وأفسده وقطعه . فإذا أردت أنه قدَره وقطعه للإصلاح ، قلت : فراه . ومعنى أبى العلاء من الأول ؛ لأن الموت مُبِيدٌ مُبِيرٌ .

يقول : أقدم على الموت فليس لك عنه مفر ، ولا منه مُعْتَصِم ، وأنى لهذا  
الفرأ الفتى ، قد اشتدَّ به المرح ، وعَظُم فيه الحرص على الحياة ، أن يَنْجُو من  
مَهم أرسله إليه القدر ، وأتاحه له القضاء .

٣٨ ( أَحِبُّ إِلَى أَمَلٍ فَاتِنِي وَمَا لِلشُّبُوبِ وَعَيْشِ الْفَرَا )

الشُّبُوبُ والشَّبَبُ : المُسِنَّ من ثيران الوحش الذى انتهى إسنانه ؛ أو هو الذى  
انتهى شباباً . وقيل : هو الذى انتهى تمامه وذكاؤه . والأُنثى ، شُبُوب ، بغير هاء .  
وقال أبو عمرو : القَرَّهَبُ : المُسِنَّ من الثيران ؛ والشُّبُوبُ : الشاب . وليس  
بيت أبي العلاء عليه . والفرأ : الفرأ ، وهو الحمار الوحشى ، وسَهْلٌ للشعر .  
وقد مر (١) .

يقول : لا تخدعَنَّك الآمال ، ولا تفرنَّك المني ، ولا يملكَنَّك حبُّ  
الحياة ؛ فإنما هي آمال مُتَقَطَّعة بك ، وأمانى مُسَلِّمة لك إلى الحلام . وأنى  
يُتاح للثور الهرم ، قد أفنته السن ، ونَصَرَمَت عنه الأيام ، أن يعيش عيشة الفرأ  
النَّشِيط ، ذى الشباب والقوة ، وذى الحدة والقُوَّة !

٣٩ ( مَتَى قَرَقَرَ الْهَاتِفُ الْعِكْرِمَى هَيَّجَ شَوْقًا إِلَى قَرَقَرَى )

٤٠ ( وَقَدْ يَفْسُدُ الْفِكْرُ فِي حَالَةٍ فَيُوْهِمُكَ الذَّرَّ قَطْرَ السَّرَى )

٤١ ( سَقَاكَ الْمُنَى فَتَمَنَّيْتَهَا وَصَاغَ لَكَ الطَّيْفَ حَتَّى أَنْبَرَى )

القرقرة : من أصوات الحلام . والهتاف ، للحام أيضاً ، هتفت الحمامة تهتف .  
والعِكْرِمَى : نسبة إلى «العكرمة» بالتعريف ، وهى الحمامة الأُنثى . وقيل : هى الأُنثى  
من الطَّيْرِ الذى يُقال له : ساقُ حُرٍّ . وقَرَقَرَى : أرض باليمامة .

(١) انظر شرح البيت ٣٧ من هذه الزومية ص ٢٢٢ من هذا الجزء .



ويُشير بالبیت إلى حديث يحيى بن طالب الحنفي ، أحد بني ذهل بن الدُّئل ابن حنيفة . وكانت له ضيعةٌ باليمامة يقال لها : البرّة العُليا ، وكان يشتري غلات السلطان بقرقرى ، وكان عظيم التجارة وكان سخيًّا . فأصاب الناس جذبٌ . فجلا أهل البادية فنزلوا قرقرى . ففرّق يحيى بن طالب فيهم الغلات . فباع عامل السلطان أملاكه ، وعزّه الدّينُ فهرب إلى العراق ، وكان فصيحًا . وله في الحنين إلى قرقرى شعر منه :

أحَقَّ عبادَ الله أن لستُ ناظرًا إلى قرقرى يوماً وأعلامها الغُبر  
ومن آخر :

ألا هَلْ إلى شَمِّ الخُزامى ونظرة إلى قرقرى قبل المات سبيلُ  
ويقال إنه غنى بهذه الأبيات عند الرشيد ، فسأل عن قائلها ، فأخبر . فأمر برده وقضاء دينه ، فسئل عنه ، فقبل : إنه مات قبل ذلك بشهر .

والوهم : أن تذهب إلى الشيء وأنت تريد غيره ، وهم في الشيء يهيم ، وأوهمت غيرك إيهامًا . وقد ضمن الفعل معنى « ظنّ » التي للرشيد ، فعذاه تعديته .  
والذرّ : صِغار النمل ، واحده ذرة . وفي بعض الأصول : « الدر » بالدال .  
والقطر ، بالفتح : المصدر من : قطر الإبل يقطرها ؛ أو هو بضمّتين وسُكُنَّ للشعر ؛ ويكون على هذه جمعًا لقطار الإبل . وأكثر ما تسير الإبل بالليل .  
والسّرى : السّير بالليل . يريد مقطور الإبل ، أو قَطُرُها التي تسرى ليلاً .  
وكذلك النمل يسرى في قطار . قال أبو النجم :

\* وأقبل النمل قطارًا تنقله \*

يريد أن الفكر الفاسد قد يصوّر لك الصغير كبيرًا .

و « سقاك » هنا ، بمعنى جعل لك ماء . قال سيبويه : سقاه وأسقاه : جعل له ماءً ؛ فسوّى بين « فعلت » و « أفعلت » . وأن « أفعلت » غير منقولة من

« فعلت » لضرب من المعانى . وقال غيره : « سقاه » ، بالشفة ، و « أسقاه » : دله على موضع الماء . وسقاك المنى ، أى نجعل لك الفكرُ الفاسدُ المنى ورِداً موزوِداً .

والطَّيفُ : الخيال الذى يُليَمُّ مع النَّومِ . والصَّوْغُ : السَّبْكُ . ويُريد . « بصوغ الطَّيفِ » تجسيمه وإبرازه مُحسَّناً ملموساً بعد أن كان خيالاً مُتَوَهِّماً . وأنبرى : عَرَضَ وبدأ .

يقول : ما أكثرَ تَعَرُّضِ عَقْلِ الإنسان للزَّلَلِ ، وأستهدفَ رأيهِ للخطأ ! فقد يَخْدَعُهُ فَيُحَيِّلُ إِلَيْهِ الذَّرَّ قطر الإبل جادةً فى سُراها . كذلك يفعل الضَّعْفُ بنفس الإنسان ، يَسْقِيها المنى عَذْبَةً ، ويُريها الآمالَ مُحَقَّقةً ، حتى إذا جاء وقتُ اليقظة والانتباه والحِرْصِ على اجْتِنَاءِ الأثمار ، لكَدْ الليل وكَذْحِ النهار ، لم يَظْفَرْ إِلَّا بِألم اليأس ، ولم يَنْبَلْ إِلَّا مرارة القُنوط .

٤٢ ( فَلَا تَدْنُ مِنْ جَاهِلٍ أَهْلٍ      لَوْ أَنْتَزِعَتْ خَمْسُهُ مَا دَرَى )  
٤٣ ( أَبَى سَيْفُهُ قَتْلَ أَعْدَائِهِ      وَسَافَ وَلِيدَتُهُ أَوْ هَرَى )

الآهل : الذى له زَوْجَةٌ وعِيال . وفى الحديث : « إن النبی صلی الله عليه وسلم أُعْطِيَ الْآهْلَ حَظَّيْنِ وَالْعَزَبَ حَظًّا » . وخمسه ، أى خمس أصابعه وسافه : ضربه بالسيف . وأقام « الوليدة » مثلاً لأعز ما يُحِبُّهُ الإنسان ويدفع عنه . يريد أن أطاع الحياة قد تُعْرِى الإنسان بالعزیز عليه ، وتصرفه عن أبغض الناس إليه . وهَرَاهُ يَهْرُوه : ضربه بالهراوة . وهريته ، لغة فيها .

يقول : كم تمتلىء نفسكُ أبتهاجاً ! وكم يَقَعُ قلبك سُروراً ! حين تصوغ لك الأملُ طيفَ الخيال ، وفيه من حبيبتك ما أحبت من دلِّ فاتن ، وجمال ساحر ، ومن لطف خلَّاب ، وحسن جذاب . وكم يُؤلمك وخز اليأس حين تُباعد اليقظة

بينك وبين هذا الخيال ! فما تقيق من نومك إلا وقد أستيقنت بأنك قد كنت في باطل ليس له من الحق نصيب . ذلك هو نصيبك من الدنيا ، فإن شئت فأزهد فيه ، وإن شئت فأحرص عليه . ولكنى أنصح لك ألا تتخذ سبيلَ الجاهل الذى لا يُفرِّق بين نفعه وضُرِّه ، ولا يُميِّز خيره من شره . ذلك الذى يصرف سيفه عن عدوه ليُغمده فى رأس أحبِّ الناس إليه ، وأولاهم بالمنزلة عنده ؛ وهى أبنته التى هى جزء من نفسه ، وقطعة من قلبه . هذا الجاهل الغافل يَعْتَز بالحياة فيرغب فيها ، وَيَعْتَقِد أن حِرْصه عليها سيعصمه من فراقها ، وإنما هو فى رأيه مُضِلٌّ مَرُور .

- ٤٤ ( وَتَحْتَلِفُ الْإِنْسُ فِي شَأْنِهَا      وَأَبْعَدُ بَعْنٍ بَاعَ مِمَّنْ شَرَى )  
 ٤٥ ( مُغْنِيَةٌ أُعْطِيَتْ مُرْغَبًا      فَغَمَّتْ وَنَائِحَةٌ تُكْتَرَى )  
 ٤٦ ( وَهَآوٍ لِيُخْرِجَ مَاءَ الْقَلْبِ      وَرَاقٍ لِيَجْنِيَ ثَوًى لَا أَرَى )  
 ٤٧ ( فَإِنْ نَالَ شَهِدًا فَأَيْسِرْ بِهِ      عَلَى أَنَّهُ بِسُقُوطٍ حَرَى )

الإنس : جماعة النَّاس ، والجمع أناس . والأنس ، بفتحتين ، لغة فيه . والضَّمير فى « شَأْنِهَا » للحياة ، وإن لم يمر لها ذكر صريح ، فالحديث عنها . و « أبعد » : إحدى صيغتي التعجب ، وُضِعَ فيها الماضى على صورة الأمر . والباء بعدها مزيدة على الفاعل . و « شَرَى » للشراء والبيع . وهى هنا للأول . ويقول الفرَّاء : وللعرب فى « شروا واشتروا » مذهبان ، فالأكثر منهما أن يكون : شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا . وربما جعلوها بمعنى باعوا . والمُرْغَب : من أرغبت فى الشيء ، إذا أعطانى ما أرغب فيه وأطمع . والاكتراء : الاستئجار .

والهاوى : المهبط ، فعله : هَوَى يَهْوَى . والقلب : البئر ما كانت ، وقيل : قبل أن تُطوى ، فإذا طُويت ، فهى الطوى ، والجمع : أَقْلِبَة ؛ والكثير : قُلُب .

وقيل : قُلُب ، فى لغة من أنث ، وأقْلِيَّة وقُلُب ، جميعاً فى لغة من ذكر . وراق : من رَقَى يَرْقَى ، إذا صعد . والثَّوَل : جماعة النَّحْل ، لا واحد لها من لفظها . وأرَّت النحلُ تَأْرِى أَرِيَا : عملت العسل .

والشَّهْد ، بالفتح والضم : العسل مادام لم يُعصر من شمعهِ ، واحدته شَهِدَة وشُهِدَة ، بالفتح والضم أيضاً ، ويكسَّر على الشَّهاد . وحرَّى : خَلِقَ ، ومثله حرّ ، وحرَّى . فمن قال : «حرَّى» لم يُغَيِّرْهُ عن لفظه ، فيما زاد على الواحد ، وسوَّى بين الجُنْسَيْن ، أعنى المذكَّر والمؤنث ، لأنه مصدر . قال الشاعر :

وهُنَّ حرَّى ألاَّ يُثْبِنَكَ تَقَرَّةً      وأنت حرَّى بالنار حين تُثِيبُ

ومن قال : حرَّ وحرَّى ، ثنىَّ وجمع وأنث .

يقول : ما أشدَّ ما أشْهَدَ بين الناس من الاختلاف فى طُرُق الحياة والافتراق فى سُبُل العِيش ! هذا يبيع وهذا يشتري ، وتلك تُغنى وهذه تنوح ، وذاك يَهْوِي إلى أعماق الأرض لِيَمْتَحَ الماء من جوف القليب ، وصاحبه يَصْعَدُ فى أجواز الجوِّ لِيَشْتَارَ العسل من رؤس الجبال ، أشدَّ ما يكون على نفسه حَدَرًا من الشَّقُوط ، وأحْرَصَ ما يكون لها رغبةٌ فى النجاح . والكلُّ يَنْتَهُونَ من مَسَاعِيهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ ، ومَسَالِكِهِمُ الْمُتَشَعِّبَةِ ، إلى غاية واحدة هى الموت ، الذى لا مُنْصَرَف عنه ولا شكَّ فيه .

٤٨ (نَزُولُ كَمَا زَالَ أَجْدَادُنَا وَيَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى مَا تَرَى )

الزوال : الذهابُ والاستحالة والأضمحلال . زال يزول ، زوالاً ، وزوياً ، وزوولاً .

يقول : ألا إننا زائلون كما زال من قبلنا ، فَمُقَفُون على آثارهم ومورثون الأرض من بعدنا .

٤٩ (نَهَارٌ يُضِيءُ وَلَيْلٌ يَجِيءُ وَنَجْمٌ يَغُورُ وَنَجْمٌ يَرَى )

يغور : يَغْرُب . غِيَارًا ، وَغُورًا . وَغُورٌ يغور ، مثله .

يقول : الزمان على حاله نهارٌ يَمُرُّ بَضْوَتِهِ ، وَلَيْلٌ يَكُرُّ بِظُلْمَتِهِ ، وَنَجْمٌ يَطْلُعُ ، وَآخَرٌ يَهْوِي مُغَوَّرًا . بذلك سَبَقَ الْقَدَرُ ، وعلى هذا استقر القضاء .

## اللزومية الخامسة والثلاثون

وقال أيضاً في الألف والنون ، على رأى مَنْ جعل الألف في هذه القافية رويّاً :

١ ( حَيَاةٌ عَنَاءٍ وَمَوْتُ عَنَى فَلَيْتَ بَعِيدَ حِمَامٍ دَنَا )  
العناء : الضَّرَّ والنَّصَب والتَّعب . وقال أبو الهيثم : العناء : الحبس في  
في شدةٍ وذُلٍّ . وقيل : عنا الرجل يَعْنُو عَنَاءً ، إذا ذلَّ لك واستأسر . وبهذا  
كلُّه تَتَّصِفُ الحَيَاةُ .

وعَنَى : قَصْدٌ وَنَزَلٌ ؛ يُقَالُ : عَنَتَ بِهِ أُمُورٌ ، أى نزلت .  
وليت : ناسخٌ للتمنى ، وما يتعلق به مُستحيل الوقوع . والحمام ، بالكسر :  
قضاء الموت وقَدَره .

وبين اللفظين « عناء » و « عنى » جناس . وإيراد الماضى إمّا أن  
يكون على بابه ، أى وموت نازل بنا ذُقناه وبلوناه . وإمّا أنه أقامه مقام  
المضارع المضمّن معنى الاستقبال لتحقق وقوع الموت .  
يقول : حَيَاةٌ تَعْنِينَا آلامَهَا ، أو موت يَعِدُّنَا خَوْفَهُ ، فليت ما يؤذينا مضى ،  
وليت ما يُخيفنا وقع .

٢ ( يَدٌ صَفِرَتْ وَلَهَاءٌ ذَوْتُ وَنَفْسٌ تَمَنَّتْ وَطَرَفٌ رَنَا )  
صَفِرَتْ : خَلَّتْ ، تَصْفَرُ صَفَرًا . وفي التهذيب : تَصْفَرُ صُفُورَةً . واللاهة : أحمَةٌ  
حمراء في الحنك معلقة على عُكْدَةِ اللِّسَانِ . والجمع : لَهَيَاتٌ ، وَلَهَوَاتٌ ، وَلَهَاءٌ ،  
وُلْهَى ، بَضْمُ اللام وكسرهما ، وَلِهَاءٌ . وذَوَى يَذْوَى ذِيًّا وَذَوِيًّا : ذَبُلَ وَضَعُفَ .

والتَّمَنَّى : تَشَهَّى حُصُولَ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ ، وَحَدِيثَ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ . وَقِيلَ : التَّمَنَّى : سُؤَالُ الرَّبِّ فِي الْخَوَاصِجِ .

وَالطَّرْفُ : اسْمُ جَامِعٍ لِلْبَصَرِ ، لَا يُتَنَّى وَلَا يُجْمَعُ ، لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ . وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَلَوْ جُمِعَ لَمْ يُسْمَعْ فِي جَمْعِهِ أَطْرَافٌ . وَرَنَاءَ يَرْنُورُنُوءًا : أَدَامَ النَّظَرَ مَعَ سَكُونِ الطَّرْفِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْفَاجِرَةِ : تَرُنِّي ، أَيْ يَدَامَ النَّظَرُ إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّهَا تُزَنُّ يَارْتِيَةً . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : يَا بَنَ تَرُنِّي ، لِلثِّيمِ ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا .

يَقُولُ : مَاذَا أَحْمَدُ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَمَلٌ يُثْمَرُ الْيَأْسُ ، وَرَجَاءٌ يُغَلِّ الْقُنُوطُ ؟ نَفْسٌ مَتَمَنِّيَّةٌ لِلسَّعَادَةِ ، وَعَيْنٌ رَانِيَةٌ إِلَى النَّعِيمِ ، وَيَدٌ قَدْ أَصْفَرَهَا الْفَقْرُ وَأَخْلَاهَا الشَّقَاءُ ، وَلِهَذَا قَدْ أَجْفَهَا الظَّمَا وَأَذْوَاهَا الصَّدَى .

٣ ( وَمَوْقِدُ نِيرَانِهِ فِي الدُّجَى يَرُومُ سَنَاءً بِرَفْعِ السَّنَى )

الدُّجَى : الظُّلْمَةُ ، وَسَوَادُ اللَّيْلِ مَعَ غَيْمٍ ، وَالْأَلَا تَرَى نَجْمًا وَلَا قَرَأً . وَقِيلَ : هُوَ إِذَا أَلْبَسَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الظُّلْمَةِ . وَاحْدَتُهَا : دُجِيَّةٌ . قَالَ أَبُو جَنَّى : وَلَيْسَ مِنْ « دَجَائِدِجُو » وَلَكِنَّهُ فِي مَعْنَاهُ . وَقَالَ غَيْرُهُ : هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَآوِيَّةٌ وَيَائِيَّةٌ بِتَقَارُبِ الْمَعْنَى . وَقَالُوا : لَيْلَةُ دُجَى ، وَلَيْلَالِ دُجَى ، لَا يُجْمَعُ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ وَصِفٌ بِهِ .

يُشِيرُ بِهَذَا الشَّطْرُ إِلَى مَا عُرفَ عَنْ كُرَمَاءِ الْعَرَبِ مِنْ إِشْعَالِ النَّارِ بِاللَّيْلِ لِيَقْصِدَ إِلَيْهِمُ الْعَافُونَ . وَالسَّنَاءُ ، بِالْمَدِّ : الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ ؛ وَبِالْقَصْرِ : ضَوْءُ النَّارِ وَالْبَرَقُ . وَيُتَنَّى : سَنَوَانٌ . وَلَمْ يَعْرِفِ الْأَصْمَعِيُّ لَهُ فِعْلًا . وَقَالَ غَيْرُهُ : سَنَا الْبَرَقُ : أَضَاءَ ؛ وَأَسَى النَّارَ : رَفَعَ سَنَاها . وَاسْتَنَاها : نَظَرَ إِلَى سَنَاها . وَمِنْ « السَّنَاءِ » : سَنَا إِلَى الْمَعَالَى . وَسَنُوفِي حَسْبِهِ ، أَيْ ارْتَفَعَ . وَكَذَلِكَ سَنَى يَسْنَى .

يقول : لشدَّ ما أشهد في هذه الحياة من تلون ! ولشدَّ ما أرى فيها من خداع أناس يُحبون الخير ويرغبون فيه ! فإذا حققت أمورهم ، وتبينت أسرارهم ، رأيت أن حبهم للخير ، وحرصهم عليه ، ليس الاتجارة كاسدة يتغنون بها الذكّر الطائر ، والشهرة الكاذبة ، والصيت البعيد . أو قد أيها الموقد نيرانك في جوف الليل ، وأرفع سنّاها على رؤوس الجبال وشعافها ، فقد علمت أنك لم تُرد بذلك وجه الله ولا فعل الخير ، وإنما أحببت أن يشيعَ حمدُ الناس لك وثناؤهم عليك .

٤ ( يُحَاوِلُ مَنْ عَاشَ سَتَرَ الْقَمِيصِ وَمَلَأَ الْخَمِيصَ وَبُرَّءِ الضَّنَى )

القَمِيصُ ، معروف . والتَّركيب من إضافة المصدر لفاعله ، وحذف المفعول للعلم به . أى يحاول من عاش أن يجد قميصاً لستر بدنه . وقد يكون أراد بـ « القميص » الجلد ، لأنه يستر ما تحته . ثم أقامه مقام الجسم ، لأن من ستره فقد ستر الجسم . وعلى هذا يكون التركيب من إضافة المصدر إلى مفعوله .

والخَمِيص : الضَّامر . يريد : وملأ البطن الخَمِيص . أقام الوصف مقام الموصوف لجر يانه به : والبرء : الصّحة والعافية ؛ برئت من المرض برءاً ، وهذه لغة غير أهل الحجاز . وأما أهل الحجاز فيقولون : برأت برأاً . والضنى : المرض . وقيل : هو المرض المخامر الذى كلما ظن أنه قد برأ نسكس . وهو أيضاً المريض الذى قد طال مرضه وثبت فيه . بعضهم لا يُثنّيه ولا يجمعه ، يذهب به مذهب المصدر ، فيقولون : رجل : ضنى . وقوم ضنى ، وبعضهم يُثنّيه ويجمعه : قال عوف بن الأحوص الجعفرى :

أَوْدَى بَنَىٰ فَمَا بَرَحِلِي مِنْهُمْ إِلَّا غُلَامًا بَيْثَةً ضَنِيَّانِ

والمعنى هنا على الأول .



يقول : حَقَّقْ أَيُّهَا الْبَاحِثُ نَظْرَكَ فِي الْأُمُورِ ، وَأَحْدِثْ بِحَثِّكَ عَنْهَا وَأُسْتَقْصَاءُكَ لَهَا ، تَجِدْ أَنَّ غَايَةَ مَا يَنَالُ الْمَرْءُ مِنْ حَيَاتِهِ إِنَّمَا هُوَ ثَوْبٌ يَسْتُرُ جَسْمَهُ ، وَقُوَّةٌ يُقِيمُ أَوْدَهُ ، وَرَاحَةٌ تَدْفَعُ عَنْهُ الْأَسْقَامَ وَالْأَمْرَاضَ . لَقَدْ كَثُرَ الثَّمَنُ وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ ، وَبَذَلْنَا هَذَا الْجُهْدَ الْعَظِيمَ ثَمَنًا لِهَذَا الْحِظِّ الْقَلِيلِ مِنَ الْحَيَاةِ .

- ٥ ( وَمَنْ صَمَّهَ جَدَثٌ لَمْ يُبَيِّلْ عَلَى مَا أَفَادَ وَلَا مَا اقْتَنَى )  
 ٦ ( يَصِيرُ تَرَابًا سَوَاءٌ عَلَيْهِ مَسُّ الْحَرِيرِ وَطَعْنُ الْقَنَاءِ )  
 ٧ ( وَشُرْبُ الْفَنَاءِ بِخُضْرِ الْفِرْنِدِ كَأَنَّ عَلَى آسِهِنَّ الْفَنَاءَ )  
 ٨ ( وَلَا يَزِدُّهُيْ غَضَبٌ حِلْمَهُ أَلَقَبَهُ ذَاكِرٌ أَمْ كَنَّا )

صَمَّهَ : أُشْتَمِلَ عَلَيْهِ . وَالْجَدَثُ : الْقَبْرُ . وَقَدْ مَرَّ<sup>(١)</sup> . وَلَمْ يُبَيِّلْ : لَمْ يَكْثُرْ ، وَقَدْ مَرَّ أَيْضًا<sup>(٢)</sup> . وَأَفَادَ ، تَكُونُ بِمَعْنَى « أُسْتَفَادَ » . وَمِنْهُ قَوْلُ الْقَتَالِ الْكَلَابِيِّ :

\* مُهْلِكُ مَالٍ وَمُفِيدُ مَالٍ \*

وَتَكُونُ بِمَعْنَى : أَعْطَى غَيْرَهُ . وَالْمَعْنَى عَلَى الْأَوَّلِ : وَاقْتَنَى : كَسَبَ ، وَمَثَلُهُ : قَنَاءَهُ . وَسَوَاءُ الشَّيْءِ : مَثَلُهُ . قَالَ الزَّجَّاجُ : « سَوَاءٌ » تَطْلُبُ أَثْنَيْنِ ، تَقُولُ : سَوَاءُ زَيْدٍ وَعَمْرُو ، فِي مَعْنَى : ذَوَا سَوَاءٍ زَيْدٌ وَعَمْرُو ؛ لِأَنَّ « سَوَاءٌ » مُصَدَّرٌ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرْفَعَ مَا بَعْدَهَا إِلَّا عَلَى الْحَذْفِ تَقُولُ : عَدُلُ زَيْدٍ وَعَمْرُو . وَالْمَعْنَى : ذَوَا عَدْلٍ زَيْدٌ وَعَمْرُو ؛ لِأَنَّ الْمَصَادِرَ لَيْسَتْ كَأَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ ، وَإِنَّمَا يَرْفَعُ الْأَسْمَاءُ أَوْصَافُهَا ، فَأَمَّا إِذَا رَفَعْتَهَا الْمَصَادِرُ فَهِيَ عَلَى الْحَذْفِ ، كَمَا قَالَتِ الْخَنَسَاءُ :

تَرْتَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

(١) انظر شرح البيت ٣٤ من اللزومية ٣٤ ص ٢٢١ من هذا الجزء .

(٢) « » « ١٤ » « الأول » ٦٠ « » « » .

أى ذات إقبال وإدبار . وقد جعلها سيوييه : الإقبالة والإدبارة ، على سعة الكلام . وقيل : إذا قلت «سواء على» احتجت أن تُترجم عنه بشيئين : تقول : سواء سألتنى أو سكت عني ، وسواء حرمتنى أم أعطيتنى .

والقنا : الرِّمَّاح . والفِرْدُ : السَّيْفُ نفسه . وقيل : وشيؤه . وقيل : جوهره وماؤه . وهو دخيل . قال جرير :

وَقَدْ قَطَعَ الْحَدِيدَ فَلَا تُمَارُوا      فِرْدًا لَا يُقْلُ وَلَا يَذُوبُ

ويجوز أن يكون أراد : ذو فرند ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ومعنى أبى العلاء كما يكون من الأول يكون من الثانى . وخضر الفرند : وصف للسيوف . والعرب تُطلق الخُضرة على سواد الحديد فيقولون : كتيبة خضراء ، إذا غلب عليها لبس الحديد . والسيوف والقنا فى حُكم الشيء الواحد ، لأنهما من بابة واحدة .

والآس : ضَرْب من الرِّياحين ، وهو كثير بأرض العرب يَنْبَت فى السَّهْلِ والجبل ، وخُضْرته دائمة أبداً ، ويسمو حتى يكون شجراً عظيماً ، واحدة : آسة . وفى دَوَام خُضْرته يقول رؤيية .

\* يُخْضَرُّ مَا أَخْضَرَ الْأَلَا وَالْآسُ \*

جعل أبو العلاء خُضرة فرند السَّيْف من خُضْرته . والفنا ، مقصور : شجر ذوحبٍّ أحمر ما لم يُكسر ، يُتَّخَذ منه قرار يطُوزن بها ، كل حبة قيراط . وقيل : تُتَّخَذ منه القلائد . يشير إلى الدماء التى تسيل على متن السيف فتخالط خُضرة فرنده .

وأزدهاه : أُسْتَخَفَّه وَأُسْتَفْزَه . والصَّمِير فى « حله » يعود على « من » فى قوله قبله فى البيت الخامس « ومن ضمه جدث » . والتَلْقِيب : التَّنَابُز والتَّداعى بالألقاب ، وهو يكثر فيما كان ذمًّا . وفى التنزيل العزيز ( وَلَا تَنَابَزُوا

بالألقاب). قال الزجاج : معناه : لا يقول المسلم لمن كان نصرانياً أو يهودياً فأسلم لقباً يُعَيِّرُهُ فيه بأنه كان نصرانياً أو يهودياً . كما قد يحتمل أن يكون في كل لقب يكرهه الإنسان ، لأنه إنما يجب أن يُخاطب المؤمن أخاه بأحب الأسماء إليه . والكنية : على ثلاثة أوجه ، منها أن يُكنى الرجل باسمه توقيراً وتعظيماً . وهي مراده هنا . وقد مرَّ شرحها تفصيلاً<sup>(١)</sup> .

يقول : ما أجل الموت وما الدَّه ! وما أكفله للراحة وأنفاه للتعب ! يسكن أحدنا القبر فلا يحفل بما أفاد من ثروة وما أقتنى من طرائف ، يعود تراًباً لا يلدُّ له مسُّ الحرر ولا يؤذيه طعنُ القنا ، ولا يؤلمه ما نال من موت زعافٍ قد حمله إليه صارمٌ صافي الفِرِّند ، ماضي الحدِّ ، مرُّ اللِّدَّاق ؛ ولا يَزِدُّه الغصَب ، ولا تأخذه العِزَّة إن ذمَّه الناسُ أو مدحوه ، سواء عليه سيِّئُ ذلك وحسنه ، وقبيحه وجيِّدُه .

- ٩ ( مِيَهَنَّا بِالْخَيْرِ مَنْ نَالَهُ وَلَيْسَ الْهَنَاءُ عَلَى مَا هَنَا )  
 ١٠ ( وَأَقْرَبُ لِمَنْ كَانَ فِي غِبْطَةٍ بَلْقِيَا الْمَنَى مِنْ لِقَاءِ الْمَنَا )

أراد بـ « الخير » الموت ، فهو خلاص من عناء الحياة في رأيه . وقد أوضح مراده في الشطر الثاني . أو لعل المعنى على الإنكار والتهكم ، أى ليس خير الحياة بالخير الذى يُهَنَّا به ، وإنما الخير الذى يُهَنَّا به ما بعد الموت . أو ليس فى الحياة ما يُهَنَّا به ، وإنما الهناء لما بعد المات ، والهناء : البُلْهَنِيَّة وخفض العيش . لم تذكره المعاجم ، والمسموع : هناة ، وهناة ، وهنء .  
 وأقربُ . فعل ماضٍ وُضِعَ على صيغة الأمر للتعجب . وفاعله « لُقْيَا » والباء فيه زائدة .

( ١ ) انظر شرح البيت ١٥ من اللزومية ٣٤ ص ٢١٢ من هذا الجزء .

والغِبْطَةُ : حُسْنُ الحال. وفي الحديث : «اللَّهُمَّ غَبْطًا لَا هَبْطًا» أى نَسَأَلُكَ الغِبْطَةَ ونعوذ بك أن نَهْبَطَ عَنْ حالنا . وقيل : معناه : نَسَأَلُكَ الغِبْطَةَ ، وهى النِّعْمَةُ والسرور ، ونعوذ بك من الدُّلِّ والخضوع .

وَاللَّقِيَا : الاسم ، من لَقِيَ يَلْقَى لِقَاءً . و « الْمَنَى » الأولى ، بالفتح ، وهى الْقَدَرُ . والثانية بِالضَّم : جمع « مَنِيَّة » بِالضَّم أيضاً ، وهى ما يَتَمَنَّى الرَّجُلُ . أى إن الْحَتْفَ يُعَجِّلُ الْمَرْءَ دُونَ أَسْتِكْمَالِ أَمَانِيهِ . وهو بِسَبِيلِ تَأْكِيدِ مَا سَبَقَ إِلَيْهِ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ مِنْ تَحْقِيرِ خَيْرِ الدُّنْيَا وَتَهْوِينِهِ .

يقول : أَلَا مَنْ كَانَتْ قَدْ أَعْجَبَتْهُ الْحَيَاةُ فَإِنِى قَدْ أَعْجَبَنِى الْمَوْتُ . أَلَا إِنْ مَنِ نَالَ الْخَيْرَ خَلِيقٌ أَنْ يَهْنَأَ بِهِ وَيُغْبَطَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنِّى لَا أَرَى الْحَيَاةَ خَيْرًا ، وَلَا أَعْتَدُهَا نِعْمَةً .

- ١١ ( أَعَابِيَّةٌ جَسَدِي رُوحُهُ وَمَا زَالَ يَخْدُمُ حَتَّى وَنَى )  
١٢ ( وَقَدْ كَلَّفَتْهُ أَعَاجِبَهَا فَطَوْرًا فُرَادَى وَطَوْرًا ثُنَا )

وَنَى يَنَى : ضَعُفٌ وَقَرَرٌ وَكَلٌّ . وَفُرَادَى ، بضم الفاء وكسرها : واحداً بعد واحد . وتقول العرب : قومٌ فُرَادَى ، وفُرَادَ ، فلا يُجْرُونَهَا ، شُبَّهَتْ بِثَلَاثٍ وَرُبَاعٍ . قَالَ الْفَرَّاءُ : فُرَادَى ، واحداً : فَرَدَ ، وفريد ، وفَرْدٌ ، وفَرْدَانٌ ، ولا يجوز : فَرْدٌ ، فى هذا المعنى . وقال غيره : هى جمع فَرْدٍ ، على غير قياس .

وثنًا ، أى ثناء ، مَضْرُوفَةٌ عَنْ : أَثْنَيْنِ أَثْنَيْنِ . قال الشاعر :

وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ ثُنَاءً وَمَوْحَدًا      وَتَرَكْتُ مَرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ

يقول : لقد كثرت مذاهب النَّاسِ فى مَصْدَرِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْحَيَاةُ مِنْ شَرٍّ ، فَمِنْهُمْ مَنْ حَمَدَ الْمَادَّةَ وَأَنْكَرَ الرُّوحَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَمَّ الْمَادَّةَ وَجَعَلَهَا مَصْدَرَ

الشُّرُورِ وَعِلَّةَ الْآثَامِ ، وَزَعَمَ الرُّوحَ بَرِيئاً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ خَالِصاً مِنْ كُلِّ سُوءٍ ،  
وَالْجِسْمَ مَصْدَرَ آثَامِهِ وَعِلَّةَ شَقَائِهِ . وما أرى هذه الطائفة من الناس إلا غاليةً  
مُغْرِبَةً . ما ذا فَعَلَ الْجِسْمُ الْمَسْكِينُ وماذا جَنَى ؟ لقد كَلَّفَهُ الرُّوحَ مَشَاقَّ الْأَعْمَالِ  
وَأَنْوَاعَ الْآلَامِ فَاحْتَمَلَهَا طَائِعاً ، وَقَامَ بِهَا مُذْعِناً ، حَتَّى أَدْرَكَهُ الْبَلَى وَأَصَابَهُ الْفَنَاءُ .  
أَجَلَ ، لَقَدْ كَلَّفَهُ الرُّوحُ مِنْ أَعَاجِيبِهِ مَا يَفُوقُ الطَّاقَةَ وَيَتَجَاوَزُ الْحَدَّ ، فَمَا عَصَى  
أَمراً وَلَا أَسْتَهَانَ نِدَاءً . أَفَنَنْ أَبْلَتْهُ الْخِدْمَةُ وَأَفَنَتْهُ الطَّاعَةُ يُكُونُ نَصِيبُهُ  
الدَّيْمُ وَالْعَيْبُ !

١٣ ( يُنَافِي ابْنُ آدَمَ حَالَ الْغُصُونِ فَهَاتَيْكَ أَجَنْتُ وَهَذَا جَنَى )

يُنَافِي : يُغَايِرُ وَيُخَالِفُ . يُقَالُ : هَذَا يَنَافِي ذَلِكَ ، وَهَذَا يَتَنَافِيَانِ . وَأَجْنَى الْغُصْنُ :  
إِذَا صَارَ لَهُ جَنَى يُجَنَّى فِيؤُوكُلُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

\* أَجْنَى لَهُ بِاللَّوَى شَرَى وَتَنَوُّمٌ \*

وَجَنَى : مِنْ جِنَايَةِ الذَّنْبِ وَالْإِنْمِ .

يَقُولُ : لَقَدْ أَخْطَأُوا فِي ذَمِّهِمُ لِلْجِسْمِ ، وَكَذَبُوا فِي عَيْبِهِمْ عَلَيْهِ . فَمَا رَأَيْنَا  
الْجِسْمَ فِي نَفْسِهِ إِلَّا مَصْدَراً لِلْخَيْرِ وَسَبَباً لِلنَّعْمَةِ ، وَمَا رَأَيْنَا الشَّرَّ وَالشَّقَاءَ وَالْغَىَّ  
وَالْفَسَادَ إِلَّا تَابِعَةً لِلْحَيَاةِ يَصْنَعُهَا الرُّوحُ .

دُونَكَ الْغُصْنُ الَّذِي هُوَ جِسْمٌ صَرَفٌ ، لَيْسَ لَهُ مِنَ الْعَقْلِ وَالرُّوحِ نَصِيبٌ ،  
وَدُونَكَ الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ الْمُفَكِّرُ ، فَانْظُرْ أَيُّهُمَا إِلَى الْخَيْرِ أَوْلَى وَإِلَى الْفَائِدَةِ أَقْرَبُ .  
تَجِدُ الْغُصْنَ قَدْ أُعْطِيَ النَّعِيمَ وَاللَّذَّةَ ، وَأَجْنَى الْفَوَاكِهِ وَالْأَثْمَارِ ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ  
أَوْجَدَ الْجَحِيمَ وَالشَّقَاءَ ، وَجَنَى الْآثَامِ وَالشُّرُورِ .

١٤ ( تَغَيَّرَ حِنَاؤُهُ شَيْبُهُ فَهَلْ غَيَّرَ الظَّهْرَ لَمَّا أُنْحَنَى )

يقول : لقد برى الجسم الخالص من الميئ والتكاف ، ومن الكذب والزور ،  
فما تبرأ مما هو فيه ، ولا حرص على الرجوع إلى مافاته ، ولا ذاق كذب الآمال ،  
ولا جرب ضلال المني .

انظر إلى الإنسان ذى العقل والفكر كيف ضلّ عقله ، وصغر فكره .  
فكفر في الشيب وقد أصابه ، وأحبّ الشباب وقد فاته ، فظنّ أن الخضب يدفع  
عنه ما أتى ، ويردّ عليه ما فات ، ونسى أن تغير اللون وأستحالته ، لا يدفعان  
عنه ما دهمه الشيب به من انحناء الظهر ، وأثناء المتن .

١٥ ( إِذَا هُوَ لَمْ يُخْنِ دَهْرٌ عَلَيْهِ جَاءَ الْفَرَى وَقَالَ اخْلَنَّا )  
١٦ ( وَسَيَّانٍ مَنْ أُمُّهُ حُرَّةٌ حَصَانٌ وَمَنْ أُمُّهُ فَرَتْنَى )

أخنى عليه الدهر : أهلكه وأتى عليه . قال النابغة :

أُمِسْتُ خَلَاءَ وَأُمِسَى أَهْلُهَا أَحْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ

والفرى : الأمر العظيم . وفي التنزيل العزيز في قصة مرّيم : ( لَقَدْ جِئْتَ  
شَيْئًا فَرِيًّا ) أى جئت شيئاً عظيماً . واخلنا : الفحش .

وسيّان ، بمعنى سواء . يقال : هما سيّان ، وهم أسواء ، وقد يقال : هم سىّ ،  
كما يقال : هم سواء .

والحصان من النساء : العفيفة . والفرتنى : الأمة ، والزانية ، نونه زائدة .  
وجعله سيبويه رباعياً . وقال ابن جرّى : الفرتنى ، معرّفاً بالألف واللام . قال :  
وكذلك : الهلوك ، والمومسة . وقال ثعلب : فرتنى : الامة .

يقول : أنظر إليه كيف خدعته الأوضاع المختلفة والأصول المنتحلة ، فحكمها في نفسه وسلطها على عمله ، مع أنه هو الذى اخترعها ولم تكن موجودة ، وانتحلها ولم تكن معروفة ، وأتخذ منها لنفسه قيوداً وأغلالاً تعوقه عن الخير ، وتثنيه عن الكمال ، جعل في الناس أحراراً وعبيداً ، وفرق بين ابن الحرة وابن الأمة في الحكم ، وباعد بينهما في نظر العقل . وما أرى بينهما فرقاً : كلاهما إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . فرق بين المخصنة والزانية ، وأخذَ بينهما بحكمهما ، فأخذ ابن الزانية بجناية أمه ، وربما كان خيراً فاضلاً . ومدح ابن المخصنة بطهارة أمه ، وربما كان شريراً آثماً .

ما أضلَّ عقله وأسفه رأيه وأجدره أن يتخلص من هذه الأغلال !

- ١٧ ( وَلِي مَوْرِدٌ يَا نَاكَ الْمَنُونُ وَلَكِنَّ مِيقَاتَهُ مَا أَنَّى )  
 ١٨ ( زَمَانٌ يُخَاطَبُ أَبْنَاءَهُ جِهَارًا وَقَدْ جَهَلُوا مَا عَنَى )

المورد : حيث ترد من الماء ، أو وقت أن ترد إليه ، للكان والزمان . والمعنى على الوجهين مستقيم . أى لى مكانى بين الواردين ، أولى ساعتي . كما قد يجوز أن يكون « المورد » بمعنى « الورود » . والإناء ، ممدود : واحد الآنية ، وهو ما يرتفق به ، وهو لما يطعم فيه أعرف . أى إنه ذائق المنون وطاعمه ، إذ له مكانه بين الطاعمين وحينه .

والمنون : المنية . وقد مرّت <sup>(١)</sup> . والميقات : الوقت المضروب للفعل ، والموضع أيضاً . وأنى : حان ، وفي حديث الهجرة : « هل أنى الرحيل ؟ » أى حان وقته .

( ١ ) شرح البيت ١٩ الزومية ٣٤ ص ٢١٤ من هذا الجزء .

وجهاراً : أى علانية . يقال : جاهره بالأمر مجاهرة وجهاراً ، إذا علته . ويريد بمخاطبة الزمان أبناءه : تصرفه فيهم بأحداثه . وما عني ، أى ما قصد إليه .

يقول : انظر إليه بطراً أشيراً ، يُحب الحياة ويرغب فيها ، حتى إذا طالت له أنفقه في الزور والخنأ ، وأمضاها في الإنم والفجور . انظر إليه كيف نسي نصيبه من الموت حين حُجب عنه وخفي عليه ، فظن أنه خالد لن يموت ، وأنه لا يفنى ؛ حتى إذا ظهر خطؤه وبان خطله تقطَّع قلبه حزناً لفراق الحياة ، وتفرقت نفسه فزعاً من لقاء الموت . ولو قد كان متبصراً في الأمور ، مستقصياً لعواقبها ، لكان بنجوة من هذا الفرع وذلك الحزن . انظر إليه كيف أصمَّ أذنيه عن هذا الصوت المرين ، وكيف غفل عما يقدم الدهر إليه من آيات بينة وحُجج ناصعة ، تُظهر له غروره واضحاً ، وفُتونه جلياً .

- ١٩ ( يُبَدِّلُ بِالْيُسْرِ إِعْدَامَهُ وَتَهْدِمُ أَحْدَانُهُ مَا بَنَى )  
 ٢٠ ( لَقَدْ فُزْتُ إِنْ كُنْتُ تُعْطَى الْجَنَانُ بِمَكَّةَ إِذْ زُرْتَهَا أَوْ مَنَى )

التبديل : التغير ، وإن لم تأت ببدل ، إذ الأصل فيه تغيير الشيء عن حاله . أما الإبدال ، فهو جعل شيء مكان شيء آخر . وقال ثعلب : أبدلت الخاتم بالحلقة ، إذا نَحَّيْتُ هذا وجعلت هذا مكانه ؛ وبدلت الخاتم بالحلقة ، إذا أذبتة وسوَّيته حلقة ؛ وبدلت الحلقة بالخاتم ، إذا أذبتها وجعلتها خاتماً . ثم قال : وحقيقته أن التبديل : تغيير الصورة إلى صورة أخرى ، والجوهرة بعينها . والإبدال : تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى . ومنه قول أبي النجم :

\* عَزَلُ الْأَمِيرِ لِلْأَمِيرِ الْمُبْدَلِ \*

ألا ترى أنه نَحَّى جسماً وجعل مكانه جسماً غيره .



وقد جعلت العرب « بدلت » بمعنى « أبدلت ». ومنه قوله تعالى ( أولئك يُبدّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) ألا ترى أنه قد أزال السيئات وجعل مكانها حسنات . وقول أبي العلاء هنا من هذا .

واليسر : ضدّ العسر . والإعدام : الافتقار . أعدم الرجل ، وأعدمه غيره . و« بمكة » أى بسبب زيارتك مكة . ومنى ، بالكسر : فى درج الوادى الذى ينزله الحاج وتُرْمَى فيه الحجارة من الحرم ؛ سُمِّيَ بذلك لما يُمْنَى به من الدماء ، أى يراق .

يقول : انظر إليه كيف خدعته أوهامُ الأقدمين ، وأضلته أساطيرُ الأولين ، وأتخذ لنفسه شرائعَ مكتوبة ، وطُقُوساً من العبادة ظاهرة ، يزعم أنها تدخله الجنة وتقصمه من النار . لقد فُزَتْ أيها الشقيّ التّعس إن صدقتك هذه الأوهام ، وصحّت لك هذه الوعود . فُزَتْ بالجنة ونعيمها ، وبرئت من النار وجحيمها ، بزيارتك لتلك الأحجار القائمة ، والأبنية المائلة بمكة ومنى .

## اللزومية السادسة والثلاثون

وقال أيضاً في الألف مع الرّاء والسين . ويجوز أن يجعل الرّوى الرّاء ، فيكون الذى لُزِمَ « سيناً » لا غير :

(بِعِلْمِ إِيَّاهِ يُوجَدُ الضَّعْفُ شَيْمَتِي فَلَسْتُ مُطِيقًا لِلْعُدُوِّ وَلَا الْمَسْرَى)

الإله : الله عزّ وجلّ . وكل ما اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ مَعْبُوداً : إله عند متخذه .  
والجمع : آلهة . وأصل « إله » : ولاه . فقلبت الواو همزة . ومعنى « ولاه » أن  
الخلق يُولَهُونَ إليه في حوائجهم ويضرعون إليه في كل ما يُنُوبُهُمْ ، كما يُولِه كل  
طفل إلى أمه .

والشَّيْمَة : الطبيعة . والهمزة فيها لَفَيَّة ، وهى نادرة . وتَشْتَمُّ أَبَاهُ : أشبهه فى  
شَيْمَتِهِ . وظاهر أنه يُشِيرُ إلى قوله تعالى فى سُورَةِ النَّسَاءِ : ( وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ  
ضَعِيفًا ) . والإِطَاقَة : القُدْرَة على الشَّيْءِ ؛ يقال : طاق الشَّيْءَ ، وأطاقه ، وأطاق  
عليه . والعُدُوْ : نَقِيضُ الرِّوَا ح ، وهو سَيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ . والمَسْرَى والشَّرَى ،  
بمعنى ، وذلك إذا سرت ليلاً .

يقول : بِعِلْمِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ خُلِقْتُ وَالضَّعْفُ لى طَبِيعَةٍ ، وَالْعَجْزُ فى غَرِيْزَةٍ ،  
لَا أَسْتَطِيعُ عُدُوًّا وَلَا رَوَا حًا ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى سُرَى وَلَا إِدْلَاجٍ .

٢ ( غَبَرْتُ أُسِيرًا فى يَدَيْهِ وَمَنْ يَكُنْ لَهُ كَرَمٌ تُكْرِمُ بِسَاحَتِهِ الْأَسْرَى )

غَبَرَ يَغْبُرُ غُبُورًا : مكث ، وذهب ، فهو من الأضداد . والمعنى هنا على  
البقاء والمكث .

والأسير: الأخيذ، وإن لم يُشدَّ بالإسار، وهو القيد. وقيل: هو كل محبوس في قيد أو سجن. والأصل في المعنى: القوة والحبس. يُشير إلى ارتهان العباد بأعمالهم فكانهم الأسرى يرقبون ما سينالون من خير أو شر. يقول: لقد أصبحت في يده أسيراً بائساً، وذليلاً ضارعاً، أحوج ما أكون إلى فضل من عَفْوه، ونافلة من كَرَمه.

٣ (أَصْبَحُ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ عَالِمٌ وَأَدْخُلُ نَارًا مِثْلَ قَيْصَرَ أَوْ كِسْرَى)

كما هو عالم، أى على حال من الحرمان والعجز، أو من الورع والزهد. وقيصر: ملك الروم. وكسرى: ملك الفرس. قال ابن قُتَيْبَةَ: هو بكسر الكاف ولا تُفتح. وقال ابنُ السِّيد: الفتح والكسر فيه جائزان. وأبو حاتم يختار الكسر. والمبرد يختار الفتح. والنسبة إليه كسرى، وكسروى، بكسر الكاف فيهما، ولا يُقال بالفتح في النسب. ضربهما مثلين للقوة والعزة، أو للتمرد والعصيان.

يقول: ليس يصح في قضية العقل أن أفضى أيتامى في هذه الحياة مؤثماً مكتوفاً، لا أملك لنفسى نفعاً، ولا أدفع عنها ضرراً، ثم أُكَلَّف العمل في الطاعة والجد في العبادة، حتى إذا لم آت ما أنا عاجز عنه قيل: لتدخل النار كما دخل غيرك من العصاة المفسدين، والطغاة المجرمين، وإن بني وبينهم لفرق ما بين العاجز والقادر، أو القوى والضعيف.

- ٤ (وَإِنِّي لَأَرْجُو مِنْهُ يَوْمَ تَجَاوَزُ فَيَأْمُرُ بِذَاتِ الْيَمِينِ إِلَى الْيُسْرَى)
- ٥ (إِذَا رَأَوْا كِبَ نَالَتْ بِهِ الشَّأْوُ نَاقَةً فَمَا أَتْنَقِي إِلَّا الظَّوَالِعُ وَالْخُسْرَى)
- ٦ (وَإِنْ أَغْفَ بَعْدَ الْمَوْتِ مِمَّا يَرِيُنِي فَمَا حَظِّي إِلَّا ذَنْبِي وَلَا يَدِي الْخُسْرَى)

التَّجَاوَزُ : العَفْوُ . تقول : اللهم تجاوز عني ، أى اغف . ومثلها : تَجَوَّزْ عَنِّي . ويريد بـ « يوم تجاوز » : يوم المغفرة والعفو ، وهو يوم الحساب . ويُشير بـ « ذات اليمين » إلى قوله تعالى في سورة الواقعة : ( وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ) . وَالْيُسْرَى ، أى الفلاح والخير . يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ اللَّيْلِ : ( فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ) وكأنه يريد الجنة التي هي من نصيب اليمين ، ثم هي يسرى لا عنت فيها ولا عسر . والشَّأْوُ : الغاية والأمد . والظَّوَالِعُ : التي تَعْرُجُ فِي مَشْيِهَا وَتَغْمِزُ ، الواحدة : ظالعة أوظالم ، وَصَفَ لِمُؤَنَّثٍ ؛ إِذْ هِيَ مِمَّا يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ ، فَإِنْ كَانَتْ لِلْمُؤَنَّثِ فَعَلَى النَّسَبِ ، وَإِنْ كَانَتْ لِلْمَذْكَرِ فَعَلَى الْفِعْلِ . وَخَصَّ الْجَوْهَرِيُّ بِهَا الْمَذْكَرَ وَجَعَلَ الْأُنْثَى بِالْهَاءِ : ظالعةً . وَالْخُسْرَى : جمع حَسِيرٍ ، الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى سَوَاءٌ : وَهِيَ الَّتِي أَصَابَهَا الْإِعْيَاءُ وَالْكِلَالُ .

وَأَغْفَاهُ مِنَ الشَّيْءِ : خَلَّاهُ عَنْهُ وَطَرَحَهُ . وَرَأَاهُ الْأَمْرُ : سَاءَهُ وَأَزْجَحَهُ وَرَأَى مِنْهُ مَا يَكْرَهُ . يَرِيدُ : مَا هُوَ فِي شَكٍّ مِنْهُ مِنْ أَمْرِ الْجَزَاءِ ، فَهُوَ لَهُ قَلَقٌ حَاطِرٌ . أَيْ إِنْ وَثَقْتُ بِعَفْوِ اللَّهِ زَالَ نَصَبِي وَعَنَانِي .

وَالْأَدْنَى : الْأَخْسَرُ . وَالْخُسْرَى : أَنْثَى الْأَخْسَرِ ، الَّذِي وُضِعَ فِي تِجَارَتِهِ أَوْ غَنٍ . وَصَفَتْ بِهِ الْيَدَ ، إِذْ هِيَ جَارِحَةُ الْكَسْبِ وَالْعَمَلِ . وَعَلَيْهِمَا الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ . أَيْ لَنْ أَكُونَ مِنَ الْأَدْنَى حِظًّا ، وَلَا مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .

يقول : لئن زعم الناس أن لهم قوة وقُدرة ، وأن لهم بأساً وبطشاً ، وأنهم قادرون على ما كُلفوا ، ما لكونِ إِمّا ندبوا إليه ، ما أعرف إلا أنني عاجزٌ ضعيف ، قد برئتُ من الحول والطول ، وعجزت عن الدقيق والجليل . ولئن وقف الناس أنفُسهم موقِفَ اليأس والقنوط ، فأستيقنوا بسوء العاقبة ، حين اعتقدوا في أنفسهم القوة ، إني لكبير الأمل عظيم الرجاء ، أنتظر أن ينالني عفو الله عن ضعيف عاجز ، فيأمر بي إلى جنة حيث ينعم الأبرار من أصفياه . ذلك رجاء أرجوه ، وأمنية أبتغيها ، وما أراني إن ظفرتُ بها إلا الموفق السعيد .

## فصل الباء

## اللزومية السابعة والثلاثون

قال أبو العلاء في الباء المضمومة مع العين :

١ ( يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْمَمَاتِ وَكَوْنِهِ إِرَاحَةً جِسْمٍ أَنَّ مَسْلَكَهُ صَعْبٌ )

المسلك : الطريق . سلك المكان ، وسلكه غيره وفيه ، وأسلكه إياه وفيه وعليه .

ويريد بالمسلك : الحياة الدنيا .

يقول : لا تَحْقِرْ الموت ولا تَرْهَدْ فيه ، ولكن أَكْبِرْهُ وَأُسْعِ إليه ؛ فإنه خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ مَطْعَمًا لِلنَّفْسِ الْكَبِيرَةِ وَالْقَلْبِ الْمُطْمَئِنِّ . وَآيٌ دَلِيلٌ عَلَى شَرْفِهِ وَفَضْلِهِ أَوْضَحُ مِنْ صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّا إِنَّمَا نَسْلُكُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْحَيَاةَ ، مُحْتَمِلِينَ أَهْوَالَهَا ، مُتَجَسِّمِينَ خُطُوبَهَا ، مُتَجَرِّعِينَ غُصَصَهَا ، أَبْتِغَاءَ رَاحَتِهِ الدَّائِمَةِ ، وَدَعَتِهِ الْخَالِدَةِ ، فَهُوَ كَالْمَجْدِ الْمُؤَنَّلِ ، لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْجُهْدِ وَالْمَشَقَّةِ .

٢ ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَجْدَ تَلَقَّاكَ دُونَهُ شِدَائِدٍ مِنْ أَمْثَالِهَا وَجَبَ الرُّعْبُ )

٣ ( إِذَا افْتَرَقَتْ أَجْزَاؤُنَا حُطَّتْ ثِقَلُنَا وَنَحْمِلُ عِبْنًا حِينَ يَلْتَمِسُ الشَّعْبُ )

تلقاك : تصادفك وتواجهك . ودون : كلمة في معنى التحقير والتقريب . يكون ظرفاً في نصب ، ويكون اسماً فيدخل حرف الجر عليه . وقال القراء : دون ،

تكون بمعنى « على » ، وتكون بمعنى عَلَّ ، وتكون بمعنى « عند » ، وتكون  
إغراء ، وتكون بمعنى أقل من ذا ، وأنقص من ذا .

والثُّقُل : الحِمْلُ الثَّقِيل . والعِبء ، بالكسر : الحِمْل والثُّقُل . والالتئام :  
الأجتماع والاتصال . والشَّعْب : الصَّدْع والتَّفَرُّق ، ويكون بمعنى الإصلاح أيضاً .  
وليس مراداً هنا . ويُشير بافتراق الأجزاء : إلى الموت وما معه من انحلال الجسم .  
وبالتئام الشعب : إلى الحياة الدنيا ، أى ما قبل الموت : وقد ذكر ذلك قبل . كما  
قد يكون أراد الحياة الأخرى بعد المات ، وما وراءها من أهوال وشدائد .

يقول : أجل ، إنَّ الموت لراحة ، وإنَّ الحياة لتعب ، وإنَّ في افتراق الأجزاء  
بعد الموت لتخفيفاً من ثقل شديد ، كما أن في التئامها تحملاً لعبء عظيم .

٤ ( وَأَمْسِ ثَوَى رَاعِيكَ وَهُوَ مُودَّعٌ  
وَلَوْ كَانَ حَيًّا قَامَ فِي يَدِهِ قَعْبٌ )

أَمْس ، من ظروف الزمان ، مبنية على الكسر ، إلا أن ينكر أو يعرف .  
وربما بُنِيَ على الفتح . والنسبة اليه : إِمْسِيٌّ ، على غير قياس . قال الكسائي :  
وإذا أضفته أو نكرته ، أو أدخلت عليه الألف واللام للتعريف ، أجرته بالإعراب .  
وقال الفراء : ومن العرب من يخفض « الأمس » وإن أدخل عليه  
الألف واللام .

وثوى : هلك . ومنه قولُ الكُمَيْت :

وما ضَرَّها أن كعباً ثَوَى وفَوَّزَ من بعده جَرُولُ

والراعى : الذى يرمى الماشية ويحوطها ويحفظها ، صفة غالبية غلبة الاسم . وهو  
الوالى أيضاً . إلا أن المراد هنا الأول ، لذكره « القعب » آخرأ ، وهو من لوازمه .  
وأكثر ما يُقال فى جمع الأول : رِعاء ؛ وفى جمع الثانى : رُعاة .

ولعله خصه بالذكر لطول عنائه وأتصال جهده وتخلُّفه فى الحياة ، حتى كان  
مُضْرِب المثل بذادةً وحقارةً . وفى حديث عمر : « كأنه راعى غنم » . وفى  
حديث الإيمان : « حتى ترى رِعاء الشاء يتطاولون فى البُنْيَان » . فكان لذلك  
بالموت أنها وأنعم .

وهو مودَّع ، أى قد تُرِكَ واطُرِح حيث قُبر وهو بحاله فى الدنيا أوفى . فقد  
مات كما عاش محموراً . والأصل فى « التوديع » الترك . ومنه الحديث : « إذا لم يُنكر  
الناس المنكر فقد تُودَّع منهم » . أى أهملوا وتركوا وما يرتكبون من المعاصى .

و « كان » تكون بمعنى مضى وتقضى ، وهى التامة ؛ وتأتى بمعنى اتصال  
الزمان من غير انقطاع ، وهى الناقصة . ويعبر عنها بالزائدة أيضاً ؛ وتأتى زائدة ؛  
وتأتى بمعنى « يكون » فى المستقبل من الزمان ، وتكون بمعنى الحدوث والوقوع .  
ومن شواهداها بمعنى « يكون » للمستقبل قولُ الطرماح بن حَكيم :

وإِنِّ لَأَتِيكُمْ تَشَكُّرٌ مَامَضَى مِنْ الْأَمْرِ وَاسْتَنْجَازَ مَا كَانَ فِي غَدٍ

وقولُ سَلَمَةَ الْجَعْفِيِّ :

وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ سَاعَةٍ فَكَيْفَ بَيْنَيْنِ كَانَ مِيعَادُهُ الْحَشَرَا

وعليه أيضاً بيت أبى العلاء هذا . كما قد تكون هنا أيضاً بمعنى « صار » .

والقعب : القدح الضخم الغليظ الجافى ، وهو بالراعى أشبه . وقال ابن الأعرابى :  
وأول الأقداح : العُمَر ، وهو الذى لا يبلغ الرى ؛ ثم القعب ، وهو قد يُروى  
الرجل ، وقد يروى الاثنين والثلاثة ؛ ثم العُس .



يشير إلى ما هو مأثور من أن الإنسان يُبعث على حاله التي قبض عليها . وليس شيء ألزم للراعي من قَعْبِهِ .

يقول : انظر إلى هذا الراعي الكدود ، ما ينفكّ عاملاً مجتهداً في حياته . حتى إذا مات سكنت حركته وأطمأن جسمه ، وارتاح بعد العناء . وما أحسبه لو خُير بين الموت والحياة ، وقد ذاق أولهما ، إلّا مؤثراً للحمام ، ومختاراً للفناء .

## اللزومية الثامنة والثلاثون

وقال أيضاً في الباء المضبوطة مع النون :

١ ( لِيَشْغَلَكَ مَا أَصْبَحْتَ مُرْتَقِبًا لَهُ )

عَنِ الْعَيْبِ يُبْدَى وَالْحَلِيلُ يُؤَنَّبُ (

٢ ( فَمَا أَذْنَبَ الدَّهْرُ الَّذِي أَنْتَ لَا أَمَّ )

وَلَكِنْ بَنُو حَوَّاءَ جَارُوا وَأَذْنَبُوا )

ليشغلك ، اللام للأمر ، وهي جازمة للمضارع بعدها . وحركة هذه اللام الكسر ؛ ويجوز تسكينها بعد الواو والفاء وثم . والتسكين بعد الأولين أشهر . وأكثر ما تدخل هذه اللام على مضارع الغائب . ويقال دخولها على مضارع المتكلم والمخاطب .

والارتقاب : الانتظار ، ويريد بهذا الشيء المرتقب : الموت . والعيب : الوصمة . ومثله : العاب ، والعيبة .

والخليل : المحب الذي ليس في محبته خلل ، قد أصفى المودة وأصحها . مرفوع على الاستثناف . وفي رواية : « عن العيب يبدو والخليل يؤنب » . والتأنيب : أشد العذل ، وهو التوبيخ والتثريب . وفي حديث طلحة أنه قال : « لما مات خالد بن الوليد استرجع عمر . فقلت : يا أمير المؤمنين

أَلَا أَرَاكَ بُعِيدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي وَفِي حَيَاتِي مَا زُوْدَتْنِي زَادِي

فقال عمر : لا تؤنبنى » . ومنه أيضاً حديث الحسن بن علي لما صالح معاوية ،

فَقِيلَ لَهُ : « سَوَدَّتْ وَجوهُ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ : لَا تُؤْنِبْنِي ». كُلُّ هَذَا بِمَعْنَى الْمُبَالَغَةِ فِي التَّوْبِيخِ وَالتَّعْنِيفِ .

وَجَارٍ : ظَلَمَ وَجَاوَزَ الْقَصْدَ . وَمَا أَشَبَّهُهُ بِقَوْلِ الْآخِرِ :  
يَقُولُونَ الزَّمَانُ بِهِ فَسَادٌ وَهُمْ فَسَدُوا وَمَا فَسَدَ الزَّمَانُ

يَقُولُ : فِيمَ تَعِيبُ النَّاسَ وَتَتَّبَعُ زَلَّاتِهِمْ ! وَعَلَامَ تُؤْنِبُ الصَّدِيقَ وَتُكْثِرُ الْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ ! وَمَاذَا جَنَى عَلَيْكَ الدَّهْرُ فَأَنْكَرْتَ ؟ أَوْ قَدَّمْتَ لَكَ الْأَيَّامَ مِنَ الشَّرِّ فَأَنْتَ لَهَا كَارِهِ وَعَلَيْهَا عَائِبٌ ؟ لَقَدْ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تُشْغَلَ بِمَا أَصْبَحْتَ مُنْتَظِرًا لَهُ مِنْ مَوْتٍ وَاقِعٍ ، لَيْسَ لَهُ مِنْ دَافِعٍ ، عَنْ تَتَبُعِ الْعُيُوبِ وَتَأْنِيبِ الْأَصْدِقَاءِ . وَلَقَدْ كُنْتَ حَاجِيًا أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ ، وَتَعْتَرِفَ بِسَيِّئَاتِهَا ، لَا أَنْ تَجْهَلَهَا وَتَحْمَلَ جُنَايَاتِهَا عَلَى الزَّمَانِ ، وَأَتَانَهَا عَلَى الْأَيَّامِ . مَا أَذْنِبَ الدَّهْرُ ، وَلَا جَنَّتِ الْأَيَّامُ ، وَإِنَّمَا نَحْنُ الْمَذْنُوبُونَ الْجَانُونَ .

٣ (سَيَدْخُلُ يُبَيِّنُ الظَّالِمَ الْخُتْفُ هَاجِمًا وَلَوْ أَنَّهُ عِنْدَ السَّمَاءِ مُطْنَبٌ)

الْخُتْفُ : الْمَوْتُ . وَجَمْعُهُ : خُتُوفٌ ، وَلَا يُدْنَى مِنْهُ فِعْلٌ . وَقَوْلُ الْعَرَبِ : مَاتَ فُلَانٌ حَتَفَ أَنْفَهُ ، نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ ، كَأَنَّهُمْ تَوَهَّمُوا « حَتَفَ » وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلٌ .

وَالسَّمَاءُ : أَحَدُ سَمَاكِينَ ، هِيَ الْأَعْزَلُ وَالرَّامِحُ . وَقَدَمَرٌ <sup>(١)</sup> . وَمُطْنَبٌ ، أَيْ مَشْدُودٌ بِالْأَطْنَابِ ، وَهِيَ حِبَالُ الْأَخْيَةِ . جَعَلَ الْبَيْتَ كَأَنَّهُ مِنْ شَعَرٍ ، وَإِنْ كَانَ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا وَعَلَى غَيْرِهِ . أَوْ لَعَلَّهُ أَرَادَ بِالتَّطْنِيبِ : التَّمَكِينَ لِلْبِنَاءِ عَامَةً ، فَتَوْسُّعٍ . يَقُولُ : أَنْظِرْ إِلَى هَذَا الظَّالِمِ فَقَدْ غَرَّهَ سُلْطَانُهُ ، وَأَطْغَاهُ بَطْشُهُ ، فَظَنَّ بِنَفْسِهِ

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٥ ص ١٦٩ من هذا الجزء .

الخُلُود ، وأَسْتَبْعِدَ عليها الموت . وإن الموتَ لَمُدْرَكه أين كان ، ولو أُنْخِذَ نَفَقًا في الأرض أو سُلِمًا في السماء .

٤ ( وَقَدْ كَانَ يَهْوَى الطَّعْنَ أَمَّا قَنَاتُهُ

فَذَاتُ لَمَى وَالْخِرْصُ كَالثَّابِ أَشْنَبُ )

القناة : الرمح .

واللَمَى : سُمرَةُ الشَّفَتَيْنِ والثَّلَاثِ ، يُسْتَحْسَنُ . والضَّمُّ فيه لغة . وقيل : هي لغة أهل الحجاز . وَالْخِرْصُ ، مثْلَةُ الخاء : سنان الرُّمَحِ . وقيل : هو ما على الجُبَّةِ من السَّنانِ . وقيل : هو الرُّمَحُ نفسه ؛ والجمع : خِرْصَان . والأشْنَبُ : ذو الشَّنْبِ ، وهو ماء ورَقَّةٌ يجرى على الشَّعرِ ، أو هورِقَّةٌ وَبَرَدٌ وَعُذُوبَةٌ في الأسنانِ ، أو هو نُقْطٌ يبيض في الأسنانِ ، وقيل : هو حِدَّةُ الأنيابِ ، كالغَرْبِ تراها كالمِئْشَارِ . وذكروا أن رُوْبَةَ بن العجَّاجِ سُئِلَ عن الشنب وهو يأكل رُمَانًا ، فأخذ حَبَّةً وقال : هذا هو الشنب .

يقول : أَحَبُّ الظُّلْمِ وَرَغِبٌ فيه ، وَطَلَبَ العَنَفَ وَتَهَالَكَ عليه ، فما يَنْفَكُ فيه جادًا وعليه حَرِيصًا . لقد بُدِّلَ بَرَقَّةُ العواطفِ قَسْوَةَ القَلْبِ ، وَغِلْظَةُ الكَمِيدِ ، وَجَفَاءُ الطَّبَعِ ، حتى اسْتَبَدَّلَ بما يَعِشْتُمُهُ النَّاسُ مِنَ العَوَائِيِ الحِسانِ أدْوَاتِ الموتِ وآلاتِ الفناء . إنه ليرى في القناة اللَّذَنَةَ السَّمَّاءُ ، وفي سِنَانِهَا المَخْضُوبَ بالماءِ ، حَسَنَاءَ فائِئَةٍ ، يَضُمُّ إِلَيْهَا قَدَّهَا المِئَاسَ ، وَيَلْتَمِسُ ثَغْرَهَا الْأَشْنَبُ .

٥ ( وَدِرْعُ حَدِيدٍ عِنْدَهُ دِرْعُ كَعْبٍ

مِنَ الْوُدِّ وَأَسْمُ الْحَرْبِ هِنْدُ وَزَيْنَبُ )

الدَّرْعَ بِمَعْنِيهَا قَدْ مَرَّتْ <sup>(١)</sup> . والحديد ، معروف . وموقع الكلمة هنا تمييز ذات للدَّرْع . وهو مما يجوز جره بالإضافة . والكاعب : الجارية نُهْدَ تَنْدِيْهَا . ومثله : كعاب ، ومُكْعَب . وجمع الكاعب : كواعب .

والود ، مثلثة الواو : المودة والحب ، يكون في جميع مداخل الخير . و « من الود » في مكان : ودًا وهوى . فكأن ذلك قد لاط بقلبه ولا منصرف له عنه . وهند وزينب : من بين الأسماء التي شَبَّبَ بها الشعراء . يقول : إنه ليهوى الحرب ويكلف بها ، ويراهها هنده وزينبه .

٦ ( وَيَطْوِي الْمَلَا بَعْدَ الْمَلَا فَوْقَ كَوْرِهِ  
إِذَا الْعَيْسُ تُزْجَى وَالسَّوَابِقُ تُجْنَبُ )

الملا : جمع ملاة ، وهي الفلاة ذات الحرِّ . وقيل الملا : واحد ، وهو الفلاة . وقال الأزهري : وأما الملا : المتسع من الأرض ، فغير مهموز ، يُكْتَبُ بِالْأَلْفِ وَالْيَاءِ ، وَالْبَصْرِيُّونَ يَكْتُبُونَهُ بِالْأَلْفِ . وطىُّ الملا : قَطْعُهُ وَمُجَاوِزَتُهُ . والكور : الرَّحْلُ بِأَدَاتِهِ . والعيس : الإبل تَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ . وقيل : هي البيض مع شُقْرَةٍ يَسِيرَةُ . واحداها : أعيس . والأنثى : عيساء . وتُزْجَى ، أى تُسَاق وتُدْفَع . وقيل : هو السوق اللَّيْن . والسَّوَابِقُ : الخيل المتقدِّمة في الجري السريعة . وتُجْنَبُ ، أى تُقَادُ إِلَى جَنْبٍ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمْتَطُونَ الْإِبِلَ وَيَقُودُونَ الْخَيْلَ .

يقول : إنه لَيَقْطَعُ إِلَيْهَا الْمَهَامَةَ وَيَتَجَشَّمُ الْبَيْدَ ، وَيَمْتَطِي الْأَيْدَ مِنَ الْخَيْلِ وَالنُّوْقِ ، وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ وَادْعُونَ مُطْمَئِنُّونَ . إنه ليفعل ذلك كله فيزعج الآمن ويروِّعُ الْمُطْمَئِنِّ ، وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ شَرًّا وَإِمَامًا . ثم أنتم بعد ذلك أَصِمُّونَ الْأَيَّامَ

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية الثانية ص ٦٦ من هذا الجزء .

وَصُمَّتْهُ ، وَتَحْمِلُونَ عَلَيْهَا وَزْرَهُ ، وَتَسْبُونَهَا بِمَا كَانَ خَلِيقًا أَنْ يُسَبَّ هُوَ بِهِ .  
أَضْلَحُوا أَنْفُسَكُمْ فَقَدْ فَسَدَتْ ، وَبَصَرُوا ظَالِمَكُمْ فَقَدْ غَيَّرَهُ الْغُرُورُ .

٧ ( لَهُ مِنْ فِرْنِدٍ جَدُولٌ إِنْ أَسَّالَهُ

عَلَى رَأْسِ قِرْنٍ جَاشٍ بِالْدَّمِ مِذْنَبُ )

الفِرْنِدُ : وَشَى السَّيْفِ وَرَوْنَقُهُ . وَقِيلَ : هُوَ السَّيْفُ . وَقَدْ مَرَّ<sup>(١)</sup> . وَالْقِرْنُ :  
مَنْ يُقَارِنُكَ فِي الشَّدَّةِ وَالتَّبَطُّشِ .

وجاش : فار ، كما تَجِيشُ القدر عند الغليان . وكذلك يفعل الدم عند  
انبثاقه واندفاقه . والمِذْنَبُ . كهَيْئَةِ الْجَدُولِ ، يَسِيلُ عَنِ الرَّوْضَةِ مَاوُهَا إِلَى غَيْرِهَا  
فَيَفَرِّقُ مَاوُهَا فِيهَا . وَالتَّى يَسِيلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ مِذْنَبٌ أَيْضًا . جَعَلَ سِيلَانِ الدَّمِ مِنْ  
الْجِسْمِ عَلَى صَفْحَةِ السَّيْفِ مِنْ ذَلِكَ .

يقول : إِنَّهُ لَيَرَى فِي السَّيْفِ قَدْ صَفَا رَوْنَقُهُ ، وَخَلَصَ جَوْهَرُهُ ، وَتَلَأَلَا  
الْفِرْنِدُ فِيهِ ، جَدُولًا مِنَ الْمَاءِ نَقَى الصَّفْحَةَ . وَلَكِنَّهُ يَنْبَغُ عَنْ صُورَةِ الْمَوْتِ ،  
فَلَا يَكَادُ يُصَبُّ مِنْهُ عَلَى رَأْسِ الْقِرْنِ قَطْرَاتٌ ، حَتَّى يَنْبَسِطَ مِنْهُ جَدُولٌ مِنَ  
الدَّمِ الْمَزْبَدِ الْعَبِيطِ .

٨ ( وَلَيْسَ يُقِيمُ الظَّهَرَ حَنْبَهُ الرَّدَى قَوَامُ رُدَيْنِي وَطِرْفٍ مُحَبَّبُ )

أَقَامَ الشَّيْءَ وَقَوْمَهُ ، فِقَامٌ ، أَيْ اعْتَدَلَ وَأُسْتَقَامَ وَاسْتَوَى .  
وَحَنْبُهُ : حَنَاهُ وَقَوَّسَهُ . وَالرَّدَى : الْهَلَكَ . وَمَنْ تَحَنَّى هَرَمًا فَقَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية ٣٥ ص ٢٣٢ من هذا الجزء .

وَعُدَّتْ مِنَ الْهَلَاكِ . وَقَوَامٌ : مُسْتَقِيمٌ مُعْتَدِلٌ . يَرِيدُ « رَدِينِيَّ قَوَامٌ » وَهَذَا يَوْصِفُ ،  
وَالْإِفْلَاكَ انْتِفَاعَ بِهِ .

وَالْقَوَامُ ، أَيْضًا : الْقَامَةُ . يَرِيدُ : قَنَاةَ رَدِينِي . وَالرُّدَيْنِيَّ : الرُّمَحَ ، نِسْبَةً  
إِلَى أَمْرَأَةٍ كَانَتْ تُسَمَّى رُدَيْنَةَ ، كَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا السَّمْعُورِيُّ يُقَوِّمَانِ الْقَنَا  
بِحِطَّةِ هَجَرَ . وَالطَّرْفُ ، بِالْكَسْرِ : الْكَرِيمُ الْعَتِيقُ مِنَ الْخَيْلِ . وَقِيلَ :  
هُوَ الطَّوِيلُ الْقَوَائِمُ وَالْعُنُقُ ، الْمُطَرَّفُ الْأَذْنَيْنِ . وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي لَيْسَ مِنْ  
نِتَاجِكَ . وَالْجَمْعُ . أَطْرَافٌ وَطُرُوفٌ . وَالْأُنْثَى بَهَاءً . وَالْمُحَنَّبُ مِنَ الْأَفْرَاسِ :  
الَّذِي فِي وَظِيفَتَيْ يَدَيْهِ أَحْدِيدَابٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْأَعْوَجَاجِ الشَّدِيدِ ، وَهُوَ مِمَّا  
يُوصَفُ صَاحِبُهُ بِالشَّدَّةِ . وَقِيلَ : التَّحْنِيبُ فِي الْخَيْلِ : بُعْدُ مَا بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ مِنْ  
غَيْرِ فَحِجٍّ ، وَهُوَ مَدْحٌ . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

فَلَأَيًّا بِلَأَيٍّ مَا سَحَلْنَا وَلَيْدَنَا عَلَى ظَهْرٍ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ مُحَنَّبِ

يَقُولُ : أَرَشَدَهُ إِلَى أَنَّهُ يَمْتَدُّ إِلَى الْحَيَاةِ أَسْبَابًا سَيَقْطَعُهَا الْمَوْتُ ، وَأَنْ مَا يَدَّخِرُ  
مِنَ الْوَرَقِ وَالنُّضَارِ ، وَمَا يَحْتَمِلُ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْأَخْطَارِ ، وَمَا يَقْتَنِي  
مِنْ دُفْمِ الْخَيْلِ وَغُرَّهَا ، وَمِنْ قَوَارِحِ الْإِبِلِ وَبُزْلَهَا ، لَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ غَارَةَ الْأَيَّامِ ،  
وَلَنْ تَرُدَّ عَنْهُ صَوْلَةَ الزَّمَانِ . لَقَدْ عَجَزْتُ أَنْ تُقِيمَ قَدَّهُ الْمُنْحَنَى ، وَعُودَهُ الْمُنَادِ ،  
وَأَنَّهَا عَنْ دَفْعِ الْمَوْتِ لِأَضْيَاقٍ بَاعًا وَأَقْصَرَ ذِرَاعًا .

## اللزومية التاسعة والثلاثون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الذال :

- ١ ( نَقَمْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَلَا ذَنْبَ أَسْلَفْتُ      إِلَيْكَ فَأَنْتَ الظَّالِمُ الْمُتَكَذِّبُ )  
٢ ( وَهَبَهَا فَتَاةً هَلْ      عَلَيْهَا جِنَايَةٌ      بَعْنٌ هُوَ صَبٌّ فِي هَوَاهَا مُعَذِّبٌ )

قال الجوهري : نَقَمْتُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْقَمَ بِالْكَسْرِ ، فَأَنَا نَاقِمٌ : إِذَا عَتَبْتَ عَلَيْهِ .  
قال الكسائي : وَنَقِمَ ، بِالْكَسْرِ ، لَغَةٌ فِيهِ . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : نَقَمْتُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْقَمَ ، وَنَقِمْتُ عَلَيْهِ أَنْقَمَ . قَالَ : وَالْأَجُودُ : نَقَمْتُ أَنْقَمَ ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِي الْقِرَاءَةِ . وَنَقَمَ الشَّيْءُ وَنَقِمَهُ : أَنْكَرَهُ .

وَأَسْلَفْتُ ، أَيْ سَبَقْتُ بِهِ إِلَيْكَ وَقَدَّمْتُهُ . وَتَكَذَّبَ فُلَانٌ : إِذَا تَكَلَّفَ الْكَذْبَ ؛ وَعَلَيْهِ : زَعَمَ أَنَّهُ كَاذِبٌ ، وَمِنْهُ يَتَّعِزُّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : رَسُولُ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا      عَلَيْهِ وَقَالُوا لَسْتُ فِينَا بِمَا كُتِبَ

و « هَبَ » : أَحْسَبَ ، يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، وَلَا يَسْتَعْمَلُ مِنْهُ مَاضٍ وَلَا مُسْتَقْبَلٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى .

وَالصَّبُّ : الْعَاشِقُ الْمَشْتَاقُ . وَالْأَثَى : صَبَّةٌ . قَالَ سَيَبَوِيه : وَزَنَ « صَب » فَعِلَ ، لِأَنَّكَ تَقُولُ : صَبَبْتُ ، بِالْكَسْرِ . اسْتَنْقَلُوا الْجَمْعَ بَيْنَ بَاءَيْنِ مَتَحَرِّكَتَيْنِ فَأَسْقَطُوا حَرَكَةَ الْأُولَى وَأَدْغَمُوهَا فِي الْبَاءِ الثَّانِيَةِ . وَحَكَى اللَّحْيَانِيُّ فِيمَا يَقُولُهُ نِسَاءُ الْعَرَبِ ، عِنْدَ التَّأْخِيزِ بِالْأُخْذِ : « صَبُّ فَاصْبَبْ إِلَيْهِ ، أَرَقُّ فَارْقُ إِلَيْهِ » .  
يقول : لَقَدْ أَكْثَرْتَ لَوْمَ الدُّنْيَا ، وَأَطَلْتَ النِّعَى عَلَيْهَا ، وَزَعَمْتَ أَنَّهَا لَكِ



ظالمة، وعليك جائزة، وإليك مُسيئة. وما أرى أنها قد أقررت ذنباً، وأجترحت  
 إثماً. وما أعرف أنها ظلمتك أو أساءت إليك، إنما أنت الظالم لنفسك المُسيء  
 إليها، تُوردها موارد الشر، وتحملها محامل السوء، ثم تُكلف الأيام ما كنت  
 خليقاً أن تُكلفه نفسك، وتعيبها بما أنت فيه واقع. يلذ لك أن تتكذب عليها  
 وتصفها بما هي بريئة منه. ماذا جنت عليك الدنيا وبماذا أساءت إليك؟ كل  
 ذنبها عندك أنها حسناء فتانة وهيفاء خلابة، يستبنيك حسنها، ويستصبيك  
 جمالها، فأى ذنب لها في هذا الحسن؟ وأى جناية لها في كلفك بها وميلك إليها.

- ٣ ( وَقَدْ زَعَمُوا هَذِي النُّفُوسَ بَوَاقِيًا  
 تَشَكَّلُ فِي أَجْسَامٍ وَتَهْدَبُ )  
 ٤ ( وَتُنْقَلُ مِنْهَا فَالَسَّعِيدُ مُكْرَّمٌ  
 بِمَا هُوَ لَاقٍ وَالشَّقِيُّ مُشَدَّبٌ )  
 ٥ ( وَمَا كُنْتَ فِي أَيَّامِ عَيْشِكَ مُنْصِيفًا  
 وَلَكِنْ مُعْنَى فِي حِبَالِكَ تُجَذَّبُ )

الزعم: القول، يكون حقاً ويكون باطلاً. وتكون « زعم » بمعنى: كفل  
 وضمن، وبمعنى: قال، وبمعنى: وعد، وبمعنى: ظن. وبيت أبي العلاء من الأول.  
 وتشكَّل، أى تتشكَّل. وتهذب، أى تهذب، بمعنى تتنقى وتخلص من  
 أدرانها. ومنها، أى من الأجسام. يُشير إلى رأى القائلين بالتناسخ. ومُشدَّب،  
 أى مطروح مطرود منحنى.

والمُعْنَى : الذى قد تَجَشَّمَ العناء وقاساه . عَنَاه ، فَتَعْنَى . وقيل : المُعْنَى : الذى طال حَبْسُهُ ؛ ومنه قول الوليد بن عَقْبَةَ :

قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسَّدِّمِ الْمُعْنَى تَهْدَرُ فِي دِمَشْقَ وَمَا تَرِيمُ<sup>(١)</sup>

وَتُجَذَّبُ ، أى تُقَادَ غَيْرَ مُخْتَارٍ ، أى وتُغْلَبُ عَلَى أَمْرِكَ وَتُقَهَرُ . من قولك : جاذبته فُجَذِبَتْهُ ، أى غلبته فَبَانَ مَنَى مَغْلُوبًا .

يقول : عذيرى من أولئك الخدَّاعين للناس ، لِلضَّالِّينَ للعقول ، المتكذِّبين على الأغرار . لقد زعموا لهم أن نفوسهم خالدة ، وأنها لم تَهْبِطْ هذا العالمَ إلا لتُبْتَدِلَ وتُجَرَّبَ ، مُتَنَقِّلَةً فِيهَا من جسم إلى جسم ، مستفيدةً من هذا التنقُّلِ صلاحًا لها وتهذيبًا لأخلاقها ، وأن السَّعِيدَ من هذه الأنفس سَيَلْقَى من النِّعْمَةِ واللَّذَّةِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى وَصْفِهِ ، وأن الشَّقَى سَيَلْقَى من الألم والنقمة ما يُطَهِّرُهُ من أذناس المادَّةِ وأدرانها . كَلَّا ! ما أَحْسَبُ أن هذا حقٌّ ، وما أرى أنه صواب ، وما أعرف أَنَّنَا نَقْضِي أَيَّامَنَا مُخْتَارِينَ أحرارًا ، نَسْتَطِيعُ أن نُصْلِحَ نفوسنا ونُهْذِبَها ، ونَسْلُكَ بها إِلَى السَّعَادَةِ طريقًا مأمونًا . إِنَّمَا نَحْنُ عَبِيدُ مَقْهُورُونَ قَدْ أَوْثَقَتْ أَيْدِينَا وَأَرْجُلُنَا بِأَغْلَالِ مَتِينَةٍ وَأَمْرَاسِ مُحْكَمَةٍ ، فنحن نَرْسُفُ فِيهَا مَجْذُوبِينَ إِلَى مَا لَا نُحِبُّ ، مُكْرَهِينَ عَلَى مَا لَا نَرْضَى .

٦ ( وَلَوْ كَانَ يَبْقَى الْحَسُّ فِي شَخْصٍ مَيِّتٍ  
لَأَلَيْتُ أَنَّ الْمَوْتَ فِي الْفَمِ أَغْذَبُ )

آلَى إِيْلَاءَ : حَلَفَ . والألوة ، مثلثة الهمزة ، والألِيَّةُ والأَلِيَّاءُ ، كَلَّةُ الْيَمِينِ . والجمع : أَلَايَا . قال الشاعر :

(١) وقيل : المعنى فى هذا البيت : فحل لقيم إذا هاج حبس فى العنة ، لأنه يرغب عن فجلته .

قَلِيلُ الْأَلْيَا حَافِظٌ لِّيَمِينِهِ وَإِنْ سَبَقَتْ مِنْهُ الْأَلِيَةُ بَرَّتْ

يقول : ليس في هذه الحياة لنا خيرٌ ولا سعادة ، إنما هي الشرُّ الدائم والشقاء المقيم . وأقسم لو أنَّ للحسَّ في مَيِّتٍ بقاءً ، وللشعور فيه وجوداً ، لقد كُنَّا أحرى أن نَجِدَ لَطْعَمَ الموت من العذوبة وملاءمة الطَّبْع ما لا نَجِدُهُ في الحياة .

## اللزومية الممتدة الأربعين

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الدال :

١ ( لَعْمَرُكَ مَا بِي جُبْعَةٌ فَأَرْوَمَهَا

وإِنِّي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ لَمُجْدِبٌ )

٢ ( سَحَلْتُ عَلَى الْأَوَّلَى الْحَمَامَ فَلَمْ أَقْلُ

يُغْنِي وَلَكِنْ قُلْتُ يَبْكِي وَيَنْدُبُ )

العمر والعمر، لغتان فصيحتان ، فإذا أقسموا فقالوا : لَعْمَرُكَ ! فتحو لا غير .  
و « لعمرِكَ » يرفعونه بالابتداء ويضمرون الخبر . كأنه قال : لعمرِكَ قَسَمِي ،  
أو يميني ، أو ما أخلف به . والنُّجْعَةُ : المذهب في طلب الكلا في موضعه .  
وما بي نُجْعَةٌ ، أى ليس فيّ قوة أو رغبة على الذهاب للاتباع . ورام الشيء  
يَرُومُه رَوْماً ومراماً : طلبه . والمُجْدِبُ : الذى أصابه الجذب ، وهو المَحْلُ ،  
تَقْيِيزُ الخُصْبِ . وفي حديث الأُسْتَسْقَاءِ : « هَلَكْتَ الْمَوَاشِي ، وَأَجْدَبَتِ الْبِلَادُ » .  
أى قَحَطَتْ وَغَلَتْ الْأَسْعَارُ .

وحملك الشيء على الشيء : ذهابك مذهبه وجعلك إياه منه . والأوْلَى :  
الأقرب والأدْنَى . و « على الأولى » أى على أقرب الأمور من الحق وأدناها  
من الصواب . والنَّدْبُ : البكاء على الميت وتَعْدِيدُ محاسنه . ولم يُقَيِّدْهُ ابْنُ سِيْدِهِ  
بُبُكَاءٍ . أو هو من النَّدْبِ للجراح ، لأنه أحتراق وَلَدَع من الحزن .

يقول : لَعْمَرُكَ ! مالى في هذه الحياة أمل أَسْمُو إليه ، ولا رجاء أطمع فيه ،  
ومالى فيها راحة أبتغيها ، ولا لذة أكلّف نفسى لها العناء ، وإِنِّي على طول الأيام

وأختلافها ، وعلى بقاء الدهر وخلوده ، لمَجْدِبٌ مِن كل خير ، بَرِيءٌ من كل  
 صالحة . وما أرى أن شئ في هذه الحياة حَظًّا من سُرور ، ولا أن في هذه  
 الدنيا مَصْدَرًا لابتهاج ، إنما هي حُزن قد ضَرَبَ أَطْنَابَهُ ، ومدَّ رُواقه على كل  
 شئ . ألم تر إلى المَغْرورين المَفْتونين كيف يُسْمُون صِياح الحمام غِناء وتَغْرِيداً ،  
 وقد كان خليقاً أن يُسَمَّى بُكاء وإغوالاً .

٣ ( وَذَلِكَ أَنَّ الْحَادِثَاتِ كَثِيرَةً وَغَالِبُهُنَّ الْفَظُّ لَا الْمُتَحَدِّبُ )

حادثات الدهر : أموره المتكررة ، شبه النوازل . ومثل « الحادثة » في ذلك :  
 الحدث ، والحُدْثي ، والحَدَثَان ، وهي هنا لعموم ما يحدث . وغالبهن ، أى القاهر  
 فوقهن ، إما بشدته وعنفه ، أو بكثرة وشيوعه . وهو من سابقه .  
 والْفَظُّ : الغليظ الخشن الجافى . ويريد به : الفادح الباهظ . والمتَحَدِّبُ :  
 المتعطف الحانى ، وهو كذلك : المتعلق بالشئ الملازم له . وهو من الأول .  
 يريد ما كان من أمور الحياة رخاء هيناً ليناً .  
 يقول : فإن حوادث هذه الحياة كثيرة ، ومعظمها على الناس فظ غليظ ، وأقلها  
 الحذب الشفيق . فما أجدر أصوات هذه الحمام أن تكون بكاءً على المكروبين ،  
 ورثاءً للمنكوبين !

٤ ( وَكُلُّ أَدِيبٍ أَيْ سَيِّدَعِي إِلَى الرَّدَى )

مِنَ الْأَدَبِ لَا أَنَّ الْفَتَى مُتَأَدِّبٌ )

أديب : فَعِيل بمعنى مفعول ، من : أَدَبَ القوم يَأْدِبُهُم أَدْبًا ، إذا دعاهم إلى  
 طَعَامِهِ . وهو مما أَغْفَلْتَهُ المَعَايِم . وأكبر الظن أن أبا العلاء يُؤَوِّل إليه اللفظ

المعروف . والرّدى : الهلاك . جعله المأدبة التى سيطعم منها كل طاعم .  
و « لو أن الفتى متأذب » دفع لما قد يهيمه المتوهم من أن المراد بالأديب ، من :  
أدب ، بما يدعوّه إلى المحامد وينهاه عن المقابح .

يقول : وكيف ينعم الإنسان بحياة ، أو يسعد بلذة ! وهو لا يرى حوله  
إلا أديباً إلى مأدبة الموت، مدعواً إلى مائدته ، مكرهاً على أن يغشاها ويتزود منها .

## اللزومية الواحدة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

١ ( لَعَلَّ أَنْاسًا فِي الْمَحَارِبِ خَوْفُوا

بَأَيِّ كَنَاسٍ فِي الْمَشَارِبِ أَطْرَبُوا )

المحاريب : جمع محراب ، وهو صَدْرُ الْبَيْتِ وأكرم موضع فيه . وهو أيضاً : صدر المسجد وأشرف موضع فيه ، والقُبلة . ومُرَادُ أَبِي الْعَلَاءِ « بِالْمَحَارِبِ » المساجد عامةً ، من إطلاق الجزء على الكل ، أو خَصَّ تلك الأماكن من المساجد لشرفها وجُنُوح الْمُتَعَبِّدِينَ إِلَيْهَا . والآي : جمع آية ، وهي الجماعة من حُرُوف الْقُرْآن . وقِيلَ : هي الْعِبْرَةُ . وتُجْمَعُ أيضاً على : آيات ، وآياء ، وآيأي . وعَيْنُ « الْآيَةِ » ياء . قال الشاعر :

\* لَمْ يُبْقِ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ آيَائِهِ \*

فظهر العين في « آيائه » يدل على كون العين ياء ، وذلك أن وزن « آياء » أفعال ، ولو كانت العين واوًا لقال : آوائه ، إذ لا مانع من ظهور الواو في هذا الموضع . وقال سيبويه : موضع العين من « الآية » واو ، لأن ما كان موضع العين منه واو واللام ياء ، أكثر مما موضع العين واللام منه يا آن ، مثل : « شَوَيْتُ » أكثر من « حَيَّيْتُ » . قال : وتكون النسبة إليه « آوَوِيَّ » . وقال الفراء : هي من الفعل : فاعلة ، وإنما ذهب من اللام ، ولو جاءت تامة لجاءت آيية ، ولكنها خُفِّفَتْ .

والمشارب : جمع مَشْرَب ، وهو الوجه الذي يُشْرَبُ منه . ويكون موضعاً

ويكون مصدراً . يريد الحانات . وأطربوا ، أى فاضت بهم الخفة فاستخفوا من سواهم .

يقول : وَيَنحِ الْإِنْسَانُ ! مَا أَشَدَّ غُرُورَهُ ! وَكَثْرَ الرِّيَاءِ فِيهِ ! مَا أَعْظَمَ اخْتِدَاعَهُ بِالْأَسْمَاءِ وَالْأَشْكَالِ ! وَأَقَلَّ أَطْلَاعَهُ عَلَى الْحَقَائِقِ وَأَعْتِبَارَهُ بِالْمَوَاعِظِ ! لَقَدْ قَامَ مِنْهُ فِي الْمَحَارِيبِ أَنْاسٌ يَمْعُظُونَ وَيُخَوِّفُونَ ، وَيُنْذِرُونَ وَيُبَشِّرُونَ . فَفَتَنَهُ مُقَامُهُمْ وَخَدَعَهُ مَنَاطِقُهُمْ . وَلَوْ أَنَّهُ حَقَّقَ فِيهِمُ النَّظَرَ وَأَجَادَ عَنْهُمْ الْبَحْثَ ، لَمَا وَجَدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلَئِكَ الشَّرْبِ — يُطْرَبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْأَلْحَانِ وَيُغْدُوْنَهَا بِابْنَةِ الْحَانَ — فَرْقًا وَلَا خِلَافًا .

٢ ( إِذَا رَامَ كَيْدًا بِالصَّلَاةِ مُقِيمُهَا فَتَارَكُهَا عَمْدًا إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ )

الكيد : الخُبث والمكر ، وكذلك الاحتيال ؛ والمعنى مستقيم بها جميعاً . وعمداً ، أى بجد ويقين .

يقول : فَإِنَّ صَلَاةً لَا يُرَادُ بِهَا إِلَّا الْكَيْدُ وَالرِّيَاءُ ، لَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا شَيْئًا ، وَلَا تُغْنِي عَنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا . وَرَبَّمَا كَانَ مُعْتَمِدُ الْمَعْصِيَةِ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُتَكَلِّفِ الطَّاعَةِ .

٣ ( فَلَا يُمَسِّ فَخَّارًا مِنَ الْفَخْرِ عَائِدٌ إِلَى غُنْصُرِ الْفَخَّارِ لِلنَّفْعِ يُضْرَبُ )

٤ ( لَعَلَّ إِنَاءً مِنْهُ يُصْنَعُ مَرَّةً فَيَأْكُلُ فِيهِ مَنْ أَرَادَ وَيَشْرَبُ )

لا ، هى الطلبية نهياً ، أو الموضوعية لطلب الترك . وتختص بالدخول على الفعل المضارع ، وتقتضى جزمه واستقباله ، سواء كان المطلوب مخاطباً ، أو غائباً . وجزمها فعلى المتكلم المبدوءين بالهمزة والنون مَبْنِيَيْنِ للفاعل نادر ، ويكثر



جزمهما مبنيَّين للمفعول . وأمسى : للتوقيت بالساء ، وهو بالسياق أوفق ، لأن نهاية اليوم بمرسته . وفخّاراً ، أى مُدِلّاً بِنَفْسِهِ تِيَاهَاً بِهَا مُفَضَّلًا لَهَا . مبالغة من : فخره يَفْخُرُهُ ، إذا كان أخز منه وأكرم أباً أو أُمّاً . أو من . فخره عليه يَفْخَرُهُ ، إذا فضّله عليه في الفخر . وهو خبر « فلا يُمس » . و « عائد » أسمها . وعُنصر كل شيء : أصله . والفَخَّار : الخَرْفُ ، ومن التراب عُنصره . يشير إلى قوله تعالى في سورة الرحمن : ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ) . و « للنفع يُضْرَب » ، أى هذا حديث يُساق لِيُفِيدَ النَّاسَ مِنْهُ عِظَةً وَعِبْرَةً .

ولعل ، كلمة رجاء وطمع وشك . واللام في أولها زائدة . وهى مع لفظ الجلالة بمعنى التحقيق .

يقول : كُلُّ فِي نَفْسِهِ ضَالٌّ جَائِرٌ . يَسْلُكُ إِلَى الْفَنَاءِ الْمَطْلُوقِ سَبِيلًا قَدْ سَلَكَهَا النَّاسُ مِنْ قَبْلِهِ . هنالك في تلك الغاية الخالدة يَسْتَوِي التَّقَى وَالشَّقَى ، وَيَأْتَلُفُ الْخَيْرُ وَالشَّرِيرُ . ألا فلتعرفوا أنفسكم أيها الناس ، ولتكفوا من غروركم ، فإنما أنتم مادة تتشكّل أشكالاً مختلفة ، وتَتَصَوَّرُ صَوْرًا مُتَبَايِنَةً . لَا تَفْخَرُوا فَمَا أَعْرَفَ لَكُمْ فِي الْفَخْرِ حَقًّا . إنما أنتم من الْفَخَّارِ خُلِقْتُمْ وَإِلَى الْفَخَّارِ تَعُودُونَ . أَلَا رَبُّ فَاخِرٍ مِنْكُمْ قَدْ مَلَأَ قَمَهُ الْفَخْرُ ، وَقَدْ أُولِعَ بِمَا يُقَدِّمُهُ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْمَدْحِ وَالنَّشَاءِ ، قَدْ عَادَ إِلَى أَصْلِهِ وَرَجَعَ إِلَى مَادَّتِهِ بَعْدَ حِينٍ ، وَاتَّخَذَ النَّاسُ مِنْهُ الْآنِيَةَ يَتَذَلُّونَهَا فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، مُتَنَقِّلِينَ بِهَا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، وَمَنْ قُطِرَ إِلَى قُطْرٍ .

هـ ( وَيَحْمَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى وَمَا دَرَى

فَوَاهَا لَهُ بَعْدَ الْبَلَى يَتَغَرَّبُ )

درى : عرف وعلم . دريت الشيء دَرِيًّا ، ودَرِيًّا ، ودَرِيَّةً ، ودَرِيَانَا ، ودَرِيَاةً . وأدريته غيبي .

و « واه » تلهُف وتَلُوْذ . وقيل : أَسْتَطَابَة . ويُنَوِّن ، فيقال : واهّا لفلان !  
قال أبو النّجم :

. واهّا لريّا ثم واهّا واهّا ياليت عَيْنَاهَا لَنَا وفاها

قال ابن جني : إذا نونت فكأنك قلت : أَسْتَطَابَة . وإذا لم تنوّن فكأنك  
قلت : لا استطابة . فصار التنوين عِلْمَ التَّنْكِير ، وتركه عِلْمُ التَّعْرِيف .  
وَأُنْشِدُ الْأَزْهَرِيَّ :

وهو إذا قيل له وبها كُـلٌّ فإنه مُوَاشِكٌ مُسْتَعَجِلٌ

وهو إذا قيل له وبها قُلٌّ فإنه أَحْجَرُ به أن يَنْكُزَ

أى إنه إذا دُعِيَ لِذَنْفَعٍ عَظِيمَةٍ فَقِيلَ له : يا فلان ، نَكَلْ ولم يُجِبْ ؛  
وإن قيل له : كُـلٌّ ، أَسْرَعَ .

والتغرب : البعد والنزوح عن الوطن ، ويكون بمعنى الإتيان من قبل الغرب .

يقال : غرّب القومُ : إذا ذهبوا في المغرب ؛ وأغربوا : إذا أتوا الغرب ؛  
وتغربوا : إذا أتوا من قبل المغرب . والمعنى على التوجيهين جائز ، فقد يجوز أن  
يُصْنَعُ هنا ثم يُنْقَلُ ، كما يجوز أن يصنع هناك ثم ينقل إلينا .

يقول : ونحى له لو درى ما سيُصْنَعُ به ! أو عرف أنه سيَتَغَرَّبُ بعد موته ،  
فَتُنْقَلُ الآنيةُ الْمَتَخَذَةُ من جِسْمِهِ في الْأَقْطَارِ وَالْأَقَالِيمِ ، لَمَّا عُني بالفخر ولا هام به ،  
ولما كدّ نفسه وأشقّاها فيما تكلفه الحياةُ من آمال وأخطار .

## اللزومية الثانية والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الجيم :

١ ( إِذَا كَانَ إِكْرَامِي صَدِيقٍ وَاجِبًا      فَإِكْرَامُ نَفْسِي لَامَحَالَةً أَوْجَبُ )

المحالة : الحيلة ، ومنه قول أبي دؤاد يعاتب امرأته :

حاولت حين حرمتني والمرء يعجز لا المحالة

وأما قولهم : لا محالة من ذلك ، أى لا بد . قال الأزهرى : ويقولون في موضع « لا بد » : لا محالة .

يقول : ما بال أناس يؤثرون على أنفسهم فيشقون ليسعد الناس ، ويكيدون ليرتاح غيرهم ، معتمدين على قضايا كاذبة ، متمسكين بقواعد شائعة ، لا يؤيدوها عقل ولا يدعها دليل . قد خلطوا بين الحقوق ولم يحسنوا تقدير الأمور ؛ فزعموا أن إكرام الصديق واجب ، وأن إيثاره بالفضل حق محتوم . وذلك شيء لا شك فيه ، ولكن إكرام نفسي ينبغي أن يكون أوجب على ، وألزم لي من إكرام غيرى .

٢ ( وَأَحْلَفُ مَا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مُذَمَّمٌ      أَخُو الْفَقْرِ مَنَاوَالِ الْمَلِكِ الْمُحَجَّبِ )

ما : حرف نفى ، تعمل عمل « ليس » وقد تزايد الباء في خبرها . والنفي هنا منتقض « بإلا » فبطل عملها .

والمذمَّم : المذموم جداً . والمحجب ، أى الممتنع بقصره وحجابه . جعل أخا

الفقر مثلاً للتبذل والامتهان ، والمليك مثلاً للعزة والرفعة ، وخصه بالوصف ليكون أبعد فيما أراد .

يقول : لقد ضلّت العقول ، وسفّهت الأحلام ؛ وأقسم ما أرى الإنسان إلا خليفاً بالذم ، حريّاً بالعيب ، سواء في ذلك الفقير المُمتهن ، والمليك ذو الجلال .

٣ ( أَيْعَقِلُ نَجْمُ اللَّيْلِ أَوْ بَدْرُ تَمِّهِ فَيُصْبِحَ مِنْ أَفْعَالِنَا يَتَعَجَّبُ )

يعقل : يفهم ويميز والاستفهام هنا ليس على حقيقته ، بل هو للإنكار الإبطالي ، لأن ما بعد الهمزة غير واقع ؛ إلا إذا أولنا بعض مظاهر النجم والقمر ، فيكون المعنى للتعجب .

والنجم : ما نبت على وجه الأرض ، وما طلع من نجوم السماء . فميز ما أراد منهما بالإضافة إلى « الليل » . والنجوم في الليل أبين ما تكون للرأي ، فكانت إضافتها إليه .

ولعله أراد بالنجم « الثريا » فهو اسم لها عَمَ . يقولون : طلع النجم ، ويريدون « الثُّرَيَّا » . وإن أخرجت منه الألف واللام تنكّر ، فعوضته بالإضافة هنا ما فقده .

وقد ناط العربُ بالثرثيا أشياء ، فزعموا أن بين طلوعها وغروبها أمراضاً وعاهات ، في الناس والإبل والثمار . ومدة مغيبها ، بحيث لا تُبَصَّرَ في الليل ، نَيْفٌ وخمسون ليلة ، لأنها تخفى بقربها من الشمس قبلها وبعدها ، فإذا بعدت عنها ظهرت في الشرق وقت الصبح . لهذا كان إيرادها هنا أوفق .

أو لعل الرواية : « أتعقل نُجْمٌ » . يريد « نُجْمٌ » بضمّتين ، جمع نُجْمٌ ، فسكن

للشعر .

والبدر : القمر الممتلئ قد تم . والتم : التمام . والضمير فيه لليل . قال ابن  
 شميل : وليل التمام : أطول ما يكون من الليل . ثم قال : ويطول ليل التمام حتى  
 تطلع فيه النجوم كلها . ويكون أبو العلاء خصه بالذكر للتعجب الذي ذكره  
 في هذا البيت ، إذ كل فعل عَجَب يُغرى بالاحتفال له ، ويجمع النظارة حوله .  
 ولم يُبعد أبو العلاء ، عما ذهب إليه القدماء ، من ربط الحياة بذوات السماء .  
 والتعجب : أن ترى الشيء يُعجبك تظن أنك لم تر مثله . وكذلك أفعال  
 الأناسى عند المعرى .

يقول : ليت هذا النجم المتألق ، وهذا البدر المنير ، يَعْقِلان فيعجبا لِمَا وَقَعَ  
 فيه الإنسان من خَطَل الآراء ، وَسَفَه الأحلام .

## اللزومية الثالثة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

١ ( بَقِيتُ وَمَا أَدْرِي بِمَا هُوَ غَائِبٌ لَعَلَّ الَّذِي يَمْضِي إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ )

دَرَى ، من ذوات المفعول والباء في « بما » إمّا للإصاق ، وهو معنى لا يفارقها . وإما زائدة على المفعول . ومنه قوله تعالى : ( وَهُزِّيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ) . وقد مرَّ على « لعل » <sup>(١)</sup> شئ .

يقول : لقد قدَّر على البقاء . وحُجِبَ عَنِ الْغَيْبِ ، فأنا بالبقاء كَلِفَ ، وبما مضى جاهل . وربما كان الموت خيراً لى ، وأبقى على من الحياة ، أو ربما كان موت الإنسان إدناءً له من ربّه .

٢ ( تَوَدُّ الْبَقَاءَ النَّفْسُ مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى )

وطولُ بقاء المرءِ سُمٌّ مُجَرَّبُ )

٣ ( عَلَى الْمَوْتِ يَحْتَازُ الْمَعَاشِرُ كُلُّهُمْ )

مُقِيمٌ بِأَهْلِيهِ وَمَنْ يَتَغَرَّبُ )

٤ ( وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا مِثْلُنَا الرِّزْقَ تَبْتَغِي )

فَتَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ وَتَشْرَبُ )

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٤١ ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

الرّدى : الهلاك . والبيت فى معنى قول لبيد :

ودعوت ربى بالسّلامة جاهدًا لِيُصِحِّحَنِي فإذا السّلامةُ داء

وقول النّزّ بن تولب :

يَوَدُّ الْفَتَى طُولَ السّلامَةِ وَالتَّبَقَا فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السّلامَةِ يَفْعَلُ

ويجتاز : يسلك ويمجوز .

وما أشبه البيت الرابع بقول بعض المحدثين :

كالأرض لا تُطعم من فوقها إلا لكى تُطعم من تُطعمُ

يقول : لقد نُحِبُّ البقاء خوفاً من الموت . ولعمري ما البقاء إلا سُمّ ناقع ، قد  
مُلئ بأنواع الأمراض ، وألوان الآفات والعلل . ولو أن البقاء على كراهيته  
ميسور ، وانخلود على آلامه مُتّاح . لقد كان لنا أن نرغب فيه ؛ ولكن الموت  
واقع ، والحِمَامُ مُحْتَموم ، سواء فى حُكمه المُقيم والطّاعن ، والحاضر والبادى .

أجل ، إنّ الموت لواقع لا بُد منه ، وإنما نحن فى هذه الأرض غِذاء ،  
تَطْلُبُنَا على أن نكون لها طعاماً وريّاً ، كما نَبْتَذِلُ نحن غَيْرَنَا لهذين  
الغَرَضَيْنِ .

٥ ( وَقَدْ كَذَبُوا حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ أَنَّهَا تَهَانُ إِذَا حَانَ الشَّرُوقُ وَتَضَرَّبُ )

٦ ( كَأَنَّ هَلَالًا لَاحَ لِلطَّغْنِ فِيهِمْ حَنَاهُ الرَّدَى وَهُوَ السِّنَانُ الْمُحَرَّبُ )

٧ ( كَأَنَّ ضِيَاءَ الْفَجْرِ سَيْفٌ تَسْلُهُ عَلَيْهِمْ صَبَاحُ الْمَنَايَا مُذَرَّبٌ )

يُشير بالبيت الأول إلى قول أميّة بن أبى الصّلّت الثقفى من قصيدة له :

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ      حَمْرَاءَ تَطْلُعُ نُورُهَا مُتَوَرِّدٌ  
تَأْتِي فَلَا تَبْدُو لَنَا فِي رِسْلِهَا      إِلَّا مُعَذِّبَةً وَإِلَّا تُجَلِّدُ

والمحرَّب : المحدث . والمذَرَّب : المحدث أيضاً . وقيل : هو الذي سُقِيَ الذَّرَاب ، وهو السم ، فهو أسرع في هلاك من ضُرِب به . وفي بعض الأصول : « مُدَرَّب » بالدال المهملة ، أى مُعوَّد . ويجوز على هذا أن يكون صِفَةً للصَّباح أو للسَّيف .  
يقول : إن الإنسان لمغرور مخدوع ، وإنه على ذلك لسكذوب مُفْتَر ، لم يدع شيئاً إلا تناوله بكذبه ، حتى إنَّ الشَّمْس لم تسلم من خطأل أُمِّيَّة بن أبي الصَّلْت ، فزعم أنها لا تشرق حتى ينالها الضرب والإيذاء . لقد صغرت العقول وقصرت الأنظار ، ولقد كان حقاً على هؤلاء الناس أن ينظروا إلى هذه الشمس وأمثالها من الكواكب والنُّجوم ، من حيث هى عاملة على إهلاكهم ، مُجَدَّة في إفنائهم ، فما أرى أن هذا الهلال قد حُذِب وعُطِف إلا ليكون رُحماً يُطعَنون به ، وما أرى أن هذا الصباح قد أَسْتَطال وأضاء إلا ليكون سيفاً مَسْلُولاً عَلَى رؤوسهم ، يُورد كلاً منهم حوض المنون ، إذا انقضى أجله وحانت مدته .



## اللزومية الرابعة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الهاء :

١ ( أَتَذْهَبُ دَارَ النَّضَارِ وَرَبُّهَا يُخَلِّفُهَا عَمَّا قَلِيلٍ وَيَذْهَبُ )

أَذْهَبَ الشَّيْءُ : مَوَّهَ بِالذَّهَبِ وَطَلَّاهُ ، فَهُوَ مُذْهَبٌ . ومثله : ذَهَبْتُ الشَّيْءُ ، فَهُوَ مُذْهَبٌ . والنُّضَارُ : اسم للذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ ، وَقَدْ غَابَ عَلَى الذَّهَبِ . وقد يَجِيءُ نَعْتًا ، فَيُقَالُ : ذَهَبُ نَضَارٍ . وخَلَفَ الشَّيْءُ : جَعَلَهُ خَلْفَهُ ، يَرِيدُ : وَلَّى عَنْهُ وَتَرَكَه . يقول : أَذْهَبُوا أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ دُورَكُمْ بِالنُّضَارِ الْوَهَّاجِ ، وَزَيَّنُوهَا بِمَا شِئْتُمْ مِنْ بَدِيعِ الرِّيشِ ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ عَنْهَا ذَاهِبُونَ ، وَلَهَا تَارِكُونَ .

٢ ( أَرَى قَبَسًا فِي الْجِسْمِ يُطْفِئُهُ الرَّدَى  
وما دُمْتُ حَيًّا فَهُوَ ذَا يَتَلَهَّبُ )

الرُّؤْيَا ، بِالْعَيْنِ ، وَتَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ ؛ وَبِمَعْنَى الْعِلْمِ ، وَتَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : الرُّؤْيَا : النَّظَرُ بِالْعَيْنِ وَالْقَلْبِ .  
وَالْقَبَسُ : الْجَذْوَةُ ، وَهِيَ النَّارُ الَّتِي تَأْخُذُهَا فِي طَرَفِ عُودٍ ؛ وَقِيلَ : هُوَ الشُّعْلَةُ مِنْهَا . يَرِيدُ بِهَا الْحَيَاةَ . وَجَعَلَهَا « قَبَسًا » لِقَصْرِ أَمْدِهَا ، فَالْقَبَسُ لَا مَدَدَ لَهُ يَذْكِيهِ فَيَطُولُ وَقَدُّهُ ، وَكَذَلِكَ الْحَيَاةُ إِلَى انْحِلَالٍ . وَالتَّلَهَّبُ : التَّوَقُّدُ وَالِاشْتِعَالُ . وَيُرِيدُ بِهِ مَا مَعَ الْحَيَاةِ مِنْ حَرَكَةٍ وَاضْطِرَابٍ .

يقول : مَا أَرَى إِلَّا أَنَّ أَجْسَامَكُمْ قَبَسًا ، مِمَّا أَضَاءَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُطْفِئَهُ الْمَوْتُ وَيُخَمِّدَهُ الرَّدَى ؛ فَمَا النِّهَايَةُ إِلَّا إِلَى حِينٍ ، وَمَا أَشْتَعَالُهُ إِلَّا إِلَى مَدَى .

## اللزومية الخامسة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

- ١ ( غَدَوْتُ عَلَى نَفْسِي أَثْرَبُ جَاهِدًا      وَأَمْثَالَهَا لَامَ اللَّيْبِ الْمُثَرَّبُ )  
 ٢ ( إِذَا كَانَ جِسْمِي مِنْ تُرَابٍ مَالُهُ      إِلَيْهِ فَمَا حَظِّي بِأَنِّي مُثَرَّبُ )

غدا عليه غَدُوًّا وَغَدُوًّا : بَكَرَ ، وذلك في أول النهار ، يعنى معاجلته نفسه ،  
 وأن هذا أول ما كان منه .

وَأَثْرَبُ : أَثَبَّ وَأَسْتَقْصَى فِي اللَّوْمِ . وقيل : ثَرَبَ عَلَيْهِ : لَامَهُ وَعَيْتَرَهُ بِذَنْبِهِ  
 وَذَكَرَهُ بِهِ . تقول : ثَرَبْتُ عَلَيْهِمْ ، وَغَرَبْتُ عَلَيْهِمْ ، أَيْ قَبَحْتُ فَعْلَهُمْ . والتبكيك ،  
 قريب منه . و« أَمْثَالَهَا » مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ لِلْفِعْلِ « لَامَ » أَيْ وَأَمْثَالَ نَفْسِي لَامَ .

وَالْمَالُ : الرُّجُوعُ وَالْمَصِيرُ . وَأَثْرَبُ : قَلَّ مَالُهُ ؛ وَأَثْرَبَ أَيْضًا . اسْتَغْنَى وَكَثُرَ  
 مَالُهُ ، فَصَارَ كَالْتُّرَابِ ، وَهَذَا هُوَ الْأَعْرَفُ ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

يقول : مَا أَخْلَقَ النَّفْسَ بِاللَّوْمِ ! وَمَا أَخْرَاهَا بِالتَّثْرِيبِ ! وَمَا أَجْدَرَ اللَّيْبِ  
 الْعَاقِلِ وَالْحَكِيمِ الْحَازِمِ ، أَنْ يَمْتَنِعَهَا مِنْهَا حِظًّا غَيْرَ مَقْطُوعٍ ، وَعِطَاءٍ غَيْرَ مَجْذُودٍ !  
 فَقَدْ كَلَّفْتُ بِمَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مِنْ بَاطِلٍ ، وَحَرَصْتُ عَلَى مَا لَهَا مِنْ زِينَةِ فَانِيَةٍ ،  
 وَنِعْمَةٍ غَيْرِ خَالِدَةٍ . وَلَسْتُ أُدْرِي مَا الَّذِي يَكْلِفُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الثَّرْوَةِ وَالْغِنَى ،  
 وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ التُّرَابِ خُلِقَ ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ . مَا أَجِدُ خِرْصَ ابْنِ التُّرَابِ  
 عَلَى الْغِنَى وَالْإِنْتِرَابِ إِلَّا حُحْمًا ! وَمَا أَرَى شُغْفَ ابْنِ الْفَنَاءِ بِالْخُلُودِ وَالْبَقَاءِ  
 إِلَّا سَفَهًا !

٣ ( وَمَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِأَصْنَافِ السُّنَنِ مُبَيِّنٌ عَنْ غَيْرِ الْجَلِيلِ وَتُعْرِبُ )

الأصناف : جمع صنف ، بالكسر والفتح ، وهو النوع والضرب من الشيء .  
وأصناف السن ، أى ضروب من القول واللون من الكلام .

وأعرب : أبان وأفصح . يُقال : أعرب الشيء ، إذا أبانه وأفصحه ، وعن حاجته : إذا أبان عنها .

يقول : لقد آن للعقول الضلالة أن تهتدى ، وللنفوس العاقلة أن تُفريق ، وللآذان الصَّم أن تسمع . فما زالت هذه الحياة منذ كانت تنطق بكل لغة ، وتُعرب بكل لسان ، مُبرهنة على ما اشتملت عليه من شرٍّ ، ومُشيرة إلى ما شُفعت به من سوء .

٤ ( إِذَا أَغْرَبْتَ يَوْمًا بِرُزْءٍ عَلَى الْفَتَى فَلَيْسَتْ عَلَى نَفْسِي بِمَا حُمَّ تَغْرِبُ )

الإغراب : الإتيان بالشيء الغريب ؛ وهو كذلك غاية الإكثار ، ومنه أغرب الفرس في جريه ، والرجل في منطقته : إذا لم يُبق شيئاً إلا تكلم به .

والرزة : المصيبة بفقد الأجزاء ، وهو من الانتقاص ؛ يُقال : مارزاً فلاناً شيئاً ، أى ما أصاب من ماله شيئاً ولا نقص . جعل الرزة غريباً لم يعهد ، أو فادحاً بلغ غاية الفدح .

وحَمَّ الشيء وأَحَمَّ : قَدَّر وقَضَى . وَحَمَّ الله وأَحَمَّهُ : قَضاه وقَدَّره .

يقول : لقد أُخْبِرْتُهَا فَأَحَسْتُ أُخْتِبَارَهَا ، وبلوتُهَا فَأَتَقَنْتُ بِلَاءَهَا . لقد أَحَطْتُ بأسرارها وظهرتُ على خبيئتها ، فما أرى فيها شيئاً أنكره أو أعجب له أو تذهشني غرابته ، على حين أرى الحَمَقَى المضللين ، والبُلَه المغفلين ، تَفْجُوهم

منها فاجئتهُ الخير أو الشرّ ، لم يكن لهم بها عهد ، فيَقْضُونَ العَجَب ، وَيَلْجُونَ في الدَّهْش والاستغراب .

٥ ( وَجَرَّبْتُهَا أُمُّ الْوَلِيدِ لِطَامِعٍ وَيَنَاسُ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ الْمُجَرَّبُ )

أم الوليد : من كُنِيَ الدَّجَاجَة . وَتُكْنَى أَيْضاً : أُم حَفْصَة ، وَأُم جَعْفَر ، وَأُم عَقْبَة ، وَأُم إِحْدَى وَعَشْرِينَ ، وَأُم قُوب ، وَأُم نَافِع . وَتُوصَف بِسُرْعَةِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ . شَبَّهَ الدُّنْيَا بِهَا لَا يَمْلِكُ بِهَا وَهَمٌ طَامِعٌ حَتَّى تَفُوتَهُ . كَمَا تُوصَف بِقِلَّةِ النَّوْمِ وَسُرْعَةِ الْإِنْتِبَاهِ ، وَالدُّنْيَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ قَلَّ أَنْ يُطْمَعَ مِنْهَا بِغَفْلَةٍ أَوْ غِرَةٍ .

يقول : على رِسْلِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا خَيْرُكُمْ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ لِبَاطِلٍ وَزُورٍ ! وَإِنِّكُمْ حِينَ تُعْجَبُونَ بِهِ لَتُعْجَبُونَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقُمْ عَلَى قَاعِدَةٍ وَلَمْ يَعْتَمِدْ عَلَى أَصْلٍ وَلَا حَكْمَةٍ ! إِنَّمَا هِيَ حَرَكَاتٌ مُحَقُّو وَنَزَوَاتٌ خَطَلٌ ، وَمَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَرْجُو مِنْهَا خَيْرًا أَوْ يَنْتَظِرَ مِنْهَا نَفْعًا . مَا أَرَى دُنْيَاكُمْ هَذِهِ إِلَّا أَشَدَّ مُحَقًّا وَأَكْثَرَ خَطَلًا مِنْ دَجَاجَةٍ ، لَيْسَ لَهَا حِلْمٌ رَاجِحٌ ، وَلَا عَقْلٌ صَحِيحٌ ؛ قَدْ حُرِّمَتْ رِزَانَةُ الْحَرَكَةِ وَوَقَارُ الْمَشْيَةِ ؛ فَهِيَ نَزَاةٌ وَتَابَةٌ ، وَنَزَقَةٌ طَائِشَةٌ ، تَحْكُمُهَا الْمُضَادَّةُ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْكُمُهَا التَّدْيِيرُ . فَمَا أَجْدَرُ الْعَالِمَ بِهَا بِالْيَأْسِ مِنْهَا ، وَالْقُنُوطِ مِنْ مُسْتَقْبَلِ أَمْرِهَا .

٦ ( يَحِقُّ لِمَنْ يَهْوَى الْحَيَاةَ بُكَاءُهُ )

إِذَا لَاحَ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْ حِينَ تَقَرُّبُ )

٧ ( وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلَدًا )

وَيُذْنِي الْمَنَايَا لِلنُّفُوسِ فَتَقَرُّبُ )

٨ ( فَهَلْ لِسُهَيْلٍ فِي مَعْدِكَ نَاصِرٌ

إِذَا أَسْلَمَتْهُ لِلْحَوَادِثِ يَعْرُبُ )

٩ ( وَأَهْدَى إِلَى نَهْجِ الْهُدَى مِنْ مَعَاشِرِ

نَوَاضِحُ تَسْنُو أَوْ عَوَامِلُ تَكْرُبُ )

حَقٌّ : وَجِبَ ، ومثلها حَقٌّ ، ولكنك إذا قُلْتَ : حَقٌّ ، قُلْتَ لك ؛ وإذا قُلْتَ : حَقٌّ ، قُلْتَ : عليك . وإذا عَبَّرُوا بِالْمُضَارِعِ جَعَلُوهُ مِنَ الْمَعْلُومِ ، فَقَالُوا : يَحْقُّ عَلَيْكَ . و « بَكَأُوهُ » فاعل الفعل « يَحْقُّ » . ولاح النجم ونحوه : بدا . فإذا أَوْمَضَ وتَلَأَأَ ، قُلْتَ : أَلَا ح . وقال ابن السَّكَيْتِ . ويقال للشيء إذا تَلَأَأَ : لَاحَ يُلَوِّحُ لَوْحًا وَلُؤُوحًا . وَقَرَنَ الشَّمْسُ : أَوَّلَهَا عِنْدَ طُلُوعِهَا وَأَعْلَاهَا . وَقِيلَ : أَوَّلَ شُعَاعِهَا . وَقِيلَ : نَاحِيَتِهَا .

وَالنَّفَسُ : هُوَ خُرُوجُ الرِّيحِ مِنَ الْأَنْفِ وَالْفَمِ ، وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا أَنْفَاسٌ . وَسُهَيْلٌ : كَوَكَبٌ . زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ عَشَارًا عَلَى طَرِيقِ الْيَمَنِ ظَلُومًا فَمَسَخَهُ اللَّهُ كَوْكَبًا ، وَمَعْدٌ ، هُوَ ابْنُ عَدْنَانَ ، أَبُو الْعَرَبِ ؛ مِنْ « عَدَّ » ، أَوِ الْمِمْ فِيهِ أَصْلِيَّةٌ ، لِقَوْلِهِمْ : تَمَعَّدُ ، أَيْ تَزَيَّا بِزَى مَعْدٌ فِي تَقَشُّفِهِمْ . أَوْ تَصَبَّرَ عَلَى عَيْشِهِمْ . وَيَعْرُبُ : هُوَ ابْنُ قَحْطَانَ ، أَبُو الْيَمَنِ .

يُشِيرُ إِلَى هَذَا الزَّعْمِ . أَيْ هَلْ بَعِيدٌ أَنَّ الْعَرَبَ تَنْصُرُ سُهَيْلًا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ الْيَمَنِ ، وَهُوَ مِنْهُمْ ! وَجَعَلَهُ مَثَلًا لِلْإِنْسَانِ لَا يَمْلِكُ حَوْلًا مِنْ صَدِيقٍ بَلَّغَ غَيْرِهِ .

وَالنَّهْجُ : الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ . وَالْمَعَاشِرُ : جَمَاعَاتُ : النَّاسِ . وَالنَّوَاضِحُ : جَمْعُ نَاضِحَةٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ يُسْتَقَى عَلَيْهَا الْمَاءُ . وَتَسْنُو : تَسْقَى . يَقَالُ : سَنَتِ النَّاقَةُ تَسْنُو ، إِذَا سَقَتِ الْأَرْضَ ، وَالْقَوْمُ يَسْنُونُ لَأَنْفُسِهِمْ ، إِذَا اسْتَقَوْا .

والعوامل : بَقَرِ الحَرْثَ والدِّيَاسَةَ ؛ وقيل : هى من البقر التى يُسْتَقَى عليها  
وَيُحْرَثُ ، وَتُسْتَعْمَلُ فى الأشغال ؛ الواحدة : عاملة . وَتَكْرُبُ : تَحْرَثُ ؛ يُقَالُ :  
كَرَبَ الأَرْضَ يَكْرُبُهَا كَرْبًا وَكِرَابًا : قَلَبَهَا لِلْحَرْثِ ، وَأَنَارَهَا لِلزَّرْعِ .

يقول : أَيُّهَا الكَلَفُ بالحياة ، المشغوف بالبقاء ، لقد تَيَمَّمْتَ هذه الدنيا  
وَأَسْتَأْثَرْتَ بِلُبِّكَ ، فَهَمَّتْ بِهَا مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ تَصُدَّ عَنْهَا ، وَأَنْ تَسْتَبْدِلَ  
بِبُكَاءِ الرَّغْبَةِ فِيهَا بُكَاءَ الرَّهْبَةِ مِنْهَا .

إِنَّكَ لَتَهْوَى الْعِلَّةَ الْمُهْلِكَةَ والدَّاءَ الْمُمِيتَ ، إِنَّ حَرَكَةَ الشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ  
إِلَى الْمَغْرِبِ لَيْسَتْ إِلَّا مُقَرَّبَةً لِأَجْلِكَ ، وَمُقَصَّرَةٌ لِحَيَاتِكَ . فَكَّرْ فى أَمْرِكَ ،  
وَأَحْسِنْ تَدْبِيرَ نَفْسِكَ ، تَجِدْ أَنَّ أَنْفَاسَكَ الَّتِي تَتَنَفَّسُهَا ، وَحَرَكَاتِكَ الَّتِي تَتَحَرَّكُهَا ،  
مُسْتَلْذَأِبَهَا ذَوْقَ الْحَيَاةِ ، مُسْتَعْذِبًا بِهَا طَعْمَ الْعَيْشِ ، لَيْسَتْ إِلَّا مُضْذِيَّةً لَكَ ،  
تُبَاعِدُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَهْدِ ، وَتُقَارِبُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّحْدِ . ذَلِكَ قَضَاءُ وَاقِعٍ ،  
وَحُكْمُ نَافِذٍ ، لَيْسَ لَكَ مِنْهُ عَاصِمٌ وَلَا نَصِيرُ .

أَتُرَى أَنَّ سُهِيلًا ، هَذَا النَّجْمَ الْمُتَلَاثِيَّ فى السَّمَاءِ ، الَّذِى هُوَ أُخْرَى مِنْكَ  
بِالْبَقَاءِ ، وَأَذْنَى مِنْكَ إِلَى طُولِ الْمَدَّةِ ، وَاجِدُهُ لَهُ مِنَ الْحَوَادِثِ نَصِيرًا ، وَمِنْ  
الْكَوَاكِبِ مَلْجَأً ؟ كَلَّا ! وَلَكِنَّهَا عُقُولُ ضَالَّةٌ ، وَأَنْظَارُ قَصِيرَةٌ ، وَنُفُوسُ  
سَبَقَتْهَا إِلَى الْمُهْدَى تِلْكَ الْإِبِلُ الْجَادَّةُ فى سَقَى الأَرْضِ ، وَالبَقَرُ الْعَامِلَةُ فى حَرْثِهَا .

١٠ ( أَلَا تَفَرِّقُ الْأَحْيَاءُ مِمَّا بَدَأَ لَهَا

وَقَدْ عَمَّهَا بِالْفَجْرِ أَزْرَقُ مُغْرَبُ )

١١ ( وَشَفَّ بَقَاءُ صِرْتُ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ

أَهْشُ إِلَى الْمَوْتِ الزُّوَامِ وَأَطْرَبُ )

تَفَرَّقَ : تَفَزَّعَ وَتَجَزَّعَ ؛ فَرَّقَ مِنْهُ فَرَقًا : جَزَعَ . وَحَكَى سَيَبُويه : فَرَّقَهُ ، عَلَى حَذْفٍ « مِنْ » . وَحَكَى اللّٰحْيَانِي : فَرَّقَ عَلَيْهِ : فَزَعَ وَأَشْفَقَ .

وَالْأَزْرَقُ : الْأَبْيَضُ . قَالَ أَبُو سَيْدَةَ . الزُّرْقَةُ : الْبَيَاضُ حَيْثَا كَانَ . وَالْأَزْرَقُ أَيْضًا : الشَّدِيدُ الصَّفَاءُ .

وَالْمَغْرَبُ ، عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ : الصَّبْحُ لِبَيَاضِهِ . أَرَادَ « مَغْرِبُ أَزْرَقٍ » قَدْ تَمَّ وَأَخْرَ . وَعَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ : مَا لَفَّ وَوَارَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَيُرِيدُ « بِأَزْرَقٍ مَغْرِبٍ » صُبْحًا صَافِيًا قَدْ لَفَّ بَيَاضُهُ كُلَّ شَيْءٍ .

وَشَفَّ ، أَيْ رَقَّ وَنَحَلَ وَضَعُفَ ، هَذَا عَلَى الْإِزْمِ . وَ« بَقَاءٌ » يُرِيدُ حَيَاةً هَذِهِ صِفَتُهَا : هُزَالًا وَرَقَّةً وَضَعْفًا لَا غِنَاءَ عِنْدَهَا .

وَقَدْ يَكُونُ الْفِعْلُ عَلَى الْخُرُوجِ ، أَيْ وَشَفَّنِي بَقَاءً . وَحَذَفَ الْمَفْعُولُ لِلْعِلْمِ بِهِ . وَهَشَّ لِلشَّيْءِ يَهْشُ ، مِنْ بَابِ فَرَحٍ : ارْتَاحَ لَهُ وَاشْتَهَاهُ .

وَالزُّوَامُ : الْعَاجِلُ السَّرِيعُ الْمُجْهِزُ ، وَقِيلَ : الْكَرِيهَ ، وَهُوَ أَصَحُّ .

يَقُولُ : عَجَبًا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، لَقَدْ أَطْمَأْنَنْتُمْ إِلَى الْحَيَاةِ وَأَسْتَنْمَنْتُمْ إِلَى لَذَائِهَا ، فَمَا مِنْكُمْ إِلَّا مَغْرُورٌ يَمْلُؤُهُ الْأَمَلُ وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ . لَقَدْ أَمِنْتُمْ سَطَوَةً لَا تُؤْمِنُ ، وَرَكَنْتُمْ إِلَى مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَرْكَنُوا إِلَيْهِ . لَقَدْ كَانَ حَقًّا عَلَيْكُمْ أَنْ تَفَرَّقُوا مِنْ مَطْلَعِ النَّهَارِ وَمَقْدَمِ اللَّيْلِ ، وَأَنْ تُسَيِّئُوا الظَّنَّ بِحَيَاةٍ مَا أَرَاهَا إِلَّا مُرَغَّبَةً فِي الْمَوْتِ ، مُغْرِبَةً بِحُبِّهِ ، مُحَرَّضَةً عَلَيْهِ . قَصَّروا مِنْ آمَالِكُمْ وَآثَرُوا أَنْفُسَكُمْ بِالذَّعَةِ وَالرَّاحَةِ ، حَتَّى تَنْقُضِيَ أَيَّامَكُمْ الْقَلِيلَةَ .

- ١٢ ( فَشِمَ صَارِمًا وَارَكُزَ قَنَاءَ فَلِرَدَى  
يَدُ هِيَ أَوَّلَى بِالْحِمَامِ وَأَذْرَبُ )
- ١٣ ( أَفْضُ لِهَامَاتٍ وَأَرْمَى بِأَسْهُمٍ  
وَأَطْعَنُ فِي قَلْبِ الْخَمِيسِ وَأَضْرَبُ )
- ١٤ ( أَرَى مُطْعِمَ الرَّمْسِ اللَّهُمَّ خَلِيلَهُ  
سَيُؤْكَلُ مِنْ بَعْدِ الْخَلِيلِ وَيَشْرَبُ )

شام السيف : سَلَّهْ وَأَعْمَدَه ، من الأضداد . وشك أبو عبيد في « شِمْتَه »  
بمعنى : سلَّته .

قال شمر : ولا أعرفه . وشاهده في « السِّل » قول الفرزوق :  
إذا هي شِيتْ فالقوائِمُ تَحْتَهَا      وإن لم تُشَمَّ يوماً عَلَتْهَا القَوَائِمُ  
وشاهده في الغمد قول الطرماح :  
وقد كنت شِمتُ السيفَ بعد استلاله      وحاذرتُ يوم الوعد ما قيل في الوعد  
والمراد هنا « الغمد » بقرينة « ركز القناة » بعده .

والصَّارِم : السَّيْفُ القاطع . والِرَّكُز : غَرَزُكَ شَيْئًا مُتَّصِبًا كالرَّمْحِ .  
وَأَذْرَب : أَكْثَرُ جُرْأَةٍ وَضَرَاوَةٍ .

وَأَفْضُ : أَقْوَى تَكْسِيرًا وَتَقْرِيقًا . والهَامَات : جمع هامة ، وهى الرأس ،  
وتُجْمَع على هام أيضاً . والخَمِيس : الجيش الجرار . وقيل : سُمِّيَ بذلك لأنه خمس  
فِرَاق : المَقْدَمَةُ وَالْقَلْبُ وَالْمِیْمَنَةُ وَالْمِيسَرَةُ وَالسَّاق .



والرَّمْس: القبر؛ والجمع: أرماس ورُموس واللَّهَمَّ، مثل خَضَمَ: العظيم الكثير الابتلاع. وَصِفُ للمُضَاف إليه، وهو «الرَّمْس». واللَّهَمَّ أيضاً: الكثير العطاء، فيكون وصفاً للمُضَاف، وهو «المُطْعَم» أى السخى فى القَتْل. «وخليله» مفعول لـ «مطعم». و«سيؤكل ويُشرب» على ما لم يُسم فاعله، أى إنه نازل به مثل ما نزل بخليله، شارب بالقَدَح الذى شرب منه.

وفى بعض النسخ: «سأكل». أى إن الناس بعد أن يُواروا خلائهم التراب عائدون إلى لهوهم ومُجُونِهِمْ.

يقول: اُنْغِدُوا سِيُوفَكُمْ وَاذْكُرُوا رِمَاحَكُمْ، ولا يَبْلُغُ مِنْكُمْ حُبُّ الْحَيَاةِ وَالشَّغْفُ بِهَا أَنْ يَتَعَجَّلَ بَعْضُكُمْ مَنَآيَا بَعْضٍ. أَرِيحُوا أَنْفُسَكُمْ، لا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً؛ فَإِنَّ لِمَوْتِ الْفِطْرَى يَدَا أَمْرٍ مِنْ أَيْدِيكُمْ فِي الْقَتْلِ، وَحُسَاماً أَمْضَى مِنْ سِيُوفِكُمْ فِي الْهَامِ، وَسِنَاناً أَثْقَبَ مِنْ أَسِنَّتِكُمْ لِلصُّدُورِ.

أَرِيحُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ هَذَا الْعَنَاءِ، فَإِنَّ الْمَوْتَ سِيرِيحَ بَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ. كُلُّكُمْ مَيِّتٌ، وَكُلُّكُمْ تَارِكٌ أَصْدِقَاءَهُ وَأَخْلَاءَهُ، لا يَحْفَلُونَ بِهِ وَلا يَأْسِفُونَ عَلَيْهِ، وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ وَدَاعَهُ ثُمَّ يَعُودُونَ مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَمِنَ الْغَىِّ وَالْمُجُونِ، إِلَى مَا كَانُوا فِيهِ.

## الزومية السادسة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الذال :

١ ( إِذَا أَقْبَلَ الْإِنْسَانُ فِي الدَّهْرِ صُدِّقَتْ  
أَحَادِيثُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ كَاذِبٌ )

الإقبال : ضد الإذبار . يريد : إذا مضى قدماً إلى الرفعة والعلياء ، وأصاب حظاً من منزلة سامية .

يقول : ما أحرصَ النَّاسَ على تصديق الغنى والثقة بصاحب الثراء ، قد أقبلت عليه الأيامُ فأُسبِغَتْ عليه من النعمة ثوباً ضافياً خلافاً ، لم يكد يظهر فيه صاحبه حتى خلب العقول والألباب ، فخيَّل إليها أن باطله حق ، وكذبه صدق ، وضلَّاه هُدًى .

٢ ( أَتَوَهَّمُنِي بِالْمَسْكَرِ أَنَّكَ نَافِعِي وَمَا أَنْتَ إِلَّا فِي حَبَالِكَ جَاذِبُ )  
٣ ( وَتَأْكُلُ لَحْمَ الْخِلِّ مُسْتَعْدِباً لَهُ وَتَزْعُمُ لِلْأَقْوَامِ أَنَّكَ عَاذِبُ )

وَهَمَّتْ فِي الشَّيْءِ ، بِالْفَتْحِ ، أَهَمَّ وَهَمًا ، إِذَا ذَهَبَ وَهْمُكَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ تُرِيدُ غَيْرَهُ ؛ وَأَهَمَّتْ غَيْرِي إِيهَامًا . وَبِالْمَسْكَرِ ، أَيْ خَادِعًا مُحْتَالًا فِي خُفْيَةٍ . وَالْحَبَالُ : جَمْعُ حَبَلٍ ، مَا يُصَادُ بِهِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَالْحِبَالَةُ . جَمْعُ الْحَبْلِ ؛ يُقَالُ : حَبَلَ وَحَبَّلَ وَحِبَالَةً ، مِثْلُ : جَمَلَ وَجَمَالَ وَجَمَالَةً . وَقِيلَ : الْحِبَالَةُ ، الَّتِي يُصَادُ بِهَا ، جَمْعُهَا : حِبَائِلُ . وَالْجَذْبُ : الْمَدُّ . أَيْ مُوسِعٌ لِي فِي وَسَائِلِ الْإِغْوَاءِ لِتَصِيبِ مَنِي مَقْتَلًا .

وقد تكون الحبال : جمع حَبْل ، بمعنى العهد والذمة والتواصل . ويكون « الجذب » هنا بمعنى القطع ، ويكون المعنى : أنه يُحْيِلُ له أنه على عهده ووده ، وهو يكيد له ويمكر به .

والخِل : الصديق المُختص . والجمع : أخلال . والأُنثى : خِل ، أيضاً . ويجوز فيه الضم ، والكسر أكثر . ومستعذباً له : تعده عذاباً مستساغاً ، وظاهر أنه يشير إلى قوله تعالى في سورة الحجرات : ( وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا . أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ) . وقد تكون الرواية « الخَلِّ ، بالفتح ، وهو المهزول ، والسمين ضد ، يكون في الناس والإبل . والمراد هنا : الإبل . وكأنه ملتفت إلى ما أخذ نفسه به من المُذوف عن أكل لحوم الحيوان . وكأنه هنا يَعُدُّ فاعل ذلك على نقيصة ، لا يوثق به ولا يؤمن جانبه .

والعاذب ، من جميع الحيوان : الذي لا يَظْعَم شيئاً . وقد غلب على الخيل والإبل . والجمع : عُذوب ، كساجد وسُجود . وقيل : هو الذي يبيت ليله لا يَظْعَم شيئاً ؛ أي إنه منهم شَرِس ، ويدعى أنه عَفٌّ على زهادة .

يقول : حَدَّثَنِي بِمَا شِئْتُ مِنْ تَضْلِيلٍ وَتَغْرِيرٍ ، وَأَوْهَمَنِي بِمَا أُسْتَطَعْتُ مِنْ سَطْوَةٍ وَسُلْطَةٍ ، وَخَيَّلَ إِلَيَّ أَنَّكَ تَمْلِكُ نَفْعِي وَضُرِّي ، وَتَقْدِرُ عَلَى خَيْرِي وَشَرِّي ؛ فَإِنَّكَ عِنْدِي كَاذِبٌ غَيْرُ صَادِقٍ ، وَمَائِنٌ غَيْرُ أَمِينٍ . لَقَدْ فَقَدْتُ الْقُدْرَةَ فَمَا تَسْتَطِيعُ عَمَلًا وَمَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، إِنْ أَنْتَ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا عَبْدٌ مَقْهُورٌ مُسْتَذَلٌّ ، قَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَادِرٌ مُخْتَارٌ فَعَالٌ . لَقَدْ خَدَعَكَ الْخَيَالُ وَكَذَّبَكَ الْمُنَى .

أظهر النُّسُكَ والعبادة ، وأعلن الهدى والطاعة ، وتجاوَفَ بين أيدي الناس عن نعيم الحياة ولذاتها ، وحَدَّثَنَا أَنَّكَ وَفِيَّ بِالْعُهُودِ ، حَافِظٌ لَغَيْبِ الصَّدِيقِ ، فَمَا أَنْتَ فِي ذَلِكَ إِلَّا مُخْتَلِقٌ مُنْتَحِلٌ . إِنَّكَ لَتَتَزَهَّدُ بَيْنَ أَيْدِينَا عَنْ لَحْمِ الْحَيَوَانِ ، وَلَكِنَّا نَكَادُ نَلْسُ بِأَيْدِينَا قَرَمَكَ إِلَى لَحْمِ الْإِنْسَانِ ، وَلَا سِيَّإِنْ كَانَ صَدِيقًا أَوْ خَلِيلًا .

## اللزومية السابعة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الجيم :

١ ( لَا يُغْبَطَنَّ أَخُو نُعْمَى بِنِعْمَتِهِ بِئْسَ الْحَيَاةُ حَيَاةٌ بَعْدَهَا الشَّجَبُ )

الغبط : أن تتمنى مثل حال المغبوط ، من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه . والنعمى كالنعمة ، وإن فتحت النون مددت ، فقلت : النعماء . وبئس : كلمة ذم . فعل ماض لا يتصرف ، لأنه أزيل عن موضعه ، منقول من « بئس » إذا أصاب بؤساً . وهى تكون لدم الجنس ، والمقصود بالذات فرد من ذلك الجنس ، ويسمى ذلك الفرد : المخصوص بالدم . و « حياة » هى المخصوصة بالدم ، وهى خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره « هى » .

والشَّجَب : الهلاك ، والحزن أيضاً ؛ فعله : شَجِبَ يَشْجَبُ ؛ وأما شَجَبَ يَشْجُبُ ، فالمصدر منه شُجُوبٌ ، وهو بمعناه . هذا على الأزوم ، فإذا عدَّيته ، فالمصدر : الشَّجَبُ ، وكان معناه الإهلاك .

يقول : ألا لا تغبط مُنْعَمًا بنعمته ، ولا تحسد سعيداً على سعادته ؛ فليس فى الحياة ما يُغبط به ، ولا فى العيش ما يُحسد عليه . بئس الحياة تملؤها اللذة ، وتُفعمها النعمة ، ثم يعقبها الموتُ والهلاك !

٢ ( وَالْحَسُّ أَوْقَعَ حَيًّا فِي مَسَاءَتِهِ وَلِلزَّمانِ جِيُوشٌ مَا لَهَا كَلْبٌ )

الحس : الإدراك ، وأدواته فى الإنسان حواسه الخمس ؛ أو هو التصرف من تصرفات المرء ؛ تقول : « جئنى من حسك وبيسك » ، أى من حيث تدركه

حاشية من حواسك ، أو يدركه تصرف من تصرفك . والمعنى على التأويلين جائز، فحواس الإنسان ، وهى وسائله ، أو تصرفه وما يأتیه ، جارة عليه ، فيما تجرّ ، العطب والموبقات .

وفى مساءته ، أى ما يسوءه ، والضمير للحىّ والمساءة ، من مصادر : ساءه يسوءه . وجيوش الزمان : مغوياته ومغرياته التى هى أسباب للفناء . واللجب : الصوت والصياح ؛ وقيل : هو ارتفاع الأصوات والجلبة مع اختلاط ، وصوت العسكر . ونفى « اللجب » عنها ، وصف لها بالختالة تدبّ له الضراء ، وتمشى الخمر .

يقول : أجل ! ليس فى الحياة شئٌ يُحمد ، فما أجد الحسّ . الذى هو أخصّ مميزات وأوضح الدلائل عليها ، إلّا موقعاً لصاحبه فى السوء ، ومنتهياً به إلى المَكْرُوه . وكيف تُحمد الحياة أو يُرغب فيها ! وما أرى صاحبها إلا غرضاً مُستهدفاً لجيش من الزمان ، يعمل ويمجدّ فى عمله للفناء ، من غير أن يُسمع له لَجَبٌ ولا صَخَب .

٣ (لَوْ تَعْلَمُ الْأَرْضُ مَا أَفْعَالُ مَسَاكِينِهَا لَكَانَ مِنْهَا لِمَا يَأْتِي بِهِ الْعَجَبُ)

لو ، تدل على ثلاثة أمور : الشرطية ، أعنى عَقْد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها ، وتقْيِيد الشرطية بالماضى ، وامتناع السبب .

وهى بالشرطين الثانى والثالث تخالف « إن » فإنّ هذه لعقد السببية والمسببية فى المستقبل .

وقد تجيء « لو » بمعنى « إن » وذلك فى نحو « وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كُذِّبَ صَادِقِينَ » . غير أنها هنا ليست من هذا . والمضارع « تعلم » مراد به المضى . ثم إن الشرط متى كان مستقبلاً محتملاً ، وليس المقصود فرضه الآن أو فيما

مضى ، فهي بمعنى « إن » . ومتى كان ماضياً أو حالاً أو مستقبلاً ، ولكن قصد فرضه الآن أو فيما مضى ، فهي الامتناعية .

و « ما » في « ما أفعال » استفهامية مضمنة معنى الحرف ، ومعناها : أى شئ . . وهى هنا معلّقة ، أى قد علّقت الفعل « تعلم » عن العمل ، والتعليق بإبطال العمل لفظاً لا محلاً .

واللام في « لكان » لام الجواب . وتكون جواب « لو » و « لولا » وجواباً لقسم . و « يأتى به » : يفعله . وفى بعض الأصول « يؤتى » .

يقول : أفٍ لِقَصْرِ العقول ، وسفه الأحلام ! لقد أغرقنا فى الغرور ، وتعلّقنا بصغار الأمور ، حتى لو عقلت الأرض أو فهمت ، فرأت ما نحن فيه من تركٍ للنافع ، وتشبّث بالضّار ، ومن عدّولٍ عن كبار الأمور إلى صغارها ، لقضت العجب مما نحن فيه من حُقى وسُخف .

٤ (بَدَأَ السَّعَادَةِ أَنَّ لَمْ يُخْلَقِ امْرَأَةٌ فَهَلْ تَوَدُّ مُجَادَى أَنَّهَا رَجَبُ)

جُمَادى : أحدُ جُمَادَيْنِ ، أُسمين لشهرين . إذا أضفت قلت : شهر جُمَادى ، وشهراً جُمَادى . وسميت الأولى : جُمَادى خمسة ، أى الخامسة من أول شُهور السّنة . والآخره : جُمَادى ستّة . قال لبيد :

\* حَتَّى إِذَا سَلَخْنَا مُجَادَى سِتَّةً \*

وسمى « جُمَادى » لجمود الماء فيه ، وهو الشتاء عند العرب . قال الفرّاء : والشهور كلها مذكرة إلا جُمَادَيْنِ ، فإنهما مؤنثان . قال الشاعر :

إِذَا جُمَادَى مَنَعَتْ قَطْرَهَا زَانَ جِنَانِي عَطْنٌ مُغْضِفٌ

ورجب : شهر ، سموه بذلك لتعظيمهم إياه فى الجاهليّة عن القتال ، ولا يستحلّونه

فيه . وفي الحديث : « رجب مُضر الذى بين جُمادى وشعبان » . قوله : « بين جُمادى وشعبان » تأكيد للبيان وإيضاح له ؛ لأنهم كانوا يُؤخرونه من شهر إلى شهر ، فيتحول عن موضعه الذى يختص به . وقيل له : رجب مُضر ، إضافة إليهم ؛ لأنهم كانوا أشدّ تعظيماً له من غيرهم ، فكأنهم اختصوا به .

وفي التمثيل بمؤنث من أسماء الشهور ومذكر التفات لما هو آخذ فيه . وكأنه قاطع بأن النساء لن يرغبن فى النزول عن أنوثتهن ، إبقاءً لهذا الشقاء الذى ادعاه ، وهو لامتداد النسل ، فضرب لذلك مستحيلاً .

يقول : نرجو السعادة ونكاف بها ، وإنما نرجو مُتعذراً ونكف بمُحال ؛ وإِنما السعادة أَلَّا نوجد ، وقد وُجدنا ؛ وأَلَّا نُخلَق ، وقد خُلِقنا . فما حِرْصُنا على ما لا سبيل إليه ! وما رَغْبتنا فيما لا قُدرة عليه ! وهل رأيت شهراً من الشهور قد ضاق بنفسه ، وأحبّ أن يستبدل به غيره ، فودّت جُمادى لو أنّها رجب .

٥ ( وَلَمْ تَتَّبِ خِيَارَ كَانَ مُنْتَجِبًا      لَكِنَّكَ الْعُودُ إِذْ يُلْحَى وَيُنْتَجَبُ )  
٦ ( وَمَا اخْتَجَبْتَ عَنِ الْأَقْوَامِ مِنْ نُسْكَ      وَإِنَّمَا أَنْتَ لِلنَّكْرَاءِ مُتَجَبُّ )

التَّوبَةُ : الإِنابة والرجوع عن المعصية إلى الطاعة . تاب إلى الله توباً وتوبةً ومتاباً . والخيار : الاسم من الاختيار . والمُنْتَجَبُ : المختار من كل شيء ؛ ومنه : انتجب فلان فلاناً ، إذا استخلصه واصطفاه اختياراً على غيره . أى لم تكن توبتك لاختيار اخترتّه وأثرته . وكأنه يشير إلى زمن الفتوة والصِّبَا ، حين الإقلاع عن الهومع القدرة عليه ، لا يكون اضطراراً وإنما يكون اختياراً .

والعود ، معروف ، وهو ما جرى فيه الماء من الشجر ، يكون للرطب واليابس ، دقّ أو غلظ . وخص به الليث ما دقّ .

ولعل هذا الأخير بالسياق أجمل ، إذ مراد أبي العلاء أن يقابل بين الشباب والشيخوخة ، والقوة والضعف .

ويُلجى : يُنزع عنه لحاؤه ، وهو قشره ، لحاه يلحوه ، ومثلها : الحاه .  
ويُنْتجب ، أى يؤخذ قشره بعد أن يُعرى عنه . ويجيئه بالفعل الثانى ، لمزيد معنى  
أراده ، وهو تأكيد التعرية ، وأنه لا أمل معها فى عودة .

يصف حال الشيخوخة التى لا رجاء معها فى عودة إلى صبا . وعندها تكون  
التوبة، إن كانت، عن وَهْنٍ وقلة حيلة .

أو لعله جعل «لحو العود وانتجابه» مثلاً للشيء يُقْسَر عليه المرء ولا يملكه.  
واحتجب : اكنّ من وراء حجاب ، هذا أصله . والمراد : العزلة على أى  
لون كانت . والنسك ، بالضم وبضمّتين : العبادة والطاعة . وكل ما تقربت به  
إلى الله تعالى . والفرق بينه وبين الورع ، أن النسك فيما أمرت به الشريعة ،  
والورع عما نهت عنه . والنكراء : المنكر المستقبّح ، إمّا أن يريد ما صار إليه  
من حال لا صلاح معها المعاشرة والمحادثة ، استتر من أجلها يتنسك حيث لم يجد إلى  
غير ذلك سبيلاً ؛ وتكون اللام فى « للنكراء » للضرورة ، وهى لام العاقبة ، ولام  
المال ؛ وإما أن تكون للتعليل ، ويكون المراد : لفعل النكراء لا للعبادة احتجب .

وإما أن تكون « النكراء » بمعنى الدهاء ، ومنه : فلان ذو نكراء ، أى  
داهياً . يريد أن ذلك النسك دهاء منه ومواربة . وكثيراً ما يُشير أبو العلاء إلى  
هذا المعنى .

يقول : أَلَا إِنَّ الشَّقَاءَ مَحْتَمٍ لَا مَفَرَّ مِنْهُ ، وَالشَّرَّ موجود لا مَنْدُوحة عنه ،  
وَكُلَّ مَا أَظْهَرَ النَّاسُ مِنْ حُبِّ لِلْخَيْرِ أَوْ حَرَصٍ عَلَى الْمَعْرُوفِ ، وَكُلَّ مَا أَغْلَنُوا  
مِنْ نُسْكَ وَطَاعَةٍ ، أَوْ زُهدٍ وَعِبَادَةٍ ، فَلَيْسَ إِلَّا ضُرُوبًا مِنَ الرِّيَاءِ ، وَالْوَنَاءِ مِنَ



الخدمة ، ساقَتهم إليها غرائزهم ، وأكرهتهم عليها طبائعهم ؛ فهم كالعود لا يلحوا  
نفسه ، وإنما يلحوه الناس .

لم يرغبوا في الخير وإنما اضطروا إلى إظهاره ، ولم يكلفوا بالبرِّ وإنما ألجئوا  
إلى انتحاله .

لقد يهرك نَسْكُ الناسك فتَحسبه إنما تنسك للطاعة ، و يُعجبك أحتجابُ  
المُحتجب فتَظنه إنما أحتجب للعبادة . كلاً ! ما تَنسك مَنْ تَنسك إلا  
للخداع ، وما أحتجب من أحتجب إلا لِيخلو بالنكراء .

٧ ( قَالَتْ لِي النَّفْسُ إِنِّي فِي أَذَى وَقَذَى

فَقُلْتُ صَبْرًا وَتَسْلِيمًا كَذَا يَجِبُ )

القَذَى : ما يقع في العين ، وما يسقط في الشراب من ذباب وغيره ، وما  
يلجأ إلى نواحي الإناء فيتعلق به ، وما هراقت الناقة والشاة من ماء ودم قبل  
الولد وبعده . وكلّه مما يُمضّ ويُعاف ويُكره . ولعله أقام « الأذى » لكل ما هو  
معنوى ، و « القذى » للحسى . وظاهر أنه يشير إلى ملابسة الروح الجسم وعنائها  
بهذا الجوار . أو هو مشير إلى وجوده في الحياة ، وما يتبع هذا الوجود من ضر  
وإثم . وهو ما ينعاه أبو العلاء على الآباء ، ولم يرد أن يُعنى به الأبناء .

يقول : أيتها النفس الضيقة بما في هذه الحياة من شرور ، المتبرّمة بما في هذا  
الناس من آثام ، خَفِّضِي عنك وِرْفَتِي عليك ؛ فتلك طبيعة الحياة ، وهذه  
غرزة الناس ، لا سبيل إلى تَغْيِيرِها ، ولا قُدرة على إِصْلَاحِها ، ولا حَزَمَ  
إلا الصَّبْرَ على أحتملها ، والتجلد على ما يأتينا من جرائم وسيئات .

## اللزومية الثامنة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الجيم :

- ١ ( أَعْيَبُونِي حَيًّا ثُمَّ قَامَ لَهُمْ مُنْثَنٍ وَقَدْ غَيَّبُونِي إِنَّ ذَا عَجَبُ )  
 ٢ ( نَحْنُ الْبَرِيَّةُ أَمْسَى كُلُّنَا دَنِفًا يُحِبُّ دُنْيَاهُ حُبًّا فَوْقَ مَا يَجِبُ )

عَيْبُهُ : نَسَبُهُ إِلَى الْعَيْبِ ، وجعله ذا عَيْبٍ . والإثناء والثناء ، يُسْتَعْمَلَانِ فِي الْقَبِيحِ مِنَ الذِّكْرِ فِي الْخُلُقَيْنِ وَضَدَهُ ؛ يُقَالُ : أَتْنَى ، إِذَا قَالَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا . وَالْمُرَادُ هُنَا الْخَيْرُ . يَرِيدُ ذَلِكَ الَّذِي يَنْدُبُ الْمَيِّتَ وَيُرِثِيهِ وَيُؤْبَنُّهُ . وَغَيْبُوهُ : دَفَنُوهُ . وَيَقُولُونَ : غَيْبَهُ غِيَابُهُ ، أَيْ دُفِنَ فِي قَبْرِهِ .

وَالْبَرِيَّةُ : الْخُلُقُ ، وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ . وَقِيلَ : إِنْ أَخَذْتَ مِنْ « الْبَرَى » وَهُوَ التُّرَابُ ، فَأَصْلُهُ غَيْرُ الْهَمْزِ ؛ وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنْ أَصْلُهُ الْهَمْزُ ، أَخَذَهُ مِنْ : بَرَأَ اللَّهُ الْخُلُقَ ، أَيْ خَلَقَهُمْ . وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : وَلَمْ تَسْتَعْمَلْ مَهْمُوزَةً ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ . وَالدَّنِفُ : الَّذِي بَرَاهُ الْمَرَضُ الْإِلَازِمُ الْمُخَامَرُ ؛ وَقِيلَ : هُوَ الْمَرَضُ مَا كَانَ . يَرِيدُ مِنْ شَفَقَةِ جَوَى الْحُبِّ وَتَعَيُّمِهِ .

يَقُولُ : عَجِبْتُ لِلنَّاسِ يَعْيِبُونِي حَيًّا ، وَيُثْنُونَ عَلَيَّ مَيِّتًا ، لَا يَحْمَدُونَ صَاحِبَ الرَّأْيِ إِلَّا حِينَ يَغِيبُ عَنْهُمْ شَخْصُهُ ، فَلَا يَسْرُرُهُ مِنْهُمْ حَمْدٌ ، وَلَا يُرْضِيهِ مِنْهُمْ ثَنَاءٌ . وَلَوْ أَنَّهُمْ أَدْرَوْا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَعَرَفُوا لَهُ صَدِيقَهُ ، لَكَانَ لَهُ مِنْ رِضَاهُمْ عَنْهُ ، وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهِ ، وَأَسْتَجَابَتِهِمْ لِدَعَائِهِ فِي حَيَاتِهِ ، مُشَجِّعٌ عَلَى النَّصْحِ لَهُمْ ، وَمُرْغَبٌ لَهُ فِي هِدَايَتِهِمْ . وَلَكِنَّا جَمِيعًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَرَضَى مُعْتَلُونَ ، دَاوْنَا حُبَّ النَّفْسِ ، وَعَلَّتْنَا الْحِرْصَ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَهَذِهِ الْعِلَّةُ وَذَلِكَ الدَّاءُ هُمَا اللَّذَانِ يُوقِعَانِنَا فِيمَا نَكْرَهُ مِنْ كُفْرِ النِّعْمَةِ ، وَجُحُودِ الْجَمِيلِ .

## اللزومية التاسعة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الذال :

١ ( أَخْلَاقُ سُكَّانِ دُنْيَانَا مُعَذِّبَةٌ وَإِنْ أَتَيْتَكَ بِمَا تَسْتَعْذِبُ الْعَذَبُ )

مُعَذِّبَةٌ : منفرة . عَذَّبْتَهُ عَنِ الشَّيْءِ وَأَعَذَّبْتَهُ : منعتَه وكففتَه . وأستعذب الشَّيْءَ : عَذَّهْ عَذْبًا سَائِغًا . وفي بعض النسخ : « بِمَا يُسْتَعَذَّبُ » . والعَذَبُ : جمع عَذْبَةٍ ، وهي من اللسان : طرفه الدقيق . وهي كذلك من السَّوْطِ والسيِّفِ . ولَمَّا كَانَ الطَّرَفُ مِنْهَا أَوَّلَ مَا يَبْدُو وَيَمَسُّ ، جُعِلَ الْفِعْلُ لَهُ . أَوْ هُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْجُزْءِ عَلَى الْكُلِّ .

يقول : لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنَ النَّاسِ عُذُوبَةُ الْحَدِيثِ ، وَحَلَاوَةُ الْمَنْطِقِ ، فَإِنَّكَ تُعَانِي مِنْ أَخْلَاقِهِمْ دُونَ ذَلِكَ عِشْرَةَ مَرَّةٍ ، وَعَذَابًا أَلِيمًا . إِنَّمَا أَخْلَاقُهُمْ شَرٌّ لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا أَلْفَاظُهُمْ زِينَةٌ كَاذِبَةٌ تَنِيُّ عَمَّا دُونَهَا مِنْ كَذِبٍ وَرِيَاءٍ .

٢ ( سَمُّوْا هِلَالًا وَبَدْرًا وَالنَّدى وَضُحًى

وَفَرَقْدًا وَسِمَاكَ شَدَّ مَا كَذَبُوا )

٣ ( وَلَمْ يُنِطْ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْ نَظَرٍ

إِلَّا لَهُ فِي جِبَالِ الشَّرِّ مُجْتَذَبٌ )

الفرقد : ولد البقرة . وهو أيضاً أحد نجمين يسميان الفرقدین ، لا يعرفان ولكنهما يطوفان بالجدى . وقيل : هما قريبان من القطب . كما قيل : إنهما كوكبان

في بنات نَعَش الصُّغرى<sup>(١)</sup> . والسماك : أحد نجمين ، وقد مرَّ<sup>(٢)</sup> .

يريد بها كلها مسمياتها بين الناس . وَيَنْغى عليهم ما تَلَمَّسوه للتسمية من علة .  
وناط الشيء ، ينوطه نوطاً : علَّقه ووصله . وحبال الشمس : شبه نسيج  
العنكبوت ، تُرى في المواجر عند اشتداد الحر . ويسميه العرب : ريق الشمس ،  
ولعابها ، والخَيْثُور . ومن نظر ، أى مقابلة ومناظرة . هذا ينظر إلى هذا ، أى  
يقابله وينظره . أى من يناظر بينه وبين الشمس فيصل بينه وبينها ؛ يريد :  
يخلع على نفسه اسمها أو وصفاً من أوصافها . وجعل ذلك بمنزلة حبالها ، سبباً واهياً ،  
ووصلة لا مرّة لها .

وحبال الشرّ : أى حبالاته ومصايده . وقد مرّ مزيد عن الحبال<sup>(٣)</sup> .

ومجذب : أى تعلَّقَ وتميل . جعل هؤلاء الحريصين على أن يخلعوا على  
أنفسهم صفات البر والتقى ، وما إليها من الصفات الطيبة ، أقربهم إلى الشر وأدناهم  
من السيئات .

يقول : إنهم لعشاق أسماء وأخلاء ألفاظ ، ليس لهم في المعاني والحقائق  
نظر صحيح . فهم كذبة منافقون ؛ يسمّون النجم والهلal والفرقد والسماك ، وما  
لهم في هذه التسمية علة مفهومة ، ولا باعث معقول . قد عظمت آمالهم ، وصغرت  
أعمالهم ، فتعلّقوا بأهداب الشمس ، يبتغون الخير ، وإنما يتعلقون في الحقيقة  
بأسباب الشر والإفك ، ووسائل الغنى والفجور .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ١٦ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٥ ص ١٦٩ من هذا الجزء .

(٣) انظر شرح البيت الثاني من اللزومية ٤٦ ص ٢٨١ من هذا الجزء .

## اللزومية المتممة الخمسين

وقال أيضاً في الرأ المضمومة مع الباء :

١ ( لَا تَسْأَلِ الضَّيْفَ إِنْ أَطْعَمْتَهُ ظُهْرًا

بِاللَّيْلِ : هَلْ لَكَ فِي بَعْضِ الْقَرَى أَرْبٌ )

٢ ( فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلٍ يُبْلَقُهُ

لَا أَشْتَهِي الزَّادَ وَهُوَ السَّاعِبُ الْحَرْبُ )

القرى : ما تُعَدُّه للضيْف تَقْرِيه به وتُحَسِّن إليه . وأرب : حاجة . وفيه لغات : إَرْبٌ ، وإِرْبَةٌ ، ومَأْرَبَةٌ ، ومَأْرَبَةٌ . وفي حديث عائشة رضی الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمْلَسَكُمْ لِإِرْبِهِ » ، أى لحاجته . تعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان أغلبكم لهواه وحاجته ، أى كان يملك نفسه وهواه .

و « من » فى قوله « من قول » لبيان الجنس . يريد : فإن مثل هذا القول ، وهو سؤالك له : « هل لك فى بعض القرى أرب » . ويُلْقَنُه : يُفْهَمُه . وهو من ذوات المفعولين . الهاء المتصلة به أولها ، وثانيهما الجملة المحكيّة : « لا أشتهى الزاد » التى سدت مسدّه ، وكأن التقدير والمعنى : يلقنه ويوحى إليه أن يقول : إني لا أشتهى الزاد .

والساعب : الجائع . وقيل : لا يكون السعْب إلا مع التعب . والحَرْبُ : الذى نزل به الحَرْبُ ، وهو الذى ليس معه شىء قد سَلِبَ ماله كله . أى إنه مع جُوعه مُعْدَم لا ملجأ له إلا إليك ، ولا شىء معه مما يقوته .

يقول : لقد أشتَمِل الضعف على الناس ، حتى إنَّ أحدهم لتعرِّض له الحاجة هو إليها مضطراً وعليها حريص ، وقد سنحت لنيلها الفرصة ، ولكن الحياء ، وهو لون من ألوان الضعف ، يمنعه ويحول بينه وبين ما يريد .

ذلك الضَّيْف يُلِمُّ بك فتقرِّبه ظهراً ، حتى إذا أَمسى الليل فسألته عن مَيله إلى الطعام ورغَبته فيه ، أنكر ذلك وزعم أنه شعبان ممتلئ . وإنه في الحق لساغب حَرِب ، وجائع لغب .

فإن كنت من أهل الإحسان إلى الناس والبرِّ بهم ، فأزلف إليهم إحسانك وبرِّك من غير أن تشاورهم فيه ، فإن مشاورتك إياهم في ذلك ضارَّة لك ولهم ، تضرُّك لأنها تمنعك شيئاً تشتهيهِ ، وتضرهم لأنها تحملهم من الحياء والضعف على الحرمان وسوء الحال .

٣ ( قَدَّمَ لَهُ مَا تَأْتَى لَا تَوَامِرُهُ فِيهِ وَلَوْ أَنََّّهُ الطَّرْثُوثُ وَالصَّرْبُ )

تَأْتَى : تَهَيَّأ . وآمره : شاوره . والطَّرْثُوثُ : نَبْت يُؤْكَل ، وهو رملي طويل مُسْتَدِق ، كالْفَطْرِ يَضْرِب إلى الْحُمُرَةِ يَنْبَس ، وهو دِبَاغٌ للمعدة . واحدته : طرثوثة . وقال أبو حنيفة : وليس فيه شيء أطيبَ من سُوْقته ولا أخلى ، وربما طال وربما قَصُر ، ولا يَخْرُج إلَّا في الحَمَض . وهو ضَرَبَان ، فمنه حُلُو ، وهو الأحمر ، ومنه مُرٌّ ، وهو الأبيض .

وقال أبو زياد : الطرائث تُتَّخَذُ للأدوية ولا يأكلها إلا الجائع لمرارتها . والصَّرْب ، بالفتح ، والتحرّيك : اللَّبَنُ الحَمِيقُ الحامض . وقيل : هو الذي قد حُقِنَ أياً ما في السَّمَاء حتى اشتدَّ حمضُهُ ؛ واحدته : صَرَبَة ، وصَرَبَة .

يقول: أحسن إليهم ما أستطعت ، وقدّم إليهم ما وجدت ؛ لا تُصغر على الإحسان حقيراً، ولا تزدِرْ هيناً ؛ فحسبك من الإحسان إلى الجائع أنك أخذتَ جُوعه ، وأطفأت سَعْبَه . فأما إذا ذه بألوان الطعام المختلفة الطيبة فشيء فوق الحاجة ، تُتَحَيَّنْ له الفرصة ، وتُتَرَبَّصْ به الطاقة والمقدرة .

## اللزومية الواحدة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الباء :

- ١ ( قَدْ أَسْرَفَ الْإِنْسُ فِي الدَّعْوَى بِجَهْلِهِمْ  
حَتَّى أَدَّعَوْا أَنَّهُمْ لِلْخَلْقِ أَرْبَابُ )  
٢ ( إِبْلَاهُهُمْ كَانَتْ بِاللَّذَاتِ مُتَّصِلًا  
طُولَ الْحَيَاةِ وَمَا لِلْقَوْمِ أَلْبَابُ )

الإسراف : مجاوزة القصد ، ومثله : السرف . وقيل : السرف : ضد القصد .  
وحكى ابن الأعرابي : أسرف الرجل ، إذا جاوز الحد ؛ وأسرف ، إذا أخطأ ؛  
وأسرف ، إذا غفل ؛ وأسرف ، إذا جهل . وبكُلِّ يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى .  
والإنس : جماعة الناس ؛ وجمعها : أناس ، وهم الأنس أيضاً . وقيل :  
الأنس : الحى المقيمون ؛ كما قيل : إن « الأنس » لغة فى « الإنس » .  
والدَّعْوَى : اسم لما تدَّعِيه ، وتكون بمعنى « الدُّعَاء » وليس مراداً هنا .  
والباء فى « بجهلهم » للسببية ، أى بسبب جهلهم . و « حتى » هنا ، إما للغاية ،  
أى إلى أن ادَّعَوْا . وإما للابتداء ، وهذه كما تدخل على الجملة الاسمية ، تدخل  
على الفعلية ، فعلها مضارع أو ماض .

وأرباب : جمع رَبِّ . ولا يُقال فى غير الله إلا بالإضافة . وقد جاء فى الشعر  
مطلقاً على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يُذكر فى غير الشعر . وقيل :  
يقال : الرب ، بالالف واللام لغير الله . وقد قالوه فى الجاهلية للملك . قال  
الحارث بن حلزة :



وهو الربُّ والشَّهيدُ على يَوْ مِ الحَيَّارِينَ والبَلَاءِ  
 وربُّ كلِّ شيءٍ : مالكه وصاحبه ومستحقُّه . والتَّخْفِيفُ فيه لغة . قال الشاعر :  
 وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أن ليس فوقه رَبٌّ غير من يُعْطَى الحُظُوظَ وَيَرْزَقُ  
 وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « لا يُقْلُ المملوكُ لسيده ربِّي » . وأما  
 قوله تعالى : ( اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) فإنه خاطبهم على المتعارف عندهم ، وعلى  
 ما كانوا يسمّونهم به .

وأما الحديث في ضالة الإبل « حتى يلقاها ربُّها » فإن البهائم غير متعبدة  
 ولا مخاطبة ، فهي بمنزلة الأموال التي تجوز إضافة مالِكها إليها ، وجعلهم  
 أرباباً لها .

وَأَلْبَ على الأمرِ إلباباً : لزمه فلم يفارقه . وبالمكان : أقام به ولزمه .  
 والألباب : العقول ؛ الواحد : لُب ؛ ويُجمع على : أَلْبُب ، وأَلْب ، أيضاً .  
 يقول : ما أَجْهَلَ النَّاسَ وأشدَّهم بجهلهم غروراً ! وما أَغْبَاهُمْ وأَعْظَمَهُمْ  
 بغبائهم افتناناً ! لقد جهلوا كلَّ شيءٍ حتى أنفسهم ، فما زالوا لها مُكْبِرِينَ  
 وبها مفتونين ؛ حتى وضعوها موضع الآلهة ، وأنزلوها منزل الأرباب . وإنهم  
 مع ذلك لَمُكْبِتُونَ على الازدة ، مُقِيمُونَ على الإنم ، لا يمنعهم من ذلك عقل ،  
 ولا يردعهم عنه لُب ، ولا تُزهدهم فيه بصيرة .

٣ ( أَجْرَى مِنَ الْخَيْلِ آمَالٌ أَصْرَفُهَا

لَهَا بِحَيِّ تَقْرِيبٌ وَإِخْبَابٌ )

٤ ( فِي طَاقَةِ النَّفْسِ أَنْ تَتَنَّى بِمَنْزِلِهَا

حَتَّى يَحَافَ عَلَيْهَا لِلثَّرَى بَابٌ )

« أَجْرَى » تفضيل . أى خير من الخيل جَرِيًا ، خبر مقدّم ، و « آمال » مبتدأ مؤخر . وتصريف الآمال : إعمالها في غير وجه ، كأنه يصرفها عن وجه إلى وجه . يشير بالجمع إلى كثرة أطاعه ، وبتصرفها إلى تشعب رغباته واختلاف أمانيه . و بوصفها بالجرى السريع إلى أنه لا يكاد ينفذ يده من تحقيق أمل إلا إلى أمل .

والحُثُ : الإجمال في اتصال . وقيل : هو الاستعجال ما كان . والتقريب : ضربٌ من العدو ، وهو أن يرفع الفرس يديه معاً ويضعهما معاً . وهو دون الحُضُر . وفي حديث الهجرة : « أتيتُ فرسى فركبتها ، فرفعتها تُقرَّبُ بى » . والإخباب ، من : أخبَّ الفرسَ صاحبها ، إذ جعلها تجرى الخلب ، وهو ضرب من العدو سريع . وقيل : هو أن ينقلَ الفرسُ أيامه جميعاً وأياسره جميعاً . وقيل : هو أن يراوح بين يديه ورجليه .

وكان السياق يقضى أن يقول : تقريب وخبب . إلا أنه وضع « الإخباب » مكان « الخلب » . ولعله مما أهملته المعاجم . أو لعله على تأويل : أن حَثَّه لها جعلها تُلهب نفسها . فكان ذلك منها إخباباً .

والطاقة : القدرة . طاقه طوقاً ، وأطاقه إطاقة . والطاقة ، اسم وضع موضع المصدر . وقال ابن جرير : الطاقة : أقصى غاية الإنسان ، وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة منه . وتغنى : تستغنى . وأجاف الباب : رده . قال الشاعر :  
فَجئنا من الباب المجاف تواتراً وإن تقعدا بالخلف فآلخلف واسعُ  
وفي الحديث : « أجيفوا أبوابكم » أى رُدُّوها . واللام في « للثرى » موافقة « من » . ويريد « بباب من الثرى » ما يُيهال عليه من التراب حين يُورارى في قبره .

يقول : آمالهم أعدى من الخيل ، وأمضى من العاقيب . ولكنهما إنما تعدو

بهم إلى يأس ، وتسرع بهم إلى قنوط . ما لهم لو قنعوا بما ينالهم من رزق فقنعوا  
في كسر بيوتهم ، مرتقبين زيارة الموت لهم وإمامه بهم ! إنهم لأحرى أن  
يحتجبوا في الحياة كما سيحتجبون في الموت ؛ فذلك أبقى لهم من الشر ، وأوفى  
لهم من المكروه .

هـ ( فَاجْعَلْ نِسَاءَكَ إِنْ أُعْطِيتَ مَقْدِرَةً  
كَذَاكَ وَأَحْذَرْ فَلَمَقْدَارٍ أَسْبَابُ )

كذلك ، أي على مثل تلك الحال التي أوصيك بها . والمقدار : القدر . وقد  
مر<sup>(١)</sup> . ويريد به : ما يتعرض له من الغواية . والأسباب : كل ما يتوصل به  
إلى الغرض ، الواحد : سبب . يريد : وسائل الإغراء والفتنة .

يقول : الجدّد الجدّد في أن تحمل نساءك على هذه الخطّة ، مُسدلاً عليهم في  
الحياة حجاباً ، ليس أقلّ متانةً وشفقةً من حجاب الموت ؛ فإن الشرّ إليهم  
أسرع ، وبصفهين أكلف ؛ وللاّثم عليهم سلطان نافذ الكلمة ، مبسوط الظلّ ،  
لا يعصمهم منه إلا حبسهم عنه .

٦ ( وَكَمْ جَنَّتْ مِنْ هَجُولٍ جُجِبَتْ وَوَفَتْ  
مِنْ حُرَّةٍ مَا لَهَا فِي الْعَيْنِ جِلْبَابُ )

كم ، هنا : خبريّة ، بمعنى كثير . وتشترك مع الاستفهامية في : الاسميّة ،  
والإبهام ، والافتقار إلى التمييز ، والبناء ، ولزوم التصدير . ويفترقان في خمسة

(١) انظر شرح البيت السادس من اللزومية ٢٧ ص ١٨٠ من هذا الجزء .

وشرح البيت الثالث من اللزومية الأولى ص ٦٠

أمور . الأول : أن الكلام مع الخبرية محتمل للتصديق والتكذيب . الثاني : أن المتكلم مع الخبرية لا يستدعى من مخاطبه جواباً ؛ لأنه مُخبر ، والمتكلم بالاستفهامية يستدعيه ، لأنه مستخبر . الثالث : أن الاسم المبدل من الخبرية لا يقتزن بالهمزة ، بخلاف المبدل من الاستفهامية . الرابع : أن تمييز « كم » الخبرية مفرد أو مجموع ، ولا يكون تمييز الاستفهامية إلا مفرداً ، خلافاً للكوفيين . والخامس : أن تمييز الخبرية واجب الخفض ، وتمييز الاستفهامية منصوب ، ولا يجوز جره مطلقاً . خلافاً لبعضهم .

و « من » هنا ، لبيان الجنس ، وذلك لإيهام « كم » .

والجلباب : ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، تغطي به المرأة رأسها وصدرها . وظاهر أنه ملتفت إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب : ( يَذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ) . وإلى قوله تعالى في سورة النور : ( وَلِيَضْرِبْنَ بِمِخْمَرِهِنَّ ) .

يقول : على أئى لا أكذبك ، لا أستطيع أن أثق بفناء الحجاب أو نفعه . فكم جرى خلف الحجاب من آثام ! وكم وقع دون الستر من منكر ! وكم خانت المحجوبة المقصورة زوجها بغمز العيون ولحظها ! وكم وفّت له تلك الحرة السافرة ، تنالها العيون وتلتهمها الأنظار !

٧ ( أَذَى مِنَ الدَّهْرِ مَشْفُوعٌ لَنَا بِأَذَى

هَذَا الْمَحَلُّ بِمَا تَخْشَاهُ مِنْ بَابِ )

٨ ( يَزُورُنَا الْخَيْرُ غِيًّا أَوْ يُجَانِبُنَا

فَهَلْ لِمَا يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ إِغْبَابُ )

هذا المحل ، أى الدنيا . والرباب من الأرضين : التى كثر نبتها .

و « بما تخشاه » متعلق بـ « مر باب » أى مر باب بما تخشى وتخاف . يشير إلى كثرة شرور الحياة .

والغيب ، فى الأصل : من ورود الماء ، وهو أن تشرب يوماً ويوماً لا . وهو فى الزيارة ، أن تزور يوماً وتدع يوماً أو أياماً . ومنه : زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا . وقال الحسن : الغيب فى الزيارة : فى كل أسبوع .

وجانبه : بعد عنه . و « هل » مما يُراد بالاستفهام بها التّنى ، فكأن المعنى : لا إغباب لما يكره الإنسان . والإغباب : ألا تأتى كل يوم . ومنه : أغبّ عطاؤه ، إذا لم يأت كلَّ يوم . وأغبت الإبل ، إذا لم تأت كل يوم بلبن . يُشير إلى اتصال الأذى ، وأنه ليس كالخير فى زوراته .

وفى الحديث : « أَغْبُوا فى عيادة المريض وأزبعوا » أى عدّ يوماً ودع يوماً ، أو دَعْ يومين وعدّ اليوم الثالث .

يقول : لا أخفى عليك ما أرى ، إلا أن هذا الدهر علينا حربٌ ، قد أحاطنا بالأذى من كل وجه ، ورصدنا بالشر من كل سبيل ، فليس لنا حيلة فى التخلص من شباكه ، ولا مندوحة عن الوقوع فى أشراكه . لقد أخصبت الأرض بالشر فما فيها موضع قدم إلا وهو بالإثم ملئ ، فأجذبت من الخير فما يزورها إلا غيباً . ويح الإنسان ! يود أنه حين لم يقدر له أن يكون الخير له حليفاً ، والصلاح له أليفاً ، قدر له أن يكون نصيبه من الشر ونصيبه من الخير متعادلين ، ليس لأحدهما على الآخر رُجحان ، لكان احتمال الحياة عليه ميسوراً ؛ ولكنه شرٌّ غالب ، وسوءٌ محيط .

- ٩ ( وَقَدْ أَسَاءَ رَجُلٌ أَحْسَنُوا فَقُلُوا وَأَجْمَلُوا فَإِذَا الْأَعْدَاءُ أَحْبَابُ )  
 ١٠ ( فَأَنْفَعُ أَخَاكَ عَلَى ضَعْفٍ تُحْسِنُ بِهِ إِنَّ النَّسِيمَ يَنْفَعُ الرُّوحَ هَبَّابُ )

قُلُوا : اُبْغِضُوا وَكُرِّهُوا غَايَةَ الْكَرَاهِيَةِ . قَلَاهُ يَقْلِيهِ ، قَلَى وَقَلَاءُ ؛ وَيَقْلَاهُ ،  
لُغَةً طَيِّبَةً . وَأَنْشُدْ تَعْلَبُ :

أَيَّامَ أُمِّ الْغَمَرِ لَا نَقْلَاهَا      وَلَوْ نَشَاءُ قُبِّلَتْ عَيْنَاهَا  
وَأَجَلُوا : اُعْتَدِلُوا وَأَتَادُوا وَأَحْسِنُوا .

و « عَلَى » فِي « عَلَى ضَعْفٍ » لِلْمَصَاحِبَةِ . أَيْ مَصَاحِبًا ضَعْفًا ، فِي مَوْضِعِ  
الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكْنِ فِي « فَانْفَع » .

وَهَبَّابُ : صَيْغَةُ مِبَالِغَةٍ مِنْ « هَبَّ » . وَلَا تَنْقَاسُ فِي اللَّازِمِ ، وَقَدْ تَجَيَّءَ مِنْهُ .

يَقُولُ : تِلْكَ هِيَ كَلِمَةُ الْحَقِّ ، وَلَكِنْ قَائِلُهَا مُبْغِضٌ مَنبُودٌ ، لِأَنَّهُ يَكْشِفُ  
لِلنَّاسِ عَنْ بَاطِلِهِمْ ، وَيُبَاعِدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غُرُورِهِمْ . وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ الْقَوْلِ الشَّدِيدِ  
عَلَيْهِمْ ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ نَافِعًا . فَخَلِيقُ بَكَ إِنْ كُنْتَ لِلْإِنْسَانِ مُحِبًّا ، وَعَلَيْهِ مُشْفَقًا ،  
أَنْ تَجْتَهِدَ فِي نَفْعِهِ وَالْبَرِّ بِهِ مَا اسْتَطَعْتَ ، لَا يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ ضَعْفٌ ، وَلَا يَصْرِفُكَ  
عَنْهُ فُتُورٌ ؛ فَإِنْ رَقَّةَ النَّسِيمِ وَفُتُورُهُ لَا يَمْنَعَانِهِ أَنْ يَحْمِلَ إِلَى الرُّوحِ ، مِنْ سَقَمِهِ وَنُحُولِهِ ،  
صِحَّةً وَعَافِيَةً ، يَمْتَنِعَانِهِ بِالْحَيَاةِ ، وَيَنْعَمَانِهِ بِطَيْبِ الْعَيْشِ .

## اللزومية الثانية والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الجيم :

١ ( يَا صَاحِبَ مَا أَلِفَ الْإِعْجَابَ مِنْ نَفَرٍ

إِلَّا وَهُمْ لِرُءُوسِ الْقَوْمِ أَعْجَابُ )

يا صاحب ، أى يا صاحب ، مُنَادَى مَرْخَمٌ ، ولك في الحاء الضم ، على لغة من لا يلحظ الحرف الأخير ، أو الكسر على لغة من يلحظه .

وَأَلِفَ الشَّيْءِ يَأْلِفُهُ : لَزِمَهُ . و « من » في « من نَفَرٍ » مزيدة لتوكيد العموم . وشرطها أن يتقدمها نفي أو نهى أو استفهام بهل ، وأن يكون مجرورها منكراً ، وأن يكون فاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ . و « نفر » فاعل . والنفر : ما دون العشرة . ومنهم من خَصَّصَ فقال : للرجال دون النساء . وقيل : النفر : الناس كلهم . وقيل : النفر والقوم والرهط ، هؤلاء معاناهم : الجمع ، لا واحد لهم من لفظهم . وقيل : النفر : هم رهط الإنسان وعشيرته ، اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وَأَعْجَابُ : جمع عُجْبٍ ، وهو من كل دابة : ما انضم عليه الورك من أصل الذنب كله . وقال اللحياني : هو أصل الذنب وعظمه .

يقول : إِيَّاكَ أَنْ تَفْتَتِنَ بِنَفْسِكَ ، أو تَفْتَرَّ بِمَا أُوتِيتَ مِنْ فَضِيلَةٍ ، فَيَذْفَعَكَ ذَلِكَ إِلَى التَّيِّهِ وَالْخَالِ ، وَإِلَى الصَّلَفِ وَالْكِبْرِيَاءِ . فما أرى أصحاب الإعجاب إلا أعجاب الناس وأذئابهم ، وما أعرف أهل التَّيِّهِ إلا أصغر خلق الله عُقُولاً وَأَقْلَهُمْ فَضْلاً .

٢ ( مَالِي أَرَى الْمَلِكَ الْمَحْجُوبَ يَمْنَعُهُ

أَنْ يَفْعَلَ الْخَيْرَ مُنَاعٌ وَحُجَّابٌ )

« أن يفعل » في موضع النصب على المفعولية. ومُنَاع : جمع مانع ، والمسموع : مَنَعَةٌ ، والقصد المشاكلة بـ « حُجَّاب » .

يقول : لا يصدُّكَ عن الخير صادٌ ، ولا يردُّكَ عنه رادٌ ، فإنَّ الرجلَ خَلِيقٌ أن يَمْضِيَ إلى غَرَضِهِ مُضَيَّ السَّهْمِ ، لا يعترضه حائلٌ إلَّا اخترقه ونفذ منه . لقد عجبتُ من أمر هؤلاء الناس ، يَقْدِرُونَ على الخير فلا يأتونه ، ويُبتاح لهم البرُّ فلا ينفذون إليه . هل رأيت أقدر من الملوك على نافلةٍ من فَضْلٍ ! وهل رأيت أنفذَ منهم إلى عارفةٍ من نعمة ! وهل رأيت بعد ذلك أبعدَ منهم عن الإحسان ، وأغصى منهم للمعروف ، وأطوعَ منهم لِحُجَّابِ السَّوْءِ !

٣ ( قَدْ يَنْجُبُ الْوَلَدُ النَّاسِيَّ وَوَالِدَهُ فَسَلٌ وَيَفْسِلُ وَالْآبَاءُ أَنْجَابٌ )

ينجُبُ : يفْضُلُ ويكرِّم . والنَّاسِي : النَّابِتُ النَّاشِئُ . والفَسْلُ : الرَّذْلُ النَّذْلُ الذي لا مَرْوَةَ له ولا جَلَدَ . والجمع : أَفْسُلٌ ، وفُسُولٌ ، وفِسَالٌ ، وفُسُلٌ . قال سيبويه : والأكثرُ فيه « فِعَالٌ » وأما « فُعُولٌ » ففرْعٌ داخلٌ عليه ، أَجْرَوهُ مُجْرَى الْأَسْمَاءِ ؛ لِأَنَّ « فِعَالًا » و « فُعُولًا » يَعْتَقِبَانِ عَلَى « فَعَلٍ » فِي الْأَسْمَاءِ كَثِيرًا ، فَحُمِلَتِ الصِّفَةُ عَلَيْهِ . والفِعْلُ منه « فُسِلَ » بالضم ، و « فَسِلَ » وزان فرح . وحكى سيبويه : فُسِلَ ، على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله ، وقال : كأنه وضع ذلك فيه .

وأنجَاب : جمع نَجِيب ، وهو الكريم الحسيب ، ويجمع أيضاً على : نُجَبَاءَ ، وَنُجُبٌ .



يقول : عليك نفسك فأصلحها مجتهداً ، وطبَّ لها ناصحاً ، وتعهدها بالإرشاد ؛  
لا يَقْعُدَنَّ بك عن طلب الخير أن حَظَّ آبائك منه موفور ، ولا يَمْنَعَنَّكَ من حُبِّ  
الإحسان أن أيدى آبائك منه صِفْرَةٌ ؛ فَرُبَّ أبٍ خَامِلٍ أَنجَبَ ، ورُبَّ أبٍ  
نجيب أساء النّسل .

٤ ( فَرَجَّبَ اللهُ صِفْرًا مِنْ مَحَارِمِهِ فَكَمْ مَضَتْ بِكَ أَصْفَارٌ وَأَرْجَابٌ )

رَجَّبَ اللهُ ، وأرجبه ، ورَجَّبه رَجَبًا ، ورَجَّبه رَجَبًا : هابه وعظّمه . قال  
الراجز :

\* أَحْمَدُ رَبِّي فَرَقًا وَأَرْجَبُهُ \*

وصِفْرًا ، مثله الصاد : خاليًا . وكذلك الجميع والمذكر والمؤنث سواء . قال  
الشاعر :

تري أن ما أنفقتُ لم يكُ ضررني وأن يدي مما بخلتُ به صِفْرُ

وقالوا : الجمع من كل ذلك : أصفار . قال الشاعر :

ليست بأصفارٍ لمن يَعْفُو وَلَا رُحَّ رَحَارِحِ

وقالوا : إناء أصفار : لا شيء فيه .

وأصفار : جمع « صَفَر » ، وهو الشهر الذي بعد المُحَرَّم ، سُمِّيَ صِفْرًا ،  
لأنهم كانوا يمتارون الطعام فيه من المواضع . وقيل : لإصفار مكة من أهلها إذا  
سافروا . وقيل : لأنهم كانوا يَغْزُونَ فيه القبائل فيتركون من لَقُوا صِفْرًا من المتاع .  
وذلك أن « صِفْرًا » بعد « المحرم » ، فقالوا : صِفِرَ الناسُ مِنَّا صِفْرًا .

قال ثعلب : كلهم يصرفون « صِفْرًا » إلا أبا عبيدة . وإذا جمعه مع  
« المُحَرَّم » قالوا : صَفْرَان .

وأرجاب : جمع « رَجَب » ، الشهر المعروف . وقد مرَّ<sup>(١)</sup> .

يقول : عليك ربك فَرَجَبُهُ مُعْظَمًا لَهُ ، مُقِيمًا لَشَعَائِرِهِ ، مُتَجَنِّبًا لِحَارَمِهِ .  
لَا تُؤْمَلُ بِذَلِكَ اِمْتِدَادُ الْأَجَلِ ، وَلَا تَتَرَبَّصُ بِهِ فُسْحَةُ الْعُمُرِ ؛ فَإِنْ مَرُورُ الْأَيَّامِ  
وَكُرُورُ الدُّهُورِ خَلِيقٌ أَنْ يُدْنِيكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَيَنْتَهِي بِكَ إِلَى الْحِمَامِ .

٥ ( وَيَعْتَرِي النَّفْسَ إِنْكَارٌ وَمَعْرِفَةٌ      وَكُلُّ مَعْنَى لَهُ تَنْقِيٌّ وَإِيجَابٌ )  
٦ ( وَالْمَوْتُ نَوْمٌ طَوِيلٌ مَالَهُ أَمَدٌ      وَالنَّوْمُ مَوْتُ قَصِيرٌ فَهُوَ مُنْجَابٌ )

يعتري : يغشى وينتاب . و « إنكار ومعرفة » : أى شك ويقين .

والإيجاب : الإثبات . يريد ما تعرض له كل دعوة من بطلان وإثباتٍ .

والأمد : الغاية . وقال شَمِرُ : الأمد : أمدان ، أحدهما ابتداء خلقه ، والثاني  
الموت . ومن الأوّل حديث الحجاج حين سأل الحسن فقال : ما أمدك ؟ قال :  
سَلَتَانِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ . أَرَادَ أَنَّهُ وُلِدَ لِسِنَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ .

ومنجباب : منكشف . وما أشبه هذا البيت ببيته قبل<sup>(٢)</sup> :

وَنَوْمِي مَوْتُ قَرِيبٌ الشُّورِ      وَمَوْتِي نَوْمٌ طَوِيلٌ الْكَرَى

يقول : لَا يُفَزَّعَنَّكَ هَذَا الْاسْمُ ، وَلَا يَرَوْعَنَّكَ هَذَا اللَّفْظُ ؛ فَمَا أَعْرِفُ خَوْفَ  
النَّاسِ مِنْهُ وَارْتِيَاعَهُمْ لَهُ إِلَّا وَهًا بَاطِلًا ، وَضَعْفًا شَامِلًا ؛ وَمَا أَرَى أَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا نَوْمَ  
طَوِيلٍ ، كَمَا أَنَّ النَّوْمَ مَوْتُ قَصِيرٍ .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٤٧ ص ٢٨٥ من هذا الجزء .

(٢) انظر شرح البيت ٢٩ من اللزومية ٣٤ ص ٢١٩ من هذا الجزء .

## اللزومية الثالثة والخمسون<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع العين :

١ ( مَاقَرَّ طَاسُكَ فِي كَفِّ الْمُدِيرِ لَهُ إِلَّا وَقَرَّ طَاسُكَ الْمَرْعُوبُ مَرْعُوبٌ )

قَرَّ ، على ما سُمِّيَ فاعله : استقرَّ وثبت . والمضارع فيه بكسر العين وفتحها .  
والأول أعلى . ويكون على ما لم يُسَمَّ فاعله ، بمعنى : صُبَّ وهُرِيق . يقال : قَرَّ  
يَقَرُّ ، بضم العين في المضارع : صَبَّ . وعلى الثانية فالجار والمجرور « في كف »  
في موضع الحال . « والمدير له » ، أى الذى يدور به على الشرب . « وَقَرَّ طَاسُكَ » ،  
أى جِسمك الأملس الفَتَّى ؛ ومنه : القِرطاس ، للجارية البيضاء المديدة القامة ؛  
وللنَّاقَة إذا كانت فتية شابة . وفى البيت جناس غير تام .

والمَرْعُوب : البض الممتلئ . و« مَرْعُوب » ، أى قد أصابته نفضة ورِعدة وانخزال .

يتناول : القَصْدَ القَصْدَ فَمَا تُحِبُّ مِنْ لَذَّةٍ ، وما تستوفى من مُتَعَةٍ ؛ فَإِنْ عُكُوفُكَ  
على اللذات ، واستجابتك للشهوات ؛ لن يزيدك إلا خَبَالًا ، ولن يُفيدك إلا  
وَبَالًا . إِنَّ هَذِهِ الْكَأْسُ الْجَمِيلَةُ الْمُتَرَعَّةُ لَتَمَلَأُ عَيْنُكَ بَجَمَالٍ وَبِهَجَّةٍ ، حين تَنظُرُ  
إِلَيْهَا مُسْتَقَرَّةً فِي كَفِّ سَاقِيهَا الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، ولكنك لا تكاد تحسوها حتى تَمَلَأُ  
جِسمَكَ سَقَمًا واعتلالًا ، فترغب منه ساكنًا ، وتزعزع منه هادئًا ، وتهزل  
منه مُمْتَلِئًا .

( ١ ) جاءت هذه اللزومية فى بعض الأصول بعد التى تليها .

٢ ( تَضْحِي وَبَطْنُكَ مِثْلُ الْكَعْبِ أَبْرَزَهُ  
رِيٌّ وَرَأْسُكَ مِثْلُ الْقَعْبِ مَشْعُوبٌ )

الكعب : الكتلة من السمن . وكل شيء علا وارتفع ، فهو كعب أيضاً .  
وأبرزه ، أى أخرجه عن حاله الأولى . والقعب : القدح الضخم الغليظ الجافى .  
وقد مره<sup>(١)</sup> .

ومشعوب : أى قد تصدّع وتفرّق . يريد : العقل ، ومقره الرأس ، وقد توزّع  
وتشتّت .

يقول : إنك لتضحى وقد روتك الصبوحُ فبرز بطنك بين يديك ، وبان  
ممتلئاً ، ولكن ضع يدك على رأسك فقد أصابه الصداع ، وعبث به الدوار ،  
فانشعب كما يانشعب الإناء المثلوم .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٣٧ ص ٢٤٦ من هذا الجزء .

## اللزومية الرابعة والخمسون<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

- ١ ( في الْبَدْوِ خُرَابٌ أَذْوَادٍ مُسَوِّمَةٌ      وفي الْجَوَامِعِ وَالْأَسْوَاقِ خُرَابٌ )
- ٢ ( فَهَؤُلَاءِ تَسْمَوْنَ بِالْعُدُولِ أَوْ الشَّجَارِ      واسمُ الْأَكِ الْقَوْمِ أَغْرَابٌ )

البدو : خلاف الحضر ، ومثله : البادية والبدأة .

وخُرَابٌ : جمع خارب ، وهو سارق الإبل خاصة ، ثم نُقِلَ إلى غيرها اتساعاً . وقيل : هو اللص ، ولم يُخصَّص به سارق الإبل ولا غيرها . وأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل ، الثلاث إلى التسع ، وقيل : إلى العشر ، أو خمس عشرة ، أو عشرين ، أو ثلاثين . وقيل : الذود : جمع لا واحد له من لفظه . وقيل : هو واحد وجمع .

والمُسَوِّمَةُ : المُرْسَلَةُ ترعى حيث تشاء . وقد مرَّتْ<sup>(٢)</sup> و « العُدُول » : الذين يعدلون ولا يميل بهم الهوى ؛ الواحد : عادل و « أَلَى » جمع لا واحد له من لفظه ، واحده « ذا » للمذكر ، و « ذِه » للمؤنث ، ويمدّ وَيُقَصِّر ، فإن قَصَرَتْه كَتَبَتْه بالياء ، وإن مددته بنيتة على الكسر ، ويستوى فيه المذكر والمؤنث ، وتُزَادُ في « ألى » اللام ، فيُقَالُ : أَلَاكَ . قال الشاعر :

أَلَاكَ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةً      وَهَلْ يَعْظُ الصَّلِيلَ إِلَّا أُولَا لِكَأَ  
والأعراب : كل من نزل البادية أو جاور البادين ، أو ظعن بظعنهم وانتوى

(١) جاءت هذه اللزومية في بعض الأصول قبل سابقتها .

(٢) انظر شرح البيت الأول من اللزومية التاسعة ص ٩٠ من هذا الجزء .

بأنتوائهم ؛ الواحد : أعرابي . وأما من نزل بلاد الرّيف واستوطن المدن والقُرى العربية وغيرها ، ممّن ينتمى إلى العرب ، فهم عرب ، وإن لم يكونوا فصحاء . والأعرابي إذا قيل له : يا عربيّ ، فرح بذلك وهشّ له . والعربيّ إذا قيل له : يا أعرابيّ ، غَضِبَ له .

يقول : لا يَخْدَعُكَ ما أَكثَرَ الناسُ فيه من تفرقة بين البدو والحضر ، ومن حمديّ لهذا وذمّ لذلك . فما رأيتُ لأحدهما على صاحبه فضلاً ، وما عرفتُ بينهما فرقاً ، إلاّ الأسماء والألفاظ .

هنالك في البادية قام الأعرابُ يُفسِدُونَ وَيَعِيثُونَ ، وَيَسْلُبُونَ وَيَنْهَبُونَ ، فسمّوهم لصوصاً وأشراراً ، وهنا في الحاضرة قام الحضريّون يَفْعَلُونَ الأفاعيل ، من غَشٍّ وَخَتَلٍ ، ومن خداعٍ وَمَكْرٍ ، ومن كَذِبٍ وَزُورٍ ، ومن غِيٍّ وَفُجُورٍ . يفعلون ذلك في الأسواق والمساجد ، تحت ستارِ شَفَافٍ من النُّسك والتَّجارة ، ويُسمّون أنفُسَهُم تجاراً ونساکا ، وما أجد لأختلاف الأسماء قيمة ، وإنما أعرف أنه الشرّ قد رُكِبَ في جميع الطبائع ، واشتمل على جميع الأخلاق .

## اللزومية الخامسة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المشددة :

- ١ ( نَفُوسٌ لِلْقِيَامَةِ تَشْرَبُ وَغَىٌّ فِي الْبَطَالَةِ مُتَلَبٌ )  
 ٢ ( تَأْتِي أَنْ تَجِيءَ الْخَيْرَ يَوْمًا وَأَنْتَ لِيَوْمِ غُفْرَانٍ تَتَبُّ )

اشرب : رفع رأسه ومدّ عنقه . وفي حديث : « ينادى مناد يوم القيامة : يا أهل الجنة ، ويا أهل النار . فيشرئبون لصوته » . أى يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه .

وغىّ ، أى رجل غوىّ مُفسد ، وصف بالمصدر ، اجتزأ به عن الموصوف .  
 والبطالة ، بالفتح : اللهو والجهالة .

وقال ابن الأعرابي : هى التعتّل . ثم قال : بطل الأجير ، بالفتح ، يبطل بطالة ، بالفتح والكسر ، أى تعطل ، فهو بطل .

وهى أيضاً بمعنى الشجاعة ، تقول : فلان بين البطالة : أى شجاع . وهى من هذا . كأن الأشداء يبطلون عنده ؛ أو كأن دماء الأقران تبطل عنده فلا يدرك عنده ثار ؛ أو كأنه يبطل العظام بسيفه . والفعل : بطل يبطل ، إذا صار شجاعا . وجعلها أبو عبيد « أى البطالة » من المصادر التى لا أفعال لها .

ومتلئب : ماضٍ لا ينتهى . والأصل فى الفعل : الاستقامة والاستواء . ومنه : اتلاب الفرس : إذا أقام صدره ورأسه . قال لبيد يصف حمارا :

فأوردها مسجورة تحت غابة من القرنتين واتلاب يحوم

والهمزة فى الفعل أصل ، وهو من الرباعى « تلأب » . ووهم الجوهرى فذكره

فى « تلأب » .

وثأبى، أى تتأبى . حذف تاء المضارعة . والتأبى : الامتناع . و«أن تجيء الخير» : أن تفعله . و«تئب» : تتهماً وتجهز . أب ، يئب ، ويؤب ، أباً ، وأيباً ، وأبابةً . وقال أبو عبيد : أب يؤب أباً : إذا عزم على المسير وتهياً . والمعنى على الوجهين واضح .

يقول : فقدتم أيها الناس ! ما أكثر ما أنتم فيه من تناقض ! وما أشد ما أنتم عليه من تضارب ! تنتظرون الحساب وترجون المعاد ، وتعتقدون لكل عمل جزاءً من خير أو شر ، ثم لا يمنعكم ذلك أن تكونوا آلاف الغي وأحلاف الفجور . أعدمتكم أيها الناس ! ما أكثر ما أنتم فيه من غفلة ! وما أشد ما أنتم عليه من بله ! أترجون من ربكم الثواب ولا تقدمون بين يدي رجائكم الخير ! تحرصون على مغفرته وجنته ، ولا تحفلون برضائه وطاعته ! لقد طمعتم فيه مغرورين . وأيا ستموه منكم مفتوتين .

- ٣ ( فَلَا يَغْرُرُكَ بَشْرٌ مِنْ صَدِيقٍ      فَإِنَّ ضَمِيرَهُ إِحْنٌ وَخَبٌ )  
 ٤ ( وَإِنَّ النَّاسَ طِفْلٌ أَوْ كَبِيرٌ      يَشِيبُ عَلَى الْغَوَايَةِ أَوْ يَشِبُّ )

إحْن : جمع إحنة ، وهى الحقد فى الصدر؛ وقد يُقال فيها: حِنة . ومنه الحديث : « لا تجوز شهادة ذى الظنة والحِنة » . والخَب : الخداع والخُبث والنُّكر ؛ خَبٌّ يَخُبُّ خَبًّا .

والغَوَايَةِ : الانهماك فى الغي . وفى البيت لفٌ ونشر غير مُرتَّب .

يقول : ألا لا يغركم ما يحدّكم به الزمان من ابتسام يستهوى عقولكم ، وخَفَضٌ يُغريكم بالفساد ؛ فإن هذا المُتَبَسِّمَ لكم المُتَاطَفُ بكم ، لا يُضمر لكم إلا الشرّ ، ولا يُريد بكم إلا الشؤ .



أَسِئْتُوا الظَّنَّ بِهِ وَبِكُلِّ مَا تَجِدُونَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ ، لَا تَتَّخِذُوهُ بِمَا يَجْنُو لَكُمْ مِنْ مَظَاهِرَ ، وَمَا يَضَعُ لَكُمْ مِنْ أَسْمَاءٍ ؛ فَإِنَّمَا هِيَ بُرُوقُ خَلَائِبَةٍ تُوهِمُكُمُ الْغَيْثُ ثُمَّ لَا تُمَطِّرُكُمْ إِلَّا الْعَذَابُ ؛ إِنَّمَا أَصْدَقَاؤُكُمْ لَكُمْ أَعْدَاءُ ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الرِّيَاءِ مَهَرَةٌ وَبِالْخِدَاعِ أُمْلِيَاءُ ؛ إِنَّمَا الشَّرَفُ فِي النَّاسِ طَبِيعَةٌ لَازِمَةٌ ، يَنْشَأُ فِيهِ النَّاشِئُ ، وَيَشُبُّ فِيهِ الشَّابُّ ، وَيَهْرَمُ فِيهِ الشَّيْخُ .

هـ ( تَحِبُّ حَيَاتَكَ الدُّنْيَا سَفَاهًا وَمَا جَادَتْ عَلَيْكَ بِمَا تُحِبُّ )

السفاهُ والسفاهة : خِفَّةُ الْحِلْمِ ؛ وَقِيلَ : نَقِيضُهُ ؛ وَقِيلَ : الْجَهْلُ . وَأَصْلُهُ : الْخَفَّةُ وَالْحَرَكَةُ . وَهُوَ قَرِيبٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ . يُقَالُ : سَفِهَ حِلْمَهُ وَرَأْيَهُ وَنَفْسَهُ ، سَفَهَا وَسَفَاهًا : حَمَلَهُ عَلَى السَّفْهِ . قَالَ اللَّحْيَانِيُّ : هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْعَالِي . قَالَ : وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : سَفُهُ ، وَهِيَ قَلِيلَةٌ .

يقول : إِنَّمَا تُحِبُّونَ دُنْيَاكُمْ حَسَنَاءَ فِتْنَانَةٍ ، وَلَكِنَّهَا كَاذِبَةٌ الْوَعْدِ نَاقِضَةٌ الْعَهْدِ ؛ تَعِدُ وَلَا تَفِي ، وَتُمَنِّي وَلَا تُنْفِي ؛ إِنَّكُمْ لَتَشْتَاقُونَ إِلَيْهَا ، وَتَكْلِفُونَ بِهَا ، وَتَجْنُونَ مِنْ حُبِّهَا الْعَلَقَمَ وَالصَّابَ ، ثُمَّ لَا تَثَابُونَ بِهَذَا الشَّوْقِ إِلَّا غَمًّا ، وَلَا تُجْزُونَ مِنْ هَذَا الْكَافِ إِلَّا حُزْنًا .

٦ ( وَإِنَّكَ مُنْذُ كَوْنِ النَّفْسِ عَنَسًا لَتُوضِعُ فِي الضَّلَالَةِ أَوْ تَحُبُّ )

« مُنْذُ » وَ « مَذْ » لهما ثلاث حالات : إحداهما : أَنْ يَلِيَهُمَا اسْمٌ مَجْرُورٌ . فَتَقِيلُ : هُمَا اسْمَانِ مَضَافَانِ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمَا حَرْفَا جَرٍّ بِمَعْنَى « مِنْ » إِنْ كَانَ الزَّمَانُ مَاضِيًا ، وَبِمَعْنَى « فِي » إِنْ كَانَ حَاضِرًا ، وَبِمَعْنَى « مِنْ » وَ « إِلَى » جَمِيعًا إِنْ كَانَ مَعْدُودًا .

والثانية : أَنْ يَلِيَهُمَا اسْمٌ مَرْفُوعٌ ، مُبْتَدَأٌ وَمَا بَعْدَهَا خَبَرٌ ، وَمَعْنَاهَا

الأمدان ، إن كان الزمان حاضراً أو معدوداً، وأول المدة إن كان ماضياً . وقيل :  
ظرفان مُخْبِرٌ بهما عمّا بعدهما . ومعناها : بين و بين ، مضافين ، فعنى : ما لقيته  
مذ يومان ، أى بينى و بين لقائه يومان .

والثالثة : أن تليهما الجمل الفعلية أو الاسمية ، وهما حينئذ ظرفان مضافان ، إما  
إلى الجملة ، أو إلى زمن مضاف إلى الجملة ، أو مبتدآن على تقدير زمان مضاف  
للجملة يكون هو الخبر .

والعَنَسُ : الصخرة ، وبها شُبِّهَتِ الناقة القوية ، فيقال للبازل الصُّلْبَةُ من  
الثَّوقِ : عَنَسٌ . قال ابن الأعرابى : لا يقال لغيرها . وأراد به أبو العلاء هنا :  
النَّفْسُ الفتية القوية . والإيضاع : سير مثل الخلب ؛ وقيل : وضع البعيرُ ، إذا  
عدا ؛ وأوضعتَه ، إذا حملته على القَدْوِ . وَخَبَّ يَخْبُ : عَدَا : وقد مر<sup>(١)</sup> .

يقول : لقد ملكت عليكم ألبابكم فما تعقلون ، إنكم لتتقضون أيامكم من  
الْفِتْنَةِ بها فى بحر لجئٍ أو صحراء شاسعة ، تَخْبُونَ وتُوضِعُونَ . ليس لكم منها  
مخلص ، ولا لشقائكم بها شفاء .

٧ ( وَإِنْ طَالَ الرُّقَادُ مِنَ الْإِبْرَايَا فَإِنَّ الرَّاقِدِينَ لَهُمْ مَهَبٌ )  
٨ ( غَرَامُكَ بِالْفَتَاةِ ضَنَّى وَغَمٌّ وَلَيْسَ يَسْرُ مَنْ يَشْتَاقُ غِبُّ )

البرايا : جمع برية ، وهى الخلق . وقد مر الكلام عليها<sup>(٢)</sup> .

و «مهَب» : هذه الصيغة يستوى فيها اسما الزمان المكان ، والمصدر الميعى ،  
وعلى كلٍّ يستقيم المعنى . وهو من : هب من نومه ، إذا انتبه . قال الشاعر :  
فَيَتَ فحْيَاهَا فَهَبَ فخلقتُ مع النَّجْمِ رُؤْيَا فى المَنَامِ كَذُوبُ

( ١ ) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٥١ ص ٢٩٦ من هذا الجزء .

( ٢ ) انظر شرح البيت ١٩ من اللزومية ١٦ ص ١٩ من هذا الجزء .

و « أ ل » في « الفتاة » للتعريف العهدى . والعهد هنا ، ذكرى ، إذ المراد بـ « الفتاة » الحياة الدنيا ، وقد مرّ لها ذكر في قوله قبلُ في هذه القصيدة « تحب حياتك الدنيا <sup>(١)</sup> » . وشبهها بالفتاة بجامع التأنيث ، وهو محطّ الغرام ، ولما يصحب كليهما من بوار وتبار .

والغيب : أن تزور يوماً وتتخلف أياماً ، وقد مرّ <sup>(٢)</sup> . وهو فاعل الفعل « يسر » . و « مَن » مفعوله . أقام « الغيب » لإقبال الدنيا وأزوارها ، وأنها مُزورة أكثر منها مُقبلة . وفي هذا من الضنى والغم ما فيه .

يقول : اغتروا بها ما شئتم ، وأستنيبوا إليها ما أحبيتم ، فإن لكم من الموت موقظاً سيوقظكم ، حين لا ينفع ندم أو يفيد أسف ؛ إنه لنازل بكم ومتصرف فيكم ، لا ينجيكم منه حصنٌ ولا تعصمكم منه درع .

- ٩ ( لو أن سواد كيوان خضابٌ بكفك والشها في الأذن حِبٌ )  
 ١٠ ( لما نجّاك من غير الليالي سنائه فارِعٌ وغنى مُربٌ )  
 ١١ ( وما يحميك عزٌّ أن تُسبى ولو أن الظلام عليك سبٌ )

كيوان ، هو زحل ، وهو كوكب من الخُسن . وقد مرّ <sup>(٣)</sup> . وسواده ، أى خضرته أو صفّته . والعرب تُطلق السّواد على الخضرة والصفرة . والشها : كوكب صغير خفيّ الضوء في بنات نعش الكبرى ، والناسُ يمتحنون به أبصارهم . وفي المثل : « أريها الشها وتريني القمر » . يضرب لمن يغالط فيما لا يخفى .

( ١ ) البيت الخامس ( ص ٣١٢ ) .

( ٢ ) انظر شرح البيت الثامن من اللزومية ٥١ ص ٢٩٩ من هذا الجزء .

( ٣ ) انظر شرح البيت الثانى من اللزومية ٣٣ ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

والحِبِّ ، بالكسر : القُرْطُ من حَبَّة واحدة . قال ابن دُرَيْد : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ أنه سأل جَنْدَلَ بن عُبيد الراعي عن معنى قول أبيه الراعي :

تَبَيْتَ الحَبَّةُ النَّضْناضُ منه مكانَ الحِبِّ يَسْتَمعُ السَّرارَا  
ما الحِبِّ ؟ فقال : القُرْطُ . فقال : خُذُوا عن الشيخ فإنه عالم .  
جعل هذا وذاك ، مثلين للمَنعة والبأس .

والغَيْرُ ، من تَغَيَّرَ الحال ، وهو اسم بمنزلة « القِطْع » ويجوز أن يكون جمعاً .  
واحدته : غَيْرَة . والسَّناء ، بالمد : الرَّفعة ، فإذا قُصِرَ فمعناه : الضَّوء . وفي قراءة  
من قرأ ( يَسْكَدُ سَنَاهُ بَرَقِهِ ) ممدوداً ، فليس لغة في « السنا » المقصور ، ولكن  
إنما عني به : ارتفاع البرق ولموعه صُعداً .

والفارع : المرتفع العالی المهيأ الحسن . ومُرَبٍّ : لازم غير مفارق ، من أَرَبَ  
بالمكان ، إذا لَزِمَهُ . وفي الحديث : « اللهم إني أعوذ بك من غِنَى مُبْطَرٍ وفَقْرٍ  
مُرَبٍّ » أي لازم غير مفارق . وثبوت الغنى دليل على أصالته وكثرته .

وتُسَبَّى ، أي تُبْعَد وتغرَّب . يريد : بُعد الموت وغرْبته . من : سَبَاه ، إذا  
أبعده وغرَّبه ، فتنسَبَى . والوارد المسموع : سباه يَسْبِيهِ ، مخففاً . والسب ، بالكسر :  
السَّيْرُ « لو أن الظلام ... » . أي ولو كانت الأيام أهناً لك تَظَلَّكَ بِظُلُمِهَا .

يقول : اتَّخَذُوا من سواد زحل خضاباً لأيديكم ، واتَّخَذُوا من الشَّها أقرطاً في  
آذانكم ، وابلغوا ما شئتم من الرَّفعة ، أو اسمعوا ما يُرضيكم من الثناء والحمد ؛  
فذلك لن يَرُدَّ عنكم بأس الموت ، ولن يدفع عنكم جيشه .

أين أنتم من ذلك ! وهل بلغت من القوة وشدة الأيد ما بلغت هذه النجوم

الطامة ، والكواكب المنيرة ؟ إنها لن تستطيع أن تمتنع على الحين ، ولا أن تستعصى على الفناء ، أفقدرون أتم على ما لا تقدر عليه ؟

١٢) (أَرَى جُنْحَ الدُّجَى أَوْفَى جَنَاحًا وَمَاتَ غُرَابُهُ الْجَوْنُ الْمُرِبُّ )

الدُّجَى : الظلمة ؛ واحدها : دُجِيَّة . وجنح الدُّجَى ، بالضم والكسر : جانبها وأولُّها ، وقيل : قطعة منها نحو النُّصْف . وأوفى : أتم وأكمل . وغراب الدجى : أى حُلُكته . وفيه تورية مجردة . والجون : الأسود . والمُرِبُّ : أى المُسِفِّ المتداني لتكاثره وثقله . ويريد « بموته » : انهزامه وفناءه ، أمام جيوش النهار ، أى إن ظلامه ، مهما اشتدت حُلُكته ، فهو إلى انقشاع .

وقد يكون « الغراب » على الحقيقة . قال الجاحظ : « وغراب الليل غرابٌ ترك أخلاق الغربان وتشبَّه بأخلاق البوم ، فهو من طير الليل » . يريد أن الليل بدجنته ، وقد ضربها مثلاً للجنة ، غير محي ما أجَنَّ ، وإن أَمعن في الخفاء .

يقول : أَرَأَيْتُمْ إِلَى ذَلِكُمُ اللَّيْلِ الْفَاحِمِ قَدْ ضَرَبَ عَلَى الْأَرْضِ بِجَرَانِهِ ، وَطَبَّقَ عَلَيْهَا بِأَقْطَارِهِ ، إِنَّهُ لَأَوْفَى مِنَ الْغُرَابِ جَنَاحًا ، وَأَشَدُّ مِنْهُ سَوَادًا ، وَأَرْحَبُ مِنْهُ بِالطَّيْرَانِ بَاعًا . ومع ذلك لم يَمْنَعَهُ وفاء جناحه ، وشدة سواده ، وقُوَّتُهُ عَلَى الطَّيْرَانِ ، أَنْ يَخْضَعَ لِلْقَدَرِ وَيُذْعَنَ لِلْقَضَاءِ ، فَيَمُوتَ كَمَا مَاتَتْ قَبْلَهُ اللَّيَالَى ، وَيَمْضَى كَمَا مَضَتْ السَّنُونَ .

١٣) (فَمَا لِلنَّسْرِ لَيْسَ يَطِيرُ فِيهِ وَعَقْرَبُهُ الْمُضِبَّةُ لَا تَدِبُ )

يريد بـ « النسْر » كوكبين في السماء معروفين ، على التشبيه بالنسْر الطائر . يُقال لكل واحد منهما : نَسْر . والعقرب : بُرْج من بُرُوج السماء ، وله من المنازل : الشُّوْلَةُ ،

وَالْقَلْبُ ، وَالزَّبَانِي . وفيه يقول ساجع العرب : « إِذَا طَلَعَتِ الْعُقْرُبُ ، حَسِبَ الْمَذْنِبُ ، وَقَرَّ الْأَشْيَبُ ، وَمَاتَ الْجُنْدَبُ » . وَالْمُضْبَةُ : اللّازمة غير المفارقة .

وفي كل من « النَّسْر » و « الْعُقْرُب » تورية مرشحة ، لذكره « يطير » مع الأول و « تدب » مع الثاني ، وهما من لوازم المورّى بهما . وَضَرَبَ « النَّسْر » و « الْعُقْرُب » مثلين لنجوم الليل . وفي إيراد « النسْر » و « الْعُقْرُب » مع « الغراب » قبلُ ، مراعاة نظير .

وَأَرَادَ « بطيران النسْر » ، « وديب العقرب » حركتهما في مداريهما . أى إنه مع أنقشاع الليل لا تُرى النجوم . وكذلك الأمور إلى تبدل .

يقول : أَرَأَيْتُمْ إِلَى نَسْرِهِ الْوَاقِعِ ، إِنَّهُ لَأَرْحَبُ مِنْ نَسْرِكُمْ جَنَاحًا ، وَأَشَدُّ مِنْهُ أَيْدًا ، وَلَكِنَّ الدَّهْرَ قَدْ أَوْقَعَهُ فَمَا يَنْهَضُ ، وَالْقَدْرُ قَدْ قَصَّ جَنَاحَهُ فَمَا يَطِيرُ . أَرَأَيْتُمْ إِلَى عُقْرِبِهِ الثَّابِتَةِ ! إِنَّهَا لَأَشَدُّ مِنْ عُقْرِبِكُمْ قُوَّةً ، وَأَوْلَى أَنْ تَكُونَ أَقْدَرُ مِنْهَا عَلَى الدَّيْبِ . وَلَكِنَّ الْقَضَاءُ قَدْ وَقَفَهَا فَمَا تَدْبُ ، وَاسْتَلَّ مُحْتَمًا فَمَا تَصِيبُ .

١٤ ( أَيْجَلُّو الشَّمْسَ لِلرَّأْيِ نَهَارٌ فَقَدْ شَرَقَتْ وَمَشَرَّقُهَا مُضِبٌ )

شرقت ، بفتح الراء : طلعت ؛ وبكسرهما : غابت أضعفت . والمشرق كما يكون من الأول يكون من الثاني . ومُضِبٌ . ذو ضباب . والاستفهام في البيت إمّا على التعجب ، يريد : كيف وقد جلا النهارُ الشمسَ للرأى ، قد طلعت والظلمة تكتنف مطلعها ! وإمّا على الإنكار ، ومعه تصح « شرقت » على المعنيين . فعلى الأول ، يُنكر أن النهار يجلو الشمسَ للرأى ، فهي مصحوبة بالضباب في مطلعها . وعلى الثاني ، فهو يُنكر أن الشمس يجلوها النهار ، فهي ذى قد ذوتْ وغابتْ ، وغمها الظلامُ في مشرقها الذى هو كالمغيب .

يقول : أرايتم إلى هذه الشمس الطالعة ، يجلوها لكم النهار جميلةً وضاءة الجبين ! إنها لأحسنُ منكم حُسْنًا ، وأجل منكم جمالًا ، وأشد منكم قوةً ، وأولى منكم بالبقاء ! ولكنّ القضاء كثيرًا ما يُلجّ عليها فيُخني جمالها بما يسوق من ضباب كثيف .

١٥) وَلَمْ يَدْفَعْ رَدَى سُقْرَاطَ لَفْظٌ وَلَا بُقْرَاطَ حَامَى عَنْهُ طِبُّ

سقراط : من الفلاسفة الممدودين . ولد في أثينا سنة ٤٧٠ ق . م . وتوفي سنة ٤٠٠ ق . م .

وبقراط : من أئمة الطب ، وكانت له بالفلسفة معرفة . تزعم الطبيعيين في عصره ، وعاش قبل الإسكندر بنحو من مائة سنة .

يقول : أرايتم إلى أفصحكم لفظًا ! وأهداكم خُلقًا ! وأصوبكم رأيًا ! وأنفعكم حكمة ! كيف لم تنفعه فصاحته ولا هدايته ! ولم يدفع عنه صوابه ولا حكمته ! وهل أغنت عن سقراط فصاحة لسانه وثبات جفانه ؟ أو نفع بقراط طبه وحكمته ؟ أو علمه وفلسفته ؟ كلا ، إنه القضاء نازل لا مردّ له ، فلا تلتمسوا منه نخرجًا ، ولا تطلبوا منه مفرًّا .

١٦) إِذَا آتَسْتَنِي بِشَفَا صَرِيْعًا فَدَعْنِي كُلُّ ذِي أَمَلٍ يَتَيْبُ

آنسه : رآه وأبصره . والشفا من كل شيء : حرّفه وحده . وهو أيضاً البقية من الهلال والنهار وما أشبههما . قال العجاج :

أَوْ مَرَبًا عَالٍ لِمَنْ تَشَرَّفَا أَشْرَفْتُهُ بِلَا شَفَى أَوْ بِشَفَى<sup>(١)</sup>

(١) بلا شفى : أى وقد غابت الشمس ، أو بشفى ، أى وقد تغيب منها بقية .

وعلى المعنى الأول . فالباء في « بشفا » للظرفية . يريد : إذا أبصرتني عند نهايتي .  
وعلى الثاني . فالباء للمصاحبة . يريد : إذا أبصرتني وبى رَمَق . وهو  
من سابقه .

والصرع : الطرح بالأرض ، فهو مصروع وصريع . يريد مُعْيَاً لا أقوى على  
النهوض . ويتب : يهلك . تب يتب تباً . وفي حديث أبي لهب : « تَبّاً لك  
سائر اليوم ! ألهذا جمعنا » . « وكل ذى أمل » ، يريد الناس عامة ، فما منهم إلا وله  
أمل يحدوه . وأرادهم على هذا الوصف ، ليكون الموت أبلغ عظة ، وأصرف لهم  
عن زينة الحياة .

يقال : إن ما أتم فيه لغرور لا ينفع ، وأمل لا يفيد . وإن ما تبذلونه من  
جهد في اتقاء الموت ، والتماس الحياة ، لحركة ضائعة ليس لها نتيجة ، وإنكم لميتون  
وصائرون إلى حيث لا تجدون حساً بلذة أو ألم ، ولا ارتياحاً لحد أو ثناء ،  
ولا أشياء من خير أو شر .

١٧) ( وَلَا تَذُبْ هُنَاكَ الطَّيْرَ عَنِّي وَلَا تَبْلُلْ يَدَاكَ فَمَا يَذِبُ )

الذَّب : الدَّفْع والطرْد . ذَبَّ يَذِبُ . وهناك ، أى عند النَّزْع ، والموتُ  
يصرعني . وهو ما سبق إليه في البيت السابق .

والذب ، أيضاً : الجفاف والذبول ، وفعله : ذَبَّ يَذِبُ . وهو المراد في آخر  
البيت . ومنه قول الشاعر :

وَمَنْ سَقَوْنِي عَمَلًا بَعْدَ نَهْلٍ مِنْ بَعْدِ مَا ذَبَّ اللِّسَانُ وَذَبُلَ

والغم ، مفتوح الفاء مخفف الميم ، في الرفع والنصب والخفض . ومنهم من يضم  
الفاء في كل حال كما يفتحها في كل حال . وأما تشديد الميم ، فإنه يجوز في الشعر .  
يقول : دعوا أجسامكم بعد الموت ، لا تحفلوا بها ولا تشفقوا عليها أن تتخطفها  
الطير ، وتنوشها السباع ؛ فما ذلك بمؤذيها ، ولا بالغ منها .



## اللزومية السادسة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع التاء :

- ١ ( أَقْرُوا بِالْإِلَهِ وَأَثْبِتْـهُوْهُ وَقَالُوا لَا نَبِيَّ وَلَا كِتَابُ )
- ٢ ( وَوَطْءُ بَنَاتِنَا حِلٌّ مُبَاحٌ رُؤْيَدَكُمْ فَقَدْ بَطَلَ الْعِتَابُ )
- ٣ ( تَعَادَوْا فِي الضَّلَالِ وَلَمْ يَتُوبُوا وَلَوْ سَمِعُوا صَلِيلَ السَّيْفِ تَأَبُّوا )

الإقرار : الإذعان للحق والاعتراف به . يُقال : قرَّره بالحق ، فأقرَّ هو به .  
و « أثبتوه » ، أى أقاموا الأدلة على وجوده . والواو في « وأثبتوه » عاطفة للشئ  
على سابقه ؛ إذ الإثبات قبل الإقرار .

ويجوز في لام التبرئة ، وهى النافية للجنس على سبيل التنصيص ، إذا  
تكررت ، إلغاؤها . ولك فتحة الاسمين ، ورفعهما ، والمغايرة بينهما . والأمر هنا  
على الأخير .

وظاهر أنه يشير إلى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب  
السماوية والتشكيك فيها .

والوطء : النكاح . ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج ، من إباحة  
نكاح البنات . وفى ذلك يقول عبد الله بن الحسين القيروانى ، من دعائهم :  
« وما العجب من شئ كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت أو  
بنت حسناء ، وليست له زوجة فى حُسْنِهَا ، فيحرمها على نفسه ويُنكحها من  
أجنبي . ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي » .

ورويدكم ، أى تمهلوا وترققوا . وقد مر<sup>(١)</sup> . و«العتاب» : أن يذكركل واحد من الصاحبين لصاحبه ما فرط منه إليه من الإساءة . وأما الإعتاب ، فهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضى العاتب . وبطلان العتاب ، دليل على أن الأمر جلّ فلم يعد يُجدى فيه عتاب .

وتعادوا ، أى اختلفوا وتفرقوا ، فذهب كل قوم مذهبا ، من «التعاضد» بمعنى «التباعد» . وقد يكون من : التوالى والتتابع . أى مضوا فى إثر بعضهم . و«صليل» السيف : طنبه عند المقارعة . ويريد به التلويح بالشر والعنف .

يقول : عجبتُ لطائفة من الناس يثبتون الإله ويُقرّون به ، ويعرفونه ويدينون له ، ثم يُنكرون الكتب والنبوة ، ويحجدون الحِلَّ والحُرمة ، ويستبيحون الإثم والمعصية . لشدّ ما اختلطت عقولهم فما يُصلحها إرشاد ! ولشدّ ما سَفَهت أحلامهم فما ينفعها عتاب ! إنهم ليدأبون على ذلك ويلجّون فيه . لا تُصلحهم حُجّة ، ولا يردّهم إلى الحق بُرهان . فإذا سمعوا صليل السيف ، ورأوا بريقه الخاطفَ للعُيون ، ورَوْنَه الآخذ للأبصار ، وحَدّه الذى يبتسم فيه الموتُ ، وتقطرُ منه المنيةُ ، عادوا إلى ما أنكروا مُقرّين به ، راضين له .

عدمتُ هؤلاء الناس يخرجون على العقل ، ويخضعون للقوّة ؛ وإنّ فى أحدهما للنفع ، وإنّ فى الأخرى للضرر الشديد .

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية ١٧ ص ١٣٩ من هذا الجزء .

## اللزومية السابعة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

- ١ ( تُرَابُ جُسُومُنَا وَهِيَ التُّرَابُ إِذَا وَلَّى عَنِ الْآلِ اغْتِرَابُ )
- ٢ ( تُرَاعُ إِذَا تُحْسُ إِلَى ثَرَاهَا إِيَابًا وَهُوَ مَنْصِبُ الْقُرَابُ )
- ٣ ( وَذَاكَ أَقَلُّ لِلْأَذْوَاءِ فِيهَا وَإِنْ صَحَّتْ كَمَا صَحَّ الْغُرَابُ )

تُرَابُ جُسُومُنَا ، على ما لم يُسَمَّ فاعله ، أى يَسُووُهَا وَيُزْعِجُهَا ؛ من : رابه الأمرُ ، وأَرَاهُ ، إذا رأى منه ما يكره . والآل : الأهل والعيال ، وأَلِفُهُ ، إمّا أن تكون بدلاً من واو ، أو عن هاء . وتصغيره : أويل ، وأهيل . وقد يكون لما لا يَعْقِلُ ، ومنه قول الفرزدق :

نَجَوْتَ وَلَمْ يَمْنَنْ عَلَيْكَ طَلَاقَةٌ سَوَى رَبَّةِ التَّقْرِيبِ مِنْ آلٍ أَعْوَجَا  
وَوَلَّى عَنْهُ : أَعْرَضَ وَنَأَى . و«اغتراب» ، مصدر واصِفٌ لموصوفٍ مَحْذُوفٍ ،  
أى راحِلٌ مُغْتَرَبٌ . أى إن الإنسان كَيَنزَعُجِ عِنْدَ رُؤْيَا أَى نَازِحٍ مِنْ آلِهِ .  
وَخَصَّ «الآل» لأنهم به أَلْصَقُ ، والحزن عليهم أعمق . وهو يعلم أنه من التراب ،  
وإلى التراب يَعُودُ .

هذا وَجْهٌ . وقد يكون «الاغتراب» بمعنى : فراق الموت . و«وَلَّى» أى  
صَرَفَ وَنَحَّى ، من «وَلَّاهُ» عن الشيء ، إذا أبعدَهُ عَنْهُ وَصَرَفَهُ ، حَذَفَ مَفْعُولَهُ  
للعلم به ، والتقدير : إذا وَلَّى الْاِغْتِرَابُ أَحَدًا عَنْ آلِهِ . يريد : إذا ذهب الموتُ  
بِقَرِيبٍ .

ووجه ثالث ، فتكون فيه «تُرَابُ» من الرِّيَّةِ ، وهى الشكَّةُ ، و«الآلُ»

مع هذا الوجه بمعنى الشخص أو السَّرَاب ، والجسم مشبَّه به في أنه وهم .  
و « إذا وَلَّى . . . إلخ » أى إذا أبطأ بالإنسان أجله . يريد أن النفس قد يُبْطِئُ  
بها الأجل فتشكَّ في الفناء ، ومصيرها إلى التراب متيقن ، أو أنها هباء لا تُعَيِّ  
القدر، وإن طال الأجل .

وتمَّ وجه رابع ، وهو من الثالث . فأبو العلاء يَعُدُّ الحياة غُرْبَةً ، فإذا وَلَّت  
عاد الجسم إلى مادته وهى التُّراب ، وأنَّ وُجُودَه في الحياة عَناء ، وهو ما أَرادَه  
بقوله : « تراب جسومنا » أى تَضُنِّ وتَشْقَى .

وتُراع : تُفَزِّع . ونَسَقَ الكلام : « وتراع — أى الجُسوم — إذا تُحِسَّ إياباً إلى  
تراها » . وإلى تراها : أى إلى التراب الذى منه كانت ، وإليه تعود . و« المنصب » :  
المَرْجع وحيث تَغِيب الشَّمْس . ويريد به : المصير والمآل . وهو الأصل أيضاً .  
والقُرَاب ، مثلثة : القريب ؛ فعلى الأول ، فالمراد : دنو الأجل ؛ وعلى الثانى .  
فالمراد : أن الجسم لم يَبْعَد بأصله عن التراب . « وذاك » أى الثرى ، أو الإياب  
إليه . و« الأدواء » : جمع داء ، بمعنى السُّقْم والمَرَض . و« إن صحت كما صح الغراب » ،  
أى وإن بقيت شابة ولم تَصِرْ إلى شَيْب وهَرَم . فإنه يُحَكِّى أن الغراب لا يشيب  
أبدًا . ومن عبارات التأييد : لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب ، أى لا أفعله أبدًا .

يقول : عجبتُ لهذه الحياة ما نَنفَكَّ بها كَلِيفين في الأمن والخوف ، وما  
نَبْرَحَ عليها حريصين في الحرب والسلم . تَهَمُّ فيها الشَّدَّة واللين ، والصفو  
والكدَّر ؛ ونخاف عليها الموت ، وإنما أُعِدَّتْ له ؛ ونَحْذَرُ عليها الحِلم ، وإنما  
وَقِفَتْ عليه . إنما الموتُ رجوعنا إلى طبيعتنا ، واستحالتنا إلى أصولنا . لقد كُنَّا  
تراباً ونحن إلى تُراب عائدون . فما فَزَعُ الفَزَع من رُجوع لأصله ! وما حَذَرُ  
الجِسْم من استحالة إلى جوهره ! ولو أننا بلونا من الحياة حُلُوءاً مُرغَّبنا فيها ، أو

نَمْرًا يُجَبِّها إِلَيْنَا ، لَكَانَ لَنَا فِي ذَلِكَ الْعُذْرُ الْوَاضِحُ ، وَلَكِنَّا لَا نَبْلُو مِنْهَا إِلَّا الْمَرَّةَ ، وَلَا نَنْجِي مِنْهَا إِلَّا الشَّرَّ .

٤ ( هُمُومٌ بِالْهَوَاءِ مُعَلَّقَاتٌ إِلَى التَّشْرِيفِ أَنْفُسُهَا طِرَابٌ )

هُمُومٌ : جَمْعُ هَمٍّ ، وَهُوَ هُنَا : الْعَزَمُ وَالطَّلَبُ ؛ مِنْ هَمَّ بِالْأَمْرِ ، إِذَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَطَلَبَهُ . وَبِـ«الْهَوَاءِ مُعَلَّقَاتٌ» يَرِيدُ الْإِبْعَادَ فِي الْأَمَلِ ، إِذَا الْهَوَاءَ مُصْعِدًا . كَمَا يَرِيدُ أَنَّهَا لَنْ تَتَحَقَّقَ . وَالتَّشْرِيفُ : الْعُلُوُّ ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ التَّحْلِيْقَ فِي جَوِ الْخِيَالِ ، وَهُوَ بِالْهَوَاءِ أَنْسَبُ . وَطِرَابٌ : زَرْعَةٌ مُشْتَاقَةٌ ؛ الْوَاحِدُ : طَرَبٌ .

يَقُولُ : هُمُومٌ يَجْرِي بِهَا عَلَيْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَآلَامُ تَطْلُعُ بِهَا عَلَيْنَا الْكَوَاكِبُ وَالنُّجُومُ ، وَشُرُورُ لَا يُرِيحُنَا مِنْهَا إِلَّا الْمَوْتُ . أَفَيَكْتَفِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ بِنَا فِي الْحَيَاةِ رَغْبَةً ، وَمِنْ الْمَوْتِ رَهْبَةً ؟ وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ كَانَتْ عَلَى شُرُورِهَا خَالِدَةً ، وَعَلَى آثَامِهَا بَاقِيَةً ، لاحتَمَلْنَاهَا مُحِبِّينَ لَهَا ، وَلَقَبِلْنَاهَا رَاضِينَ بِهَا . وَلَكِنَّهَا طَرِيقُ مَنْتَهِيَةٍ بِنَا إِلَى الْفَنَاءِ وَإِنْ لَمْ نَطْلُبْهُ ، وَإِلَى الْمَوْتِ وَإِنْ لَمْ نَحْرُصْ عَلَيْهِ .

٥ ( فَأَرْمَاخٌ يُحَطِّمُهَا طِعَانٌ وَأَسْأِيْفٌ يُضَلِّلُهَا ضِرَابٌ )

الْأَرْمَاخُ : جَمْعُ رُمَحٍ ، مِنْ السَّلَاحِ مَعْرُوفٌ . وَإِذَا كَثُرَتْ قُلْتُ : رِمَاحٌ . وَطِعَانٌ لِلرَّمَحِ ، فَعْلُهُ يَطْعُنُ ؛ وَلِلْقَوْلِ : يَطْعَنُ . وَقَالَ اللَّيْثُ : كَلَاهَا يَطْعُنُ . وَتَفْطِيلُ السَّيْفِ : انْتِلَامُهُ وَكُسُورُ فِي حَدِّهِ . فَلَّ السَّيْفِ يَقْلَهُ فَلًّا ؛ وَقَلَّه ، بِمَعْنَى . وَسَيْفٌ قَلِيلٌ ، وَأَقْلَّ . وَ«الضَّرَابُ» : الْمَجَالِدَةُ وَالضَّرْبُ بِالسَّيْفِ فِي الْقِتَالِ .

يقول : حدّثني بالحياة ، أى شىء هى ؟ أليست الحياةُ أرماحاً يكسّرها  
الطّعنُ فى الصدور ! وأسيفاً يُفلّها الضربُ على الهام !

٦ ( تَنَافَسُ فِي الْحُطَامِ وَحَسْبُ شَاكٍ  
طَوَى قُوْتٌ وَحَلَفَ صَدَى شَرَابُ )

تنافس ، أى تتنافس . والتنافس : التراعُب على وجه المباراة . وقيل : هو  
التحاضد والتسابق . تنافسنا ذلك الأمر ، وتنافسنا فيه . والحطام : ما تحطّم  
وتكسّر من اليبس وغيره . يريد : عَرَض الدنيا الهَيِّن . وحسب ، أى كافٍ  
ومُعْنٍ ، من إضافة المصدر إلى معموله . والطوى : الجوع . طَوَى يَطْوَى ، طَوَى  
وِطْوَى : خَمَصَ من الجوع ؛ إِذَا تَعَمَّدَ ذَلِكَ قِيلَ : طَوَى يَطْوَى . وفى الحديث :  
« إِنْ كَانَ يَطْوَى يَوْمِينَ » أى لا يأكل فيهما ولا يشرب . و « طَوَى » هنا  
مفعول لـ « شَاكٍ » . والقوت : ما أمسك الرَّمَقَ ، أى : يكفى شاكى الطوى  
قوت . و « الحلف » : العهد ، والمُحَالَفُ أيضاً ، والثانى هو المراد هنا ، جعل التلازم  
بينهما فلا يفترقان عهداً . و « الصدى » : شِدَّةُ العطش ؛ وقيل : هو العطش  
ما كان . صَدَى يَصْدَى صَدَى ، فهو صَدٍ ، وصادٍ . أى : ويكفى حلف الصدى  
الشرابُ .

يقول : أليست الحياةُ تنافساً فى الحطام الهَيِّن الدَّنىء ، تجمعهُ وتستكثر منه .  
وإن جاعنا ليكفيه أن يجد القوت ، وإن صادينا ليُغنيه أن يجد الرى .

٧ ( وَأَفْسَدَ جَوْهَرَ الْأَحْسَابِ أَشْبُ  
كَمَا فَسَدَتْ مِنَ الْخَيْلِ الْعَرَابُ )

جواهر كل شيء : ما خلقت عليه جبلته . والأحساب : جمع حَسَب ، وهو الشرف الثابت في الآباء ؛ وقيل : هو الشرف في الفعل . وظاهر أن مراد أبي العلاء على الأول . والأشب : الخلط ؛ أشب الشيء يشبه أشباً : خلطه . ومنه : الأشابة من الناس ، أى الأخلاط . ورجل مأشوب الحسب : غير محض . والعرب من الخيل : المعربة ، أى التى تصلح فيعرف عتقها بصهيلها ، وكذلك يُعرف الفرس العربى من الهجين . والهجين من الخيل : الذى ولدته برذونة من حصان عربى . يشير إلى اختلاط أحساب الناس ، كما اختلطت في الخيل الأجناس .

يقول : أليست الحياة مزاجاً مختلطاً مضطرباً ، لا يكاد يصلحه قليل الخير حتى يُفسده كثير الشر ، كما تفسد أنساب الخيل العرب من الخيل الهجان .

- ٨ ( وَأَمَّا لَكَ تَبَحَّرُ فِي غِنَاهَا وَإِنْ وَرَدَ الْعُقَاةُ فَهُمْ سَرَابٌ )  
 ٩ ( وَقَدْ يُعْرِى أَسْوَدَ الْغِيلِ حِرْصٌ فَتَحْوِيهَا الْحِظَائِرُ وَالزَّرَابُ )

أملاك : جمع مَلِك ؛ وجمع « المَلَك » مُلُوك ؛ وجمع « المليك » مُلُكَاء ؛ وجمع « المالك » مُلْك ومُلَّاك . والأملوك : اسم للجمع .

وتبحر ، أى تتبحر . والتبحر : الانبساط والسعة ، ومثله : الاستبحار . يقال : تبحر الرجل في العلم والمال ؛ واستبحر : إذا اتسع وكثر ماله . وكذلك : تبحر الراعى في رَغْيٍ كثير : اتسع . كل ذلك من البحر ، لسعته .

والعقاة : جمع عافٍ ، وهو الذى يأتيك يطلب معروفك . و « وَرَدَ » : جاء . والأصل فيه للماء . وقد راعى النظير بينه وبين « سراب » . والسراب : الآل . وقيل : السراب : الذى يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض لاصقاً بها كأنه ماء

جارٍ . والآل : الذى يكون بالضُّحى يرفع الشخوص ويزهاها ، كلماء بين السماء والأرض . وبهما يُضرب المثل فى الشئ يُظنَّ عنده خير ، فإذا جتته كذبك الظنُّ فيه . جعل الغنى بما يفيض عنه من برٍّ وعون ، وإلا فهو سراب ، له بريق الماء وليس له إعطاؤه .

وأغرى يغرى : أُولع . ولا تقل « غرّى » . وحذف المعمول بحرفه ، للعلم به ، والتقدير : وقد يغرى بالحياة الحرصُ أسود الغيل .

والغيل ، بالكسر : الأجمة ، والشجر الكثير الملتف . وموضع الأسد : غيل ، مثل : خيس . ولا تدخلها الماء . والجمع : غيول .

وحَوَى الشئ يحويه ، حَيًّا وحَوَايَةً ، واحتواه ، واحتوى عليه : جمعه وضمّه وأحضره . والحظائر : جمع حظيرة ، وهى ما أحاط بالشئ ، وتكون من قصب وخشب . وقيل : إنها تعمل للإبل لتقيها البرد والريح . والزراب : جمع زَرَب ، وهى كالزريبة : الحظيرة من خشب ، تعد للغنم .

أقام الحظائر والزراب مثلين للامتهان ، فهذه للإبل وتلك للأغنام ، وهما دون السباع . ولعله يريد بهما ما يعدّ لسباع الحيوان بعد صيدها . ويشير إلى أنها لو آثرت الموت على الأسر ، ولم تحرص على الحياة ، ما انتهى بها المآل إلى هذا الموطن الذليل .

يقول : أليست الحياة بُحلاً وحِرْصاً ، وشرهاً وقَرَمًا ! أليست الحياة أماناً كاذبة وآمالاً خادعة ، ومظاهر مَينَ وزُور ! ما الذى يُعجبك من الحياة ؟ أيعجبك منها أولئك الملوك المَساميح ، يخدعك منهم على البُعد اسم العظمة والجود ، وبَسْطَة العدل والإحسان ، حتى إذا جتتهم لم تجدهم إلا سَراباً ؟

أيعجبك منها تلك الأسود الأبيّة ، ذات الأنف الحمى ، والقلب الذكى ، والمخالب النافذة ، والأظفار الحادة ، لا زال بها الحرص على الحياة والرغبة فى



لذاتها ، حتى يُبدّلها من العزة ذلاً ، ومن الحرية رقاً ، ومن القوة ضعفاً .  
 ذلك مثل الرجل الحرّ، ذى الحسب والنسب ، وذى الفضيلة والخلق ، تُفسده  
 الأطماع حتى يعود حقيراً مهيناً .

١٠ ( مَتَى لَمْ يَضْطَرِبْ مِنْ عُلُوِّ جَدِّهِ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مِنْكَ أَضْطَرَابُ )

الاضطراب : التحرك . افتعال من « الضرب » والأصل فيه الحركة . وعلو  
 كل شيء : أرفعه . ومثله : علوه ، وعلوه ، وعلّوته ، وعلّيه ، وعلّيته .  
 يتعدى إليها الفعل بحرف وبغير حرف . وتقول : أخذته من علٍ ، ومن علٍ ،  
 ومن علّا ، ومن علّو ، ومن عالٍ ، ومن مُعالٍ . ويروى : من علّو ،  
 ومن علّو .

والجد : الحظ والرّزق . وفي حديث القيامة : قال صلى الله عليه وسلم :  
 « قُتُّ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَةٌ مِنْ يَدْخُلُهَا الْفُقَرَاءُ . وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ  
 مُحْبَسُونَ » . أى ذوو الحظّ والغنى فى الدنيا . ويريد « بتحريك الجد من علو » :  
 نزول المقدار به . و « بنافع » خبر « ليس » والباء فيه مزيدة .

وكانّ أبا العلاء هنا جبريّاً ، من الجبريّة الذين يقولون بأنه لا قدرة للعباد  
 أصلاً ، لا مؤثّرة ولا كاسبة ، على خلاف ما تقول به القدريّة .

يقول : أعجبك من الحياة حركتها التى لا تقودها إلا المصادفة ، ولا يدبّرها  
 إلا الحظّ ؟ فأنت غنى إن صادفك الجدّ ، وإن كنت أقل الناس للغنى  
 استئها . وأنت يائس إن اخطأك ، وإن كنت أرحب الناس بالمجد ذراعاً .

١١ ( كَأَنَّ السَّيْفَ لَمْ يَعْطَلْ زَمَانًا إِذَا حَلَى الْحَمَائِلُ وَالْقِرَابُ )

« كَأَنَّ » على أربعة معان : أحدها ، وهو الغالب عليها : التَّشْبِيه . وشرط بعضهم أنه لا يكون إلا إذا كان خبرها اسماً جامداً . والثاني : الشك والظن . والثالث : التحقيق . وأنشدوا عليه :

فأصبح بطنُ مكة مَقْشَعراً      كأنَّ الأرضَ ليس بها هشامُ  
والرابع : التقريب .

والمعنى هنا على الوجه الثالث ، أى التحقيق .

وَعَطِلَ يَعْطَلُ ، عَطَلاً وَعُطُولاً ، وَتَعَطَّلَ : إذا لم يكن عليه حَلْيٌ ولا زينة ، والمرأة عاطل ، من غير هاء . فإذا كان ذلك عادتها ، فهي مِعْطَال . هذا الأصل ؛ ويُريد بعطل السيف هنا : إهماله وعدم إعماله ، وكأنه لا غناء عنده .

والحمائل : جمع حَمَالَةٍ وَحَمِيلَةٍ ، وهى علاقة السيف . وهى السَّيْر الذى يُقَلِّده المتقلِّد . وقال الأصمعى : حمائل السيف ، لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها مَحْمَل . وقال الأزهري : جمع « الحمالة » : حمائل ، وجمع « المحمل » : محامل . والقرباب للسيف . شبه جراب من آدم يضع فيه الراكب سيفه بجفنه وسَوَظَه وعَصَاه وأداته .

والمعنى : كان ينبغي ألا يعطل السيف وقد حليت حمائله وقرابه . وكأنه يشير إلى الحظ الكثير ، يُصيب غير جدير . وما ألفتته إلى قول زهير ، وإن لم يكن فى مجراه :

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مِنْ تُصَبِّ      تُمْتِنُهُ وَمِنْ تُنْخَطِئُ يُعَمَّرُ قَيْهَرَمَ

يقول : أيمعجبك أن ترى فى الحياة أولئك المَجْدُودِينَ من أصحاب الغنى والثروة ، وأبناء المصادفة والحظ : لم يَكْكَدْ يَبْسِمُ لَهُمُ الدَّهْرُ بَعْدَ عُبُوسِهِ ، حتى

نَسُوا مَاضِيَهُمْ ، وَتَجَافَوْا عَنْ قَدِيمِهِمْ ، وَأَصْبَحُوا كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا سَعْدَاءَ مُؤَقَّتِينَ .

١٢) تَأَلَّفُ أَرْبَعُ فِينَا فَتَذَكِّي

بِهَا مِنْهَا ضَعَائِنُ وَأَحْتِرَابُ (

١٣) وَلَوْ سَكَنْتُ جِبَالَ الْأَرْضِ رُوحٌ

لَمَّا خَلَدَتْ نَضَادٍ وَلَا إِرَابِ (

تألف ، أى تتألف وتتجمع . ويريد بـ «الأربع» أى الطبائع الأربع ، وهى : المائية ، والترابية ، والهوائية ، والنارية . وبعضها لبعض خَصْمٌ .

والضعائن : الأحقاد . الواحدة : ضعينة . ومثلها : الضغن ، والضغن . والجمع فيهما : أضغان . والاحترب ، إمّا من «الحرب» التى هى نقيض السلم ؛ وإمّا من «الحرب» الذى هو شدة الغضب . أى إن الشر من طبيعة المرء ، وتجمع هذه العناصر فيه .

و«لو» حرف شرط يفيد الامتناع . وقد مر كلام عنه<sup>(١)</sup> . ونضاد : جبل بالعالية . ويبنى عند أهل الحجاز على الكسر . وعند تميم ينزلونه منزلة مالا ينصرف . وإراب ، بالكسر : موضع ، أو جبل . وقيل : ماء لبنى رباح بن يربوع . وكان لهم به يوم من أيامهم .

وظاهر أن أبا العلاء أراد بهما مجرد التمثيل . جعل الروح علة الفناء والتحول ، ونخلو الجناد منها خلد وبقى .

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٤٧ ص ٢٨٤ من هذا الجزء .

يقول : ما الذى يعجبك من الحياة ؟ أيعجبك أنها ليست إلا رهناً باتفاق هذه الغرائز المختلفة ، وائتلاف هذه الطبائع ؟ واتفاق تلك الغرائز ما زال مَصْدَرِ الشرِّ ومنشأ الفساد .

أما إنك لو أنصفت نفسك لاستمعت لى وأصغيت إلى ، فما عذّبنا إلا العيش ! وما أشقانا إلا الحياة ! وأقسم لو أن لهذه الجبال الراسية الشاخنة أرواحاً كأرواحنا ، ونفوساً كنفوسنا ، ونصيياً من الحياة كنصيبنا ، لما كان لها أن تبقى إلا ريثماً يُنْيَخ عليها الشر بكلّ سكه ، ثم يغير عليها الموت بجيشه اللّهام .

## اللزومية الثامنة والخمسون

وقال في الباء المضمومة مع السين :

- ١ ( دَنَا رَجُلٌ إِلَى عَرَسٍ لِأَمْرِ وَذَاكَ لِثَالِثٍ خُلِقَ اكْتِسَابُ )
- ٢ ( فَمَا زَالَتْ تُعَانِي الثَّقَلَ حَتَّى أَتَاهَا الْوَضْعُ وَاتَّصَلَ الْحِسَابُ )
- ٣ ( نُرَدُّ إِلَى الْأَصُولِ وَكُلُّ حَيٍّ لَهُ فِي الْأَرْبَعِ الْقَدَمِ انْتِسَابُ )

عَرَسُ الرَّجُلِ : امرأته ، وهو أيضاً عَرْسُهَا ؛ لأنهما اشتركا في الاسم ، لمواصلة كل واحد منهما صاحبه وإلفه إيّاه . قال العجاج :

أَزْهَرَ لَمْ يُؤْلَدْ بِنَجْمٍ نَحْسٍ أَنْجَبَ عَرَسٍ جُبَلًا وَعَرَسٍ<sup>(١)</sup>

والجمع أعراس . والاكتساب : الطلب والسعى . وهو خبر للمبتدأ « وذاك » .  
أى : وذاك الأمر اكتساب لثالث خلق . والثالث : الولد ، الذى هو ثمرة بناء الرجل وكسبه . ومنه الحديث : « أطيب ما يأكل الرجل من كسبه ، وولده من كسبه » . قال ابن الأثير : إنما جعل الولد كسباً ؛ لأن الوالد طلبه وسعى في تحصيله .

والمعاناة : المقاساة . عانى الشيء وتعناه ، بمعنى . وقيل : المعاناة : المقاساة وحسن السياسة ، والمباشرة ، والقيام على الأمر . والمعنى يستقيم عليها أيضاً .  
والثقل ، بالكسر : الحمل الثقيل . والحساب : العدّ . واتصال العد باتصال النسل .

( ١ ) أراد : أنجب عرس وعرس جبلا ، أى أنجب بهل وامرأة .

ويريد « بالأصول » : العناصر الأربعة ، وهى الماء والهواء والنار والتراب ؛ وقد مرت<sup>(١)</sup> . و « الرد إلى الأصول » معناه الموت والفناء ، فيستحيل الميت إلى تلك العناصر .

وجاز فى العدد التذكير ، وكان من حقه أن يخالف فيؤنث ، لأنه هنا وصف ، والتقدير : وكل حتى له فى الأصول الأربع . وانتساب : أى صلة وقربنى .

يقول : لست أدري بما يُزهى الإنسان ويَتبه ! وعلامَ يُكبر نفسه ويفالى بها ! وإنما هو أبْن شهوة باطلة ولذّة فانية ، لا يكاد يُوجد حتى يناله الفناء ، فيستحيل إلى عناصره الأولى التى منها وُجد واثلت أجزاءه .

لقد دنا زوج إلى زوجة ليرضى شهوة هائجة ، ويسكن هوى ثائراً ، فكان التقاؤهما علة ذلك الحمل الذى مازالت تعاني المرأة المسكينه ثقله . أخرجته إلى هذا والعالم ، فوصلت بينه وبين آبائه الأسباب ، ثم ما زال هذا الطفل يشبّ وينمو وتختلف عليه الفير والأحداث ، حتى أنى لأجزائه الملتئمة أن تتفرق ، ويمود كل منها إلى عنصره وجوهره .

فما الالتقاء لو حققت النظر ، إلا لذّة يعقبها عناء ، ثم شر يتبعه فناء .

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية ٥٧ ص ٣٣٠ من هذا الجزء .

## اللزومية التاسعة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الحاء وياء الرّدْف :

١ ( أَلَا عَدَى بُكَاءٌ أَوْ نَحِيْبٌ      فَمِنْ سَفَهٍ بُكَاءُكَ وَالنَّحِيْبُ )

«ألا» ، هنا : للعرض أو التحضيض ؛ والعرض : طلب بلين ؛ والتحضيض : طلب بحث . وتختص بالفعلية . و«عدى» ، أى اصرفى عنك . عدّاه عن الأمر ، وعدّاه : صرفه . وكذلك : عدا الأمر عنه ، وعدّاه . ومنه عدّيتُ عنى المهمّ ، أى صرفته . والكلام هنا على تأول جار ومجرور محذوف ، تقديره «عنك» .

و «البكاء» ، يُقصر ويمد ، فإذا مددت ، أردت الصوت الذى يكون مع البكاء ؛ وإذا قصّرت ، أردت الدموع وخروجها .

والنحيب : رفع الصوت بالبكاء ؛ وقيل : هو أشد البكاء . وعلى الأول ، فالمعطوف والمعطوف عليه بمنزلة ما جاء فى لفظ واحد ، وهذا مما يدل عليه العطف بالواو ؛ وعلى الثانى فالمعنى : أدنى البكاء وأشدّه .

يقول : رفّهى عليك وخفضى عنك أيتها النادبة المَعُولَة ، والثاكلة المحزونة ؛ لا تبكى هالكا ، ولا تأسى على ميت ، ولا يشغلنّك عن نفسك البكاء والنحيب ، ولا الحزن والأسى ؛ فليس ذلك بنافع لك ، ولا مُجدٍ عليك .

٢ ( مَحَلُّ الْجِسْمِ فِي الْغَبَاءِ ضَنُّكَ      وَلَكِنْ عَفْوُ خَالِقِنَا رَحِيْبٌ )

الغبراء : الأرض ، لغبرة لونها ، أو لما فيها من الغبار . ويريد بمحله فى الغبراء : تلك الأشبار التى يوارى فيها جسمه . والضنك : الضيق من كل شيء ؛ الذكر والآتى فيه سواء .

و« لكن » هنا ، مهملّة غير عاملة ، لأنّها مخففة . ورحيب : واسع . ومثله : رَحْبٌ ، ورُحَاب . والفعل منه : رَحِبَ يَرْحُب .

يقول : ما أرى أن في الموت ما ينبغي البكاء منه أو التوجع له ؛ فلئن كان موضع الجسم في بطن الأرض وعلى ظهرها ضيقاً ضنكاً ، أو مُظلماً مُستكراً ؛ فإن لعفو الله من السعة والضياء ، ما يذهب بضيقه وظلمته .

٣ ( وَسَيَّانِ ابْنِ آدَمَ حِينَ يُدْعَى بِهِ لِلْغُسْلِ وَالْهَيْدُمِ السَّحِيبُ )

السَّيَّان : المثلان . والواحد : سَيٌّ . والجمع : أسواء . وقيل : « سيان » بمعنى سواء ، ولا يستعملان إلا بالواو ، فإذا جاءت بعدها « أو » كانت في موضع الواو . ومنه قول الشاعر :

فسيان حربٌ أو تبوءٌ بمثله وقد يقبلُ الضيمَ الدليلُ المسيرُ

وقول أبي العلاء هنا ، على الأول .

والغسل ، بالفتح والضم ، مصدران ، من : غَسَلَ يَغْسِلُ . وقيل : الغسل ، بالضم : الاسم ، والماء القليل الذي يُغْتَسَلُ به ؛ وبالفتح : المصدر . والمعنى بهما لا يختلف .

والهدم ، بالكسر : الثوب المخلق المُرْقَع . وقيل : هو الكساء الذي ضوعفت رِقَاعُهُ . والجمع : أهْدَامٌ وهِدَمٌ .

والسَّحِيب : المسحوب على الأرض المتعفّر بترابها . قابل بين الميت وقد هِيلَ عليه التراب ، وبين الثوب المخلق وقد تعفّر به .

يقول : ما أعرف أن بين جسم الإنسان بعد الموت وبين الثوب البالي فرقاً ، كلاهما قد فقد الحِسَّ ، وكلاهما قد جُرِّدَ من الحياة ، لا تُؤْذِيهِ خشونة المسِّ ، ولا يُلْذِيهِ لِينُهُ ورقته .



## اللزومية المتممة الستين

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء ، وياء الرّدف :

١ ( تَرِيبٌ وَسَوْفَ يَفْتَرِقُ التَّرِيبُ حَوَانًا وَالثَّرَى نَسَبٌ قَرِيبٌ )

تريب ، بفتح تاء المضارعة ، من : رابه يَريبه ، ذات المفعول ، أى : أتريبك الحياة ، فتظن وتشك ؟ كما يجوز أن يكون بضم التاء ، من : أراب يُريب ، إذا صار ذا رَيب ، وهو بمعنى « راب » . وعلى الأول فالجناس بين « تريب » و« التريب » تام ؟ وعلى الثانى ، فالجناس ناقص .

والتريب : التراب . أراد به الجسم ، لأنه منه و « يفترق التريب » أى حين يفارق الجسد وتنفصل عنه الروح .

وحوانا : جمعنا وضمنا . وأراد بـ « النسب » اجتماعنا نحن والتراب على أصل واحد . وأشار بقربه ، إلى أنا لم نبعد عن الثرى ببنيّتنا كثيراً ، أو إلى قرب عودتنا إليه ، وأننا لا فكك لنا منه . ومجيئه بالفعل « حوانا » مما يركى هذا المعنى الثانى .

يقول : لقد حقّ القضاء فما ينبغى لك الشك ، وتمت الكلمة فما يليق بك الرّيب : موت واقع ، وحمام محتوم ، وجسم سترجع أجزاؤه إلى أصلها ، وتعود إلى عنصرها ؛ فإن بينها وبين الثرى نسباً قريباً ، وعروة موثقة .

٢ ( جَرَى بِفِرَاقٍ جِيرَتِنَا غُرَابٌ فُعَالٌ مِنْ مَقَالَتِهِمْ غَرِيبٌ )

الجيرة : جمع جار ، الذى يجاورك . وتُجمع أيضاً على ، أجوار ، وجيران . ولا نظير له إلا : قاع ، وأقواع ، وقيعان ، وقيعة . والغراب : طائر معروف . يشير إلى تطيّر

العرب بُنُما به ، وأنه يصوت بالبين والبيعاد . و « جرى بفراق . . . » أى ألف ذلك ولزِمه .

و « الفعال » بالضم : ما تُصاغ عليه مصادر الثلاثى الدالة على صوت أو داء . جعل مقالتهم هذه وادعاءهم ما ادعوا على الغراب ، من التصويت والصياح والصراخ ، كأنهم فيها والغربان سواء .

يقول : أجل . لقد دعا بيننا عن هذه الحياة غراب صادق الدعوة ، محقق الشؤم ؛ فقطع الشك ، وأزال الرّيب . وما أحسب الناس أخطئوا فى شيء خطأهم فى تسميته واشتقاق لفظه من الغرابة أو الغربة . فما هو بالغريب ولا المغترب ، إنما هى حياتنا أنبأت بموتنا ، ووجودنا تنبأ بفنائنا .

٣ ( غدا يتوكّف الأخبارَ غرّاً وصاحَ بينهم دأج أريب )

غدا : بكر . والتوكّف : التوقع والانتظار . وفى حديث ابن عمير : « أهل القبور يتوكّفون الأخبار » أى ينتظرونها ويسألون عنها . وقيل : يتوقعونها ، فإذا مات الميت سأله ما فعل فلان وما فعل فلان . وتقول : ما زلت أتوكفه حتى لقيته .

والغر : الذى ينخدع عن انقياد ولين وقلة فطنة وتجربة . فتى غرّ ، وفتاة غر . يريد به من جعل الغراب متطيّره يلقن عنه النذر . والرواية فى بعض النسخ ، « غرا » بالنصب .

والبين : الفرفة والوصال ، من الأضداد . والمراد هنا الأول . والأريب : الداهية الفطن . أى : والحال أن غير الغراب ما يُعتد به وتصدّق نذره . وقد أخذ يفصله فى أبياته التالية .

يقول : لقد اهتدى الحكيم ، واستيقن الحازم ، ولبث الجاهل الأحق غرّاً

يتوكف الأخبار ، ويتنسم الأنباء . ولقد جاءه النبأ ، وقرع أذنه الخبر الحق ،  
لو يسمع أو يعقل .

- ٤ ( طِعَانٌ كُلٌّ حِينَ أَوْ ضِرَابٌ يَمُوتُ بِهِ طَعِينٌ أَوْ ضَرِيبٌ )  
٥ ( وَأَرْضٌ لَا تَحْسُ بَمَنْ عَلَيْهَا وَلَا يَبْقَى بِهَا مِنْهُمْ عَرِيبٌ )  
٦ ( وَأَشْبَاحٌ يُخَالِطُهُنَّ غَدْرٌ فَمَا يُرْعَى إِلَّا كَيْلٌ وَلَا الشَّرِيبُ )

الطعان : بالرمح ؛ والضراب : بالسيوف ، بُنِيتَانِ للمشاركة . وقد أرادها  
للحروب الدائرة . والطعين : المطعون بالرمح . والضريب : المضروب بالسيف .  
يشير إلى اختلاف أسباب المنايا والضحايا .

و « لا تحس » يشير إلى هوان الإنسان على الأرض وأنه ليس شيئاً مذكوراً ،  
فأتم تمضى وأخرى تنجى ، وما الأرض بباكية من ذهب ، ولا آنسة بمن حل .  
و « عريب » : أحد . ومثله : مُعرب ، الذكر والأنثى فيه سواء ، ولا يقال في غير  
النفي . وكلام أبي العلاء يحتمل الإشارة إلى اليوم الآخر ، أو هو من الإغراق في  
وصف الهلاك .

والأشباح : جمع شبح ، وهو ما بدالك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق .  
وقيل : أسماء الأشباح : ما أدركته الرؤية والحس . ويقال : هلك أشباح ماله ،  
إذا هلك ما يعرف من إبله وغنمه وسائر مواشيه .

و « بخالفهن غدر » أى إن القدر لا ينفصل عنها ، فهو لها ممازج لا تفيق منه إلى  
رُشد ، ولا ترعى إلى صواب .

والأكيل : الذى يأكل معك . والأنثى : أكلة . وقال الأزهري : يقال :  
فلانة أكيلي ، للمرأة التى تتواكلك . والشريب : الذى يصاحبك فى الشرب . وفى

الحديث : « فلان يمنعه في ذلك أن يكون أكيله وشريبه » .

يقول : نعم لقد نبأ بجلية الأمر ما يرى في الحياة من سروايم ، وما يشهد فيها من غي وبقى ، وطعان وضراب ، يمضيان بطعين وضريب ؛ وغدر وخداع ، يذهبان بما بين الصديقين من حرمة ، ويخفزان ما بينهما من ذمة . وأرض لا تعقل ولا تحس ، ولا يخلد عليها شيء . فلست أدري بما يكون الاغترار ، وإلام يصح الاطمئنان ، إذا كان كل شيء إلى زوال ! أما إننا لو حققنا النظر لأخلق بأن نياس ، منا بأن نرجو .

## اللزومية الواحدة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع النون وياء الرّدف :

- ١ ( إِذَا هَبَّتْ جَنُوبٌ أَوْ شَمَالٌ      فَأَنْتَ لِكُلِّ مُقْتَادٍ جَنِيبٌ )  
 ٢ ( رُؤَيْدُكَ إِنْ ثَلَاثُونَ اسْتَقَلَّتْ      وَلَمْ يُنِيبِ الْفَتَى فَتَتَى يُنِيبٌ )

الجنوب من الرياح : حارة ، وهي تهب في كل وقت . ومهبها ما بين مهبّي الصّبا والدّبور ممّا يلي مطلع سهيل . وقال الجوهري : هي التي تُقابل الشمال ، والجمع : أجنُب . والشّمال : الريح التي تهب من ناحية القطب . وفيها لغات : شَمْل ، بالتسكين ، وبالتحريك ، وشمال ؛ وشمال ، مهموز ؛ وشأمل ، مقلوب . وربما جاء بتشديد اللام .

ومُقْتَاد ، من القَوْد ، وهو نقيض السّوق . فالقود ، من أمام ؛ والسّوق ، من خَلْف . والجنّيب : الفرس يُقاد إلى جنّب ، ومثله : الجنوب .

و «رؤيد» ، بمعنى «أرود» أي أمهل وتأنّ وأرْفُق . إذا أردتَ بها الوعيد نصبتَها بلا تنوين . وإذا أردت المَهلة والإرواد في الشئ فأنصب ونوّن . وقد مرّ شيء عنها<sup>(١)</sup> .

واستَقَلَّتْ : ذَهَبَتْ وَأُنْجَلَتْ . وَأُنَاب ، وناب : بمعنى ؛ يُقال : ناب فلان إلى الله تعالى ، وَأُنَاب إليه : أَقْبَلَ وَتَاب وَرَجَعَ إِلَى الطاعة . وقيل : ناب : لَزِم الطاعة . وَأُنَاب : تاب وَرَجَعَ .

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية ١٧ ص ١٣٩ من هذا الجزء .

يقول : أراك لا تسمع داعياً لشهوة ، ولا مُنادياً للذة ، ولا حاثاً على غشٍّ ، ولا باعثاً إلى فُجور ، إلّا لبَيْتِه وأُستجبت له ؛ مجتهداً لا تَأْلُو ، وغالياً لا تَنْشَى . وقد كُنْتَ حُرِيّاً أن تقصر من لذّتك ، وتُنِيبَ إلى ربّك ، حين أنصُرمتْ عنك سِنُّ الفُتُوّة ، وأدركتْكَ سِنُّ الرجولة ، فإنك إن لم تُصَاح من نفسك في هذه السنّ ، كُنْتَ خَلِيقاً إلّا تَجِدُ للإصلاح وقتاً ، ولا إلى الهدى سبيلاً .

## اللزومية الثانية والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الصاد وياء الرّدف :

١ ( لِسَانُكَ عَقْرُبٌ فَإِذَا أَصَابَتْ سِوَاكَ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ تُصِيبُ )

العقرب : واحدةُ العقارب ، من الهوام ، يكون للذكر والأنثى بلفظ واحد .  
والغالب عليه التأنيث . وقد يقال للأنثى : عَقْرَبَةٌ وَعَقْرَبَاءُ ، ممدود غير مصروف .  
والعُقْرُبَانُ والعُقْرُبَانُ ؛ الذَّكَرُ منها ، بتشديد الباء في الثانية . قال ابن جني :  
ولك فيه أمران : إن شئتَ قلتَ : إنه لا أعتدّ بالآلف والنون فيه ، فيبقى حينئذ  
كأنه عَقْرُبٌ ، بمنزلة طُرْطُبٍ . وإن شئتَ ذهبت مذهباً أصنع من هذا ، وذلك  
أنه قد جرت الآلف والنون من حيث ذكرنا في كثيرٍ من كلامهم مجزئ ما ليس  
موجوداً ، على ما بيّنا . وإذا كان كذلك كانت الباء لذلك كأنها حرف إعراب ،  
وحرف الإعراب قد يلحقه التثقيب في الوقف ، نحو : هذا خالدٌ ، وهو يجعل .  
ثم إنه قد يطلق ويُقرُّ بتثقيله عليه . نحو : الأَضْحَمَا ، وعَيْلٌ . فكان « عَقْرُبَانَا »  
لذلك « عَقْرُبٌ » ثم لحقها التثقيب ، لتصور معنى الوقف عليها عند اعتقاد حذف  
الآلف والنون من بعدها ، فصارت كأنها « عَقْرُبٌ » ثم لحقت الآلف والنون ،  
فبقى على تثقيله ، كما بقي « الأَضْحَمَا » عند انطلاقه على تثقيله ، إذا أُجْرِى الوصل  
مجرى الوقف ، فقليل : عقْرُبَان .

يقول : أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، لَا تُطْلِقْهُ بِالْعَيْبِ ، وَلَا تُرْسِلْهُ بِالذَّنْبِ ؛ فإنما  
هو عَقْرِبُ إِن أُرْسِلَتْهَا عَلَى النَّاسِ أَصَابَتْكَ قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُمْ ، وَجَنَّتْ عَلَيْكَ قَبْلَ  
أَنْ تَجْنِيَ عَلَيْهِمْ .

- ٢ (أَثِمْتَ بِمَا جَنَنْتَهُ فَمَنْ شَكَاهَا وَفَى لَكَ مِنْ شَكَايَتِهِ نَصِيبٌ)  
 ٣ (أَتَى الرَّجُلَيْنِ عَنْهَا الشَّرُّ مَثْنَى كَلَا يَوْمَيْكَا شَرُّ عَصِيبٌ)

أَثِمَ فلان ، من باب عَم . وقع فى الإثم ، إِثْمًا وَمَأْنَمًا . وَأَثَمَهُ الله يَأْثُمُهُ ، من بابى نَصَرَ وَضَرَبَ : عَدَّ عليه الإثم وعاقبه به وجازاه جزاءه . والمراد هنا الأول . وَجَنَنْتَهُ : جَرَّتَهُ من إثم وجُرم . يُرِيدُ الْعَقْرَبُ ، التى أقامها مقام اللسان . و « شكاهَا » : أخبر عنها بسوء فعلها . والشاكى حين يشكوها بِصِمِّهَا بالأذى ، وصاحبها بالإثم . والشكَاية : المصدر ، ومثله الشكوى ، والشكَاية ، والشكَاة . والأسم : الشكوى .

وقد يكون « شكى » هنا بمعنى « أشتكى » أى أَلِمَ بما أصابه منها كما يَأْلَمُ المريضُ من المرض . ومن أَلِمَ تحرك للأذى .

و « وفى » : تم وكل . وإذا تَمَّ الشئ أحصد وأدَّى ؛ وكذلك أتضح وبان . والمعنى الأول مع المعنى الأول فى « شكاهَا » . يريد : كأن الشاكى يكيل لك بالكيل الذى كَلَّتْ له به ، ويفيك جزاءك من الإساءة . والثانى من الثانى : أى كأن الشاكين حين يشكون يكشفون منها عن كلوم بالغة تثير الحنق بك ، والمغضبة عليك ، وتهيج الشر بينكم .

و « الرجلان » : الشاكى والمشكو . و « عن » هنا ، تُفِيدُ التَّعْيِيلَ . أى بسببها . وَمَثْنَى : مُعْدُولٌ من « اثنين » وقد مر<sup>(١)</sup> . يُشِيرُ إِلَى مَا يَنَالُ الْمُتَخَاصِمِينَ ، الْمُبْدَى مِنْهُمَا وَالْمُعِيدَ .

وشَرُّ : غليظ عاتٍ . وعَصِيبٌ : شديد . وكأنه أراد بـ « اليومين » : يوم أن تنال من غيرك ، ويوم أن ينال منك غيرك .

(١) انظر شرح البيت ١٢ من الزرومية ٣٥ ص ٢٣٥ من هذا الجزء .



يقول : إِنَّكَ لَتَنَالُ الرِّجْلَ بِالمَقَالَةِ السَّيِّئَةِ فتأثم بها في نفسك ، ثم لا تأمن  
بعد ذلك أَنْ يُصِيبَكَ مِنْهَا شَرٌّ يتقدم به إليك غيرُكَ ، سواء أ كان أَقْلٌ مِنْ  
ذنبِكَ أَوْ أَرْجَى مِنْهُ .

فأنت ترى أَنَّ كليكما ، من شاتم ومشتوم ، ومن ذامٍّ ومذموم ، قد أصابه  
الشرُّ وناله المكروه . فما أحرأك أَنْ تَتَّقِيَ شيئاً يسلك بك مثل هذه السبيل !

## اللزومية الثالثة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الصاد وياه الردف :

١ ( تَنَادَوْا ظَاعِنِينَ غَدَاةً قَالُوا أَصَابَ الْأَرْضَ مِنْ مَطَرٍ مُصِيبٌ )

٢ ( لَعَلَّ شَوَائِمًا رَمَقَتْ وَمِيضًا تَبِيدُ وَمَا لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ )

تَنَادَوْا : نادى بعضهم بعضاً ، وأجتمعوا . ومنه قولُ المُرْقَش :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ التَّلَبُّبَ وَالْغَارَاتِ إِذْ قَالَ الْخَمِيسُ نَعَمْ

وَالْعَدَوَ بَيْنَ الْجَلِيسِينَ إِذَا آدَ الْقَشِيُّ وَتَنَادَى الْعَمَّ

وتجالسوا في النادی . وبكل يتجه المعنى ؛ إذ المراد اجتماعهم للرأى والأهبة .

وَالظَّاعِنُ : الذَّاهِبُ السَّارِى . وَالْفِعْلُ مِنْهُ . ظَعَنَ يَظْعُنُ ظَعْنًا وَظَعَنًا .

وَقِيلَ : الظعن : سَيْرُ الْبَادِيَةِ لِنُجْعَةٍ أَوْ حُضُورِ مَاءٍ أَوْ طَلَبِ مَرْبَعٍ ، أَوْ تَحَوُّلٍ مِنْ

مَاءٍ إِلَى مَاءٍ ، أَوْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ . هَذَا أَصْلُهُ . وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ شَاخِصٍ لِسَفَرٍ فِي

حَجٍّ أَوْ غَزْوٍ أَوْ مَسِيرٍ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى أُخْرَى . وَمُرَادُ أَبِي الْعَلَاءِ عَلَى الْمَعْنَى الْأَصْلِي .

وَأَصَابَ الْأَرْضَ : صَابَهَا بِصَوَّبَ ، أَيْ جَادَهَا بِمَطَرٍ . وَاسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ

« أَصَابَ » ، مُصِيبٌ ، وَمِنْ « صَابَ » : صَائِبٌ . وَالْمَسْمُوعُ : صَيْبٌ .

وَمِنْ « مَطَرَ » بَيَانٌ ، يَخْصُصُ مَا فِي « يُصِيبُ » مِنْ عُومٍ .

وَالشَّوَائِمُ : جَمْعُ شَائِمٍ ، وَهُوَ النَّظَرُ إِلَى السَّحَابِ وَالْبَرْقِ أَيْنَ يَقْصِدُ وَأَيْنَ

يُمِطَرُ . وَالرَّمَقُ : نَظَرُكَ إِلَى الشَّيْءِ تُتْبِعُهُ بَصَرُكَ وَتَتَعَهَّدُهُ ، الْفِعْلُ مِنْهُ مِنْ

بَابِ نَصَرَ .

وَالْوَمِيزُ : لَمَعَانُ الْبَرْقِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنَّهُ سَأَلَ عَنِ الْبَرْقِ فَقَالَ : أَخْفَوًا

أَمْ وَمِيزًا » . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْوَمِيزُ : أَنْ يُومِضَ الْبَرْقُ إِيمَاضَةً ضَعِيفَةً ثُمَّ

يُخْفَى ، ثُمَّ يَوْمُضُ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا يَأْسٌ مِنْ مَطَرٍ قَدْ يَكُونُ وَقَدْ لَا يَكُونُ .  
و « تَبِيدَ » : تَفَنَّى وَتَهْلَكَ .

يقول : جَدُّوا فِيمَا أَنْتُمْ بِسَبِيلِهِ مِنْ حِرْصٍ عَلَى الْآمَالِ ، أَوْ شَرِّهِ إِلَى تَحْقِيقِ  
الْأَطْمَاعِ وَتَهْلَاكِ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا ؛ فَمَا أَرَى إِلَّا أَنْ آمَالَكُمْ هَذِهِ لَكُمْ مُهْلِكَةٌ ،  
وَعَلَيْكُمْ قَاضِيَةٌ ، مَا تَتَّقَى لَكُمْ بِاللَّجْجِ ، وَرَبَّمَا وَثَقَتْ لَكُمْ بِالْقَنُوطِ .

إِنَّمَا أَنْتُمْ رُؤَادُ غَيْثٍ ، وَمُنْتَجِعُو مَرَعَى ، قَدْ شَتَمُ الْبَرْقِ فَرَجَّيْتُمُوهُ ،  
وَأَمَلْتُمْ الْمَطَرَ فَتَدَبَّعْتُمْ مَوَاقِعَهُ . وَرَبَّمَا أَغْيَاكُمْ السَّحَابُ فَلَمْ تَدْرِكُوهُ . وَرَبَّمَا أَخْطَأَكُمْ  
الظَّنُّ فَكَانَ بَرْقُكُمْ خُلْبًا ، وَسَحَابُكُمْ جَهَامًا .

اظْفَرُوا بِمَا شَتَمْتُمْ مِنْ آمَالِكُمْ ، وَحَصَّلُوا مَا أَحْبَبْتُمْ مِنْ أُمَانِيكُمْ . فَمَا أَخَافُ  
عَلَيْكُمْ شَيْئًا ، كَمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْآمَالُ وَالْأُمَانَى .

٣ (وَقَدْ تَمَجُّو النَّفُوسُ بِأَرْضٍ جَدَبٍ وَيُهْلِكُ أَهْلَهُ الْمَغْنَى الْخَصِيبُ)

الجدب : المَحْلُ ، نَقِيزُ الْخَصْبِ . تقول : أَرْضٌ جَدَبٌ ، عَلَى الْوَصْفِ ؛  
وَأَرْضٌ جَدَبٌ ، عَلَى الْإِضَافَةِ . وَلَكَ مَعَ الْوَصْفِ أَنْ تقول : أَرْضٌ جَدَبَةٌ ،  
وَجُدُوبٌ ؛ كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْأَرْضَ أَجْزَاءً ، فَتَخْرُجُ عَنْ صُورَةِ الْوَاحِدِ .  
و « الْمَغْنَى » أَيْ الْمَكَانُ الْكَافِي بِمَا فِيهِ . وَالْخَصِيبُ : الْكَثِيرُ الْعَشْبِ فِي سَعَةِ  
عَيْشٍ وَلِينٍ .

يقول : أَلَا رَبُّ بَلَدٍ مَجْدُبٍ قَاحِلٍ قَدْ سَعِدَ أَهْلُهُ بِجَدْبِهِ وَقُحُولَتِهِ ، لَمْ يُصِيبْهُمْ  
أَذًى وَلَمْ يَمَسَّسْهُمْ ضَرٌّْ . وَرَبُّ وَادٍ خَصْبٍ نَضْرٌ ، قَدْ كَانَ خِصْبُهُ عَلَى أَهْلِهِ  
وَبَالًا ، وَكَانَتْ نُضْرَتُهُ لَمْ مَوْرِدَ هَلَكَةٍ وَشِرْعَةٍ فَنَاءً .

## اللزومية الرابعة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الغين وياء الرّدْف :

١ ( رَغِبْنَا فِي الْحَيَاةِ لِفِرْطٍ جَهْلٍ . وَفَقَدُ حَيَاتِنَا حَطُّ رَغِيبُ )

رغب في الشيء : أَرَادَهُ ، رَغَبًا ورغبةً ، ورُغْبِي ، ورَغْبًا . وعن الشيء : كرهه وزهد فيه ، واللام في « لفرط » للتعليل ، أى من أجل فرط جهل . والفرط : الغلبة ومجاورة الحد وفرط جهل ، أى جهل غالب قد جاوز الحد . والرغيب : الواسع ، ومنه : واد رغيب ، أى ضخم واسع كثير الأخذ للماء .

يقول : نَرُغِبُ فِي الْحَيَاةِ وَنَحْرُصُ عَلَيْهَا ، وَإِنَّ الْمَوْتَ لَأَحَقُّ أَنْ نَرُغِبَ فِيهِ وَنَحْرُصَ عَلَيْهِ .

٢ ( شَكَأَ خُزَزٌ حَوَادِثَهَا وَلَيْثٌ فَمَارُحِمَ الزَّيْئِرُ وَلَا الضَّغِيبُ )

٣ ( شَهِدْتُ فَلَمْ أَشَاهِدْ غَيْرَ نُكْرٍ وَغَيْبَنِي الْمَنَى فَمَتَى أَغِيبُ )

الخُزَزُ : ولد الأرنب ؛ وقيل : هو الذكر من الأرنب ؛ والجمع أخزّة ، وخَزِرَانٌ . وزَيْئِرُ اللَّيْثِ : صِيَاخُهُ وَغَضَبُهُ ؛ وقيل : صَوْتُهُ فِي صَدْرِهِ . وَالضَّغِيبُ : صوت الأرنب ، والذُّبُّ أيضاً . والمراد الأول . وقيل : هو تَصَوُّرُ الأرنب عند أخذها . وقد أَسْتَعَارَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ لِلْبَنِّ فَقَالَ :

كَأَنَّ ضَغِيبَ الْمَحْضِ فِي حَوَايَاهُ مَعَ التَّمْرِ أَحْيَانًا ضَغِيبَ الْأَرْنَبِ

وشهدت : حضرت ، ويعنى بحضوره ، وجوده في الحياة . والمشاهدة : المعاينة .

والتُّكْرُ : بالضم ، كالتُّكْرَاءِ : المنكر . وفي التنزيل العزيز : ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ) .

وقد يحرّك ، مثل : عُسر ، وعُسُر . ومنه قولُ الأسود بن يَقرُ :

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا      وَكَانُوا أَتَوْنِي بِشَيْءٍ نُكْرُ

والمَنَى ، بالفتح : القدر . وبالضم والكسر : جمع مُنْيه ، وَمِنْية ، بالضم والكسر أيضاً : بمعنى الأُمنية . فعلى الأول ، فالمعنى : أن القدر قد قَضَى عليه بأن يُوجد في هذا الوجود ذى النُّكر . وجعل الوجود فيه تَغْيِيباً ، لأنه حَبَسَ للأرواح ، أو لأن الأحياء فيه مَغْمُورُونَ بِشُرُورِهِ وآثَامِهِ ، وهذا وذاك طالما يُشير إليهما أبو العلاء .

وعلى الثانى ، فالمعنى أن الأمانى غَشَّتْ على الأفئدة والألباب ، وضربت عليها الحجاب . و « أَغْيَبَ » أى تَضَمَّنِي غِيَابَةُ الأَرْضِ وَتَنَطَوَى عَلَى ، يريد الموت . وكلُّ ما غاب فقد تَبَطَّنَ وأَخْتَفَى .

يقول : إنما الحياة شر قد آذى القوى والضعيف . وأصاب العزيز والذليل ؛ فَضَغَبَ الأرنبُ بِشَكَاتِهِ ، وزَارَ الأسدُ بِتَأَلَّمِهِ ، فما أغنى عن الأول ضَغِيبٌ ، ولا دَفَعَ عن الثانى زَئِيرٌ . نُكْرُ لا يُخَلِّصُنَا مِنْهُ إِلَّا الْمَوْتُ ، فهل لنا إليه من سبيل ؟

## اللزومية الخامسة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الياء وواو الرّدف :

- ١ (عُيُوبِي إِنْ سَأَلْتَ بِهَا كَثِيرٌ وَأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عُيُوبٌ)  
٢ (وَلِلْإِنْسَانِ ظَاهِرٌ مَّا يَرَاهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا تُخْفِي الْعُيُوبُ)

كثير ، للمذكر والمؤنث . وقد يقال في التأنيث : كثيرة . وعن يونس : رجال كثير ، ونساء كثير ، ورجال كثيرة ، ونساء كثيرة ؛ سوى بينهما . والعُيوب . جمع غَيب ، وهو كل ما غاب عنك .

يقول : لا تُحدِّثْكَ نَفْسُكَ أَنْ تَرَى فِي النَّاسِ بَرِيئاً مِنْ عَيْبٍ ، أَوْ مُنْزَهاً مِنْ مَعْرَةٍ ؛ فَإِنَّ الْخَطَأَ وَالْخَطْلَ ، مِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ وَفِطْرَتِهِ . وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَلَكَ عَلَى اسْتِقْرَاءِ عُيُوبِ النَّاسِ وَاسْتِقْصَاءِ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَرُبَّمَا كَلَّفَكَ الْاسْتِقْرَاءَ وَالْاسْتِقْصَاءَ مَا يَضُرُّكَ وَلَا يَنْفَعُكَ ، وَيُؤْذِيكَ وَلَا يُرْضِيكَ . إِنَّمَا لَكَ مِنَ النَّاسِ ظَاهِرُ أُمُورِهِمْ ، وَجَلِيُّ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةُ بَاطِنِهِمْ ، وَخَفِيُّ غَيْبِهِمْ .

- ٣ (يَجْرُونَ الذُّيُولَ عَلَى الْمَخَازِي وَقَدْ مُلِئَتْ مِنَ الْغَشِّ الْجُيُوبُ)

الذيول : جمع ذيل ، وهو من الرّداء ما أُسْبِلَ فَأَصَابَ الْأَرْضَ . وَجَرُّ الذُّيُولِ : كنايةٌ عَنِ التَّبَخُّرِ وَالْعُجْبِ . وَالْمَخَازِي : مَا لَا يُسْتَحْسَنُ مِمَّا يُسْتَحْيِ مِنْهُ وَيُعَابُ . وَالْجُيُوبُ : جَمْعُ جَيْبٍ ، لِلْقَمِيصِ وَالذَّرْعِ ، وَيُطْلَقُ مُجَازاً عَلَى الْقَلْبِ وَالصَّدْرِ ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . فَتَقُولُ : فَلَانِ نَاصِحِ الْجَيْبِ ؛ وَأَنْتِ تَعْنِي قَلْبَهُ

وصدّره ، أى أمين ، وكما يقال فى الأمانة يقال فى صِدِّهَا ، ومنه قولُ  
أبى العلاء هنا .

يقول : إنهم ليُظهرون التّقى والنّسك ، والفضيلة والبرّ ، وإنّ ذلك ليلوهم كبراً  
وتبهاً ، فيجرون الأذيال ، بالصّلف والخال ؛ وإنّما يجرّونها على الخِزى ،  
ويُسَدِّلونها على الغى ؛ وإنّ قلوبهم بالشرّ كمنفعة ، وإنّ نفوسهم من النّكر  
لُمُتْلثة .

٤ ( وكيف يَصُولُ فى الأيامِ لَيْتَ إِذَا وَهَتِ الْمَخَالِبُ وَالنُّيُوبُ )

الصّول : السّطو والتطاول . وفى الأيام ، أى مع الأيام . ووهت : ضَعُفَتْ .  
والنُّيوب ، جمع ناب : السنُّ التى خَلَفَ الرُّباعية . ويُجمع أيضاً على : أنياب  
وأنايب ؛ الثانية عن سيبويه ، جمع الجمع ، كأبيات وأبايت .

يقول : ولكنّى أنصح لك ألا تُحاول لهم إصلاحاً ، ولا تُكلفهم لذلك  
تغييراً ؛ فهاهم مُجيبك إلى ما تُريد ، ولا أنت بقاهرهم عليه . وأنى يكون لك  
الأمر والنهى ، أو البأس والبطش ، وقد أخطأتك القوة والسّطوة ، وحُرمت  
النفوذ والسّلطان !

## اللزومية السادسة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الراء وألف التأسيس :

١ ( لَذَاتُنَا إِبِلُ الزَّمَانِ يَنَالُهَا مِنَّا أَخُو الْفَتَكِ الَّذِي هُوَ خَارِبٌ )

الإبل ، بكسرتين ، وتسكن الباء للتخفيف ، لا واحد له من لفظه . قال الجوهري : وهى مؤنثة ، لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها ، إذا كانت لغیر الآدميين فالتأنيث لها لازم ، وإذا صغرتها دخلتها التاء ، فقلت : أَيْبِلَة .

وحكى سيويوه : إِبِلَان . وقال أبو الحسن : إنما ذهب سيويوه إلى الإيناس بتثنية الأسماء الدالة على الجمع ، فهو يُوجَّهها إلى لفظ الآحاد ، يريد قطيعين .

وأقل ما يقع عليه اسمُ الإبل : الصَّرمَة ، وهى التى جاوزت الذَّود — من الثلاث إلى خمس عشرة ، وقيل : إلى عشرين — إلى الثلاثين .

وقال الأزهري : ويجمع « الإبل » على آبال .

وجعل اللذات « إبالاً » بجامع القطع فى كلِّ ، فسكاً تقطع الإبلُ الأقطار ، تقطع تلك الأعمار . كما يصح أن يكون الجامع الرغبة فى كل . فأشهى شىء إلى البدوى ناقةً يَقتنِها ، واللذة مرغوب فيها .

والفتك : رُكوب ما هم من الأمور ودعت إليه النفس . وقيل : الفتك : أن يأتى الرجلُ صاحبه وهو غارٌّ غافل حتى يَشُدَّ عليه فيقتله . ومثل « الفتك » : الفِتك ، والفتك ، والفتوك . والفعل من بابى : ضرب ، ونصر .

والخارب : اللص ؛ وقيل : هو سارق الإبل خاصة ثم نقل إلى غيرها اتساعاً . والفعل منه : خَرَبَ يَخْرُبُ ، يُقال : خَرَبَ فلان بإبل فلان خرابة ، إذا سرقها ، يتعدى بالباء . وحكى اللحياني : خَرَبَ فلان ، أى صار لصاً .



جعل اغتصاب الذات كالخرابة مما لا يحل ولا يُقدّم عليه إلا الفاتكُ  
الغادر، وأن العُقْبَى مع كُلِّ الخُسْران والتَّبار.

يقول: ما أرى أنا تنوفى لذاتنا من الأيام إلا مختلسين لها كما يختلس اللص  
السارق المتاع من صاحبه، وما أرى أن لنا من هذه الذات خيراً محققاً، أو نفعاً  
متوهماً، وإنما هو الشر الذي لا شك فيه.

٢ (وَأَرَى عَنَاءَ قَيْدٍ يَغْشَى الْمَرْءَ مِنْ بِنْتِ الْعَنَايِدِ الَّذِي هُوَ شَارِبُ)  
٣ (وَلِسَيْدِ الْأَقْوَامِ عِنْدَ حِجَابِهِ طَبْعٌ يُقَاتِلُهُ الْحِجْبَى وَيُحَارِبُ)

العناء: التعب والنصب. وعَنَى فلان يَعْنِي، وتَعَنَّى: تعب ونصب.  
وعَنَيْتُهُ أنا، وتَعَنَيْتُهُ أيضاً. وتَعَنَّى هو العناء: تجشّمه.

وقيد: من « القود » الذي هو ضدّ السّوق، وقد مرّ<sup>(١)</sup>. وفي استعمال  
« القود » هنا إشارة إلى أن المرء يجرّ هذا إلى نفسه بفعله. وَيَغْشَى: يُغْطَى.  
هذا أصله. وهو إما يريد ما يعمّ الجسم من ضرر، فلا تخصّيص. أو يريد لعب  
الخطر بالعقول وحجبها لها فكأنه أطلق « المرء » وأراد مكان العقل منه.

والعناييد: من النّخل والعنّب ونحوهما. الواحد: عُنْقُود، وعِنْقَاد. وبنّت  
العناييد: الخمر، لأنها عُصارة ما تحمل. ولا يخفى ما بين « عناء قيد »  
و « عناييد » من صنعة الجناس.

وفي استخدامه « الذي » مُلتفتاً إلى « العناء » دون « بنت العناييد »  
نكتة مجازية، والعلاقة المُسَبِّبَةُ.

والسيد: يطلق على المالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، ومحتمل أذى

(١) انظر شرح البيت الثاني من اللزومية ٦ ص ٣٤٠ من هذا الجزء.

قومه ، والرئيس ، والمقدم ، ويريد به هنا : المالك أمر قومه المقدم عليهم . وأصله من : ساد يسود ، فهو مَسِيد . فقلبت الواو ياء ، لأجل الياء الساكنة قبلها ، ثم أذغمت .

و « عند » كما تكون اسماً لمكان الحضور ، فإنها تأتي أيضاً لزمانه .

والحِجَاب : اسم ما احتجب به ، وكلُّ ما حال بين شيئين فهو حجاب .

والحِجَا ، مقصور : العقل والفطنة ، لأنه يمنع الإنسان من الفساد ويحفظه من التعرض للهلاك . والجمع : أحجاء .

يقول : دونك الخمر التي تشربها صارفاً بها عن نفسك الحزن والغم ، أليست تجلبهما عليك بعد حين ! دونك لذة العزة والسطة التي يتمتع بها السادة المحجّبون ، أليست مصدر الشقاء والنقمة ، وسبيل الأذى والمكروه !

٤ ( وَالشَّرُّ فِي الْجَدِّ الْقَدِيمِ غَرِيزَةٌ فَبِسُكْلِ نَفْسٍ مِنْهُ عَرِقَ ضَارِبٌ )

لعله يُشير « بالجد القديم » إلى ما كان بين ولدى آدم : هابيل وقايل ، حين قتل أحدهما الآخر . وقد يكون أراد ما رُكِبَ في طبيعة الإنسان من شر ، وهذا بعجز البيت أوفق .

والعَرِيقُ : الأضل . والجمع أعراق وعروق . والضارب : الناشب الذي قد تمكّن وأوغل .

يقول : لا أحمّد الإنسان فإنه شرّير ، ولا ألومه فإنه قد ورث الشرّ عن أبيه ، وأخذه عن جده القديم .

## اللزومية السابعة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع السين :

١ (عَلِمَ الْإِمَامُ - وَلَا أَقُولُ بِظَنِّهِ -

أَنَّ الدُّعَاةَ بِسَعِيهَا تَتَكَسَّبُ)

الإمام ، عند المتكلمين : هو خليفة الرسول صَلَّى الله عليه وسلم في إقامة الدين ، ويجب على كافة الأمة اتِّباعه .

وعند المحدثين : المحدث والشيخ .

وعند القراء والمفسرين وغيرهم : كلُّ مُصحف من المصاحف التي نَسَخَهَا الصحابة بأمر عثمان رضي الله عنه ، وأُرسلت إلى الأمصار .

والمراد من بين هذه كلها الأول . ولعله يُشير إلى ما كان من اختلاف الأمة بعد وفاة النبي صَلَّى الله عليه وسلم في الإمامة ، وما أعقب ذلك من انقسام ، وما كان من قول البعض بإمامة عليٍّ وحَضْرها في عَقِبِهِ . ثم ظهور طوائف الإمامية ؛ كالزَيْدِيَّة ، التي قالت بإمامة زَيْد بن عليٍّ ؛ والكَيْسَانِيَّة ، التي قالت بإمامة محمد بن الحنفِيَّة ؛ والباقرِيَّة ، التي قالت بإمامة محمد بن عليٍّ ، المعروف بالباقر ؛ والنَّائِوَسِيَّة ، التي قالت بإمامة جعفر الصادق ؛ والشَّيْطِيَّة ، التي قالت بإمامة محمد بن جعفر ؛ والإِسْمَاعِيلِيَّة ، التي تَنْتَظِرُ إِسْمَاعِيلَ بن جعفر ، والمُوسَوِيَّة التي سَاقَت الإمامة بعد جَعْفَر إلى أبنه موسى ، والمُبَارِكِيَّة ، التي سَاقَت الإمامة إلى أولاد محمد بن إِسْمَاعِيلَ بن جعفر .

وقد أدَّعوا لبعض أئمتهم الحياة بعد الموت . ومنهم مَنْ يعيشون في أُنْتَظَارِهِمْ .

وَأَدَّعَوْا لِبَعْضِهِمْ أَنَّهُ الْمَهْدَى الْمُنْتَظَرُ . وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ قَوْلُ كَثِيرٍ :  
 أَلَا إِنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ      وَلَوْلَا الْحَقُّ أَرْبَعَةٌ سِوَاهُ  
 عَلَى الثَّلَاثَةِ مِنْ بَنِيهِ      هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ  
 فَسَبَطُ سَبَطِ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ      وَسَبَطُ غَيْبَتِهِ كَرِّ بِلَاءِ  
 وَسَبَطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى      يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ  
 تَغِيَّبَ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا      بَرَضُوا عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ  
 وَقَدْ سَبَقَ بَعْضُ هَذَا<sup>(١)</sup> .

وَالظَّنُّ : شَكٌّ ، وَيَقِينٌ ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ يَقِينٌ عِيَانٌ ، إِنَّمَا هُوَ يَقِينٌ تَدَبُّرٌ .  
 فَأَمَّا يَقِينُ الْعِيَانِ ، فَلَا يُقَالُ فِيهِ إِلَّا « عِلْمٌ » . وَالْعِبَارَةُ « وَلَا أَقُولُ بظَنِّهِ »  
 إِنْطَابَ لِلتَّوَكُّيدِ وَدَفْعِ الْإِيْهَامِ .

وَالدُّعَاةُ : مَنْ يَدْعُوْنَ إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ ، الْوَاحِدُ : دَاعٍ . وَهُمْ ، مَعَ  
 مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ ، تِلْكَ الْفِرْقُ الْإِمَامِيَّةُ .

وَتَتَكَسَّبُ : تَتَكَلَّفُ الْكَسْبَ وَتَنَالُهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ .

وَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِلَفْظِ « الْإِمَامِ » عَمُومُهُ . وَكَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى مَا يَحَاطُ بِهِ الْأُئِمَّةُ  
 مِنْ زُرُورٍ يُدْعَى بِهِ لَهُمْ ، وَبُهْتَانٍ يُمْكِنُ بِهِ لِسُلْطَانِهِمْ .

يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالنَّاسِ يَعْلَمُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضِ السُّوءِ فَيَفْضُوْنَ عَنْهُ  
 وَيُفْضُوْنَ عَلَيْهِ ، التَّمَّاسًا لِمَنَافِعِهِمْ ، وَاحْتِفَاطًا بِمَصَالِحِهِمْ . فَقَدْ عِلِمَ الْأُئِمَّةُ غَيْرَ  
 شَاكِّينَ ، وَأَسْتَيْقَنُوا غَيْرَ ظَانِّينَ ، أَنَّ دُعَاتِهِمُ الَّذِينَ يَدْعُوْنَ إِلَيْهِمْ ، وَيَرْغَبُونَ  
 فِيهِمْ ، لَا يَنْشُرُونَ طَرِيقَتَهُمْ مُخْلِصِينَ ، وَلَا يَسْعَوْنَ فِي ذَلِكَ سَعِيًّا مُصَدِّرُهُ  
 نَصِيحَةً أَوْ دِينَ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَسْبُ الْعِيشِ وَتَحْصِيلُ اللَّذَاتِ يَدْفَعُهُمْ إِلَى ذَلِكَ

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٢٤ ص ١٦٣ . من هذا الجزء .

وَيُغَيِّرُهُمْ بِهِ ، مِنْ حَيْثُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُتَمَّةُ . فَقَامَتْ بِذَلِكَ مَنَفْعَةُ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى الْفِشِّ وَالْحَدِيدَةِ ، وَعَلَى الْمَكْرِ وَالنَّفَاقِ ، وَكُلِّ مِنْهُمْ رَاضٍ بِهَا مُحِبِّذٌ لَهَا .

٢ ( هَذَا الْهَوَاءُ يَلُوحُ فِيهِ لِنَظِيرِ  
صُورٍ وَلَكِنْ عَنْ قَلِيلٍ تَرَسُّبُ )

٣ ( وَالنَّاسُ جِنْسٌ مَا تَمَيَّزَ وَاحِدٌ  
كُلُّ الْجُسُومِ إِلَى التَّرَابِ تَنَسَّبُ )

لَعَلَّه يُشِيرُ بِقَوْلِهِ « هَذَا الْهَوَاءُ . . إلخ » إِلَى زَعْمِ السَّبْئِيَّةِ مِنَ الشَّيْئَةِ أَنَّ عَلَى بَنِ  
أَبِي طَالِبٍ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ ، وَأَنَّهُ يُرَى فِي السَّحَابِ .

أَوْ أَنَّهُ جَعَلَ مَقَالَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ صُوراً مُتَوَهِّمَةً لَا حَقِيقَةَ لَهَا .

وَالرُّسُوبُ : الذَّهَابُ إِلَى أَسْفَلٍ . يَرِيدُ أَنَّهَا تَغِيبُ وَتَخْفَى وَلَا يَبْقَى لَهَا أَثَرٌ .  
وَكَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى مَصِيرِ الْحَيَاةِ بِزُخْرَفِهَا إِلَى التَّرَابِ .

وَتَمَيَّزَ : أُنْفَصَلَ وَأُنْفَرَدَ . وَقَدْ مَرَّ شَيْءٌ عَنْهُ <sup>(١)</sup> . وَتَنَسَّبَ : أَيْ تَنَسَّبَ ؛  
وَالْتَنَسَّبَ : ادَّعَاءُ النَّسَبِ . وَفِي الْمَثَلِ : الْقَرِيبُ مِنْ تَقَرَّبَ لَا مِنْ تَنَسَّبَ .

يَقُولُ : أَجَلٌ ، إِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ ، وَمَا أَرَاهُمْ مُلِيمِينَ . فَعَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ  
صَاغَتْهُمْ الطَّبِيعَةُ ، وَبِهَذِهِ الصَّبْغَةِ صَبَغَتْهُمْ الْحَيَاةُ . وَهَلْ تَرَى فِي الْحَيَاةِ إِلَّا  
صُوراً تَبْدُو لِلْعَيْنِ جَمِيلَةً جَذَّابَةً ، ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرُّ النَّهَارِ وَكُرُّ اللَّيْلِ ،  
حَتَّى يَظْهَرَ بَاطِلُهَا ، وَيَبْدُو فَسَادُهَا ، وَيَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى أَصْلِهِ الَّذِي  
تَفَرَّعَ مِنْهُ .

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية الثامنة ص ٨٦ من هذا الجزء .

فسادٌ بعد الكون ! وعدم بعد الوجود ! كذلك الإنسان ، ما أراه إلاّ مُشبهًا لما يُحيط به من الطائشات ، فهو يَقْضِي أَيَّامَهُ مُعْتَرًا بِحَيَاتِهِ ، مُفْتُونًا بِقُوَّتِهِ ، ثم لا يلبث أن يَعُودَ إِلَى التُّرَابِ الَّذِي مِنْهُ خُلِقَ .

٤ ( وَالْأَرْضُ بِأَطْنُفِهِ مَتَى مَا ذُقْتَهُ

شَرَى فَمَاذَا — لَا أَبَالِكَ — تَلَسَّبُ )

الأرضى : ما تَجَمَّعَ النُّحْلُ مِنَ الْعَسَلِ فِي أَجْوَانِهَا ثُمَّ تَلَفَظَهُ ، وهو أيضًا ما أَلْتَزَقَ مِنَ الْعَسَلِ فِي جَوَانِبِ الْعَسَّالَةِ . ضَرَبَهُ مَثَلًا لِلذَّائِدِ الْحَيَاةِ .

وَالشَّرَى : الْحَنْظَلُ ، وَقِيلَ : شَجَرُهُ ، وَقِيلَ : وَرَقُهُ . وهو معروف بمرارته . ضَرَبَهُ مَثَلًا لما يَعْقُبُ اللَّذَّةَ مِنْ أَسَى وَضُرٍّ .

و « أَبَالِكَ » : كَلَامٌ جَرَى مَجْرَى الْمَثَلِ . وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنَّكَ لَا تَنْفِي فِي الْحَقِيقَةِ أَبَاهُ ، وَإِنَّمَا تُخْرِجُهُ خَارِجَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ ، أَيْ أَنْتَ عِنْدِي مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُدْعَى عَلَيْهِ بِقُدْرَةِ أَبِيهِ . وَأَكْثَرُ مَا يُذَكَّرُ فِي الْمَذْحِ ، أَيْ لَا كَافِي لَكَ غَيْرُ نَفْسِكَ . وَقَدْ يُذَكَّرُ فِي الذَّمِّ ، كَمَا يُذَكَّرُ فِي مَعْرِضِ التَّعَجُّبِ ، وَدَفْعًا لِلْعَيْنِ ، كَقَوْلِهِمْ : اللَّهُ دَرُّكَ . وَقَدْ يُذَكَّرُ بِمَعْنَى : جِدِّ فِي أَمْرِكَ وَشُمِّرْ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ لَهْ أَبِ اتَّكَلَّ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ شَأْنِهِ . وَقَدْ تُحْذَفُ اللَّامُ فَيَقَالُ : لَا أَبَاكَ .

وَتَلَسَّبَ : تَلَعَّقَ . فَعْلُهُ مِنْ بَابِ « فَرَحَ » . يَقَالُ : لَسِبَ الْعَسَلُ وَالسَّمَنُ وَنَحْوُهَا ، يَلَسَّبُ لَسْبًا . وَأَمَّا اللَّسْبُ الَّذِي هُوَ لَدَغُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ ، فَبَابُهُ : ضَرَبَ وَفَتَحَ .

يقول : ليس شيء من ذلك بعجيب ، وإنما العجيب أن يفهم الإنسان حياته

كما هي ، فسيعلم أن حلاوتها الظاهرة ، إنما تستبطن مرارة خفية ، كالعسل ، إن حلا للذوق فإنه لا يخلو من مرارة يحسها المدقق المتذوق . ثم هو بعد ذلك بالحياة مغرور وعليها حريص ، يخدعه ظاهر حلاوتها عن خفي مرارتها .

هـ (وَسَيَقْفَرُ الْمِصْرُ الْحَرِيحُ بِأَهْلِهِ وَيَغْصُ بِالْإِنْسِ الْفَضَاءُ السَّبَسْبُ)

أَقْفَرُ الْمَكَانُ مِنَ الْكَلَاءِ وَالنَّاسِ : خَلَا . أَرْضٌ قَفْرٌ . وَأَرْضٌ قِفَارٌ . تُجْمَعُ عَلَى سَعَتِهَا لِتَوْهَمِ الْمَوَاضِعِ .

كلُّ موضعٍ على حياله قفر . وإذا سَمَّيتُ أرضاً بهذا الاسم أنثت ، فيقال : دار قفرة ، ومنزل قفر ، فإذا أفردت قلت : انتهينا إلى قفرة من الأرض .

وَالْمِصْرُ : وَاحِدُ الْأَمْصَارِ . وَهُوَ كُلُّ كَوْرَةٍ تُقَامُ فِيهَا الْحُدُودُ وَيُقَسَّمُ فِيهَا الْفَيْءُ وَالصَّدَقَاتُ ، مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةٍ لِلْخَلِيفَةِ .

وَحَرِيحٌ : ضَيِّقٌ . وَمِثْلُهُ : حَرَجٌ وَحَرَجٌ . إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْأَخِيرَةَ تُفْرَدُ ، لِأَنَّهَا مُصْدَرٌ .

وَغَصَّ الْمَكَانُ بِأَهْلِهِ يَغْصُ : ضَاقَ وَأَمْتَلَأَ . وَالْإِنْسُ : الْبَشَرُ ، الْوَاحِدُ : إِنْسِيٌّ ، وَأُنْسِيٌّ ، بِالْتَحْرِيكِ . وَالسَّبَسْبُ : الْقَفَرُ وَالْمَقَازَةُ . بَلَدٌ سَبَسَبٌ ، وَبِلَادٌ سَبَسَبٌ ، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا كُلَّ جَزَاءٍ مِنْهَا سَبَسَبًا ، ثُمَّ جَعَلُوهُ عَلَى هَذَا . يُرِيدُ : حَيْثُ الْقُبُورُ .

يقول : أَلَا أَفَيقُوا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ هَذَا الْغُرُورِ ، فَإِنَّ مَا سَيَدْتِمُّ مِنْ قُصُورٍ ، وَمَا أَقْتَمُ مِنْ صُرُوحٍ ، وَمَا رَفَعْتُمْ مِنْ بُرُوجٍ ، وَمَا عَمَرْتُمْ مِنْ أَمْصَارٍ ، كُلُّ ذَلِكَ سَيُصْبِحُ مِنْكُمْ خَلَاءً ، وَسَيُسَلِّمُكُمْ إِلَى هَذِهِ الصَّحْرَاءِ الْمُقْفَرَةِ فَتَعْمُرُونَ بِهَا الْقَفَرَ ، وَتُؤْنِسُونَ فِيهَا الْوَحْشَ ، وَتَمْلِثُونَ مِنْهَا الْخِلَاءَ .

## اللزومية الشامنة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الذال وياء الرّدف :

١ ( سَمِيَ ابْنَهُ أَسَدًا وَلَيْسَ بِأَمِينٍ ذِئْبًا عَلَيْهِ إِذَا أَطْلَّ الذِّئْبُ )

أُطْلَّ : أشرف وأوفى بطلّله ، أى شخصه . والذئب ، معروف . يُهْمَز ولا يُهْمَز ، وأصله الهمز .

يقول : ما أشدّ مُحِق الإنسان ! يتفأئل بالأسماء والألقاب ، لا تجلب إليه خيراً ولا تدود عنه شراً ، فيسمّى ابنه أسداً ، وما كان لهذا الاسم أن يرُدّ عنه عادية ذئب ، أو يدفع عنه غائلة مكروه . وإنما هو الغرور وضلال العقول ، يُوقعان الناس في السُّخف ، ويقذفان بهم في الأباطيل !

٢ ( وَاللّٰهُ حَقٌّ وَأَبْنُ آدَمَ جَاهِلٌ مِّنْ شَأْنِهِ التَّفَرِّيطُ وَالتَّكْذِيبُ )

فَرَطَ في الشيء ، وفَرَطَته : ضيَّعه وقَدَّمَ العجز فيه .

يقول : آمَنْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى سَخْفِهِ وَجَهْلِهِ ، وَعَلَى غُرُورِهِ وَبَاطِلِهِ ، وَعَلَى ضَعْفِهِ وَانْحِلَالِ قُوَّتِهِ ، مُفَرِّطٌ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ ، مَكْذِبٌ لِّمَا يُنْقَلِقُ إِلَيْهِ ، غُرُوراً مِنْهُ وَاسْتِكْبَاراً .

٣ ( وَاللُّبُّ حَاوِلٌ أَنْ يَهْدِبَ أَهْلَهُ فَإِذَا الْبَرِيَّةُ مَا لَهَا تَهْذِيبٌ )

اللُّبُّ ، العقل ، ويُجمع على : أَلْبَاب ، وَأَلْبُب ، وَأَلْب . والفعل منه :



كَبُتْ أَلْبُ ، وَلَبِيتَ تَلَبٌ . والبرية : الخلق ، وأصله الهمز ، وقد تركت العرب هَمْزَه ؛ وقد مر<sup>(١)</sup> .

يقول : لقد حاول العقلُ إصلاحَه ، وأجتهَد اللبُ في تهذيبه ، فلم يكن له أن يُفلح ، لأنه إنما حاول تغيير الطبيعة ، وتحويل العريضة ، فتكاف بذلك مُحالاً .

هـ ( مَنْ رَامَ إِنْقَاءَ الْغُرَابِ لِكُنَى يَرَى  
وَضَحَّ الْجَنَاحُ أَصَابَهُ تَعْذِيبُ )  
و ( وَالذَّهْرُ يَقْدُمُ وَالْمَلِكُ مُخَالِفُ  
دَوْلًا فَفِيهَا مُجِيدٌ وَمُذِيبٌ )

أنقَى الشيء إنقَاءً : نَقَى عنه ما يَشِينُهُ وَأُسْتَصْفَاهُ . والوَضَحُ : البياضُ من كل شيء . ويقدمُ ، من القَدَمِ ، الذى هو نقيض الحدث . الماضى مثله مَضموم العين . والملِكُ : ذو الملك . يريد الله سبحانه وتعالى .

ومخالف دولاً ، أى مخالف بينها ومغاير . والدَّوْلُ : جمع دَوْلَة ، والدولة : العُقْبَة فى المال والحرب سواء . وقيل : الدَّوْلَة ، بالضم : فى المال . والدَّوْلَة ، بالفتح : فى الحرب . وقيل : هما لغتان فيها . يريد ما عليه الناس فى الحياة .

والجُمُودُ : ضدُّ الذَّوْبِ . ضربهما مثلين للتغاير والتخالف . والفاعل لهما هو المليك ، أى الله تعالى . يُشير إلى تباين ما فى الوجود مع كَرِّ الأيام . ويكون معنى البيت تأكيداً لما ساقه فى البيت قبله .

(١) انظر شرح البيت ١٩ من اللزومية ١٦ ص ١٩ من هذا الجزء .

أو لعله يريد وَصَفَ ما عليه الحياةُ من تعاقبِ العواقبِ ، يأتي بها القَدَرُ ويَذْهَبُ . وهو ما يُريده بالجمود والدَّوْبُ .

يقول : أفترى العقلُ يَسْتَطِيعُ أن يُحِيلَ سوادَ الغُرابِ القائمِ إلى بياضِ ناصعٍ ! أمّا إنّه إن أراد ذلك لأحقُّ جاهل . ولن يكون أقلُّ منه مُحَقَّقاً وجهاً إن أراد صَرَفَ الإنسانِ عن سَجِيَّةٍ ، فكذلك خُلِقَ محبّاً للشرِّ ، مفرقاً فيه ، يسلكُ إليه السُّبُلَ المختلفة ، ويَنهَجُ له المناهجَ المُتباينة .

## اللزومية التاسعة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الذال :

١ ( إِنْ عَذَبَ الْمَيِّنُ بِأَفْوَاهِهِمْ فَإِنَّ صِدْقِي بِفَمِي أَعَذِبُ )

عَذَبَ يَعَذِبُ : طاب وحلأ . والمين : الكذب . مان يمين ، فهو مائن .  
ورجل ميين وميآن .

يقول : أغرقوا في المين والكذب ما شاء حُبكم له ، وحرصكم عليه ،  
واستعذابكم طعمه ، واستجادتكم ذوقه ؛ فلست بمائل عن الصدق ، ولا مائل  
عن قول الحق ، وهو في فمي أعذب من الكذب في أفواهكم ، وهو على  
لساني أيسر من الزور على ألسنتكم ، وهو في قلبي أجل من الإثم في قلوبكم .

٢ ( طَلَبْتُ لِلْعَالَمِ تَهْذِيبَهُمُ وَالنَّاسُ مَا صُفُّوا وَلَا هُذِّبُوا )

الطلب : محاولة وجدان الشيء وأخذه . وصفت الشيء : خلصته مما  
يشوبه من كدر .

يقول : أغرقوا في الضلال والفساد، وأوضعوا في النى والفجور، فلذلك خلقتكم،  
وله بُرئتكم، لا يحاول تغييركم إلا أحمق ، ولا يريد تحويلكم إلا أبله . لقد أردت  
بكم ذلك ، فلم ألبث أن تبينت من نفسى خطئ الرأى ، وخيبة المسعى .

٣ ( سَأَلْتُ مَنْ خَالَفَ عَنْ دِينِهِ فَأَعُوَزَ الْمُخْبِرُ لَا يَكْذِبُ )

٤ ( وَأَكْثَرُوا الدَّعْوَى بِلا حُجَّةٍ كُلٌّ إِلَى حَايِرِهِ يَجْذِبُ )

خالف عن دينه : تغير عنه . وأعوز ، أى لم يجد جواباً ولم يملك حديثاً .  
و « لا يكذب » أى حين يصدق فلا يمين . وإلا فهو مع الكذب واجد في  
ميدان القول سعة . وهذا ما سيذكره في البيت التالى .

والدَّعوى : الاسم من « ادعى » ومثلها : الدَّعوة . وادَّعتِ الشَّيءُ :  
زعمته لى ، حقاً كان أو باطلاً .

والحيز : كلُّ ناحيةٍ على حِدَة . وأصله من الواو . ويقال فيه : حيز ،  
بالتخفيف ، مثل هين ، وهين .

ويجذب ، على ما سُمي فاعله : يستميل ويُغري . أى إنهم بدعواهم يريدون  
أن يلفتوا الناس إليهم .

يقول : انتحلوا ما شئتم من الأديان ، وابتدعوا ما أحببتم من المذاهب ، ثم  
لينكر بعضكم فيها بعضاً . لا تتفقوا منها على شيء ، ولا تنتهوا بها إلى قياس ،  
فإنما هو تراث أخذتموه عن آبائكم ، فلصقتم به وجدتم عليه ؛ وما أنتم بقادرين  
على أن تنصرفوا عنه ، ولا على أن تستبدلوا منه خيراً ، وما أجد عجركم عن ذلك  
أقل من عجركم عن تأييد مذاهبكم بالبرهان ، وعضدِها بأدلة العقل . إنما اختلفت  
أديانكم وافترت مذاهبكم بحكم التقليد القبيح ، لا بحكم النظر الصحيح . لقد  
أعوزنى منكم الصادق لا يكذب ، والمُنصف لا يجور ، والأمين لا يخون .

## اللزومية المتممة السبعين

وقال في الباء المضمومة مع الذال :

١ (يَحْسُنُ مَرَأَى لِبَنِي آدَمَ وَكُلُّهُمْ فِي الذَّوْقِ لَا يَعْذِبُ)

٢ (مَا فِيهِمْ بَرٌّ وَلَا نَاسِكٌ إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يُجْذِبُ)

الذَّوْقُ ، أى الاختبار والامتحان . ولا يَعْذِبُ ، أى لا يُسْتَسَاغُ ولا يُرْتَضَى .  
والْبَرُّ : الصادق البار .

يقول : عدمتكم أيها الناس ! لقد حَسُنَ مَنْظَرُكُمْ وساءَ مُخْبِرُكُمْ ، لقد جَلَّ مِنْكُمْ الظاهر وقُبُحَ مِنْكُمْ الباطن : وَجْهٌ وَسِيمٌ ، وَخُلُقٌ ذَمِيمٌ : مَنْطِقُ عَذْبٍ ، وَرِيَاءٌ وَخِبٌ ؛ تَظْهَرُونَ الْبِرَّ وَالنَّسِكَ ، وَتَنْتَحِلُونَ الدِّينَ وَالطَّاعَةَ .

وما أعرف مِنْكُمْ بَرًّا نَاسِكًا ، ولا أرى فِيكُمْ دِينًا مُطِيعًا ؛ إِنَّمَا أَنْتُمْ فَجْرَةٌ مَكْرَةٌ ، وَفَسَقَةٌ خَوْنَةٌ ، أَهْلُ غِشٍّ وَرِيَاءٍ ، وَأَصْحَابُ خَبٍّ وَخَدِيعَةٍ ، وَطُلَّابُ مَالٍ وَدُنْيَا ، لَا طُلَّابُ طَاعَةٍ وَدِينٍ . أَفِ لَأَرْوَاحِكُمُ الْخَبِيثَةِ وَنُفُوسِكُمُ الشَّرِيرَةِ ! لَقَدْ دَنَسْتَ أَجْسَامَكُمْ وَإِنِّهَا لَظَاهِرَةٌ ، وَأَفْسَدْتَهَا وَإِنِّهَا لَصَالِحَةٌ .

٣ (أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ)

يقول : عَدِمْتُكُمْ ! مَا أرى إِلَّا أَنَّ الصَّفَاةَ الصَّلْدَةَ ، وَالصَّخْرَةَ الصَّمَاءَ ، أَتَقِي صَفْحَةً وَأَطْهَرُ جَوْهَرًا مِنْ أَشَدِّكُمْ لِلدِّينِ اتِّحَالًا ، وَأَعْظَمَكُمْ لِلنَّسِكِ إِظْهَارًا ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهَا بَرِيئَةٌ مِنَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ، وَمِنَ الْكُذْبِ وَالزُّورِ ، وَإِنَّكُمْ لُمُغْرِقُونَ فِي هَذِهِ الرِّذَالِ ، لَا تَرِيدُونَ عَنْهَا عُذُولًا ، وَلَا تَبْغُونَ بِهَا بَدِيلًا .

## اللزومية الواحدة والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الحاء :

- ١ ( هَذَا طَرِيقٌ لِلَّهِدَى لَاحِبٌ  
يَرْضَى بِهِ الْمَصْحُوبُ وَالصَّاحِبُ )
- ٢ ( أَهْرُبُ مِنَ النَّاسِ فَإِنْ جِئْتَهُمْ  
فَمِثْلُ سَابِ جَرَّهُ السَّاحِبُ )

الطريق ، يذكَرُ ويؤنَّثُ . وجَمَعَهُ على التذكير : أطرقة ، كَرغِف وأرغفة .  
وعلى التأنيث : أطرق . كيميّن وأيمن .

ولاحِب : واضح ؛ وقيل : هو الواسع المنقاد الذي لا يَنْقُطع ، فاعل بمعنى  
مفعول ، أى مَلْحُوب . لَحَبْتُ الطريقَ ألَحَبَهُ لَحَبًا ، إذا وطئته ومررت فيه  
فأوضحته وبَيَّنَّته . ومنه قولُ أم سلمة لعثمان رضى الله عنه : « لا تُعَفِّ طريقًا  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَحَبَهَا » .

وقد يكون على فاعليته ، من لَحَبَ الطريقُ يَلْحُبُ لُحُوبًا ، إذا وَضَحَ ،  
كأنه قَشَرَ الأرض .

والمَصْحُوبُ : مَنْ تَصَحَّبَهُ وتَعَاشرَهُ . والصَّاحِبُ : المُعَاشر ، لا يَتَعَدَّى تَعَدَّى  
الفِعْل ، فلا تَقُول : زيدٌ صَاحِبٌ عمرًا ، لأنهم إنما أَسْتَعْمَلُوهُ أَسْتَعْمَالِ الْأَسْمَاءِ ،  
ولو أَسْتَعْمَلُوهُ أَسْتَعْمَالِ الصِّغَاتِ لَجَاز . والجمع : أَصْحَاب ، وَأَصْحَابِ ، وَصُحْبَان ،  
وَصِحَاب ، وَصَحْب ، وَصَحَابَة ، وَصِحَابَة . ويريد بالصاحب والمَصْحُوبُ :  
الدَّاعَى والمدْعُو .

والهَرَب : الفرار . هَرَبَ يَهْرُبُ هَرَبًا . يكون للإنسان وغيره . وأهْرَبَ : جَدَّ في الذَّهَابِ مَذْعُورًا أو غير مَذْعُور . وهَرَبَ غيره تَهْرِبًا . ومثلها في ذلك أيضًا : أهْرَبَهُ ، إلا أنها لا تكون إلا حين يَضْطَرُّه إلى الهرب .

والسَّاب : الزق للخمر ، أو للعسل . وقيل : هو الزق أيًّا كان . وجره : جذبه .  
يقول : أيها الحكيم الحازم ، والذكي المستبصر ، لقد وضحت لك طريق الهدى فأنت حريٌّ أن تطرُقها ؛ وظهرت لعينك أعلام الرشد ، فأنت حجيٌّ أن تهتدي بها . طريق آمنة ليس للذُّعر فيها مصدر ، وسبيل واضح ليس للظُّلم فيها موضع . تلك هي العزلة عن الناس ، والتخلُّو إلى نفسك ، فاحرص عليها واحذر أن تفرِّط فيها . وأعلم أن تقرُّبك من الناس وتنزُّلك إليهم يؤذيك ولا يرضيك ، ويسوؤك ولا يسرُّك .

٣ ( يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِمَا عِنْدَهُ وَهُوَ لَقِيَ بَيْنَهُمْ شَاحِبٌ )

اللقى : الشيء المُلْتَقى المطرُح المَتْرُوك . وفي حديث أبي ذرٍّ : مالى أراك لقي بـقى<sup>(١)</sup> .

والشاحب : المهزول المتغير اللون . يصف الزق بعد أطراحه وقد يئس جلده وكَلَحَ لَوْنُهُ .

يقول : فأنت بينهم في عقلك الثاقب ، وقلبك المنير ، وفي عملك النافع ، وجدك المفيد ! وفيما تُصيب منهم بعد ذلك من ضرر ، وما تلقى بينهم من مكروه ، أشبه شيء بالزق يُحْمَلُ إليهم وفيه لهم الغذاء الذي يُنْقِذُهم من الجوع ، أو الشراب الذي يُخَلِّصُهم من الظمأ ، فيشتقون ما فيه من خير ، ثم يتركونه لقي مهينًا ، وحقيراً ذريعًا .

## اللزومية الثانية والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومه مع التاء :

١ ( أَصْفَحَ وَجَاهِرُ بِالْمُرَادِ الْفَتَى وَلَا يَقُولُوا هُوَ مُغْتَابٌ )

الصفّح : الإعراض عن الذّنب . صفّح عنه يصفّح صفّحاً . وجاهره بالأمر : عالّنه .

والواو في « ولا » للتعليل ، وكذلك الواو الداخلة على الأفعال المنصوبة ، والمعنى : لئلا يقولوا . ومثله : ( يَا لَيْدَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ ) . وقيل : إنّ الصواب أنها للمعينة . وشرطوا أن يتقدّمها نفي أو طلب . ويسمّيها الكوفيون « واو الصّرف »

والمغتاب : الذي يقع في غائب فيتكلم خلفه بسوء ، أو بما يغمّه لو سمعه وإن كان فيه . فإن كان صدقاً فهو غيبة ، وإن كان كذباً فهو البهت والبهتان .

يقول : أما إنّي أرى لك أن توطّن نفسك على هذه الحياة وما فيها من حسن وقبيح ، مجتهداً ما استطعت في إصلاح نفسك وتهذيبها ، صاغياً عن المخطئ ، جاهرّاً برأيك عند الحاجة ، منصرفاً عن عيب الناس والنّعى عليهم ؛ فإن قليل هذه الفضائل أنفع لك ، وأربى عليك من كثير من أضدادها .

٢ ( إِنَّ رَبَّنَا الدَّهْرُ بِأَفْعَالِهِ فَكُلُّنَا بِالْدَّهْرِ مُرْتَابٌ )

٣ ( فَاعْفُ وَلَا تَعْتَبْ عَلَيْهِ فَكَمْ أَوْدَى بِهِ عَوْفٌ وَعَتَابٌ )

الرّيب : الشك والظنّة والثّهمة . رابه الأمر ريباً وريبه : رأى منه ما يريبه ويكرهه .



وارتاب فيه : شكّ ، فهو مُرتاب .

وعَتَب عليه : يَعْتَبُ : وَجَدَ .

وأودى : هَلَكَ . و « به » أى فى الدهر ، أو بسببه وما يجلب .

وعَوْف ، هو عَوْف بن مُحَلِّم بن ذُهل بن شَيْبان ، كان أَيْباً مانعاً لما فى جواره .  
وفيه المثل : لا حُرَّ بواذى عَوْف .

وذلك أن عمرو بن هند الملك كان طلب منه مروان القرظ ، وكان قد أجاره ،  
فمنعه عَوْف وأبى أن يُسلمه . فقال الملك هذا المثل . أى إنه يُقهر من حلَّ  
بواذيه . و « عَتَاب » لعله أبْنُ وَرْقَاء الرِّياحى ، كان من أبطال العرب وقادتها ،  
انتدبه الحِجَّاج لقتال شَيْب بن زَيْد ، بعد أن عجز عنه . وحميت الحرب بينه وبين  
شَيْب ، وكان أن قُتل فى وقعة له معه سنة ٧٧ هـ .

ضربهما مثلين للعنف والإباء . ولا يخفى ما فى اختيار اللفظين من صنعة  
الجناس ، فأولهما من حروف « العفو » مع مغايرة ؛ والثانى من « العتب »  
مع زيادة .

يقول : عليك بالاطمئنان والتبلد لما يأتى به الدهر من الأحداث ، وما تنوب  
به الأيام من النوائب ، فليس بنافع لك ضيقُ بها ، أو كُرُّه لها ، أو عَتَبُ عليها .  
إنك تخلق أن تطمئنَّ إلى كل ما فى هذه الحياة من خير وشر ، لا تعجب منه  
ولا تَضُق به ؛ فإنَّ طول الاختبار خليقٌ أن يَنفَى عنك العجب ، وعدم القدرة  
على الإصلاح جديرٌ أن يَنفَى عنك السَّامة .

٤ ( لَوْضُرِبَ الْغَاوُونَ بِالسَّيْفِ لَا      بِالسَّوْطِ حَدَّ الْخُمْرِ مَا تَابُوا )

٥ ( تِلْكَ مَنْ أَجْتَابَتْ لَهُ صُورَةً      فَهُوَ لِسُخْطِ اللَّهِ مُجْتَابٌ )

الغاوون : الضالون ؛ الواحد : غاو . ومثله : غوي ، وغوي ، وغيان .  
والفعل منه : غوى غيًّا ، وغوي غوايةً . الأخيرة عن أبي عبيد .  
والحدُّ ، عند الفقهاء : عقوبةٌ مقدَّرةٌ شرعاً .

والحدُّ في الخمر أربعون جلدةً . وبه يقول الشافعي . وقالوا : ثمانين . ثم اختلفوا  
فيمن أقيم عليه الحدُّ ثلاثاً ثم لم يَتَّب . فقالوا : يُقتل . وقالوا : لا يُقتل . وعلى  
الثاني مالك والشافعي وأبو حنيفة .

و «تلك» ، أى الخمر . وأجتاب : لبس . يقال : أجتاب القميصَ والظلامَ ،  
إذا دخل فيهما . قال كبيد :

فبتلكَ إذ رَقَصَ اللوامعُ بالضُّحَى      وأجتاب أُرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا<sup>(١)</sup>

ويريد بالصُّورة : هيكل الإنسان ، أى من دخلت جوفه فكان جسمه لها  
كالقميص .

ومجتاب : لابس ومتسربل . أى فقد شمله سخط الله كما يشمل الثوبُ الجسم .  
يقول : أفترى إلى الخمر كيف أقيم على المُدْمَن لها من حُدود ! وكيف أُعِدَّ  
لشاربها من عذاب ! فلم تُغن تلكَ ، ولم يمنع هذا ؛ بل مازال الشُّربُ عليها  
عاكفين ، لا يَصْرِفهم عنها السَّيفُ بله السَّوْط ! وكيف وهم يَعْلَمون حَقَّ الْعِلْمِ  
أن المَيْلَ إليها مَدْعَاةٌ لِسُخْطِ اللَّهِ وَمَقْتَهُ ، ومع ذلك لم يَدْعُوها ولم يتحوَّلوا عنها .

٦ ( نِمْنَا عَلَى الشَّيْبِ فَهَلْ زَارَنَا      طَيْفٌ لَأَصْلِ الشَّرِّخِ مُتَّابٌ )

٧ ( هَيْهَاتَ لَا تَحْمِلُهُ نَحْوَنَا      سُرُوجُ أَفْرَاسٍ وَأَخْشَابُ )

( ١ ) فبتلك ، يعنى ناقة . وما أشبه صدر البيت بصدر بيت أبي العلاء .

نمنا على الشيب : أى سكنا إليه وألفناه . وجعله نوماً ، لأن مع الشيب الخلود إلى الراحة ، وكذلك مع النوم . والطيف : الخيال يحىء فى النوم . والشرخ : أول الشباب . و « لأصل الشرخ » أى حقيقته وجوهه لا عارض من عوارضه . ومنتاب : قاصد . يقال : انتاب الرجلُ القومَ ، إذا قصدهم وأتاهم مرة بعد مرة . وكذلك الطيف لا يُلم حتى يولى .

وهيات : كلمة معناها البعد . وقيل : هى كلمة تبعيد . والتاء ، مفتوحة ، وناسٌ يكسرونها على كل حال ، بمنزلة نون التثنية . فمن كسر التاء جعلها جمعاً ، واحده : هِيَّة ؛ ومن فتح التاء جعلها كلمة واحدة .

واتفق أهل اللغة على أن التاء من « هيات » ، ليست بأصلية ، أصلها هاء . وقال أبو عمرو بن العلاء : إذا وصلت « هيات » فَدَعِ التاء على حالها ، وإذا وقفت فُكِّلْ : هِيَاه .

والشروج : جمع سرج ، وهو رَحْل الدابة . وأقْتَاب : جمع قَتَب ، وهو إكاف البعير ، يريد الدواب والإبل . ولم يكن غيرها وسيلة .

يقول : ولست أنصح لك بالابتعاد عن شىء كالسامة ، فإنها حق . ولو صبر هذا السَّخَم الملول لأنصرف عنه ما يكره ، ولما يؤذ نفسه بألم الضجر والضيق ؛ فإن الدهر مُسرِع فى حركته لا يبطئ ، وماضٍ فى طريقه لا يعود . ها أنت ذا قد وخطك الشيب ، أفتراك تستقبل الشباب ؟ كلا ! إنك تعلم أن لا سبيل لك إليه . فخرى بك أن تعلم أن غير الشباب مثله ، يمضى به الدهر فلا يردّه ولا يُبقى عليه .

## اللزومية الثالثة والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع اللام :

- ١ ( إِيَّاكَ وَالْخَمْرَ فَهِيَ خَالِبَةٌ غَالِبَةٌ خَابَ ذَلِكَ الْغَلْبُ )
- ٢ ( خَايِبَةُ الرِّاحِ نَاقَةٌ حَفَلَتْ لَيْسَ لَهَا غَيْرُ بَاطِلٍ حَلَبُ )
- ٣ ( أَشْأَمُ مِنْ نَاقَةِ الْبَسُوسِ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ يُنَلَّ عِنْدَهَا الطَّلَبُ )

إِيَّاكَ والخمر ، من صيغ التحذير ، والأول من اللفظين على النصب يعامل واجب الحذف ، والثاني معطوف عليه ، ويكون الكلام جملة واحدة ، والتقدير : إِيَّاكَ باعد من الشر والشر منك . فكلُّ منهما مُباعد من الآخر . وبه قال السيرافي وابن مالك وابن عُصفور . وذهب ابن خروف إلى أن الثاني منصوب بفعل آخر مُضمر ، والتقدير : إِيَّاكَ باعد من الشر وأحذر الشر ، ويكون الكلام جملتين . وخالبة : سالبة للعقل ذاهبة به . فَعَلَهُ مِنْ بَابِ : نَصْرَ وَضَرَبَ . وَالْغَلْبُ : الْقَهْرُ ، وَمِثْلُهُ : الْغَلْبُ ، وَأَوَّلُهَا أَفْصَحُ . وَيَقُولُونَ : لِمَنِ الْغَلْبُ وَالْغَلْبَةُ ؟ وَلَمْ يَقُولُوا : لِمَنِ الْغَلْبُ ؟

والخالية : الْحَبَّ — الْجَرَّةُ — وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ ، لِأَنَّهُ مِنْ « خَبَأَ » إِلَّا أَنَّهُ تُرِكَ هَمْزُهُ ، وَالرَّاحُ : الْخَمْرُ ، اسْمُهَا .

وَالْحَفْلُ : أَجْتَمَاعُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ . حَفَلَتْ النَّاقَةُ تَحْفَلُ ، حُفُولًا وَحَفْلًا . وَالْحَلَبُ ، بِالتَّحْرِيكِ : اللَّبَنُ الْمَحْلُوبُ ، سُمِّيَ بِالمصدر . وَالباطل : اللّهُمَّ وَالْجَهَالَةُ .

وَالْبَسُوسُ ، هِيَ بِنْتُ مُنْقِذِ التَّمِيمِيَّةِ ، خَالَةُ جَسَّاسِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ ذُهْلِ الشَّيْبَانِيِّ .

نزلت بجسّاس ، وكانت لها ناقة يقال لها : سرّاب . فرعت في حِمَى كليب .  
فرماها بسهم . فنهض جسّاس إلى كليب فقتله . فهاجت الحربُ بين بكر وتغلب  
وبقيت أربعين عاماً . فضرب بها المثل فقليل : أشأم من البسوس .

والضمير في « عندها » للراح . ويشير إلى ما يتصف به الشرب من بذل  
وإسماح وعطاء ، وقد قالوا : إنما سميت الخمر : راحاً ؛ لأن شاربها يرتاح للعطاء  
ويخف . وقد تردّد ذلك على ألسنة الشعراء . من ذلك قول مُتَمِّم بن نويرة :  
ولقد سبقتُ العاذلاتِ بشربةٍ رِيّاً وراووقٍ عظيمٍ مُترَعٍ<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر :

\* والخمر مشتقة المعنى من الكرم \*

يقول : إياك والخمر فإنها خالصة للعقول ، غالبية الألباب . ساء ذلك الغلب !  
وساء ما يُلْقَى الناس منه !

إنما خابيةُ الخمر ناقةٌ قد حَفَلَتْ ولكن بالباطل ، ودَرَّتْ ولكن بالزور ،  
وأنجبت ولكن الشرَّ ، فهي أشأم على الناس من حَرَبِ البسوس ، وإن أنالتك  
في أول أمرها لذةً ، وأشعرتك عند مُعاقرتها براحة .

ء ( يَاصَالِ خَفْ إِنَّ حَلَبْتَ دِرَّتَهَا أَنْ تَتَرَامَى بِدَائِهَا حَلَبُ )  
ه ( أَفْضَلُ مِمَّا تَضُمُّ أَكْوُسَهَا مَا ضَمِنَتْهُ الْعِيسَا سُ وَالْعَلْبُ )

يا صال ؛ يريد : يا صالح ، فَرَحَمَ . ولك في اللام الكسْرُ ، على لغة من  
يَنْظُرُ إلى الحرف المحذوف ؛ أو الضم على لغة من لا ينظر إليه . وهذا من لَعِبِ  
أبي العلاء بالألفاظ والمعاني . فإنه لما ذكر الناقة استطرد . وقصة صالح عليه السلام

(١) الراووق : ناجود الشراب الذي يروق به فيصنى .

وناقته مع قومه ثمود وعقرهم لها معروفة . وأراد أبو العلاء أن يُشاكل باللفظ لتوفر الملابس، ولم يُرد إلى القصة ذاتها . ثم لا يخفى ما في هذا الاختيار من نكتة لما في معنى « صالح » من الصلاح وهو إلى الامتثال بالأمر أسرع وأطوع .  
والدرّة : اللبن إذا كثُر وسال . والضمير هنا في « درّتها » يعود إلى « الناقة » التي أقامها مقام الخالية .

وتراعى ، أى تتراعى . وذلك أن يرمى بعضهم بعضاً . ولعله يريد شيوخ شربها الذى هو داء ، فيعمد الناس بعضهم بعضاً . أو لعله يريد ما يكون لها من سورة فشرّ يتقاذف به الناس .

وحلب : المدينة المعروفة بالشأم ، وبينها وبين « حلب » فى البيت السابق جناس تام . قال ياقوت : « وهو بلد قليل الفواكه والنبيذ إلا ما يأتيه من بلاد الروم » . ومعرفة النعمان ، بلد أبى العلاء ، منه قريب .

وقد يكون أبو العلاء خصّ « حلب » لِمَا ذكر ياقوت ، فضربها مثلاً لقله ما يحمل من الخمر إليها .

والعِساس : جمع عُسّ ، وهو القدح الضخم يروى الثلاثة والأربعة والعدة ، ويجمع على : عِسَسة ، أيضاً .

والعُلب : جمع عُلبة ، وهو القدح الضخم من جلود الإبل ؛ وقيل : من الخشب خصته كتب اللغة بالحلب . وكأنّ « العس » للشرب .

يقول : الحذر الحذر أن تحلب هذا الضرع الحافل أو تمرّيه ؛ فإنى أخاف عليك أن ينالك دأؤه ، ويصيبك شره الذى لا شفاء له .

إنّ ما أعطتك الطبيعة من شراب نقي مفيد ، خير لك منها ، وأجدى عليك من سورتها . وإن فى اللبن تفيض به الأقداح والعُلب ، للذة فى الذوق ، وصحة للجسم ، وبعداً عن الضرر . ليس للخمر منه شيء . فارغب فيه واحرص عليه .

## اللزومية الرابعة والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الجيم :

- ١ ( مَنْ لِيَ إِلَّا أُقِيمَ فِي بَلَدٍ أذْكَرُ فِيهِ بِغَيْرِ مَا يَجِبُ )  
 ٢ ( يُظَنُّ بِي الْيُسْرُ وَالْذِّيَانَةُ وَالْعِلْمُ وَيَنْنِي وَنَيْنَهَا حُجْبُ )

حُجْبُ : جمع حِجَاب ، وهو كل ما حال بين شيئين ؛ ولا يجمع غيره .

يقول : لقد ضِيقْتُ بالناس وكرهت الإقامة فيهم والثواء بينهم ، حين أحسنوا  
 بي الظنَّ ، وكان خليقاً أن يسوء ، وأجادوا في الرأي ، وكان جديراً أن يفسد .  
 ظنُّوا بي العلم ، وما أدري أني منه على شيء ؛ وظنُّوا بي الدين ، وما أجد أن لي  
 منه حظاً ؛ وظنُّوا بي اليسر ، وإن بيني وبينه لحجاباً مستوراً .

- ٣ ( كَبُلُّ شُهْرِي عَلَى وَاحِدَةٍ لَا صَفَرٌ يُتَّقَى وَلَا رَجَبٌ )

صفر : الشهر الذي بعد المحرم . قيل : سمي بذلك لأنهم كانوا يغزون فيه  
 القبائل فيتركون من لقوا صفرًا من المتاع . قال ثعلب : كلهم يصرفون « صفرًا »  
 إلا أبا عبيدة ، فإنه قال : لا ينصرف . وإذا جمعه مع « المحرم » قالوا : صَفَرَان .  
 والجمع : أصفار .

ويتقى ، على ما لم يسم فاعله : يُحذَر ويصان منه . وأصله : « اوتقى » والتاء  
 فيه تاء الافتعال ، فأدغمت الواو في التاء وشددت .

ورَجَب ، سَمَّوه بذلك لتعظيمهم إياه في الجاهلية عن القتال فيه . والجمع :  
 أرجاب . وإذا ضمُّوا له « شعبان » . قالوا : رَجَبَان .

يقول : أجل لقد سئمت الإقامة في هؤلاء الناس ، وتمنيت لو بُدلت منهم  
قوماً آخرين ينسوننى ولا ينكرونى ، وينكرونى ولا يعرفوننى .

٤ ( أَقَرَرْتُ بِالْجَهْلِ وَأَدَّعَى فَهْمِي قَوْمٌ فَأَمَرِي وَأَمْرُهُمْ عَجَبٌ )  
العَجَب : إنكار ما يَرِدُ عليك لقلّة اعتياده ؛ وجمعه : أعجاب . وقال  
الجوهرى : لا يُجمع « عَجَب » .

يقول : لقد أقررتُ بالجهل واعترفتُ به ، فأبوا إلا أن يكذبوا هذا الإقرار ،  
ويُذبذبوا هذا الاعتراف ، ويعتقدوا فيّ الفهم والمعرفة ، كأنهم أعلمُ بى من  
نَفْسِي ، وأدرى بِدَخِيائِي منى .

٥ ( وَالْحَقُّ أَنِّي وَأَنَّهُمْ هَذَرٌ لَسْتُ نَجِيئًا وَلَا هُمْ نَجْبٌ )  
الهَذَر : ما يبطل من دمٍ وغيره . هَذَر يَهْذِر ، بالكسر ؛ ويَهْذُر ، بالضم ،  
هَذَرًا وَهَذَرًا .

والنَّجيب : الفاضل النَّفيس ، والكريم الحَسِيب أيضاً . والأول بالمعنى  
الصق .

يقول : لو أنهم عرفوا الحق أو طلبوه لاعترفوا بأنى لستُ شيئاً ، وبأنهم مثلى  
ليسوا شيئاً ، كُلُّنَا هَذَرٌ ليس لنا من العلم حظ ، ولا من المعرفة نصيب .

٦ ( وَالْحَالُ ضَاقَتْ عَنْ صَمِّهَا جَسَدِي فَكَيْفَ لِي أَنْ يَضُمَّهُ الشَّجَبُ )

٧ ( مَا أَوْسَعَ الْمَوْتَ يَسْتَرِيحُ بِهِ إِلْ جِسْمُ الْمُعْنَى وَيَخْفَتُ اللَّجَبُ )



الحال : الساعة التي هو فيها . يريد : الحياة ؛ يذكر و يُؤنث . و « كيف لي » ،  
أى كيف السَّيْل إلى ما أريد .

وَالشَّجَب : الهلاك ؛ شَجِبَ يَشْجَبُ شَجَبًا ؛ إِذَا هَلَكَ .

و « ما أوسع الموت » إحدى صيغتي التعجب . وَثَانِيَتُهُمَا : « أوسع بالموت »  
وَالْمَعْنَى : الْمَجْبُوسُ الْمُضَيَّقُ عَلَيْهِ . جَعَلَ الْحَيَاةَ قَيْدًا لَهُ وَأَسْرًا . وَكَثِيرًا  
مَا يُشِيرُ أَبُو الْعَلَاءِ إِلَى هَذَا .

وَيَخْفَتُ : يَسْكُتُ وَيَنْقَطِعُ . وَاللَّجَبُ : الصَّوْتُ وَالصَّيَاحُ وَالْجَلْبَةُ .

يقول : لقد ضاقت بي الحياة ، على ما فيها من خير وشر ، أن تَضُمَّ هذا الجسد  
الضعيف الزَّرِيءَ . فن لي بالموت ، فما أراه إِلَّا أَقْدَرَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ بِهِ  
وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهِ .

أجل ، لقد كرهتُ هذه الحياةَ حين اختلفتُ على أَجْزَائِهَا مُتَشَابِهَةً ،  
وَتَقَاذُفْتَنِي آثَاؤُهَا مِثْلًا ؛ فَمَا أَعْرِفُ بَيْنَ أَيَّامِهَا فَرْقًا ، وَلَا أَجِدُ بَيْنَ شُهُورِهَا فَصْلًا ؛  
وَمَا أَرَى مِنْ شَرِّهَا خَلَاصًا إِلَّا الْمَوْتَ ، فَإِنَّهُ أَرْحَبُ لَنَا دَارًا ، وَأَوْسَعُ لَنَا مَنْزِلًا ،  
وَأَضْمَنُ لِأَجْسَامِنَا الْمُتَعَبَةِ بِالرَّاحَةِ ، وَلِأَصْوَاتِنَا الصَّاخِبَةِ بِالْخَفَوَاتِ .

## اللزومية الخامسة والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الباء وياء الرّدْف :

- ١ ( مَا الثَّرِيَاءُ عُنُقُودُ كَرَمٍ مُلَاحِيٍّ وَلَا اللَّيْلُ يَانِعُ غَرِيبُ )
- ٢ ( وَتَأَى عَنْ مُدَامَةٍ شَفَقُ التَّغْرِيبِ فَلَيْتَقِ الْمَلِيكَ اللَّيْبُ )

الثريا : من الكواكب ، سُمّيت لغزارة نوبها ؛ وقيل : لكثرة كواكبها ، مع صِغَرِ مرآتها ، فكأنّها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل . وقد مرت <sup>(١)</sup> .

والكَرَمُ : شَجَرُ الْعِنَبِ ؛ الواحدة : كَرْمَةٌ . وقيل : الكَرَمَةُ : الطَّاقَةُ الواحدة من الكَرَمِ ؛ وجمعها : كُرُوم . وفي حديث أبي هريرة عن النبي صَلَّى الله عليه : « لَا تَسْمُوا الْعِنَبَ الْكَرَمَ ، فَإِنَّمَا الْكَرَمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ » . قال الأزهري : وتفسير هذا والله أعلم : أَنَّ الْكَرَمَ الْحَقِيقَ هُوَ مِنْ صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى . ثم هو من صِفَةٍ مِنْ آمَنَ بِهِ وَأَسْلَمَ لِأَمْرِهِ . وهو مَصْدَرٌ يُقَامُ مُقَامَ الْمَوْصُوفِ ، فيقال : رَجُلٌ كَرَمٌ ، وَرَجُلَانِ كَرَمٌ ، وَأَمْرَأَةٌ كَرَمٌ . لَا يُثْنَى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُوْتُّ ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ أُقِيمَ مُقَامَ الْمَنْعُوتِ ، فَخَفَّتِ الْعَرَبُ « الْكَرَمَ » وَهُمْ يُرِيدُونَ كَرَمَ شَجَرَةِ الْعِنَبِ ، لَمَّا ذُلَّ مِنْ قُطُوفِهِ وَكَثُرَ مِنْ خَيْرِهِ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَأَنَّهُ لَا شَوْكَ فِيهِ يُؤْذِي الْقَاطِفَ . فَهَرِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَسْمِيَتِهِ بِهَذَا الْاسْمِ ، لِأَنَّهُ يُعْتَصَرُ مِنْهُ الْمُسْكِرُ الْمَنْهَى عَنْ شُرْبِهِ .

قال أبو بكر : وَيُسَمَّى الْكَرَمُ كَرَمًا ، لِأَنَّ الْخَلْجَةَ الْمُتَخَذَةَ مِنْهُ نَحَثٌ عَلَى

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

السَّخَاءُ وَالْكَرَمُ . وَالْمَلَّاحِيُّ : الْعِنَبُ الْأَبْيَضُ فِي حَبِّهِ طَوَّلٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :  
 وَمَنْ تَعَاجِبِ خَلْقِ اللَّهِ غَاطِيَةٌ يُعَصَّرُ مِنْهَا مُلَاحِيٌّ وَغَرَبِيْبٌ  
 وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الْمَلَّاحِيُّ ، بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : وَهِيَ قَلِيلَةٌ .  
 قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ . إِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى الْمَلَّاحِ ، وَإِنَّمَا الْمَلَّاحُ فِي الطَّعْمِ .  
 وَالْيَانَعُ : النَّاضِجُ ، وَهُوَ أَيْضًا : الْأَحْمَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَثَمَرِيَانَعٌ ، إِذَا لَوَّنَ  
 وَبِالْمَعْنَيْنِ يَتَجَهَّ السَّكَّالَمُ . وَالْجَمْعُ : يَنْعُ . مِثْلُ : صَاحِبٌ ، وَصَحْبٌ .  
 وَالْغَرَبِيْبُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعِنَبِ بِالطَّائِفِ شَدِيدِ السَّوَادِ ، وَهُوَ أَرْقُ الْعِنَبِ  
 وَأَجْوَدُهُ وَأَشَدُّهُ سَوَادًا .

وَنَأَى : بَعْدَ . وَالْمُدَامَةُ : الْخَمْرُ ؛ قِيلَ : سُمِّيَتْ مُدَامَةً ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُسْتَطَاعُ  
 إِدَامَةُ شَرْبِهِ إِلَّا هِيَ . وَقِيلَ : لِإِدَامَتِهَا فِي الدَّيْنِ زَمَانًا حَتَّى سَكَنْتَ بَعْدَ  
 مَا فَارَقْتَ .

وَالشَّفَقُ : بَقِيَّةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَحُمُرَتِهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ، تُرَى فِي الْمَغْرَبِ إِلَى  
 وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ . وَيَقُولُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ : الشَّفَقُ : الْبَيَاضُ ، لِأَنَّ الْحُمْرَةَ  
 تَذْهَبُ إِذَا أَظْلَمَتْ ، وَإِنَّمَا الشَّفَقُ الْبَيَاضُ الَّذِي إِذَا ذَهَبَ صُلِّيَتْ الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ .  
 وَمُرَادُ أَبِي الْعَلَاءِ عَلَى الْوَجْهِينِ جَائِزٌ . فَكَمَا تُوصَفُ الْخَمْرُ بِهَذَا تُوصَفُ بِذَلِكَ .

وَالتَّغْرِيبُ : الْمَيْلُ إِلَى نَاحِيَةِ الْمَغْرَبِ ، يُرِيدُ : الْغُرُوبُ .

يَقُولُ : أَغْرَقُوا أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا أَتَمْتُمْ فِيهِ مِنْ أَكْذَابِ التَّشْبِيهِ وَأَبَاطِيلِ  
 الْخَيَالِ ؛ فَمَا ذَلِكَ إِلَّا ضَرْبٌ مِنْ سَخْفِ الْعُقُولِ ، وَلَوْ أَنَّ مِنْ طُغْيَانِ النَّفُوسِ  
 وَفَسَادِ الْقُلُوبِ .

لَقَدْ شَبَّهَ شَعْرَاؤُكُمْ الثَّرِيًّا بِعُنُقُودِ الْمَلَّاحِيَّةِ ، وَاللَّيْلِ بِالْعُنَاقِيدِ السَّوْدِ ؛ وَشَبَّهُوا  
 أَصْفَرَارَ الشَّفَقِ بِأَصْفَرَارِ الْمُدَامِ . وَمَا صَدَقُوا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا وَفَّقُوا ، وَإِنَّمَا

هم كذبة مضللون . وما أخرى ذا اللب أن يدع طريقهم ، ويعدل عن نهجهم ،  
ويتق الله الذى أحق الحق وأبطل الباطل !

٣ ( طَالَ لَيْلٌ كَأَنَّمَا قَتَلَ الْعُقْبُ رَجُلًا سَاطِئًا فَعَابَ عَنْهَا الدَّيِّبُ )

العقرب : بُرج من بُروج السماء وقد مرَّ <sup>(١)</sup> . و « ساطئ » ، من : سَطَا  
يسطو ، إذا بطش .

والدَّيِّبُ : المَشْيُ على هَيْئَةٍ ، وهو بالعقرب أنسب . وعلى مثل هذا المعنى  
دار الشعراء .

يقول : لقد طال على ليل هذه الحياة المظلمة ، فليس بمصباح ولا مُنْجِلٍ ،  
كأن كواكبه قد مُنعت من الحركة ، ووقفت عن السير ، وكأن عاديًا عدا على  
عقربه فقتلها ، فهي لا تجد على الدَّيِّب قوة ، ولا على المسير أيذا .

٤ ( سَلَكَ النَّجْدَ فِي قِطَارِ الْمَنَآيَا قَطْرِيٌّ وَنَجْدَةٌ وَشَيْبُ )

النَّجْد : قِفَاف الأرض وما غلظ منها وأشرف وأرتفع وأستوى . شبه به  
الحياة ، وجعل سلوكه كسلوكها عناءً ووُعورةً وكدًا .

والقطار : أن تشد الإبل على نَسَقٍ ، واحداً خلف واحد . وكذلك المنايا  
موصولة الحبل يَمْضَى مِيتٌ فى إثر مِيت .

وقطريٌّ : هو ابن الفجاء المازنى أبو نعامه ، من رؤوس الأزارقة . كان  
طامةً كبرى ، وصاعقة من صواعق الدنيا فى الشجاعة والقوة . وله فى المهالبة

( ١ ) انظر شرح البيت ١٣ من الزومية ٥٥ ص ٣١٦ من هذا الجزء .

وقائع ، وكان شاعراً مُفَوِّهاً . ومن شعره البيت السائر :  
أقول لها وقد طارت شِعَاعاً من الأبطال وَيُنْحَكُ لَانْرَاعِي  
وكانت وفاته سنة ٥٧٨ هـ .

ونجدة هو ابن عامر الحروري الحنفي ، من بني حنيفة . كان رأس  
الحرورية . وإليه تنسب الفرقة المسماة بالنجدية . وكان مقتله سنة ٦٨ هـ .  
وشبيب ، هو ابن يزيد بن نعيم بن قيس ، أبو الضحاك الخارجي . من  
الناشرين على بني أمية . قال الجاحظ في وصفه : كان يصيح في جنبات الجيش  
إذا أتاه فلا يُلَوَّى أحدٌ على أحد . وإليه تنسب الفرقة الشيبية ، مات غرقاً  
سنة ٥٧٧ هـ .

يقول : أجل ، لقد طال هذا الليلُ وإني إلى انكشافه بالموت لَشِيقٌ ، وعلى  
انجلائه بالحين لحرِصٌ ، وكيف لا أشتاق إلى شيء له خلُقتُ ، وإليه مضى  
الناسُ من قبلي ، ولا سبيل إلى اتقائه ، ولا طريق إلى الاعتصام منه .  
فهل مضى قطري بن الفجاءة ، ونجدة بن عامر ، وشبيب بن يزيد ،  
وغيرهم من ذوى البطش والقوة ، وأهل اليأس والسطوة إلا إليه !

٥ ( شَبَّ فِكْرُ الْخَصِيفِ نَاراً فَمَا يَحْ سُنُّ يَوْمًا بِعَاقِلٍ تَشْيِبُ )  
٦ ( أَيْنَ بُقْرَاطُ وَالْمُقَلَّدُ جَالِينُ مِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَعِيشَ طَيِّبُ )

شَبَّ : اتَّقَدَ واشتعل . لازمٌ ومتعد : شَبَّتِ النارُ ، وشَبَّها هو . والخَصِيفُ :  
الجديد الرأي المحكم الفعل . والفعل : حَصَفَ حَصَافَةً . والتَشْيِبُ : النَّسَبُ  
بالنساء في الشعر ، وذلك أن تُرَقِّقَ أوَّلُه بذكر النساء .  
وبقراط : طيب فيلسوف . وقد مرَّ التعريفُ به <sup>(١)</sup> .

(١) انظر شرح البيت ١٥ من اللزومية ٥٥ ص ٣١٨ من هذا الجزء .

وجالينوس ، حكيم فيلسوف ، كان إمامَ الأطباء في عصره . قال المسعودي :  
كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة .

يقول : ما أَكْثَرَ غَفْلَتنا عن الحقِّ ! وما أَجْدَرنا أن نُشْغَلَ بِحقِّ هذا الوجود  
عن باطله ! لقد شَبَّ فِكرُ العاقلِ الحَصيفِ ناراً تُتوقَّدُ ، وَلَغَى يَسْتَقِرُّ ، وما  
مادَّةُ هذه النارِ وهذا اللظى إلا هذه المخلوقاتِ يمتحنها ويتقصاها ، فما يظهر له من  
أمرها إلا ما يَصرفه عما في هذه الحياة من لَذَّةٍ باطلة ، وما في العيش من  
نعمةٍ كاذبة .

أجل ، لقد استأثر الموتُ بأهلِ القُوَّةِ والبطشِ ، كما استأثر بأهلِ الحكمة  
والطبِّ ، فلم يَسلمِ عليه بقراط ، ولم يَنْجُ منه جالينوس . وكيف يَنْجو من  
الموتِ طيبٌ ! أو يَسلمِ عليه حكيم !

٧ (سُبُّبَ الرِّزْقِ لِلْإِنْسَانِ فَأَيُّ قِطْعٍ بِالْعَجْزِ ذَلِكَ التَّسْبِيبُ)

يقال : هو يَقْطَعُ بهذا الأمر ، أى قد انتهى إلى صوابه فهو يَجْزُمُ به .  
و « ما يَقْطَعُ بالعجز ذلك التَّسْبِيبُ » أى لا يصح أن يكون هذا التَّسْبِيبُ مما  
يَجْعَلُنَا نَسْتَكِنُ وَنَرْضَى بالحياة عجزاً وخنوعاً .

يقول : إِنَّا نَعْتَذِرُ عَنْ حُبِّنا للحياة بعد استيقاننا بالموت ، وَسَعِينَا إليها بعد  
سَعْيِهِ إِلَيْنَا ، بَأَنَّا لَمْ نَجِدْ وَلَمْ نَتَّعِبْ ، وَلَمْ تَجْشَمْ الخُطُوبُ والأهوالُ إِلَّا لِنَحْصِلَ  
لِلرِّزْقِ ، فَتَنْقُصُ بِهِ حَظَّنَا مِنْ حَيَاةٍ لَا بُدَّ مِنْ احْتِمَالِهَا ، وَعَيْشٍ لَا بُدَّ مِنْ  
الصَّبْرِ عَلَيْهِ .

٨ (وَجَرَى الْحَتْفُ بِالْقَضَاءِ قَائِسٌ لَمْ لَيْثٌ وَلَا غَزَالٌ رَيْبٌ)

الحَتْفُ : الموت . وجمعه : حَتُوفٌ . ولا يبنى منه فعل . وقول العرب : مات فلان حَتَفَ أَنفَهُ . أى بلا ضَرْبٍ وَلَا قَتْلٍ . وقيل : إذا مات فجأة . نصب على المصدر ، كأنهم توهمو « حَتَفَ » وإن لم يكن له فعل .  
و « بالقضاء » أى بما قُدِّرَ . والرَّيْبُ : مَرْبُوبٌ مُرَبَّى . يريد وصفه باللائن والضعف ، فهو فى كَتَفٍ من يُرَبِّيه .

يقول : كلا لقد جرى القضاء بالحياة كما جرى بالموت ، فضمن لنا أرزاقاً مقدرة ، كما عيّن لنا آجالاً مكتوبة ، فليس فى الوجود ما يقطع رِزْقاً مَوْصُولاً ، كما ليس ما يؤخر أجلاً محتوماً . كل مَرْزُوقٍ ليس لرزقه عنه أنصراف ؟ وكل هالك ليس لهلاكه عنه عُدُولٌ . لن يفقد الحياة من الجُوع غنى ولا فقير ، كما لن يمتنع عن الموت لَيْثٌ كاسر أو غَزَالٌ ناعم .

٩ (يَطْلُعُ الْوَاغِدُ الْمُبَغَّضُ وَالْعَيْدُ شُ إِلَى هَذِهِ الثُّفُوسِ حَبِيبٌ)  
١٠ (خَبَبَتْهَا عَلَيْهِ نَكْدُ الرَّزَايَا فَنَبَاً عَنْ قُلُوبِهَا التَّخْيِيبُ)

يُرِيدُ بـ « الواغد » اليوم ، وجعله مُبَغِّضاً لما يحمل من أرزاء ومتاعب .  
وخَبَبَ : أَفْسَدَ . يقال : خَبَبَ فلان على فلان صديقه : إذا أَفْسَدَهُ عليه وخدعه .

والضَّمِيرُ فى « خَبَبَتْهَا » للحياة ، أو الأيام والليالى ، الملحوظة من السِّياق .  
و « عليه » أى على الإنسان ، وهو كذلك ملحوظ .  
والضَّمِيرُ فى « قُلُوبِهَا » للنفوس أى الأشخاص . والتخيب : الخداع والغش .  
يصف الناس بأنهم أغرار مخدوعون

يقول : لقد غَلَوْنَا فِي الْغُرُورِ ، وَأَغْرَقْنَا فِي الْعَجْزِ وَالْبَلَه ؛ حَتَّى إِنَّ الدَّهْرَ  
لَيُقَدِّمُ إِلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِ مَا يُبْغِضُنَا فِي الْعَيْشِ ، وَيُنْفِرُنَا مِنْهُ ، فَمَا يَزِيدُنَا  
ذَلِكَ إِلَّا حُبًّا لَهُ ، وَرَغْبَةً فِيهِ ، غَافِلِينَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَبَثِ وَالْإِنْخِدَاعِ .

---

إلى هنا ينتهى الجزء الأول

من

شرح لزوم ما لا يلزم

يتلوه إن شاء الله

الجزء الثانى وأوله : « الباء المفتوحة »





## فهرست القصائد

### الجزء الأول

صفحة

- ١ اللزومية الأولى :  
أولو الفضل في أوطانهم غرباء تشذ وتنأى عنهم القرباء ٥٣
- ٢ اللزومية الثانية :  
تكرم أوصال الفتى بعد موته وهن إذا طال الزمان هباء ٦٥
- ٣ اللزومية الثالثة :  
أرائيك فليغفر لي الله زلتى بذلك ودين العالمين رياء ٧٤
- ٤ اللزومية الرابعة :  
سألت رجلا عن معد ورهطه وعن سبأ ما كان يسمى ويسبأ ٧٥
- ٥ اللزومية الخامسة :  
بنى الدهر مهلا إن ذهت فعالكم فإني بنفسي لا محالة أبدأ ٧٨
- ٦ اللزومية السادسة :  
يأق على الخلق لإصباح وإمساء وكلنا لصروف الدهر نساء ٨٠
- ٧ اللزومية السابعة :  
إن الأعداء إن كانوا ذرى رشد بما يمانون من داء أطباء ٨٥
- ٨ اللزومية الثامنة :  
إن مازت الناس أخلاق يعاش بها فإنهم عند سوء الطبع أسواء ٨٦
- ٩ اللزومية التاسعة :  
أكفيء سوامك في الدنيا مياسرة وأعرضن عن قوافي الشعر تكفئها ٩٠
- ١٠ اللزومية العاشرة :  
قد حجب النور والضياء وإنما ديننا رياء ٩٢
- ١١ اللزومية الحادية عشرة :  
تعالى رازق الأحياء طرا لقد وهت المروءة والحياء ٩٤

- ١٢ الزومية الثانية عشرة :  
أراهم يضحكون إلى غشا وتغشانى المشاقص والخطاء ٩٩
- ١٣ الزومية الثالثة عشرة :  
أسيت على الذوائب أن علاها نهارى القميص له ارتقاء ١٠٠
- ١٤ الزومية الرابعة عشرة :  
مالى غدوت ككفاف رؤبة قيدت فى الدهر لم يقدر لها إجراؤها ١٠٥
- ١٥ الزومية الخامسة عشرة :  
دنياك ماوية لها نوب شقى سماوية وأنباء ١١٥
- ١٦ الزومية السادسة عشرة :  
فقدت فى أيامك العلماء وادهمت عليهم الظلماء ١١٩
- ١٧ الزومية السابعة عشرة :  
رويدك قد غرت وأنت حر بصاحب حيلة يعظ النساء ١٣٩
- ١٨ الزومية الثامنة عشرة :  
نرجو الحياة فإن همت هواجسنا بالخير قال رجاء النفس لإرجاء ١٤٢
- ١٩ الزومية التاسعة عشرة :  
قد نال خيراً فى المعاشر ظاهراً من كان تحت لسانه مخبوءاً ١٤٣
- ٢٠ الزومية العاشرة :  
علموهن النزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءه ١٤٨
- ٢١ الزومية الواحدة والعشرون :  
توحد فإن الله ربك واحد ولا ترغبين فى عشرة الروساء ١٥٠
- ٢٢ الزومية الثانية والعشرون :  
إذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافع فالحسر للعلماء ١٥٣
- ٢٣ الزومية الثالثة والعشرون :  
إذا صاحبت فى أيام بؤس فلا تنسى المودة فى الرخاء ١٦٠
- ٢٤ الزومية الرابعة والعشرون :  
يا ملوك البلاد فزتم بنسء الـ مير والخور شأنكم فى النساء ١٦٢

- ٢٥ اللزومية الخامسة والعشرون :  
أوصيت نفسي وعن ود نصحت لها  
فما أجابت على نصحي وإيصائي ١٦٩
- ٢٦ اللزومية السادسة والعشرون :  
القلب كالماء والأهواء طافية  
عليه مثل حباب الماء في الماء ١٧١
- ٢٧ اللزومية السابعة والعشرون :  
الساع آتية الحوادث ما حوت  
لم يبد إلا بعد كشف غطاها ١٧٥
- ٢٨ اللزومية الثامنة والعشرون :  
ما خص مصر وبأ وحدها  
بل كائن في كل أرض وبأ ١٧٩
- ٢٩ اللزومية التاسعة والعشرون :  
تقواك زاد فاعتقد أنه  
أفضل ما أودعته في السقاء ١٨٣
- ٣٠ اللزومية المتمة الثلاثين :  
انفرد الله بسلطانه  
فما له في كل حال كفء ١٨٦
- ٣١ اللزومية الواحدة والثلاثون :  
قضى الله أن الآدمي معذب  
إلى أن يقول العالمون به قضى ١٩١
- ٣٢ اللزومية الثانية والثلاثون :  
أقيمي لا أعد الحج فرضاً  
على عجز النساء ولا العذارى ١٩٣
- ٣٣ اللزومية الثالثة والثلاثون :  
إذا قيل لك اخش الله مولاك فقل آرى ٢٠٠
- ٣٤ اللزومية الرابعة والثلاثون :  
سرينا وطالبنا هاجع  
وعند الصباح حمدنا السرى ٢٠٥
- ٣٥ اللزومية الخامسة والثلاثون :  
حياة عناء وموت عنى  
فليت بعيد حمام دنا ٢٢٩
- ٣٦ اللزومية السادسة والثلاثون :  
بعلم إلهي يوجد الضعف شيمتى  
فلست مطيقاً للغدو ولا المسرى ٢٤١
- ٣٧ اللزومية السابعة والثلاثون :  
يدل على فضل الممات وكونه  
إراحة جسم أن مسلكه صعب ٢٤٥

صفحة

- ٣٨ الزومية الثامنة والثلاثون :  
ليشغلك ما أصبحت مرتقباً له  
عن الغيب يبدى والخليل يؤنب ٢٤٩
- ٣٩ الزومية التاسعة والثلاثون :  
نقمت على الدنيا ولا ذنب أسلفت  
إليك فأنت الظالم المتكذب ٢٥٥
- ٤٠ الزومية المئمة الأربعين :  
لعمرك ما بنى نجمة فأرومها  
وإنى على طول الزمان لمجدب ٢٥٩
- ٤١ الزومية الواحدة والأربعون :  
لعل أناساً فى المحاريب خوفوا  
بأى كناس فى المشارب أطربوا ٢٦٢
- ٤٢ الزومية الثانية والأربعون :  
إذا كان إكرامى صديق واجباً  
فإكرام نفسى لا محالة أوجب ٢٦٦
- ٤٣ الزومية الثالثة والأربعون :  
بقيت وما أدرى بما هو غائب  
لعل الذى يمضى إلى الله أقرب ٢٦٩
- ٤٤ الزومية الرابعة والأربعون :  
أتذهب دار بالنضار وربها  
يخلفها عما قليل وينهب ٢٧٢
- ٤٥ الزومية الخامسة والأربعون :  
غدوت على نفسى أثرب جاهداً  
وأمشأها لام اللبيب المثرّب ٢٧٣
- ٤٦ الزومية السادسة والأربعون :  
إذا أقبل الإنسان فى الدهر صدقت  
أحاديثه عن نفسه وهو كاذب ٢٨١
- ٤٧ الزومية السابعة والأربعون :  
لا يقطن أخو نعى بنعمته  
بش الحياة حياة بعدها الشجب ٢٨٣
- ٤٨ الزومية الثامنة والأربعون :  
أعيبونى حيا ثم قام لهم  
مئن وقد غيبونى إن ذا عجب ٢٨٩
- ٤٩ الزومية التاسعة والأربعون :  
أخلاق سكان دنيانا معذبة  
وإن أتتك بما تستعذب العذب ٢٩٠
- ٥٠ الزومية المئمة الخمسين :  
لا تسأل الضيف إن أطعمته ظهراً  
بالليل : هل لك فى بعض القرى أرب ٢٩٢

- ٥١ اللزومية الواحدة والخمسون :  
قد أسرف الإنس في الدعوى بجهلهم  
حتى ادعوا أنهم للخلق أرباب ٢٩٥
- ٥٢ اللزومية الثانية والخمسون :  
يا صاح ما ألف الإعجاب من نفر  
إلا وهم لرموس القوم أعجاب ٣٠٢
- ٥٣ اللزومية الثالثة والخمسون :  
ما قرطاسك في كف المدير له  
إلا وقرطاسك المرعوب مرعوب ٣٠٦
- ٥٤ اللزومية الرابعة والخمسون :  
في البدو خراب أذواد مسومة  
وفي الجوامع والأسواق خراب ٣٠٨
- ٥٥ اللزومية الخامسة والخمسون :  
نفوس للقيامه تشرب  
وغى في البطالة متلب ٣١٠
- ٥٦ اللزومية السادسة والخمسون :  
أقروا بالإله وأثبتوه  
وقالوا لا نبي ولا كتاب ٣٢٠
- ٥٧ اللزومية السابعة والخمسون :  
تراب جسودنا وهي التراب  
إذا ولي عن الآل اغتراب ٣٢٢
- ٥٨ اللزومية الثامنة والخمسون :  
دنا رجل إلى عرس لأمر  
وذاك لثالث خلق اكتساب ٣٣٢
- ٥٩ اللزومية التاسعة والخمسون :  
ألا عدى بكاء أو نحيباً  
فن مغمه بكائك والنحيب ٣٣٤
- ٦٠ اللزومية المتمة الستين :  
تريب وسوف يفترق التريب  
حوانا والثرى نسب قريب ٣٣٦
- ٦١ اللزومية الواحدة والستون :  
إذا هبت جنوب أو شمال  
فأنت لكل مقتباد جنيب ٣٤٠
- ٦٢ اللزومية الثانية والستون :  
لسانك عقرب فإذا أصابت  
سواك فأنت أول من تصيب ٣٤٢
- ٦٣ اللزومية الثالثة والستون :  
تنادوا ظاعنين غداة قالوا  
أصاب الأرض من مطر مصيب ٣٤٥

٦٤ اللزومية الرابعة والستون :

رغبنا في الحياة لفرط جهل وفقد حياتنا حظ رغب ٣٤٧

٦٥ اللزومية الخامسة والستون :

عيوب إن سألت بها كثير وأي الناس ليس له عيوب ٣٤٩

٦٦ اللزومية السادسة والستون :

لذاتنا إبل الزمان يناها منا أخو الفتك الذي هو خارب ٣٥١

٦٧ اللزومية السابعة والستون :

علم الإمام - ولا أقول بظنه - أن الدعاة بسمها تتكسب ٣٥٤

٦٨ اللزومية الثامنة والستون :

سمى ابنه أسداً وليس بآمن ذنباً عليه إذا أطل الذيب ٣٥٩

٦٩ اللزومية التاسعة والستون :

إن عذب المين بأفواهكم فإن صدق بغمي أعذب ٣٦٢

٧٠ اللزومية العاشرة والستون :

يحسن مرأى لبني آدم وكلهم في الذوق لا يعذب ٣٦٤

٧١ اللزومية الواحدة والسبعون :

هذا طريق الهدى لا حب يرضى به المصحوب والصاحب ٣٦٥

٧٢ اللزومية الثانية والسبعون :

اصفح وجاهر بالمراد الفتى ولا يقولوا هو مغتاب ٣٦٧

٧٣ اللزومية الثالثة والسبعون :

إيالك والخمر فهي خالبة غالبية خاب ذلك القلب ٣٧١

٧٤ اللزومية الرابعة والسبعون :

من لى ألا أقسم في بلد أذكر فيه بغير ما يجب ٣٧٤

٧٥ اللزومية الخامسة والسبعون :

ما الثريا عنقود كرم ملاح في ولا الليل يانع غريب ٣٧٧